حقوق الشعوب

ومذهب الجنسيات

مبدآن كان لهما القسط الاوفر في توجيه مجرى التاريخ الحديث :

(١) مبدأ التوازن الاوربي Equilibre Européen

(٢) مبدأ الجنسيات Principe des Nationalités

على ان المبدأ الاول ـ وهو أقدمهما عهداً ، ويرجع الى بضعة قرون ـ ما برح يتضاءل شأنه في حين ان المبدأ الثاني ـ وهو ابن القرن الماضي ـ ظل يتوطد ويتمكن حتى أصبح اليوم الركن الاساسي للمعاملات الدولية . وقد جعل الحلفاء تحقيقه الغاية الاولى من هذه الحرب فانتعشت بوعودهم آمال الشعوب الضعيفة التي قضي عليها ان تذوق الذل والاستبداد لغير ذنب إقترفته الا قلة عددها وضعف شوكتها . ولن تضع الحرب اوزارها ما لم تحل المسائل البولونية والارمنية والسورية والصهيونية وغيرها من المسائل الناشئة عن خضوع شعوب ضعيفة لشعوب قوية

مبدأ التوازن الاوربي

أما مبدأ التوازن الاوربي فامره معلوم وهو يقضي بحفظ الموازنة بين قوات الدول الاوربية بحيث لا تقوى احداها على جاراتها فتسعى في اخضاعها واذلالها . على ان هذا المبدأ لا يلتفت الى مطامح الشعوب وأمانيها الوطنية وانما غاية ما يرمي اليه حماية الحكومات والمحافظة على بقائها وشوكتها

وعملاً بهذا المبدأ كانت الدول الاوربية كلما شعرت بتفوق احداها تتحد عليها وتتواطأ على مقاومتها ، كما حدث للويس الرابع عشر ولنابوليون . بل انه كان الباعث على انقسام اوربا قبل الحرب الى فريقين : الاتحاد الثلاثي (المانيا والنمسا وايطاليا) والاتفاق الثلاثي (فرنسا وانكلترا وروسيا) . وبفضله ظلت الدولة العثمانية في قيد الحياة لان الدول لم ترضَ ان تستولي احداها على الاستانة

وقد أدى هذا المبدأ أيضاً الى المطالبة «بالتعويضات» أي انه كلما حازت دولة امتيازاً في بعض الجهات طلبت الدول الاخرى امتيازات تقابله وتساويه . ففي مؤتمر برلين مثلاً (سنة ١٨٧٨) حازت النمسا البوسنه والهرسك فطلبت اليونان تسوية حدودها ونالت انكلترا جزيرة قبرص ومنحت فرنسا تأكيداً بان لا يتعرض لها أحد في تونس

مبدأ الجنسيات

وأما مذهب الجنسيات فهو يقضي بان يكون كل شعب مستقلاً في حكومته ونظاماته أي ان تكون الدولة مؤلفة من أناس متفقين في الجنسية والعادات والاماني . وهو مذهب حديث العهد أوضحه للمرة الاولى بجلاء واستفاضة مانشيني أستاذ القانون الدولي في جامعة تورينو (وأحد زعماء حركة الوحدة الايتالية) في محاضرته الافتتاحية في ٢٢ يناير سنة ١٨٥١

على ان هذا المبدأ ذكر قبلاً بين مبادىء الثورة الفرنسية التي أعلنت حق كل شعب ان يتصرف بشؤونه

وبالجملة فرمى هذه النظرية ان تكون الدول على أساس علمي لا ان يكون وجودها ونموها خاضعين لطوارىء التاريخ ومطامع الملوك والفاتحين

ما الذي يكون الشعوب والجنسيات؟

ولا بد لنا قبل الخوض في هذا المذهب من تحديد « الشعب » وبيان العوامل التي يتألف منها

لقد تضاربت الآراء في هذا الباب . فقال البعض بان العامل الاول المكوّن للشعب هو حدوده الطبيعية . وقال آخرون بان ذلك العامل هو وحدة الجنس والاصل . وقال غيرهم بانه وحدة اللغة والعادات . والحقيقة ان كلاً من هذه العوامل وان دخل في تكوين الشعب الا انه ليس كافياً وحده لذلك

فقولنا « الحدود الطبيعية » لا يؤدي معنى معيناً فان تلك الحدود تختلف باختلاف نظر الناس اليها وكل دولة تطالب بالحدود الموافقة لصالحها . فقد تدعي فرنسا بان حدها الطبيعي هو نهر الرين وتقول المانيا بان جبال الفوج هي الفاصل بينها وبين فرنسا . زد على ذلك ان هذا العامل أصبح قليل الشأن في هذا العصر الذي قرب الدول بعضها من بعض وكاد يلغي الحواجز الطبيعية بينها

أما وحدة الجنس والاصل فلا شك انها عامل خطير ولكنه غير كاف لتمييز شعب من شعب . فبعض الشعوب مؤلفة من أجناس مختلفة ومع ذلك فافرادها يعيشون جنباً الى جنب برغد وهناء . خذ سويسرا مثلاً فانها مؤلفة من فرنسيين والمانيين وايتاليين ولكن أهلها بالرغم من هذا الاختلاف من أسعد الناس وأقربهم الفة واتحاداً . وبعكس ذلك فالتاريخ يرينا شعوباً من جنس واحد تتطاحن وتتقاتل كالبولونيين والروس

مثلا . ولو نفذ هذا المذهب اليوم على الدول الاوربية لادى الى قلب الخارطة رأساً على عقب اذ يتحتم اذ ذاك ملاشاة امبراطورية النمسا والمجر وينبغي كذلك ضم جانب من البلجيك الى فرنسا وتقسيم سويسرا بين فرنسا والمانيا وايتاليا وقس على ذلك

كذلك يتعذر عد وحدة اللغة والدين والعادات العامل المكوّن للشعوب . اذ انه يترتب على ذلك وجوب تقسيم البلجيك وسويسرا وضم الولايات المتحدة الى انكلترا واعادة جمهوريات اميركا الجنوبية الى اسبانيا والبرتوغال وغير ذلك من النتائج التي يحكم عليها من أول نظرة بأنها غير عادلة ولا مستحسنة

فما هو اذن العامل الرئيسي الذي يدخل في تكوين الشعوب ؟

ذلك العامل هو التوافق في المشارب والاميال والنزعات والاماني فهو عامل نفسي داخلي قبل كل شيء . وقد يكون ذلك التوافق ناشئاً عن بعض العوامل المذكورة آنفاً أو عنها معاً . وانما المسئلة الاولى هي ان يكون بين الافراد تلك الوحدة المعنوية التي تجمعهم والتي لا يتنزلون عنها ولا يهنأ لهم عيش بدونها

تطبيق مبدأ الجنسيات

قلنا ان مبدأ الجنسيات او استقلال الشعوب حديث العهد في عالم السياسة . فانه لم يكن له ادنى شأن في مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ الذي كان همه الاكبر اعادة السلطة التامة لاصحاب التيجان — وقد كانوا مهددين بفقدها — او بعبارة اخرى اعادة النظام الاستبدادي السابق والتوازن الدولي القديم: فظل اليونانيون وبعض السلافيين خاضعين لتركيا والبلجيكيون تحت سلطة هولندا والمانيو مقاطعة هولشتين تابعين للدانمارك والمجر للنمسا . وكانت كل من المانيا وايتاليا مؤلفة من ممالك وامارات كثيرة

على انه بعد سنة ١٨١٥ لم يحدث تغيير ذو شأن الا بتأثير مذهب الجنسيات القاضي باستقلال كل شعب في احكامه ومصيره . واول ما حدث من ذلك استقلال اليونان سنة ١٨٢٩ عن حكم الدولة العثمانية ، ثم استقلال البلجيك عن هولندا سنة ١٨٣٠ ، ثم ضم مقاطعة هولشتين الى بروسيا بعد حرب سنة ١٨٦٤ (ولكن بروسيا ضمت اليها ايضاً مقاطعة شلسويج الدانماركية) . وفي سنة ١٨٥٩ تكونت الوحدة الايتالية ، وفي سنة ١٨٧١ تمت الوحدة الالمانية . وبعد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ استقلت الدول البلقانية

اعلان حقوق الشعوب

في ٦ ينايرسنة ١٩١٦ اصدر المجمع الاميركي للاشتراع الدولي قراراً سماه « اعلان حقوق الشعوب » . ومع انه ليس لهذا القرار صبغة رسمية فان صدوره من مجمع ضمَّ اكابر علماء القوانين الدولية وموافقة الاعضاء عليه باجماع الآراء يثبت لنا ما قالته جريدة التيمس النيويركية من « ان هذا القرار يعبر عن احساس القارة الاميركية فيما يخص القانون الدولي » بل هو بيان جليّ عن الغرض الرئيسي من هذه الحرب . واليك صورة هذا القرار التاريخي :

بما ان القوانين المدنية للامم المتمدينة تقر وتحمي : حق الحياة ، وحق الحرية ، اللذين اضاف اليهما « اعلان استقلال الولايات المتحدة » حق السعي وراء السعادة ، وحق المساواة امام القانون ، وحق الأمتلاك ، وحق التمتع بالحقوق المتقدمة ومنه ينشأ واجب إحترامها على اهل كل أمة ورعاياها

وبما أن هذه الحقوق الاساسية المعترف بها عموماً معروفة لدى اهالي جميع الامم المتمدينة

وبما ان هذه الحقوق الاساسية يمكن وضعها في قالب يوافق الاشتراع الدولي ويمكن تطبيقها على العلاقات الدولية الناشئة بين اعضاء جامعة الامم الواحد نحو الآخر كما طبقت على العلاقات الفردية بين اهالي الدول المؤلفة لتلك الجامعة ورعاياها

وبما ان هذه الحقوق الاساسية في الاشتراع الوطني وهي : حق الحياة ، وحق الحرية ، وحق السعي وراء السعادة ، وحق المساواة امام القانون ، وحق الامتلاك ، وحق احترام الغير لهذه الحقوق ، يقابلها في الاشتراع الدولي : حق الامة في الوجود وحق حماية وجودها والمحافظة عليه ، وحق الاستقلال وحرية النمو من غير مداخلة الامم الاخرى أو مراقبتها ، وحق المساواة في الحقوق امام القانون ، وحق الحصول على ارض ذات حدود معينة والتصرف التام في داخلها ، وحق احترام الغير لهذه الحقوق الاساسية

فبناء عليه قرر المعهد الاميركي للاشتراع الدولي بالاجماع في جلسته الاولى المنعقدة في مدينة واشنطن في الولايات المتحدة الاميركية في اليوم السادس من شهر يناير سنة ١٩١٦ في أثناء وتحت رعاية المؤتمر العلمي الاميركي الثاني المواد الخمس التالية مع

شرحها [1] وستعرف باسم « اعلان حقوق الامم » :

١ — لكل أمة حق الوجود وحماية وجودها والمحافظة عليه . ولكن هذا الحق ليس يتضمن ولا يبرر قيام الدولة باعمال غير شرعية ضد الدول البريئة غير المعتدية على سواها لحماية وجودها او المحافظة عليه

٢ — لكل أمة حق الاستقلال بمعنى أن لها حق السعي وراء السعادة وانها حرة لها ان تنمو من غير مداخلة الدول الاخرى او مراقبتها على شرط أن لا يجرها ذلك الى الاعتداء على حقوق الدول الاخرى او انتهاكها

٣ — كل أمة ، من حيث الحق وامام القانون ، مساوية لكل دولة أخرى داخلة في جامعة الامم . فلكل دولة الحق في ان تطلب و ـ حسب اعلان استقلال الولايات المتحدة ـ ان « تشغل بين دول الارض ذلك المركز المستقل الموازي لغيره الذي تمنحه اياها سنن الطبيعة والله »

٤ — لكل أمة الحق في ان يكون لها أرض ذات حدود معينة ولها حق التصرف المطلق في أحكامها على أرضها وعلى كل شخص يقطنها وطنياً كان أو أجنبياً

٥ — لكل أمة تعترف لها شرائع الامم بحق من الحقوق ان تطلب احترام جميع الامم لذلك الحق وحمايتها له . فان الحق والواجب متلازمان ، وما كان حقاً للواحد فهو واجب على غيره ينبغي احترامه

انما الامم الاخلاق . . .

ليس ما يحمي الشعب غير رجاله . فما من حصن للمدن والبلاد أقوى من اخلاق اهلها وفضائلهم ـ رايليه

لا تسقط الدولة طالما لم تتلاشَ فيها الحياة البيتية الصالحة ـ هولند

في شباب الامم تزهر الفنون الحربية ، وفي كهولتها العلم ، وفي شيخوختها الصنائع والتجارة — باكون

تقدم الامة هو مجموع جهد الافراد ونشاطهم واستقامتهم كما ان تقهقرها هو مجموع كسلهم وفسادهم وانانيتهم — سميلز

تقوم عظمة الامة بالصفات التي تكوّن عظمة الافراد ـ سمنر

(١) وقد أغفلنا ذكر الشرح المشار اليه خوفاً من التطويل الممل وتجنباً للمباحث القانونية التي لا تهم الا نفراً قليلا

النساء المقاتلات

قديماً وحديثاً

قد بهر العالم باخبار الشجاعة التي أبدتها « فرقة الموت الروسية » وهي كما يعلم القراء مؤلفة من النساء الروسيات اللواتي اجتمعن في هذا الوقت الحرج للذود عن الوطن الروسي



الامازون

فهل حدث مثل ذلك في التاريخ ؟ وهل لدينا من الامثلة التاريخية ما يدل على ان المرأة لا تقل شأناً عن الرجل حتى في ميادين القتال ؟ وهل عرف العالم جيوشاً منظمة مؤلفة من النساء ؟ هذا ما نود الاجابة عنه في هذه المقالة الوجيزة

ان حوادث البسالة الفردية بين النساء كثيرة والتاريخ مملوء باسماء النساء اللواتي اشتهرن بالشجاعة والفروسية

وقد نبغ من النساء العربيات غير واحدة ، ومنهن بعض الملكات وأعظمهن في نظر التاريخ زينوبيا ملكة تدمر ويسميها العرب الزباء . وقد كان لها شأن عظيم في التاريخ وامتدت سيطرة تدمر في أيامها على قسم عظيم من المملكة الرومانية الشرقية في أواسط القرن الثالث للميلاد وكانت في بادىء الامر تحت رعاية الرومان

وكانت نساء الجاهلية يخرجن مع الرجال للحرب يضربن لهم الدفوف ويحرضنهم على الثبات فضلا عن اللواتي كن يداوين الجرحى ويحملن قرب الماء . وقد اشتهرت غير واحدة بالبسالة في أثناء الغزوات . ففي معركة أحد وقع لواء قريش في ساحة القتال فلم يزل صريعاً حتى أخذته امرأة منهم اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لهم فلاذوا بها . وفعلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان في تلك المعركة ما لم تفعله الرجال فجمعت اليها نسوة أخذن في أيديهن الدفوف يضربن خلف الرجال وهي تنشد في تحريضهم على الثبات

ونبغ في أثناء الفتوحات الاسلامية كثيرات منهن : بكاره الهلالية ، وخولة بنت الازور الكندي ، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية ، وكبشة بنت معدي كرب الزبيدي ، وليلى بنت طريف وغيرهن كثيرات من اللواتي كن يحضرن المواقع ويحملن على الرجال

ومن اللواتي اشتهرن بالشجاعة والفروسية في التاريخ القديم الملكة ارتميزيا ملكة هاليكارناسس في آسيا الصغرى وكانت تابعة للفرس وعاونت كزرسيس على محاربة الاثينيين فجهزت بعض السفن وحاربت بها في معركة سلاميس الشهيرة (سنة ٤٨٠ ق م) وتمكنت من الفرار بحيلة حربية اذ هاجمت الفرس بسفنها فظنها الاثينيون منهم . ويؤثر عن كزرسيس انه قال بعد هذه الموقعة « ان الرجال حاربوا كالنساء والنساء حاربن كالرجال »

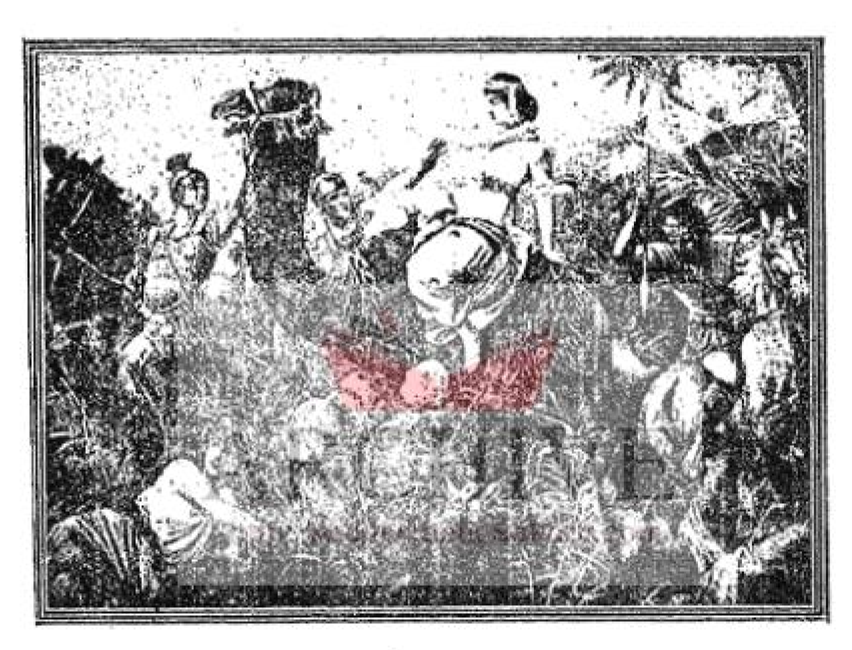
ومن اللواتي اشتهرن عند الفرنسيين جان دارك Jeanne d'Arc (١٤١١ — ١٤٣١) وأمرها معلوم مشهور ، وجان هاشيت Jeanne Hachette (المولودة سنة ١٤٥٤) وقد اشتهرت بتخليصها مدينة بوفيه من هجمات البورغنديين في ٢٧ يونيو سنة ١٤٧٢ وكانوا قد اوشكوا ان يستولوا عليها وتمكن أحدهم من تنصيب علمهم فوقها فهجمت عليه جان المذكورة وأسقطته صريعاً ومزقت العلم وأثارت الحمية في صدور الجنود فقاوموا وفازوا في مقاومتهم

وقد اشتهر عند الانكليز هنا سنل Hannah Snell (١٧٢٣ — ١٧٩٢) وماري أنا تالبوت Mary Anna Talbot (١٧٧٨ — ١٨٠٨)

أما الاولى فقد ارتدت ثياب الرجال لتبحث عن زوجها الذي كان قد هجرها وأساء معاملتها ثم انتظمت في سلك الجندية ولكنها لم تلبث ان تركتها ودخلت البحرية

وسافرت في عدة حملات الى الهند وجزر الهند وقد كانت بين محاصري مدينة بونديشري وجرحت أثناء الحصار فنزعت وحدها الرصاصة التي كانت قد اخترقت لحمها ولم تشأ أن تستدعي جراحاً . وأما الثانية فقد هربت في أول أمرها برفقة قبطان أحبته مرتدية ثياب رجل ثم حضرت بعض المعارك في فرنسا ثم خدمت على سفينة حربية وجرحت في أثناء قيامها بوظيفتها وأخيراً أسرها الفرنسيون وبقيت في الاسر سنة ونصف سنة ولم يعلم جنسها الا في آخر أمرها

***



زينوبيا ملكة تدمر يأسرها الرومان

هذه أمثلة لنساء انفردن في الشجاعة والفروسية . بقي ان نرى هل تألف من النساء فرق منتظمة حملت السلاح وخاضت غمار الحرب

ان خرافات كثير من الشعوب تشير الى وجود جماعات من النساء عشن مستقلات عن الرجال في جميع أمورهنّ وهن معروفات باسم « الامازون » وقد ورد ذكر هذه المستعمرات النسائية في أساطير اليونان على الخصوص . وكنّ يقطنّ شواطئ البحر الاسود وعليهنّ ملكة تحكمهن ولم يكن يؤذن للرجال في دخول مستعمراتهنّ الا بعض الارقاء أصحاب العاهات . وقد كنّ يؤلفنَ الجيوش لمحاربة جنس الرجال . ولكي يحفظنَ نسلهن كنّ يعلنّ صلحاً موقتاً من حين الى آخر مع جيرانهنّ فتزور الشابات منهنّ قبيلة الغرغريين ثم يرجعن الى مستعمراتهنّ حتى يلدن فيقتلن الذكور من اولادهن

أو يضحين بهم أو يُبعدنهم الى آبائهم ويحتفظن بالبنات فيربينهن على الخشونة والفروسية . ويقال أنهن كن يبترن أثديتهن اليمنى لكي يسهل عليهن رمي النبال . ولذلك أطلق عليهن اسم « امازون » وهو يعني باليونانية « الفاقدة الصدر »

وفي تاريخ بوهيميا ما يضارع هذه الحوادث . في القرن الثامن الميلاد كان يحكم



مدام كوكوفتسيفا كولونيل احدى فرق القوزاق

بوهيميا امراء وطنيون وقد خلف آخر هؤلاء الامراء ابنته المسماة ليبوسا فعينت نساء كثيرات في الوظائف العمومية ودربتهن على الفنون الحربية ونالت معهن انتصارات عديدة . فلما توفيت قام فريق من الشعب يريد اعادة الحال الى ما كانت وخفض جناح المرأة وابعادها عن الشؤون العامة ولكن فلاسكا صديقة ليبوسا الحميمة اعلنت الثورة وقبضت على زمام الحكومة وأمرت أن لا يدرب غير النساء على الفنون الحربية بل انها أمرت بفقء العين اليمنى لكل ولد ذكر وبتر باهمه حتى لا يستطيع استعمال السلاح . وقد حكمت فلاسكا المذكورة سبع سنوات وعند موتها رجعت الامور الى مجاريها

أما في اميركا فان اسم اعظم نهر اميركي (نهر الامازون) خير دليل على ما كان للنساء من الشأن الحربي بين اهاليها الاصليين . فان المستكشف اوريلانا ذكر انه في المواقع التي دارت بينه وبين بعض القبائل الهندية رأى النساء يقاتلنَ بانتظام كالرجال وقد سمي النهر باسم « امازون » اشارة الى ذلك — وان يكن هناك تعاليل أخرى لمنشأ هذا الاسم

***

على ان لدينا في التاريخ حوادث مثبتة لا شك في صحتها . فقد ذكر بلوترخس ان نساء مدينة ارغوس حامين عن مدينتهن ودفعن هجمات اهل سبرطة فأُذن لهنّ ان يقمن تمثالاً للاله مارس (إله الحرب) وأن يلبسن لحى مستعارة في ايام زفافهن . ومما هو مثبت ايضاً ان نساء الجرمان حاربن الرومانيين . ومن الحوادث التاريخية كذلك ان الامبراطور كنراد الالماني جلب معه الى سوريا في اثناء الحروب الصليبية فرقة من النساء المقاتلات وقد كنَّ يحاربنَ مع الرجال وامتزن بالشجاعة في حصار انطاكية

***

وتظهر الفرق النسائية على الخصوص في ايام الازمات والانقلابات والثورات . فانه لما عزم نابوليون على مهاجمة انكلترا كانت النساء الانكليزيات يحرضن الرجال على حمل السلاح ويغرينهم على الثبات والمقاومة

وفي تاريخ اسبانيا حوادث كثيرة من هذا النوع . ففي حرب الوراثة الاسبانية ذاد النساء عن مدينة برشلونه في أثناء حصارها (سنة ١٧١٣) . ولما حمل الجنرال لوفيبر أحد قواد نابوليون على مدينة سراقوسة للاستيلاء عليها تألفت فرق من النساء عدد الفرقة منها ٢٠٠ أو ٣٠٠ للدفاع عن المدينة ومساعدة الرجال

أما فرنسا فلعلها تفوق الدول الاخرى من هذا القبيل . فقد تألف من نسائها فرق مختلفة في أثناء ثوراتها سنة ١٧٨٩ وسنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٧١ . وقد امتازت تيرواني دي ميريكور Théroigne de Méricourt في الثورة الاولى بانحيازها الى الثورة وتأثيرها في زعمائها الذين كانوا يجتمعون عندها وقد سميت « أمازونة الحرية »

ولملوك سيام فرقة حرس مؤلفة من ٤٠٠ امرأة منتخبة من أجمل النساء وأقواهن . وهن يبدأن الخدمة من سن ١٣ سنة ويبقين الى سن ٢٥ ثم يخدمن في قصور الملك . ويفرض عليهن أن ينذرن العفة الا اذا اتخذهن الامير زوجات له شرعيات

وللامبراطور غليوم حرس شخصي مؤلف من نحو ٨٠٠ امرأة ليثوانية . وليس لغيره من أصحاب التيجان في اوربا مثل ذلك الحرس

ثم ان لمعظم الملكات والاميرات اليوم ألقاب شرف في بعض الفرق وهن لا يرتدين ملابسهن العسكرية الا عند استعراض تلك الفرق

أما في روسيا فقد انتظمت نساء كثيرات في سلك الجندية منذ نشوب الحرب وقد ذكرنا في الهلال الاول من السنة الرابعة والعشرين أمثلة من ذلك ومنهن مدام



نساء روسيات من فرقة المشاة
ويرى القارىء ان لباسهن العسكري لم يمنعهن حمل أواني الطبخ

كوكوفتسيفا امير الاي احدى فرق القوزاق . أما اليوم فقد تألفت منهن فرقة بتمامها سميت فرقة الموت أتت من الاعمال المدهشة ما يعجز عنه الرجال

خواطر

سرعان ما نصوب أعمالنا متى عجزنا عن عمل الصواب

سوء التفاهم يولد من التخاصم اكثر مما تولد الرداءة

ميت يُبكى خير من حي يُنسى

العفو على القوي أسهل منه على الضعيف فان الضعيف يخشى دائماً ان يعد عفوه نذالة وجبناً

بعض العواطف الدنيئة ينبغي محاربتها بمثلها فان من الجهل مقابلة الرداءة والاعتداء وسوء النية بالشرف والترفع

روح الثورات

للدكتور جوستاف لوبون

من خيرة الكتب التي ألفها العلامة الفرنسي الشهير الدكتور جوستاف لوبون كتاب « الثورة الفرنسية و بسيكولوجيا الثورات » وقد رمى فيه الى درس العوامل والاحوال النفسية التي تُحدث الثورات والتي ترافقها بعد حدوثها . وقد قسم كتابه المذكور الى قسمين : القسم الاول عام عن فلسفة الثورات والانقلابات بوجه الاجمال فبين انواعها واسبابها وتفاعل الحكومة والشعب فيها والتطورات النفسانية التي تطرأ على الناس في اثنائها. أما القسم الثاني فقد خصصهُ لدرس الثورة الفرنسية بالتفصيل واستخلاص العبر والتعاليم من حوادثها

وقد رأينا بمناسبة الانقلاب العظيم الذي تم حديثاً في روسيا أن نورد شيئاً من آراء العلامة لوبون يسهل علينا فهم ذلك الانقلاب ويرينا الاسباب الخفية والعوامل البعيدة التي تغير مجاري التاريخ وتحوّل مصير الشعوب

***

بدأ المؤلف كتابه بفصل « عن مراجعة التاريخ » بين فيه كيف أن معظم الحوادث التاريخية تحتاج اليوم الى إعادة النظر عليها ، حتى ما نعده منها مثبتاً يقينيا ، فانه يتعذر على الباحث العصري ان يجد حادثاً غير قابل للنقض أو المراجعة . والسبب في ذلك ان المؤرخ الحديث الاسلوب لا يكتفي بتدوين الحوادث الظاهرة بل يرجع الى اسبابها وعواملها غير المنظورة ، فيعنى بتاريخ الامة اكثر من عنايته بتاريخ ملوكها ، ويدرس الاحوال النفسانية والاجتماعية قبل درس الحروب والفتوحات ، ويؤثر فحص الاخلاق واستجلاء النزعات والاماني على تدوين التراجم وسرد الوقائع

فعلى المؤرخ العصري ان يستكمل عدته من علوم النفس والاخلاق والاجتماع قبل مباشرة عمله اذ لا بدّ له من معرفة احوال الجماعات واحكامها ، واستبانة تأثير الماضي في الحاضر أي تأثير الغرائز والامزجة الموروثة عن الاسلاف ، ودرس روح الجموع وقابليتها للتأثر والانفعال ، ونشوء التقاليد وزوالها ، والتمييز بين منطق العقل واحكامه

من جهة (وهو رائد الانسان في المباحث العلمية) ومنطق العواطف والعقائد واحكامها من جهة اخرى (وهي رائد الحياة القومية وخالقة الحوادث التاريخيـة) وغير ذلك من المباحث الحديثة التي فاتت الاقدمين

* * *

ثم شرع الدكتور لو بون يقسم الانقلابات فجعلها في ثلاثة اقسام كبرى : العلمية والسياسية والدينية . وفي نظره ان الانقلابات العلمية أشد خطورة واعظم شأناً في تاريخ الامم من سواها — وان يكن الاضطراب الذي تحدثه في النظام البشري بطيئاً وطفيفاً في الظاهر ، ولكن تأثيرها ثابت مستديم في حياة الانسان

ولما كانت الانقلابات السياسية هي التي تهمنا في هذا المقام فننا نقتصر فيما يلي على تلخيص أهم ما قاله عنها :

ان الانقلابات الفجائية التي تبهر المؤرخ هي غالباً دون غيرها شأناً . فان الانقلابات العظيمة هي تلك التي تلحق الاخلاق والافكار ، اذ لا يكفي ان يستبدل اسم الحكومة حتى تتأثر الامزجة والعقول . وليس يترتب على قلب النظام تجديد روح الامة

تنشأ الانقلابات الحقيقية — تلك التي تؤثر في مصير الشعوب — بالتدريج بحيث يتعذر على المؤرخ في الغالب أن يحدد منشأها . ولذا فالافضل ان تطلق عليها كلمة « تدرج » بدلاً من كلمة « انقلاب »

كثيراً ما تتولد الثورات عن تغيير العقائد السياسية المستقرة في النفوس ، وقلما يكون للعقل سلطان عليها وانما السلطان للآمال والاماني التي تجذب النفوس وتستأسرها . ولا تسيّر الثورات الا بتحريك العواطف واثارة الغرائز

من ذلك ندرك منشأ الاحقاد والمظالم والاضطهادات التي ترافق الثورات عادة . فان من كان تحت سلطان عقيدة قوية يمتنع عليه التساهل بل يصبح ولا هم له الا إزالة كل حائل دون نشر عقيدته وتوطيدها

وفضلاً عن تغيير العقيدة السياسية فان للثورات اسباباً أخرى مختلفة يتكوّن من مجموعها ضيق عام وتململ شامل . ثم ان هذا الاحساس لا يلبث أن يتضخم شيئاً فشيئاً وينتشر بين جميع طبقات الشعب . ولذلك فالثورات غالباً ليست حوادث فجائية كما

يتراءى للناظر بل هي متواصلة النشوء والتدرّج وان تخللها تحوّل سريع في بعض الاحيان

ثم ان الشعوب المحافظة على تقاليدها وعاداتها كثيرة التعرض للثورات بخلاف ما يتبادر الى الذهن لاول وهلة . فان تلك الشعوب نظراً لمغالاتها في المحافظة على القديم لا تستطيع ان تتكيف وفقاً لمقتضيات البيئة المتجددة على الدوام ، حتى اذا ما أصبح البون شاسعاً بين ما هي عليه وما يستدعيه الحال اضطرت الى الانقلاب الفجائي لمجاراة عصرها

تبدأ الثورات العظيمة غالباً من فوق لا من تحت ، أي تنشأ بين الطبقات العليا ثم تنتشر بين طبقات العامة . وهي لا تبلغ أشدها الا متى استولت على عقول الجماهير فتصبح مبادئها بمنزلة ايمان جديد تؤمن به وقلما تفقه ماينطوي تحت تلك المبادئ

ومن الواضح الجلي انهُ لا بدَّ من مساعدة الجيش أو جانب كبير منهُ لنجاح الثورات . فان الملكية في فرنسا لم تزل يوم قطع رأس لويس السادس عشر بل انها زالت منذ الساعة التي امتنع فيها جنده عن حمايته

على أن الثورة التي تحدث بفعل الجيش لا تنضج الا اذا كان الضيق والتململ منتشرين بين الشعب ولا تثمر الا باحياء الآمال فيه

ولا بدَّ أيضاً للجماهير من قادة يعرفون كيف يديرونها ويحرضونها فيبينون لها مظالم العهد القديم ، وينسبون الى الحكومة السابقة كل المساوئ والاضرار ولا سيما مسائل الطعام والمعاش، ويعدون الجميع بالراحة وسعة الرزق في العهد الجديد . فلا تلبث تلك الافكار أن تنمو وتنتشر بالعدوى حتى تعم الشعب باجمعه

على هذا النسق نشأ الانقلاب المسيحي والانقلاب الفرنسي . واذا كان الاول قد استغرق سنين طويلة في حين ان الثاني تم في بضع سنوات فما ذلك الا لان الثورة الفرنسية استمالت الجيش حالاً وحصلت على القوة العسكرية اللازمة لتوطيد اركانها حالة كون الديانة النصرانية لم تفز بتلك القوة الا بعد زمن طويل . فلم يدخل فيها في البدء غير الوضعاء والفقراء والارقاء وسائر من استفزتهم الوعود والاماني التي علّلتهم بها الديانة الجديدة في العالم الآخر. ثم انتشرت هذه العقيدة بالعدوى من تحت الى فوق اي من الطبقات السفلى الى الطبقات العليا (وفي التاريخ امثلة لهذه العدوى المعكوسة) ولكنها لم تثبت

وتمكن الا لما اختارها احد الامبراطرة ديناً رسمياً له ولدولته بعد ان رأى جانباً عظيماً من رعيته يدينون بها

ثم ان الحزب الذي يفوز بالثورة يسعى دائماً في تكييف النظام الجديد وفقاً لمصلحته . ولذا فنتائج الثورات تختلف باختلاف مثيريها بين ان يكونوا من الجنود أو المحافظين أو المتطرفين أو غير ذلك

على انه لا بد للفئة الحاكمة من مراعاة مصالح الطبقات كلها حتى تثبت في مركزها فلا تلبث ان تلجأ الى التوفيق بين الاحزاب وحفظ الموازنة بينها حتى لا يتفوّق حزب على غيره



الدكتور جوستاف لوبون

محاولة اغتيال نابوليون

ومهارة رئيس جواسيسه

دخل نابوليون مدينة ابنسبرج (في بافاريا) يوم ٢٢ يوليو سنة ١٨٠٦ ملبياً دعوة مكسيمليان ملك بافاريا الذي كان قد استنجده لرد غارة النمسويين عن بلاده . فدخلها راكباً جواده في مقدمة فرقة القائد داڤو والى جانبه مكسيمليان المتقدم . وكان البافاريون اذ ذاك من حيث اميالهم السياسية منقسمين الى فريقين : فريق استصوب سياسة الحكومة ورضي بمساعدة الفرنسيين وفريق انكر تلك السياسة وفضل النمسا على فرنسا

وحدث في اليوم السابق لقدوم نابوليون ان رجلين تشاجرا في بعض احياء المدينة . وقد حملهما على ذلك جدال قام بينهما بشأن الحالة السياسية . وكان احدهما وهو لويس ولف البالغ من العمر ٢٨ سنة متعصباً ضد الفرنسيين حاقداً على نابوليون ، فلم يطق صبراً على رفيقه الذي تنبأ بانه لا ينقضي اسبوعان حتى يفوز الفرنسيون ويسحق النمسويون

ومن قوله لرفيقه انه اذا توصل الفرنسيون الى سهول بافاريا فانما يكون ذلك لحفر قبورهم فيها . واشتد الجدال بينهما حتى افضى بهما الى الملاكمة والمصارعة

أما حقد لويس ولف على نابوليون فكان امره مشهوراً بين اقرانه ومعارفه وله فيه عذر مقبول . فان اباه واخوته ذهبوا ضحية لمطامع ذلك الجبار وسقطوا في ميادين الحروب التي اثارها ، ووالدته اتهمت اثناء ذلك بالتجسس فاعتقلت وذاقت مر العذاب ثم افرج عنها ولكنها لم تلبث بضعة ايام حتى توفيت على أثر ما نالها من التعب والاعياء

فهذه الاسباب كلها اوغرت صدر ولف حقداً على نابوليون ، وحق له أن يحقد . . . فاقسم أن ينتقم لاولئك الابرياء ووطد العزيمة على ذلك . ثم قال في نفسه : « اكمن له اثناء مروره فاصوب اليه نار بندقيتي واصرعه واشفي منه غليلي ولست أبالي بعد ذلك قضي علي أو نكل بي اذ اكون قد انتقمت لنفسي ولاهلي من شر عدو »

فمضى الى بيته وأخذ بندقيته فحشاها باروداً ثم فكر ملياً وقال : « اذهب الى بيت ستنزر عند مدخل المدينة فارقب مروره ثم اطلق عليه النار وهو على فرسه كعادته فاصرعه بلا ريب »

والامر الذي زاد ولف حقداً وضغينة على نابوليون هو ان الحرب التي قدم من اجلها كانت سبباً لتأخير اقترانه بالينا خطيبته المحبوبة اذ ان شيخ المدينة اعلمه أن لا بد من تأجيل الزفاف ريثما تضع الحرب اوزارها

فلعن ولف نابوليون وحروبه الف مرة وقال: « اذا لم يكن في البلاد من يجرأ على قتل هذا الظالم فانا هو ذاك الذي يكرس نفسه لتخليص الوطن من عدوه اللدود »

وفي صبيحة اليوم التالي ترك ولف بيته وقصد ساحة المدينة العمومية ليستفهم عن ميعاد قدوم نابوليون. فرأى جماعة من الناس قد احدقوا بجندي بافاري يسألونه عن سير القتال ويستطلعونه اخبار العراك وهو يقص عليهم ما كان من فوز الجنود الفرنسية وكسرهم جيش الارشيدوق شارل النمسوي. فتقدم ولف من بين الجمهور وسأل الجندي قائلا: — وأي متى نحظى برؤية نابوليون

فرفع هذا رأسه الى مخاطبه وقال:

— ان نابوليون يأتي ابنسبرج في هذه الليلة أو في صبيحة الغد على ما قال قائدنا. وهو الآن يدبر الخطط الحربية. اني اراك تتعجل ساعة لقائه للتسليم عليه

فقال بصوت منخفض: — نعم سأسلم عليه بطريقة مبتكرة!

ثم تخلص ولف الى بيته ومكث به حتى اذا ارخى الليل سدوله خرج بسلاحه وتزمر بجاد اسود فعدا نحو بيت ستتزر المهجور فلما اتاه صعد الى احدى غرفه المطلة على الطريق ووقف الى احدى النوافذ متربصاً لفريسته

فقضى ليلته كلها في الانتظار حتى بزغ الفجر فاخذ يحدق بنظره في الطريق ليرى هل من قادم فلم يبصر احداً

فلما كان الصباح بان له عن بعد صفان من الخيالة وفي مقدمتهم فارس ربع القامة وعلى رأسه قبعة انفرد بها دون غيره. فعرف انه نابوليون وفرح بلقائه الا انه ما لبث ان اعتراه اضطراب شديد لم يعهد مثله من قبل كأنه أدرك خطورة ما قد عزم عليه. لكنه شدد نفسه وأسكن روعه فرفع بندقيته حتى اذا صار نابوليون على بعد بضعة أمتار منه صوبها اليه وهم باطلاقها. واذا بيد حديدية قد ألقت القبض على ذراعه ورمته مغشياً عليه. وهكذا نجا نابوليون من الموت بدون علمه وقد كان منه أدنى من قاب قوسين. فمرّ بجنده من تحت البيت المهجور ووراءه الكواكب البافارية في صفوف كثيفة متقاربة

فلما دخل المدينة كانت الجموع مصطفة على الجانبين في انتظاره فاخذوا يحيونه ويدعون له. وفي هذه الاثناء سمع دوي المدافع وقصف الرصاص فامتلأت السماء جلبة وضجيجاً. ولم يكن ذلك احتفالاً بالزائر العظيم بل ان المعركة المنتظرة بقرب المدينة كانت قد ابتدأت

فاسرع نابوليون الى بيت انتوان كنزار احد اعيان البلدة ثم اخذ يستطلع مجرى القتال ويضع الخطط ويصدر الاوامر. ثم تناول بعض الطعام من زوادة كانت معه ولم

فرغ من الاكل استحضر شلمستر كبير جواسيسه فلما وافاه دار بينهما حديث دونه ادوار كاشو المؤرخ المعروف اثناء سفره الى تلك البلاد . وقد ثبتت صحة هذا الحديث من الوجهة التاريخية

قال نابوليون : — هل اكتشفتم مؤامرة على الجيوش الفرنسية التي اضطرت الى المرور بهذه الاصقاع ؟

— نعم يا سيدي . ربما كان هناك ما ينيف على ثلاثين مؤامرة

— وهل توصلتم الى معرفة مدبريها ؟

— عليَّ قبل كل شيء ان اصرف همي لحماية شخصكم الكريم . وقد قبض معاوني وردر على احد المغرورين وهو يهم بقتل الامبراطور . ولا شك انه قد دفعه الى ذلك تحريض « اخوة الفضيلة » (١)

فتبسم نابوليون بهدوء وقال :

— وبروتس هذا بروسي ام نمساوي ؟

— انه بافاري يا مولاي

فدهش نابوليون وظهرت عليه علامات الاستغراب والاشمئزاز ثم قال :

— كيف ذلك ؟ أبي لنجدة هذه الامة التاعسة اهرق دماء جنودي البواسل لاخلصها من تحكم النمسا في امورها ولارفع عنها نير العبودية فيكون جزائي الموت !

ثم سكن منه ما جاش وقال :

— وماذا فعلتم بهذا الرجل ؟ احضروه اليَّ في الحال . أريد ان استجلي بنفسي الاسباب التي دعته الى عمله

فلم يمض عشرون دقيقة حتى اقبل شلمستر ومعه لويس ولف يكتنفه شرطيان . فلما مثل هـذا أمام نابوليون وواجهه واقفاً بين ولي عهد بافاريا وبرتيه استولى عليه الجزع والاضطراب فتأثر من نظرات نابوليون الثاقبة وكان قوى غير منظورة دفعته اليه فوقع أمامه صارخاً : — العفو ! العفو !

فطلب منه نابوليون أن يطلعه على الاسباب التي حملته على عمله فقصها عليه وترجمها له شلمستر

فقال نابوليون : — هذه كلها أسباب لست بالمسؤول عنها . فما ذنبي اذا قامت دول اوربا تريد قهري ؟ أما الزفاف الذي أجل بسببي فاني أستطيع عقده واني آمر شيخ البلد أن يقرن اليوم لويس ولف بالينا لونس وانا اهبه مئة جنيه من جيبي الخاص . أما

(١) جمعية الفت لمقاومة نابوليون

انت يا برتيه فستقود كتيبة من الحرس وترافق الخطيبين أثناء الاحتفال بزفافهما

ثم نظر نابوليون الى شلمستر وقال :

— قل لهذا الرجل اني قد عفوت عنه واني اتمنى له السعادة والهناء

فلم يكد ولف يصدق ما رأى وسمع وخرج مسرعاً الى بيته

فالتفت اذ ذاك ولي عهد بافاريا الى نابوليون وقال :

— ان كرم اخلاقك يا مولاي لجدير بالاعجاب العظيم

فاجابه نابوليون : — اني انما قمت بواجب الملك يا سمو الامير . والعفو في بعض الاحيان فرض مقدس على الملوك

اقوال في المرأة

معظم نقائص النساء هي من صنع الرجال

كل النقائص المنسوبة الى المرأة تنشأ عن حالة الاجتماع والتربية الفاسدة التي تلقتها
جريم

أمر واحد يعادل الشر الذي تحدثه لنا النساء وهو الشر الذي نحدثه نحن لهن

كلما كانت المرأة ضعيفة زادت الحاجة الى تقويتها — فلون

النساء يحكمن الرجال فلنسع في جعلهن كاملات فكلما ارتقين زدنا استنارة . . .
شريدان

الرجال يصنعون القوانين والنساء يصنعن الاخلاق — كوندرسيه

النساء اولاد كبار ، وقد جعلن للتعامل مع جنوننا لا مع عقلنا — شامفور

ان فطنة الرجل وذكاءه يبلغان كمال نموهما في الثامنة والعشرين . أما في المرأة فانهما يبلغان حدها في الثامنة عشرة . ولذا فان عقل المرأة لا يزيد قط نمواً عنه في تلك السن فهي تبقى طول حياتها ولداً كبيراً — شوبنهور

المرأة تخاف الالم اكثر مما يخافه الرجل ولكنه متى حل تحملته بجلد لا يعرفه الرجال

بعض النساء لا يفتأن يبحثن عن الانفعالات النفسية الجديدة حتى انهن يفضلن وقوع المصيبة على السكون المستديم

المرأة تطمح الى ما هو خير من الخير او الى ما هو شر من الشر — اكتاف فويله

أغرب

ما اكل البشر

يدهش الباحث في مأكولات المتقدمين والمتأخرين من كثرة الاصناف الغريبة التي تناولها البشر أو يتناولونها في بعض الجهات والاحوال . بل يصح القول بان ما لم يذقه الانسان من اصناف المخلوقات الحية - نباتات وحيوانات - نادر جداً . ومما يلذ الاطلاع عليه ايضاً في هذا الباب تحريم بعض الوان الطعام في أزمنة وامكنة مختلفة ووصمها بالنجاسة لبعض الاسباب المعقولة أو غير المعقولة

كان المصريون القدماء كثيري معاطاة اللحوم ولا سيا البقر والاوز ، وفي مقدمة مآكلهم لحم الخرفان النيء . وفي خرافات الجرمان ان الههم اودين دعى ابطالهم للطعام فقضوا ليلة في نهش قطع كبيرة من لحم الخنزير المسلوق . ومن رأي غالينوس اشهر الكتاب الاقدمين في المسائل الطبية ان لحم الخنزير اكثر اللحوم استجماعاً للغذاء . وقد منع المرضى من معاطاته ومن معاطاة لحم البقر . أما لحم الخراف فقد منع حتى الاصحاء والاقوياء من معاطاته

وأغرب من هذا التحريم تحريم بيثاغورس اكل الفول (والفاصوليا) على تلاميذه واتباعه . وقد وافق على ذلك غالينوس وحرم أيضاً الحمص (والبزله) . على انه من رأي بلوطرخوس ان هذا التحريم ذو معنى مجازي وهو رمز الابتعاد عن السياسة لان هذه الحبوب كانت تستعمل في الانتخابات السياسية فيضع كل منتخب حبته في الصندوق الذي يمثل رأيه

ومع ان غالينوس منع أكل لحم النعام فان هليوجابالوس الامبراطور الروماني كان مغرماً به لدرجة انه اجبر اليهود على اكله بالرغم من تحريمه عليهم

ومن رأي ابقراط أبي الطب ان لحم جرو الكلب يعادل لحم الطيور جودة . وقد امتدح غالينوس لحم الثعالب الصغيرة حوالي الخريف اذ تكون قد اكثرت من اكل العنب . وكان الرومانيون يأكلون لحم البازي الصغير السن

أما الحيوانات المستخرجة من البحر فقد تناول الاقدمون اصنافاً كثيرة مما لا يؤكل اليوم وكانوا يعدونها من اشهى الاطعمة كعجل البحر وكلب البحر والدلفين والسمك النجمي (صليب البحر) وغيرها . ولانكلترا الفضل في ادخال المحار (البطلينوس) على موائد الرومانيين وكانوا يستجلبونه على الخصوص من جهة سندويتش

وقد ذكر بلبني المؤرخ الروماني خبر رجل برع في تسمين الحلزون (البزاق) بواسطة معجون توصل الى صنعه حتى كانت الواحدة تبلغ حجماً كبيراً . وفي اواخر ايام الرومانيين كانوا يسمنون الخنازير بواسطة مصل اللبن والتين . بل ان الاسماك التي تربى في الاحواض كانت تسمن بطرق مبتكرة . وكان أولئك الرومانيون يأكلون الطاؤوس محشواً . ومن مفاخرهم في الطعام كبد الاوز فكان لهم رغبة عظيمة فيه . وقد تفننوا في مأكولاتهم بطرق اخرى مختلفة يضيق المقام عن سردها

أما العرب فقد كان طعامهم قبل الاسلام قاصراً على الالبان وما يستخرج منها والتمر والحبوب واللحوم يأكلونها على أبسط ما يكون من احوالها كما يفعل أهل البادية اليوم واكثر ألبانهم ولحومهم من الابل . وقد يصنعون منها اطعمة تتركب على نسب معينة كالثريد فانه يصنع من اللحم واللبن والخبز . ومنها ما يصنع من اللبن والدقيق فقط كالرغيدة والرهيدة والعصيدة او يصنع من السمن والدقيق كالبكالة او من الدقيق والعسل والسمن كالوضيعة ولهم من امثال هذه الاطعمة نحو اربعين لوناً

ذلك هو طعام اهل اليسار منهم واصحاب الضيافة . واما الفقراء فقلما كانوا يأكلون لحم الابل او الضأن وانما كانوا يقتاتون بلحم الضب او بالجراد او الخنافس او العقارب واذا جاعوا اكلوا العلهز وهو وبر الابل يموهونه بالحجارة في الدم فيطبخونه . وكان حال القرشيين قريباً من ذلك . وربما اكلوا القرامة ونحاتة القرون والاظلاف والمناسب من برادتها او القرة وهي الدقيق المخلط بالشعر وكانوا اذا عطشوا ولم يجدوا ماء شربوا الفظ وهو عصارة الفرث او المجدوح وهو مصل دم الابل [1]

فلما جاء الاسلام وافتتحوا العراق وفارس ومصر دهشوا لما شاهدوه من حضارة الروم والفرس ووقفوا على الوان من الاطعمة لم يعرفوها . فاخذوا باطراف الحضارة وتفننوا بمعالجة اللحوم والالبان والخضار والتوابل على اساليب شتى . فبعد ان كانوا يحسبون الكافور ملحاً والرز طعاماً مسموماً والخبز المرقق كاغداً وبعد ان اكلوا العلهز والخنافس والعقارب وعجنوا الحنطة بنخالتها فاقوا الفرس والروم فى التأنق والتنعم واتسعت مطابخ الخلفاء والامراء لتعدد الوان الاطعمة حتى صار لكل صنف منها خدم عليهم رئيس . وقد ذكروا أن عمرو بن الليث الصفار كان مطبخه يحمل على ٦٠٠ جمل

وغالى الخلفاء في استحضار ما اشتهر بطيبه من الوان اللحوم والطيور والفاكهة ولو بعد مكانه فيحملونه على البريد ينفقون في ذلك الاموال الكثيرة وكانوا يربون الطيور الداجنة على أطعمة مغذية يتوهمون أنها تزيد في لذة طعمها او نفعها او تسهل هضمها .

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ ص ٨٠ و ٨١

فكانوا يعلفون الفراريج الجوز المقشر ويسقونها اللبن الحليب وتفنن الطهاة في صنع الاطعمة التي يظنون فيها الغذاء الكثير او النفع الصحي وربما فعل بعضهم ذلك مغالاة بالاحتفاء كما فعل ابراهيم بن المهدي في زيارة زاره فيها الرشيد فصنع له اطعمة بينها جام سمك مقطع فاستصغر قطعه فسأله الرشيد عن ذلك فقال « يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك » وقدّرت نفقة ما في ذلك الجام بألف درهم وقس عليه تفننهم في صنع الفالوذج بدهن الفستق والمخ المعقود بالسكر والطبرز والعسل [1]

اما الانكليز فقد كانوا يتناولون اطعمة نستغربها اليوم كعجل البحر والدلفين (خنزير البحر) . وقد ورد في كتاب مشهور عن فن الطبخ صدر في انكلترا سنة ١٣٩٠ [2] ذكر عدة طرق لطبخ هذا الاخير . وقد ذكر آخر انه كان يباع في معظم مدن البورتغال في سنة ١٧٠٩ . وقد كان الحلزون (البزاق) كثير الانتشار في انكلترا منذ ثلاثة قرون

ويروى انه بعد امضاء معاهدة بين الفرنسيين والانكليز سنة ١٥٦٠ أثر حصار ليث دعى القائد الفرنسي مندوبي الانكليز الى وليمة كانت مؤلفة — حسب رواية واصفها — من « اربعين صنفاً من الطعام ليس فيها من السمك او اللحم الا صنف واحد هو لحم الخيل المملح »

ولعل الالمان اغرب اطواراً من غيرهم في مسائل الطعام . فقد قال احد مؤرخي عهد كارلوس الخامس واسمه دون انتوني دي جويفارا : « لست اكذب في قولي اني رأيت اصنافاً غريبة من اللحم تؤكل كالخيل المشوي والقطط في الجيلاتين والضب (سقاية) في المرق الساخن والضفدع المقلي وغيرها من اللحوم التي لم اعلم قط من قبل انها تؤكل »

ومن غرائب الايطاليين انهم كانوا يأكلون بعض أصناف العوسج والشوك مع الفاكهة عند آخر الطعام لاعتقادهم انها السبب في جودة معد الحمير التي تكثر من اكلها

واشتهر عند الفرنسيين اسكندر دوماس الكبير بشهيته العظيمة واهتمامه بالطعام حتى انه كان يقول عن نفسه انه ذاق كل ما يمكن اكله. وقد ألف دوماس « قاموس الطبخ الكبير » في نحو ١٢٠٠ صفحة ومما ذكره في هذا المؤلف الضخم اصناف غريبة كاقدام الفيل ولحم الكانغورو المشوي وغير ذلك

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ صفحة ١٠٤ و ١٠٥

(٢) اسمه Forme of Cury ألفه رئيس طباخي الملك ريتشارد الثاني الانكليزي الذي كان يذبح كل يوم ٢٨ ثوراً و ٣٠٠ خروف لضيوفه غير الاسماك والطيور وسائر الاصناف

النقد عند العرب

ومقارنته بالنقد عند الفرنج

تاريخ النقد البياني واسلوبه

لقد جهل العرب النقد من حيث هو علم قائم بنفسه مبني على قواعد ثابتة وأصول نظارية دائمة . جهلوه من حيث هو فن أدبي غرضه فحص المصنفات العقلية عامة والموضوعات الادبية خاصة وشرحها وترتيبها والحكم عليها . جهلوه من حيث هو بحث تاريخي فلسفي يتناول حياة الكاتب واعمال معاصريه واحوالهم الاجتماعية ، يصورهم صورة تكاد تنطق عما في افئدتهم من المعارف والسجايا والاخلاق والعادات ، ويشملهم بنظرة عامة صادقة تنبئ اللبيب عن خفايا الحياة الانسانية واسرار العوامل والنزعات النفسانية . وقد قصر عندهم في الغالب على الشعر يبحثون في نسقه وعروضه ووزنه وقوافيه ولغته ومعانيه واسلوب صاحبه . وهذا الضرب من النقد قديم عندهم شائع بينهم يرجع تاريخه الى عصر الجاهلية . ثم أخذ ينتشر شيئاً فشيئاً في صدر الاسلام لتوسع حضارة العرب ومدنيتهم ، اذ اصبحت لهم اندية يجتمعون فيها للمساجلة في الشعر ولخطابة المتقدمين . وفي العصر الاموي اشتهرت مجالس سكينة بنت الحسين [١] في المدينة — وهي اشبه شيء بمجالس الادب في ارقى الامم المتمدينة اليوم [٢] — اشتهرت بفحول الشعراء ورواة الشعر وأئمة اللغة والبيان الذين كانوا يترددون اليها للمفاكهة والمذاكرة والمناقشة . وكانوا يؤمون ايضاً المربد عكاظ الاسلام للغاية نفسها . غير ان فن النقد لم ترج سوقه الا في عصر العباسيين وخصوصاً في دوره الثالث — الدور الذي تمّ فيه تكوين الانتقاد الشعريّ او الادبي على أثر نضوج الشعر وتعدد ابوابه ومواضيعه

قلنا أن النقد عند العرب قصر على فحص الشعر ودرس لغته واسلوبه وبعبارة أخرى انه كان يتولى موازنة الشعراء ومدح الواحد وذم الآخر وذكر مساوئ هذا ومحاسن ذاك . يعبر الناقد عن رأيه فيهم بعبارات عامة قليلة الفائدة لا تدل دلالة قاطعة على الشاعر المنتقد عليه ولا تميزه من سواه ، اذ لو تبادلنا اقواله في احدهما وذكرناها في ترجمة آخر ما نشأ عن ذلك أدنى ضرر [٣] ومع ذلك فقد زعم بعضهم ان العرب بلغوا في انتقاد

---

(١) ولدت له من الرباب بنت امرئ القيس (الكشكول ص ٥)

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣) محاضرات الدكتور نلينو في الجامعة المصرية

الشعر شأواً بعيداً وانه لم يبق لنا الا اتباع طرقهم . وهو زعم فاسد لان من انعم النظر في ما دوّنوه من هذا القبيل اتضح له عكس ذلك ، اذ كان لكل شاعر طائفة تتعصب له ، وقلما اجمع النقاد على تفضيل واحد فذهب كل منهم مذهباً خاصاً حسب ما توحيه اليه مشاعره واغراضه . فالنقد عندهم لم يبن على اساس متين وقواعد دائمة مثل ما نراه اليوم عند الفرنج . كما اننا لا نعرف لهم مؤلفاً تناولوا فيه البحث في هذا الموضوع بصفة عامة مع ان الكتب التي وضعها أئمة اللغة والبيان في صناعة الشعر لا يحصى عددها . فاليك كتاب « الايجاز والاعجاز » للثعالبي ، وقد أفرد فيه باباً خاصاً للشعراء رتبهم على توالي الازمنة ، فانه أصدر على كل منهم حكماً في كمات وجيزة لا يحصل منها القارىء على فائدة كقوله : « يقال انه امير الشعراء وأمير شعره قوله » وما أشبه ذلك من العبارات الرشيقة المنمقة المسجعة التي يشهد له بالبراعة في حياكتها ، ولو انها جاءت في غير المقام ، لان الكلام المسجع في مثل تلك المصنفات ممل غير مستحسن اذ يضطر القارىء الى الخوض في بحر زخارفه الوهمية فيضل في لجاته الزاخرة ويتيه عن المعنى والغرض المقصود . وقد أسهب الثعالبي في كتاب « يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر » في اظهار محاسن الشعراء وترويج بضاعتهم الا انه سها عنه تمييز صناعة شاعر من صناعة غيره . ومثله الاصمعي صاحب كتاب « فحول الشعراء » فما آراؤه الا مجموعة اقوال لا تغني ولا تشبع . وهذا أيضاً كتاب « الاغاني » للاصبهاني ، فقد جمع الشيء الكثير من أقوال الادباء في نقد الشعراء ، ولكنها آراء شخصية لا يعتد بها ولا يعتمد عليها لانها جاءت مجردة عن كل تعليل . وكثيراً ما ترى المشاحنات بين البيانيين اسعرت نارها من أجل بيت او بيتين ، وكان اس النزاع فيما بينهم تباين مذاهبهم واختلاف آرائهم واهوائهم وأغراضهم . وقل ما كانت تدور مباحثهم على القصيدة برمتها لانهم لم يلاحظوا ان الابيات المفردة مهما بلغت من الخصوع فانها لا تدل على رونق المنظومة باكملها ، اذ قد تكون الاجزاء جميلة بذاتها ومع ذلك فلا تروق للقارىء لعدم تناسب تلك الاجزاء وفساد نظامها وارتباطها . ولعل المقايسة التي وردت في كتاب « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » لضياء الدين ابن الاثير بين قطعتين كبيرتين من قصيدتين للمتنبي والبحتري في وصف الاسد وبين مرثيتين لابي تمام والمتنبي فريدة في بابها [1]

ولا يخفى ان البيانيين كانوا يكثرون من ايراد الابيات المفردة في مصنفاتهم الادبية ليستشهدوا بها على البيان والمعاني والبديع . ولم يأت قدامة بن جعفر باكثر من ذلك في كتابه المشهور « نقد الشعر » . ومثله المعري في « رسالة الغفران » . وطريقتهما في

(١) ذكرها الدكتور نلينو في المحاضرات التي القاها في الجامعة المصرية

نقد الشعر طريقة كل من سبقهما ولحقهما في هذا المضمار من نقاد العرب

وبالاختصار فان النقد البياني عند العرب ليس الا نوعاً من النقد الفيلولوجي الذي كان رائجاً في اوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر أي أثناء النهضة الادبية وسبق لنا ان اوضحنا ماهية هذا الضرب من النقد في العام الماضي

على ان جل اهتمام أئمة اللغة والبيان كان موجهاً الى نقد الشعر . أما النثر فقد اهملوه اهمالاً تاماً . غير ان ابن قتيبة تصدى لهذا الموضوع وعقبه آخرون مثل قدامة والخوارزمي والثعالبي والعسكري والآمدي . ولكن انتقادهم كان في الغالب يقصد الالفاظ دون المعاني فهم في الحقيقة نحاة لغويون ليس الا . ومثلهم طائفة المفسرين للكتاب الكريم كابي بكر الباقلاني والراغب الاصفهاني وغيرهما . ولكن الباقلاني أتى في كتابه « اعجاز القرآن » بانتقادات ذات شأن على الانشاء والبلاغة . وربما كان الجرجاني صاحب كتاب « اسرار البلاغة » اول من انتقد الانشاء بشكل مقبول وبنى مباحثه على قواعد راسخة . وقد ذكر ان ما دعاه الى التأليف في ذلك الموضوع هو ما رآه من انصراف الكتاب عن المعاني الى الالفاظ . فالجرجاني هو واضع علم البلاغة او البيان . ثم توسع فيه من جاء بعده منهم السكاكي وضياء الدين بن الاثير وابن خلدون . انما جعل اولئك همهم في نقد المقامات والرسائل المسجعة ، ولم يعيروا غيرها من المنثور اقل التفات ، لان النثر غير المسجع يخلو عادة من التنميق الكلامي والزخارف البديعية . فهو في عرفهم ليس جديراً ان يتأمل فيه الناقد . ولعل ذلك هو سبب اعراض العرب عن المؤلفات النثرية الادبية مثل الروايات والحكايات وغيرها التي ترفعوا عن الاشتغال بها والانصراف اليها فتركوها للعوام

مناظرة المتقدمين والمحدثين

رأيت كيف كان النقد مقصوراً على فحص الابيات المفردة دون القصيدة . وكان الميل الى تفضيل المتقدمين على المحدثين شائعاً منذ العهد القديم بين البيانيين جميعاً . وقد ظلوا الى عهد غير بعيد يتحدون طريقة الجاهليين في ما ينظمونه ، ويرسفون بالقيود التي وضعوها من حيث اللفظ والمعنى فيستهلون قصائدهم بذكر الرحيل والاطلال والابل الخ . قال احد المتعصبين للقدماء : « لو ادرك الاخطل يوماً واحداً من الجاهلية لما فضلت عليه احداً » وقال غيره : « يا هؤلاء ان اولكم كان خير اول وكل حي سلف خير من الخلف » وعلى هذا الرأي ذهب البيانيون في حكمهم فما انصفوا وما عدلوا . وما زال الامر كذلك حتى جاء العصر العباسي بشعرائه وأدبائه ، وهم بهجة حضارة الاسلام في دار السلام ،

فشهروا على البيانيين حرباً عواناً وجرى يراعهم على القرطاس جري الجندي المتحمس في ساحة الوغى ، فنظموا ابياتاً يسخرون فيها بالشعراء المحافظين ويعيبون استهلال قصائدهم بذكر الديار الخالية واستنزاف الدموع على الاطلال أسوة بالمتقدمين ، فنبذوا الشعر الجاهلي لبعده عن عيشتهم وعدلوا عن النسج على منوال السلف في قريض الشعر واوحت اليهم قرائحهم شعراً سلساً عذباً يلائم حالتهم وحضارتهم فجاء كمرآة ناصعة تجلى فيه أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم . أي ان الشعر في عصرهم انتحل الصبغة القومية وتكيّف حسب تكيّف الوسط ، وهذا ما تقضي به سنة التطور . وما عتموا ان فضلوا انفسهم على الجاهليين معتمدين في ذلك على مجرد اهوائهم . وقد أراد الجاحظ أن يوفق بين الفريقين فوقف بينهم وقفة الحاكم العادل وذهب في حكمه مذهب الانصاف والتسوية بين الشعراء المتقدمين والمحدثين . وحذا حذوه من بعده ابن قتيبة ، ولعله اول من جاهر بالعداء للشعراء الذين ثابروا على طريقة الجاهليين في النظم وتجرأ على تقبيح طريقتهم . فقد قال في كتاب الشعر والشعراء : « ولا نظرت الى المتقدمين منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخرين منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل الى الفريقين وأعطيت كلاً حظه ووفرت عليه حقه . فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه او انه رأى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر وجعل كل قديم حديثاً في عصره الخ . » وقال في موضع آخر : « ليس لمتأخر الشعراء ان يخرج عن مذهب المتقدمين فيقف على منزل عامر ويبكي عند مشيد البنيان ، لان المتقدمين وقفوا على المنزل الدواثر والرسم العافي ، او يرحل على حمار او بغل ويصفهما لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير » . وبالنظر لانه قد فات اوان الاطلال الدوارس وخفت المدنية رسم قيعانها وعرصاتها وشيدت محلها القصور الشائقة والمساجد الفخمة فلا حاجة الى ذكرها والتغزل بها والبكاء عليها ، وان فعل ذلك الشاعر المتأخر فقد كذب على نفسه وعلى الناس

وقد غلب مذهب التسوية في القرن الخامس . غيران الحصري القيرواني وعبدالقادر الجرجاني فضلا صناعة المحدثين على المتقدمين . واليك ما قاله ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة — الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة (أي نقد الشعر) واعطاها حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله [١] — قال : « انما مثل القدماء والمحدثين كمثل

(١) ابن خلدون

رجلين ابتدأ هذا بناء فاحكمه واتقنه ثم اتى الآخر فنقشه وزينه . فالكلفة ظاهرة على هذا وان حسن ، والقدرة ظاهرة على ذاك وان خشن ». وقد افرد ابن رشيق في كتابه المذكور باباً لصناعة الشعر عند المتقدمين والمحدثين وباباً آخر للمعاني التي احدثها المتأخرون. وكان لا يستحسن الاقتداء بالسلف فيما لا يوافق زمن الشاعر وبلاده مثل ذكر الاطلال ووصف النوق . ولا بأس من ذكر عبارة لغيره جزيلة الفائدة : « لا يستغني المولد عن تصفح اشعار المولدين لما فيها من حلاوة اللفظ وقرب المأخذ واشارات الملح ووجوه البديع الذي مثله في شعر المتقدمين قليل، وان كانوا هم فتحوا بابه وفتقوا جلبابه . وللمتعقب زيادات وافتنان . واذا اعانته فصاحة المتقدم وحلاوة المتأخر اشتد ساعده وبعد مرماه فلم يقع دون الغرض وعسى ان يكون ارشق سهاماً واحسن موقعاً ممن لو عوّل عليه من المحدثين لقصر عنه ووقع من دونه »

وقد بلغت الحملة التي حملها المحدثون على اليمانيين اشدها في عهد صاحب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وقد انحاز لجانب المحدثين وبعد ان فضل جرير والفرزدق والاخطل على شعراء الجاهلية فضل عليهم ثلاثة جاءوا بعدهم وهم ابو تمام والبحتري والمتنبي «لانهم نقبوا وحفظوا ودرسوا واتقنوا. فترى الشاعر منهم قد حوى شعره ما تفرق في اشعار كثيرة من شعراء العرب . وقد تضمن شعر ابي الدليب الجيد النادر مما لم يتضمنه شعر أحد الفحول »

يتضح لك من كلام أدباء العصر العباسي الثالث ان فكرة التطور والتقدم طرأت عليهم واقروا بصحتها فسبقوا الفرنج في ذلك مثلما سبقوهم في كثير من فروع العلم والادب . وهو الدليل على انه لو دامت دولتهم وتابع كتابهم البحث في النقد لبلغوا فيه درجة عالية تضاهي الدرجة التي وصل اليها الفرنج في العصر الحديث

وقد ظن البعض ان عزيمة اليمانيين عقب الحملة التي حملها عليهم المحدثون لا بد ان تكل وتضعف وان ينفد صبرهم وتضئل صولتهم . ولكننا لو تتبعنا سير الآداب بعد ذلك لاتضح لنا العكس . فما زال المتعصبون للجاهليين على دأبهم متمسكين بأذيال المتقدمين وباساليب الشعر القديم . فقد ورد في مقدمة ابن خلدون ما نصه : « فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعراً . وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لانهما لم يجريا على اساليب العرب » ولا غرابة في تعلق الشرقي بقديمه فاحب اليه أن تنزع روحه عن جسده من ان يغير عاداته وآراءه الموروثة ، لانه جبل على

حب التحفظ بما ورثه من العقائد . ناهيك انه لا يعتقد ولا يصدق ان هنالك اضراراً تلحق بجامعته الادبية والسياسية من جراء تمسكه بعادات عصر قديم ادبر وولى ، فيعيش متمسكاً بها في عصر تنافي احواله احوال العصور الغابرة . فما اشبهه اذ ذاك بزنوج استراليا حينما يقيمون في اوربا الراقية المتمدينة

وانما قام النزاع بين البيانيين والمحدثين من اجل امرين . فقد عاب البيانيون المحدثين خروجهم عن اساليب نوابغ الشعر واستعمالهم ألفاظ وتراكيب غريبة عنهم لم يألفوها لانها لم ترد على لسان الجاهليين وفي معاجمهم اللغوية بل التقطها المحدثون لدى احتكاكهم بالاعاجم وممارستهم صناعة الاغراب في الفنون الكتابية . عابوهم في صناعتهم لانهم رأوا فيها افساداً للشعر العربي الصريح بما حوته اشعارهم من فاسد التراكيب وغريب الالفاظ . وفاتهم ان اللغة ليست بالشيء الجامد الميت وأنها لا بد ان تتطور مع الزمن لتعيش ، اذ ان الجمود اذا طرأ عليها ماتت ميتة لا قيام بعدها . وقد ادعى البيانيون ايضاً ان المحدثين اقتصروا على التصرف بالمعاني التي ابتدعها المتقدمون ولم يأتوا بشيء من عندياتهم فاجابهم ابن الاثير وقد شن الغارة عليهم : « ان باب الابتداع للمعاني مفتوح الى يوم القيامة وان المحدثين اكثر ابتداعاً لها وألطف مأخذاً وأدق نظراً لان الملك الاسلامي عظم في زمانهم فرأوا ما لم يره المتقدمون » وأردف ابن رشيق يقول في كتاب العمدة : « ان المعاني انما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب بالاسلام في اقطار الارض فمصروا الامصار وحضروا الحواضر وتأنقوا في المطاعم والملابس الخ »

أما الذين فضلوا صناعة المحدثين فذلك لانه اعجبهم تزاحم اشكال البديع والبيان في شعرهم منذ استمدوا اصول علم البيان من كتب اليونان وطبقوها على علومهم وآدابهم

ومجمل القول إن العرب مع تبحرهم في العلوم والآداب جهلوا فن النقد كما هو عليه الآن عند الفرنج ، وقصر الانتقاد عندهم على مقايسة الشعراء ومدحهم وتعييبهم بالطريقة المتقدم ذكرها . وجدير بالقارئ ان يرجع الى كتب العرب في ذلك الموضوع لانها لا تخلو من فوائد غزيرة جمة . وفيما يلي قائمة باسماء الكتب التي اشتهرت بما حوته من المباحث الجليلة في النقد البياني . وقد جاء ذكرها مع تعليق عليها في تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان وهو اهم المصادر التي رجعنا اليها في كتابة هذه المقالة . وقد عولنا ايضاً على المحاضرات التي ألقاها الدكتور نلينو المستشرق الايتالي الشهير في الجامعة المصرية لما كان استاذاً للآداب العربية فيها ، وهي خير بحث جاء في هذا الموضوع اذ نهج الاستاذ المذكور منهاج كتاب الفرنج في الدرس والتمحيص

وهاك القائمة المشار اليها :

اسم الكاتب	سنة الوفاة	اسم الكتاب
الاصمعي	٢١٤	فحول الشعراء
محمد بن سلام الجمحي	٢٣٢	طبقات الشعراء
الجاحظ	٢٥٥	البيان والتبيين
ابن قتيبة	٢٧٦	الشعر والشعراء، ادب الكاتب
قدامة بن جعفر	٣١٠	نقد الشعر، نقد النثر
ابن عبد ربه	٣٢٨	العقد الفريد
الاصبهاني	٣٥٦	الاغاني
الآمدي	٣٧١	الموازنة بين الطائيين
القرشي	٠٠٠	جمهرة اشعار العرب
الخوارزمي	٣٨٧	مفاتيح العلوم
عبد العزيز الجرجاني	٣٩٢	الوساطة
الباقلاني	٤٠٣	اعجاز القرآن
الحصري القيرواني	٤١٣	زهر الاداب وثمر الالباب
الثعالبي	٤٢٩	الايجاز والاعجاز، خاص الخاص، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر
المعري	٤٤٩	رسالة الغفران
ابن رشيق القيرواني	٤٥٦	العمدة
عبد القادر الجرجاني	٤٧١	اسرار البلاغة
الراغب الاصبهاني	٥٠٢	مفردات الفاظ القرآن
السكاكي	٦٢٦	مفتاح العلوم
ضياء الدين بن الاثير	٦٣٧	المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر
ابن خلدون	٨٠٨	المقدمة

وقد اجمع الادباء على ان احسن الكتب المذكورة في موضوعنا اربعة : الشعر والشعراء وادب الكاتب ونقد الشعر والعمدة مع تفضيل الاخير ، وسبق لنا الاشارة الى رأي ابن خلدون فيه

ويجد القارئ في الجزء الثاني صفحة ٢٤٢ والجزء الثالث صفحة ٣٥ من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية المتقدم ذكره فذلكة في تاريخ نقد الشعر والانشاء عند العرب جديرة بعنايته . وقد اقتصرنا في هذه المقالة على ايضاح طريقة النقد البياني بغاية الاختصار لان جل غرضنا المقارنة بين طريقة العرب في الانتقاد وطريقة الفرنج ، وهو ما أرجأناه الى المقالة التالية

ميشيل ايوب

الرواقيون

وفلسفة التجلد

[الهلال] يجدر بنا في هذا الوقت العصيب الذي لم يسلم أحد من أذاه أن نراجع فلسفة المتجلدين لنقتدي بهم . وها نحن ننشر هذه المقالة عسى أن يكون فيها عبرة وعزاء

ما برح الانسان منذ وجد على الارض يجهد نفسهُ ويعمل فكره باحثاً عن اسباب السعادة الحقيقية . فهي الغاية التي ينشدها بفطرته ويطمح اليها بغريزته . فتراه يسعى اليها أبداً مدفوعاً بدافع داخلي يشعره بوجودها ويقنعهُ بامكان احتيازها ، وهو لم يدرك جوهرها ولم يذق طعمها ، كأن طلبها حاجة نفسية لازمة لطبعهِ . ولذلك ما انفك الفلاسفة وكبار المفكرين منذ أقدم الازمنة الى هذا اليوم يحومون ويدورون في مباحثهم ومطالبهم حول هاتين المسألتين : ماهية السعادة وحدّها، وكيفية الحصول عليها . وانما العبرة بحل المسألة الاولى لانها هي الاصل والثانية فرع منها

لقد اتفق المفكرون قبل البحث عن كنه تلك الضالة المنشودة على ان يبدأوا بالتبصر في طبيعة البشر وتبينها علماً منهم بان السعادة لا تكون الا بملاءمتها لتلك الطبيعة وموافقتها لمصير الانسان في الحياة وغايتـه من الوجود ، وان يستعينوا بما يقفون عليه من خلائقه وخصائصه للتوصل الى الفصل في امرها واستطلاع حقيقتها . فكان علم النفس هو الاساس الذي اعتمدوهُ وبنوا عليه مذاهبهم وفلسفتهم

فما هي الطبيعة البشرية ؟ وما هي غاية الحياة ؟ وبماذا يختص الانسان دون سائر الكائنات ؟

قد اختلفت الاجوبة على هذه المسائل الخطيرة . فاما ايكوروس Epicure واتباعه فقد قالوا : ان الانسان كسائر الحيوانات والكائنات الحية لا يبدي حركة ولا يقدم على عمل الا توصلاً الى لذة جسدية، فالطفل يرضع لان في الغذاء لذة ويشرب اذا رأى من وراء الشرب لذة وهلم جراً ، وما العقل الا وسيلة منحها المرء للتمييز بين الملاذ وتخير اسلمها عاقبة والذاكرة ميزة انفرد بها لتذكار الملاذ الغابرة والتلذذ بهـا فكراً . وذهب الى ان السعادة هي في التلذذ من الطعام مع الاقلال من حركة الجسم قدر المستطاع

وانما قدم لذة الاكل على غيرها لانها امتازت بكونها طبيعية وضرورية معاً [١]

أما الرواقيون أو أهل فلسفة التجلد وهي التي يعبر عنها الافرنج بكلمة stoicisme فقالوا بعكس هذا المذهب تماماً . فلهم عظموا شأن العقل والحياة المعنوية في الانسان وقدموها على الحياة الجسدية أيما تقدم . فالانسان في نظرهم ليس كسائر الحيوانات والمخلوقات الحية بل يمتاز عنها بقوتي الفكر والارادة اللتين هما قوامه وجوهره . ومن ثمت وجب طلب السعادة عن طريق الحياة المعنوية لا عن طريق الحياة البهيمية . بل ان السعادة في عرفهم انما تقوم بتحرير العقل من القيود والروابط التي تربطه بالحياة الدنيا اي حياة المادة . فطمح البشرية الاعلى ينبغي اذاً ان يكون : الاستقلال الفكري والتنزه عن التأثيرات المادية مهما يكن مصدرها

واليك حكاية جرت لابكتانوس Epictète كبير فلاسفتهم تفهمك مرادهم من الاستقلال الفكري وحرية العقل . فقد كان ابكتانوس هذا في اول امره عبداً لبعض اشراف الرومان فحدث يوماً ان افترى عليه بعض الغلمان واتهمه بسرقة منكرة فسئل عن ذلك فأنكر فأقبل سيده عليه يعذبه ويضرب به على رجله ضرباً أليماً ظناً منه ان شدة العذاب تحمله على الاعتراف . اما ابكتانوس فانه تحمل فرط الالم بكل سكينة مصراً على قوله ولم يبد عليه ادنى علامة للجزع او الوجع . الا انه التفت اخيراً الى سيده وقال له بكل هدوء مشيراً الى رجله : « مهلاً يا مولاي لقد كدت تبترها فتخسرها » اراد بذلك ان يظهر بمظهر المرشد النصوح فنبه معذبه الى ان رجله كادت تنكسر ليفهمه ان تعطيلها انما يعود بالخسارة عليه في حين انه مستقل عنها لا يهمه شأنها كأنها وسائر الجسد شيء وهو بعقله وارادته شيء آخر

هذا مثال لما يسميه اهل مذهب التجلد الاستقلال الفكري والعقلي . وقد قسموا الاشياء والحوادث من حيث سلطان المرء عليها الى طائفتين : ما هو محتم ضروري لا قبل للمرء بحصوله او دفعه وما هو موقوف على سعيه مترتب على ارادته . فمن الطائفة الاولى الصحة والمرض والغنى والفقر والحياة والموت وغير ذلك من الاعراض الناشئة عن اسباب خارجة عن قدرة المرء . ومن الطائفة الثانية العواطف والافكار

---

(١) قسم الابيكوريون الملاذ الى ثلاثة انواع : ما كان طبيعياً وضرورياً كالطعام . ما كان طبيعياً وليس ضرورياً كالحب . ما ليس طبيعياً ولا ضرورياً كالموسيقى

كالفرح والحزن واللذة والالم والرغائب والاراء وغير ذلك من مظاهر العقل والوجدان المتعلقة بذاته وارادته

فالحكيم هو ذاك الذي يصرف نظره عما لا حول له عليه ولا طاقة له به أي ما لا يستطيع جلبه ان كان خيراً محبوباً ولا درءه ان كان شراً مكروهاً ويقصر همه على ما يستطيعه مما يرجع الى نفسه ويقع تحت طاقته فيتسلط على عواطفه واهوائه ويكبح جماح شهواته . وبهذه الطريقة يفوز بالاستقلال الفكري الذي ينشده اذ يستطيع حينئذ ان يرى الحق جلياً ويصنع الخير من تلقاء نفسه فتتم له بذلك السعادة

فترى ان الرواقيين يقولون بالجبرية Déterminisme ذاهبين الى ان كل ما يحدث في العالم انما هو متحتم لازم وعندهم أن جميع الحوادث في حد ذاتها متساوية لافرق بينها من وجه الاطلاق ولا يصح وصفها بخير او شر لانها مستقلة مجردة ولا صفة لها الا الحقية وضرورة الحصول . فهي كالقضايا الهندسية فانها جميعها حقة يسلم بها العقل وليس لاحداها امتياز على غيرها من حيث الخير والشر وكل ما فيها انها حقيقية لازمة وانما الخير والشر في الصور الذهنية المقابلة تلك الحوادث . فالفكر هو الذي يصبغ الحادث باحدى هاتين الصبغتين . وفي استطاعة الفكر ان يجرد الحوادث عن تلك الصبغة المكتسبة

وبعبارة أخرى ان تأثرنا ليس ناشئاً عن الامور نفسها بل عن كيفية نظرنا اليها . فاذا فقد المرء عزيزاً أعول وولول وذم الموت وقبحه في حين ان الموت ليس الا قضية حقة لازمة الحصول كقضية الحياة . فمن الجهل ان نخص الخير أو الشر باحدهما دون الآخر لانهما على حد سواء من الضرورة والتحتم . ومثل من يخص الشر والسوء بالموت والخير والحسن بالحياة مثل من يخص الخير أو الشر بقضية هندسية . فيجب اذن أن نقتصر على النظر الى الامور باعتبارها مجردة من الصفات التي نتوهمها فيها فلا نعود نرى امراً محزناً فنحزن وآخر مفرحاً فنفرح بل نعتبرها على حقيقتها متساوية متماثلة

***

واتماماً للفائدة قد رأينا أن نورد هنا بعض الاقوال المختارة من كتاب وضعه عن لسان ابكتاتوس أحد تلاميذه :

لا تقل عن شيء فقدته « لقد اضعته » بل قل « رددته »

متى قدم الموت سلمت اليه حياتي كمن يرد ما قد اؤتمن عليه

كلنا يخشى موت الجسد فهل منا من يخشى موت النفس ؟

اذا كنت من المتقشفين الذين يميتون الجسد فلا تعجب بنفسك ، واذا كنت ممن لا يرتوون بغير الماء فلا تجاهر بذلك أو تباهِ به ، بل اغتنم أشد اوقاتك عطشاً فاملأ فمك ماء عذباً ثم الفظهُ من غير ان تبتلعه . افعل ذلك في خلوتك ولا تدع احداً يعلم به

اذا رأيت مفجوعاً يبكي على فقد عزيز أو ثمين فاياك ان تعتقد ان سبب بكائه هو الحادث الذي أصيب به في ذاته بل اعلم ان الذي يحمله على ذلك نظره الى الحادث ونسبته الحزن اليه . واذا رأيت ان لا بد لك من مشاطرته احزانه فلا تقصر في البكاء ولكن اياك ان يعتريك حزن في صميم فؤادك

(مجادلة بين أحد الناس ولعله حاكم ورواقي) — يقول الفلاسفة (ويريد الرواقيين منهم) بمبدأ الحرية والاستقلال الذاتي ولكن ألا ينجم عن ذلك عصيان السلطة المدنية ومخالفة اوامر السلطان ؟ — كلا ليس بين الفلاسفة من ينشر هذه التعاليم في الرعية . وها انا امامك كل ما يخصني من جسد ومال خاضع لك راجع اليك في وسعك ان تتصرف به كما تشاء ولكن ما هو خارج عن حقك وسلطانك هو ان تتحكم برأيي و ارادتي تلك هي الحرية التي اريدها وذلك هو الاستقلال الذاتي الذي انشده

لا تطلب حدوث ما تريد بل ارد حدوث ما قد حدث

لقد اصاب ديوجين حين قال : ان خير ما يضمن لنا الاستقلال هو استعدادنا لمقابلة الموت من غير تألم او تخوف

يتعذر على الاغنياء الفوز بالحكمة بقدر ما يصعب على الحكماء الفوز بالمال

ادخل طفل يده الى زجاجة فيها تمر كثير فملأ راحته . ولما اراد اخراجها تعذر عليه الامر لضيق الزجاجة فجعل يصيح ويبكي فادركته امه فقالت له : يابني أترك بعض ما انت قابض عليه حتى يمكنك ان تتخلص بالباقي . فمثلك ايها الجاهل مثل ذلك الطفل الذي طمع بالكثير فلم ينل القليل ، اما اذا انت طلبت الوسط سهل عليك نيله

أقطاب الدهور

أو مقدمة الانقلاب الاجتماعي العظيم

في أواخر اكتوبر سنة ١٩١٩ قدم باريس السير اوليفر لدج[١] يصحبه نخبة من علماء انكلترا والمانيا وهولندا واسوج ودانمارك وسويسرا واميركا واليابان وغيرها . وأعلن في محفل حافل بجماعة العلماء في مدرسة السربون انه قد تمكن من استحضار ارواح الذين مرّ على موتهم ألوف من السنين . وابدى رغبته ورغبة رفاقه في استخدام ذلك لخير البشرية

وعقب مداولات طويلة بين العلماء وبين رجال الدين والسياسة أقروا على استحضار أرواح بضعة من قادة الافكار في العصور الغابرة ومبادئهم الافكار بشأن « المجتمع الانساني » الرازح تحت أثقال المتاعب والهموم والسعي في فك القيود والاغلال التي تحول دون اسعاده

وكانت ليلة ٢١ اكتوبر من الليالي المذكورة في تاريخ البشرية . خلا فيها السر اوليفر لدج بنخبة من كبار الطبيعيين وزعماء الاجتماعيين وقضوا سبع ساعات في خلوتهم السرية . ثم أجمعوا على انشر وقائعها وهذه هي :

تقرير الخلوة الاجتماعية العظمى

شرع السر اوليفر لدج بمخاطبة أصحابه قائلاً :

أيها الاصحاب

سيكون لهذه الحفلة شأن يذكر في تاريخ البشرية . فانها نقطة تحوُّل في سير التاريخ وفي مجرى العمران . وستكون جلستنا هذه بدء « تحرير الانسانية »

وسيذكرها الساسة والمؤرخون بالاعظام . فانكم ستجتمعون الليلة « باقطاب الدهور »

وهم افراد العلماء وآحاد الفلاسفة الذين عاشوا في كل جيل . على اننا باتضاع عميق واحترام فائق سنضع الليلة الحجر الاول في أساس « بناء الانسانية الاقدس »

وسنبدأ الساعة بتشييد هيكل الحرية ـ هيكل الحقيقة ـ الذي نشده الفلاسفة والانبياء كما تعلمون ما يحتم على الفلاسفة من النزاهة والاخلاص في طلاب الحقيقة ،

---

(١) هو العالم الانكليزي الشهير الذي يعتقد بامكان استحضار الارواح ومخاطبتها

وانه يجب أن يكون حب الحق رائدهم والعطف على الانسانيـة قائدهم في ميدان البحث والطلب . وتعلمون انني قضيت زهاء خمسين سنة واقفاً نفسي لخدمة الحقيقة والانسانية . وقد أدَّت اكتشافاتي والحمد لله الى عقد هذه الجلسة الفريدة في تاريخ الانسان

وسترون الليلة الاقطاب الآتية اسماؤهم : كنفوشيوس . زرادشت . افلاطون . ابن سيناء . اوغسطينوس . ديكارت . باكون . هيجل . يصحب هؤلاء طائفة من الفلاسفة والحكماء. سوف ترونهم وتسرون بهم . وسيكون لهذه الجلسة نتيجة ثمينة وهي « تحرير الانسانية » من الاوهام والاضاليل ، من الخرافات والجهل ، من المظالم والفظائع ، من الكوارث والاحزان ، من الموت والبوار

اليوم اليوم - اليوم يذرُّ فجر الانسانية في جو فرنسا التي شاءت الاقدار أن تكون مهد كل حرية وارتقاء . وستبزغ في ظلمات هذه الليلة انوار نهار لا يليه ليل ونور لا يخالفه ظلام

فلنرفع انظارنا بسكون واحترام الى المشهد امامنا .

قال ذلك وضغط زراً كهربائياً فانطفأت انوار المصابيح واضاءت انوار اشعة ايكس ببهاء ساطع . وبدأ الاشخاص الذين ذكرهم اوليفر لدج بالظهور ومعهم تولستوي . اوكاياما. كوزين . ابن رشد . اكويناس . امونيوس سقاس . انجينوس . صولون . نوماءبليوس . اسكندر هملتن . كنت . ديدرو . غاليليو . هكل . سبنسر وغيرهم من الاقطاب . وكان هؤلاء يحيطون باولئك وانحصر البحث بالاولين دون هؤلاء

ولم تبح المجاملات ولا التسليمات بين الجمهور . فاقتصروا على تبادل النظرات . وكان ترجمانهم الخاص السير اوليفر لدج الذي استأنف خطابه قائلاً :

ولقد اجمع الحكماء والمتكلمون على أن اعمال الاجتماع الانساني ترجع الى قطبين ومحور . فالقطبان هما « المرأة والحكومة » والمحور الموصل بينهما هو « الدين »

ففي القطب الاول المسألة الانثوية بفروعها كنزلة المرأة والزواج والعائلة والنسل والتربية الخ . وفي الثاني الهيئة الحاكمة وفروعها كانواع الحكم والنواب الخ .

أما الدين فيصل بين الامرين . وكان البت فيهما منوطاً بالدين منذ العصور الخالية . فكان الملك ينصب بامر الدين ويخلع بفتوى دينية وتثار الحرب باسم الدين ويعقد الصلح باسم الدين وهلم جراً

كذلك في القطب الثاني كان الزواج عند الناس امراً دينياً فالقران عمل الهي ، والتوليد كذلك والطلاق والميراث وغيرها . كلها اعمال دينية

على أن الاجتماع أخذ يستقل في اعماله عن الدين تدريجياً ، لا عداء بالدين ولا كرهاً لاحكامه ، بل عملا بقانون توزيع الاعمال الذي هو من مظاهر الارتقاء الاجتماعي

وما زال بعض الامم حتى الساعة يعوّلون على الدين في أمور اجتماعهم . الا ان مداخلة الدين في الهيئة الاجتماعية آخذة في الافول . واصبح ميل العموم الى الفصل بين الدين وبين الاجتماع

كل ماذكرته معلوم عند اخواننا الاقطاب الذين سيقودوننا في مسالك البحث الانساني الخطير للوصول الى النتائج المرغوبة

والآن نسمع من الفيلسوف الصيني الشهير خطاباً في حال المجتمع عموماً

الفيلسوف كنفوشيوس

وقف هـذا الندب المكين وقفة الطود الراسخ . فصفقت له القلوب اذ منع التصفيق بالايادي . وبدت على محياه مجالي العظمة والمجد وتألقت أنوار الذكاء في عينيه واستحالت جبهته الى صفيحة الماس وصدغاه شعاعان لامعان

بدأ بضغط زر كهربائي . فاختلطت الانوار بين بيضاء وصفراء وخضراء وجعلت تدور بعضها حول بعض . فرسمت على الحائط دوائر متراكزة كقوس قزح . ومثلت أفلاك السيارات حول الشمس . فحدّق الحضور بها واذا بها انفلقت عن ايوان بهي جعل ينفسح ويتسع حتى اصبح عالماً فسيحاً ينار بأنوار الشمس في رابعة النهار

وجعلت تمرّ أمامهم الربى والوهاد والوعور والانجاد والاغوار والانهار والاشجار والازهار . وكنفوشيوس جامد كالصخر ففهموا انه يملي عليهم حال العالم قبل الانسان

ثم رأوا الانسان في مهد اجتماعه : افراد وحشيون عراة الابدان سمجي المظاهر . فاقترب الذكر الى الانثى وتفاهما وتلازما . فتألفت العائلة في اخشن مظاهرها ، يوم لم يكن كاهن يباركهما ولا حاكم يقرنهما . فكان الحب رابطهما والتعاون رائدهما . في الاخاديد والكهوف واكواخ القصب والبردي كانت الانثى تلوذ بالذكر وهو يدافع عنها . في تلك الاحوال بدأت المنازعات على الانثى والمتاع . فحمل قويهم على ضعيفهم يسلبه ما ملكت يداه . فلم يكن لهذا من حيلة الا الصراخ استنجاداً . فلباه بعضهم واخذوا بناصره . هذا هو بدء التعاون الاجتماعي ومن ثم تشكلت الحكومة في ابسط صورها

وكان الافراد يتبادلون الاشياء كالجلود والاصواف والثمار والالبان والعبيد . وقرروا وأوجبوا — هنا منشأ الشرائع المدنية . هنا رأى الحضور اشتراك الكهان والسياسيين في ضبط المجتمع الانساني . وبذا رقيت الدول التاريخية . فمرّ أمامهم الدولة الصينية .

فالمصرية . فالكلدانية . فالمادية . فالبابلية . فالفارسية . فاليونانية . فالرومانية . فالعربية . فالتركية . فالاورية . فالاميركية . فاليابانية

تقدم كل ذلك تطور المجتمع العمراني

رأى الحضور متاعب المرأة في الحبل والولادة وتربية النسل . وكيف ظهرت محبة الرجل لها وقت الولادة . وظهر لهم فرحه بالمولود وعطفه عليه وعلى أمه . وجعل يساعدها فيما هو لراحتها

ثم مرَّ أمامهم نظام توزيع الاعمال . فاخذ بعض الناس في تربية المواشي وآخرون بالحرث وغيرهم بالنقايات والصنائع الخ .

ولما توافرت المادة عند بعضهم جعل يترفه . واذ ضاقت السبل بالبعض الآخر عكف على الحيلة لسد حاجته فنشأت الجرائم والتعديات وهب القوم للعقاب عليها — هذا هو منشأ المحاكم الجزائية . وكان العقاب اولا من خصائص الكهنة ثم جعل الناس يتخلصون من العقاب الديني شيئاً فشيئاً حتى تمَّ الانفصال بين القانون المدني وبين الدين

وهكذا مرَّ أمامهم تألف الحكومات ونشؤ العلوم والفنون . فشيدت الاندية والمساجد وتليت الخطب والمواعظ وعقدت المجامع والمؤتمرات على اختلاف اغراضها . وكانت تزداد عدداً ونوعاً حسب مقتضيات الاحوال . وبرز في المشهد المشترعون العظام من حورابي الى باتلم . وظهر جبابرة القتال من نمرود الى بونابارت . ورأوا الفنون الجميلة في زينة المعابد والاندية والبيوت . فتداخلت الاعمال وتركبت المشاهد واشتبكت المصالح . وكانت الحاجة تحمل القوم على الاختراع والاختراعات توسع نطاق الاعمال . وكثرة الاشياء توجد التشويش والارتباك . فآل ذلك الى تعزيز شوكة الحكومة والديانة

هنا اسرعت الصور وتركبت مظاهرها فتعذر على بعضهم ادراكها فجعلوا يسألون بعضهم بعضاً عن مغزاها . ورأوا الامراض الوافرة وانتشارها . ومات أمام عيونهم ملايين من الناس بامراض لم يعرفوها فحملهم ذلك على البحث والتنقيب لكشف الاسباب فكان ذلك داعياً لارتقاء الطب والجراحة . ومرَّت أمامهم المشاريع الطبية من عهد اسكولاب الى عهد باستور وكوخ . ورأوا المستشفيات والممرضات والاسرة والعمليات والتطهيرات . وظهرت أمامهم حروب العشائر والغزو والاستعمار من حملات رعمسيس وكبيز الى حملة دوي على أرخبيل فيلبين . ثم برز أمامهم المشهد الاوربي

فرأوا انفراط عقد الامبراطورية الرومانية وتكون دول اوربا الحالية اولا فرنسا ثم المانيا فاسبانيا وانكلترا وروسيا وايطاليا . ورأوا غزو الترك اوربا وحلولهم القسطنطينية ورأوا فعال كرومويل وبطرس الكبير ونابليون . ورأوا تقسيم بولاندا بين دول النمسا

وروسيا وبروسيا . ورأوا كولمبوس في الشراعة سانتا ماريا يقطع الاتلانتيك وما زال حتى كشف العالم الجديد . ورأوا يوحنا غوتمبرغ يخترع الطباعة ثم صدرت الجرائد والمطبوعات . ورأوا البخاريات على انواعها والميكانيكيات ونمو الصناعة واشتداد التزاحم الاقتصادي

ورأوا الفقراء واليتامى يجولون في الشوارع عراة جياعاً وسخين واذ اشتد بهم الامر ولا حيلة لهم في دفع المقدور لجأوا الى الحرام فغصت بهم السجون . وعرّج بعضهم على الخمارات لتفريج الكربة فزاد الطين بلة وملأت اوربا الجرائم والفظائع

ووفرت المصنوعات والبضائع وفرة زائدة فكثرت الصادرات وانتشرت البواخر في عرض البحار وانشئت الاساطيل لحماية التجارة وحفظ المواصلات. فبرز فن الاستعمار الدولي ونشأت مشاكل دولية أعقد من ذنب الضب لحار السياسيون في امرها

هنا ادار كنفوشيوس الآلة فانزاحت الصفحة التاريخية في ميدان الاجتماع وحلت محلها الصفحة الفلسفية الرمزية فرأوا مشهداً واسع الجناب جرت فيه السيارات والعربات والقطرات والخيول والحمير والجمال والمشاة على الاقدام . وكانت خطوط مسيرهم متقاطعة والصدام متحتم . وكانوا يسيرون سيراً حثيثاً ويتعذر عليهم الوقوف او الرجوع لان خط مسيرهم متصل ولاحقهم يدفع سابقهم دون ادنى انتظار . تخفقت قلوب المشاهدين ورأوا ان كارثة ستحل بالبشرية . وما هو الا قليل حتى بدأت المصادمات فعلت الصيحات وصعد الانين وعلا النواح والنحيب . وثارت سحب الغبار المنعقد في الجو فحجبت المشهد عن عيون الناظرين

ثم ازاح الستار عما هو اشد هولاً وهو ان المتصادمين لم يهمهم تخفيف الصدام بل حصروا فكرتهم كلٌ في تعزيز قوته ليضمن لنفسه الفوز . وما زالوا حتى كانت سنة ١٩١٤ فمد الجميع اعناقهم للوقوف على ما سيكون

واذا بسائق سيارة اسمه غليوم الثاني كان وراءه الالوف من الاتباع يسوقون سيارات مدرعة وكلهم مسرعون كالنسور قصد سحق سواق لطيف اسمه البرت البلجيكي . فانتصر لهذا بوانكاريه كبير السواقين ورجل من وراء البحار اسمه جورج هنوفر فساقا مدرعاتهم لنصرة البرت . وكان الى جانب غليوم سائق عجوز مقطب الجبين اسمه فرنسيس يوسف هابسبرغ بلغ منه الكبر عتياً ورسم الدهر على جبينه اسارير النحوس . هذا كان يصرّ باسنانه وهو يسوق باقصى السرعة على رجل اسمه بطرس بتروفتش . فانتصر لهذا الرجل سواق اسمهُ نيقولا رومانوف صاحب المجالات العديدة وكلها من الطراز القديم . وانضم الى كل فريق اعوان وحلفاء من اسيا واوربا وافريقيا

واميركا واستراليا . فصار المشهد غاية في الرعبة والهول . وكان عدد المشتبكين ٩٠ مليوناً

فطبق الصياح الافاق وسوّد النقيع جبهة السماء فشحب محيا اوربا بعد الزهو وهلك الوف الحكماء والعظماء فكان ذلك أعظم خسارة . فضلاً عن موت ملايين من زهرة الشبان . فجمدت قلوب الحضور . أما كنفوشيوس فظل صامتاً كأنهُ يقول للجموع « سوف ترون أعظم من هذا »

فتحوّلت اليابسة في ساحة الصدام الى بحار من الدماء تعوم فيها الاطراف المبتورة والرؤوس المقطوعة والاضلاع الممزقة والاشلاء المهشمة . وغرقت المنشآت في البحر كالاعلام من لوزيتانيا الى قوارب الصيد . ورأوا النسوة والاطفال يغرقون في أعماق اليم لغير ما ذنب جنوا . وخيل لهم انهم يسمعون صياحهم وهم يغرقون . فانقبضوا وهاجوا . وكنفوشيوس جامد كالصخر كانه يقول لهم « سوف ترون أعظم »

ثم رأوا ملايين من اليتامى والارامل والثواكل والمفؤودين يتخبطون في ظلمات حالكة . ثم اخترقت تلك الظلمات ألسنة نار مندلعة وكانت أولاً حمراء ثم تحولت صفراء فبيضاء وكانت تلتهم كل شيء فذهب الجميع طعمة النيران

هؤلاء هم الاوربيون محلى العظمة وكعبة المدنية . تغيرت البلاد وما عليها . فوجه الارض مغبر قبيح

لقد غرقت الامال والمطامع في تلك البحار . ولم يكن قادة تلك الجموع اوفر حظاً من بقية الناس . وظهر للحضور ان اللوم لم يكن عليهم بل على نظام اجتماعهم — ذلك النظام الفاسد الذي جعل الصدام ضربة لازب . فاضطر الجميع ان يشتركوا به حتى الذين كانوا يترفعون عنه ويحسبونه من ضروب العبث . هنا وقف كنفوشيوس واوقف آلته فالتأم الصدع في الجدار وظهرت دوائر النور عليه وهي تتماطأ في دورانها حتى زالت وزال كل شيء

فقال :

اخواني . (وهي اول كلمة سمعها الاحياء من ميت)

لقد رأيتم الاجتماع البشري منذ ذرّ فجره الى ان افلت شموسه . ورأيتم كم قاسى الافراد من جراء نقصه . وعلى من يقع اللوم ؟ أليس على ذلك النظام الفاسد الذي نشأ عن الهمجية وانتهى بالهمجية . نظام قدّسه اباؤنا بغير حق وورثناه منهم بدون نقد . فشقينا وشقيت البشرية لانه سن بحكم العادة والتدريج والنقص اشهر اوصافه . لانه مؤسس على تنازع البقاء لا على تعاون الاحياء

فالعالم يئنّ من اهوال ما قاسى

فمن للمائلة البشرية ؟ من لتخفيف الكروب واراحة القلوب ؟ ألستم انتم يا نخبة المفكرين ؟ واذا لم تقوموا بهذه المهمة فمن ؟

ايها الجبابرة الكرام انتم نخبة الامم واليكم تتجه انظار الف وستمئة مليون . اليكم تمد فتاة الانسانية يديها وهي في وسط اتون النار . افتعرضون عن نجدتها ؟ وان فعلتم ذلك فانتم اساطين الحكماء ان قعدتم قعد الجميع معكم وان قمتم قاموا . لان العالم متعب منهوك وهو يهزأ اليوم بما كان يقدّسه قبلاً . اذ كشفت له اختباراته المحزنة الغوامض والاسرار وارته مواطن الضعف في النظام الاجتماعي فاصبح يميل للتخلص منه او لاصلاحه فما عليكم الا ان تقودوه في سبيل قديم . فهيا بنا لوضع الاساس الراسخ الذي عليه تشاد السعادة والمجد

لقد كانت التعاليم القديمة حسنة ونافعة في وقتها فاصبحت اليوم سيئة وضارة

فليس لنا عذر آبائنا في القعود عن مكافحتها وانقاذ البشرية من براثنها . فان مصلحة البشرية تطلب منكم « نهضة عمومية » يقوم بها الحكماء والسياسيون فتلتقي خطوط مسالكهم في نقطة واحدة هي « انقاذ البشرية » بل انقاذ الدنيا باسرها مما تعاني . ولا اخالكم تنسون ، ماحييتم ، اهوال مارأيتم في الليلة مما حل باخوانكم ونسائكم واولادكم وبكم انتم انفسكم . انتم عنوان المروءة ومناط الامال

قال كنفوشيوس ذلك وخانته القوى فهبط على الارض يشهق كالطفل الرضيع حتى ابكى الجميع . ولم يرتب ملاك سموي ولا شيطان جهنمي في اجماع اولئك الاقطاب على السعي في انقاذ البشرية

فنهض السير أوليفرلدج ورفع سبابتيه الى السماء وصاح باكياً : فلتساعدنا السموات وليعنا سر الوجود مصدر كل حكمة وجود . فصاح الجميع بصوت واحد : آمين !

(لها تابع) حنا خباز

الموت

مترجمة من شعر هيني Heine

أيها الموت أنت كالليل	والعمر نهار يغيب فيه الظلام
فأعده فقد تكاءدني النور	ونامت فؤادي الاحلام
فوق رأسي خضراء من شجر الجنـ	ـة فيحاء زهرها بسَّام
اسمع الطير فوقها تتغنى	ولقد تسمع الغناء النيام

عبد اللطيف النثار

مناجاة الارواح

بقلم سليم سركيس

٣ — مجلس جرجي زيدان منشىء الهلال

موضوع مقالتي هذه جرجي زيدان . ولا أقول المرحوم جرجي زيدان بل اكتفي بايراد اسمه مجرداً من الترحم عليه . لان المفهوم من قولنا عن الميت « رحمه الله » انه معرض لعدم الرحمة وانه فعل في حياته فعلا شائناً أو ارتكب بعض الذنوب والموبقات أو خالف ارادة الله في شيء من أحوال حياته . ولذلك نستمد له الرحمة وغفران الذنوب

أما جرجي زيدان فانه لم يرتكب في حياته ذنباً ولا أساء الى أحد ولا خالف وصية الهية ولا فعل ما يعارض أي اصطلاح أدبي أجمع الجمهور على اعتباره قاعدة لحسن السلوك

كان جرجي زيدان بعيداً عن جميع الموبقات والشرور والعيوب بكل معاني البعد ، كان غريباً عن جميع أسباب التصنع والتأنق والزينة والدعوى في سلوكه وحديثه وملبسه وكتابته . وكان رجلا بيتياً بكل ما تتناوله هذه الكلمة من المعاني

خبرته طويلا وعرفت عنه كثيراً وقرأت كتاب حياته الصريح واذا به لم يغضب الا على مرتب حروف أخطأ في ترتيب حروف مقالة تاريخية . واذا بالرجل الذي اكتشف أسرار التاريخ العربي الكثير الغموض لا يعرف من أسرار « ورق اللعب » الا ألوانه . هذا من حيث المقامرة . وأما من حيث الخمرة فقد كان يعلم انها تباع في المخازن والقهوات وانها السبب الاول لكثير من المصائب والآفات . هذا مبلغ علمه . وكان يستطيع أن يتمثل في وصفها بما يقوله الكاظمي في رضاب الحبيب

لم يذقه فمي ولكن ظنوني بلغتنيه من وراء النقاب

أما اذا أنت ضربت له موعداً ليوافيك الى « البارزيانا » مثلا أو « الكازينو دي باري » لضل الطريق وربما قضى في السعي وراء الاهتداء الى أحد هذين المكانين أضعاف ما كان يقضيه من الزمن لحل اشكال تاريخي غامض . وأما الدخان فقد بلغ من عفته فيه أنه كان يدخن سيجارة واحدة في اليوم ولا يفعل الا بعد غروب الشمس

* * *

وصلت قبل ان آذنت الشمس بالمغيب الى مطبعة المعارف بشارع الفجالة وفيما أنا أراجع مقالات مجلة سركيس لقيت الصديق المتوقد ذكاء والملتهب غيرة نعوم بك

شقير يراجع مسودات مؤلفه الجليل تاريخ سيناء (وهو يومئذ تحت الطبع) وانجزنا عملنا وانصرفنا سوية فلقينا على باب مكتبة الهلال جرجي زيدان . وقد جرت عادته ان يقضي ساعة أو تزيد في مكتبة الهلال فيحيط به اخوانه وعشاق أدبه . ولقينا معه توفيق أفندي غبريل الاديب المفكر وخليل مطران فراق لنا المجلس . وما أقمنا طويلا حتى وردت اشارة تلفونية الى جرجي زيدان ان سعادة احمد زكي باشا يزوره في منزله . فدعانا الى مرافقته فلما وصلنا الى منزل صاحب الهلال كان مجلسه مؤلفاً من :

جرجي زيدان . احمد زكي باشا . نعوم بك شقير . خليل مطران . توفيق غبريل . سليم سركيس

وبعد أن تبادلنا السلام قال زكي باشا :

— أود أيها الصديق ان أهنئك وأهنىء الوطن بما رأيته وسمعته من نبوغ ولدك اميل فقد قرأت له بعض مقالات حسنة وبلغني انه نابغ في مدرسته

فقال جرجي زيدان :

— أشكر لك كثيراً عنايتك باميل فانها عناية بالهلال ومستقبله

فقال توفيق أفندي غبريل :

— لعل أميل شعر في غربته في المدرسة الكلية في بيروت بالوحشة التي يشعر بها سائر الطلبة لاول الامر

قال زيدان :— هوماتقول «ولكن سرني ماعلمته من انه يدقق في انتقاء الاصدقاء الادباء فان ذلك من اكبر اسباب الاحتفاظ بالسيرة الحسنة والصحة الجيدة ولكن يجب في كل حال أن يكون قريباً من قلوب سائر معارفه ورفقائه فلا يقال عنه انه متكبر أو جامد أو مدّعٍ » (١)

فقال نعوم بك شقير بعد لقد خبرت ولدك اميل، وأنا اشبينه، وعلمت انه مفطور على الرقة وتفهم الامور من صغره

فقال زيدان : — الحمد لله على ذلك « ولا ينبغي أن يطول الوقت قبل أن يتعوّد المدرسة واكلها وتلاميذها فان الرجل الحقيقي القوي الارادة هو من يكيف نفسه على الوسط الذي يوجد فيه وذلك دليل على القوة الحيوية في الانسان وتشبه المرونة في الجوامد . فالمرونة في الاجسام الحية تقوى في الشبان . فالشاب اذا قرصتهُ في عضده مثلا حالما تترك العضد يعود اللحم الى ماكان عليه وأما الشيخ فان قرصتهُ يطول زمن

---

(١) مما كتبه جرجي زيدان الى ولده أميل في المدرسة الكلية تحريراً رقم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٨

عوده الى اصله . واللحم الميت لا يعود اذ لا مرونة فيه . واعتبر ذلك في العقل فصاحب العقل الكبير يهون عليه تطبيق تصوراته واحكامه على جليسه أو عشيره ولو كان في الحقيقة بعيداً عن طبعه وعاداته . وهـذا هو الفرق بين الناس في ارضاء الناس أو عدم ارضائهم . فالذين يرضونهم هم أصحاب المرونة العقلية الذين يستطيعون تكييف تصوراتهم واحكامهم حتى يفهموا جليسهم ويفهموه وهو ما يعبر عنه ايضاً بقولهم Common sense »(١)

فقال خليل مطران : — هـذه نصائح حكيم ارجو أن يحفظها عنك ولدك فتكون خير ذخر له في مستقبله

فقال زيدان : — « ارجو أن يكون اميل كما ذكرت في بياني فيكتسب ثناء القوم وقلوب عشرائه لـكن عليه ان يكون مع ذلك محافظاً على مبادئه وآدابه فان المرونة حسنة وممدوحة في التصورات والاحكام ولـكنها مكروهة وسيئة في الآداب والاخلاق . فهذه لا بد من المحافظة عليهـا والثبوت فيها ثبوت الجبال . ومجاملة الناس لا ينبغي أن تتعدى الملاطفة في الحديث واختيار ما يناسب المقام من الاقوال والامثال أو الملاطفة في المعاملة لدفع الاذى بقـدر الامكان . أما ما وراء ذلك فيخشى منه أن يتعدى الى الكذب أو الرياء او التذبذب وهذا مستنكر » (٢)

فقال زكي باشا : — وهل يميل اميل الى اللغة العربية وآدابها أم هو مولع بكل شيء افرنجي ؟

فقال زيدان : — « لقد نصحت له أن يقرأ العربية ويطالع اشعار العرب وأمثالهم ونوادرهم وتواريخهم فانها ملأى باللغة والادب وأوصيته متى كتب اليّ أن يعتني بانشاء تحاريره فتكون شبه درس له » (٣)

فقال خليل مطران : — انا أعلم ان اميل لا يحب والده فقط بل يعتبره صديقاً ومثالاً ويشعر بفضله عليه

فقال زيدان: — نعم وقد «كتب اليّ بالامس يقول « انني اشكر الله على حسن معاملة والديّ لي » وهي عبارة تدل على احساس رقيق وتعقل كثير . فـكل والد يعامل ولده بالحسنى وتختلف هذه الحسنى باختلاف حال الولد واخلاقه . وأميل منذ درج لم يحملني مشقة ولا كدرني في وجه من وجوه سلوكه . وما كاد يتم عهد البنوّة حتى صار صديقاً لي

(١) تحرير جرجي زيدان الى ولده أميل في ١٠ نوفبر سنة ١٩٠٨

(٢) تحرير جرجي زيدان الى ولده اميل في ١٠ نوفبر سنة ١٩٠٨

(٣) تحرير جرجي زيدان الى ولده اميل في ٣١ اكتوبر سنة ١٩٠٨

اكاشفه اسراري واستشيره في امري » (١)

فقال زكي باشا : — وكيف ترى ميوله من جهة العادات فهل هو عربي أو متفرنج ؟

— كتب الى والدته انه راغب في لبس الطربوش عن البرنيطة وحسناً يفعل (٢)

فقلت : — اني استحسن اهتمام الاخوان بولي عهد الهلال ولكن هل لك أن تطلعنا على شيء من أخبار صباك أنت ؟

— اذكر حكاية مستلطفة عن مولدي فانني « لم أكن اعرف يوم ولادتي بالتدقيق فبعد ان كبرت واحببت أن اعرف يوم ولادتي كنت في مصر وعزمت على أنني متى زرت بيروت فاول شيء ابحث عنه تاريخ تنصيري في سجل الكنيسة . فلما ذهبت الى بيروت سنة ١٨٩٥ سألت قسيسنا القديم الخوري موسى عن دفتر التسجيل المشار اليه فقال « ليس عندنا قيود ولا سجلات . وكان والدي حاضراً فسألني عن غرضي فقلت انني أريد أن استخرج تاريخ ولادتي . فضحك وقال عندي الخبر اليقين فانك ولدت في اليوم الذي مات فيه ملك الانكليز (يعني البرنس البرت زوج الملكة فكتوريا) فقلت وكيف عرفت ذلك ؟ قال عرفته لأني اذكر جيداً الليلة التي ولدت فيها وكنا ساهرين فسمعنا اطلاق مدافع من البحر من دوارع انكليزية كانت راسية هناك وسألنا عن السبب فقيل أن ملك الانكليز مات فعلمت اذ ذاك اني ولدت في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٦١ » (٣)

فقال نعوم بك شقير : — وهل لك أن تشرح لنا كيف تلقيت العلم فقد اختلف الناس في ذلك ولكنهم اجمعوا على اجتهادك

فقال زيدان : — « نشأت في صباي وانا ارى والدي يخرج الى مطعمه من الفجر ولا يعود الا نحو نصف الليل اوقبله وارى والدتي لا تهدأ لحظة من الصباح الى المساء . وانما همها تدبير بيتها وتربية اولادها . شببت على ذلك وألفته فغرس في ذهني أن الانسان خلق ليشتغل وان الجلوس بلا عمل عيب كبير . وكان والدي أمياً لكنه شعر بالحاجة الى الكتابة والقراءة لتدوين حسابات مطعمه فدفعته حاجته هذه الى تعليمي القراءة فارسلني وانا في الخامسة من عمري الى مدرسة المعلم الياس وهو لا يكاد يحسن قراءة الانجيل . وبعد سنتين على ما أظن قال المعلم ان جرجي ختم درسه وصار يفك الحرف فسرّ والدي كثيراً . ومعنى ذلك انني صرت اقرأ المزامير جيداً ولكنني لم اكن

(١) تحرير جرجي زيدان الى ولده اميل في ٢٣ مارس سنة ١٩٠٩

(٢) تحرير جرجي زيدان الى ولده اميل في ٣١ اكتوبر سنة ١٩٠٨

(٣) مذاكرات جرجي زيدان بخط يده صفحة ٣

افهم ما اقرأه . على انني لم اقض حاجةابي اذ لم اكن اعرف الكتابة والحساب فارسلني الى مدرسة كانت قد انشئت حديثاً في بيروت وتعرف بمدرسة الشوام نسبة الى اهل الشام لان الذين قاموا بانشائها بعض أدباء دمشق الذين نزحوا منها الى بيروت على أثر مذابح سنة ١٨٦٠ وفيها اخذت بعض مبادىء الحساب والنحو والخط وبدأت أفكر . وكان كبير المعلمين ظاهر خير الله الشويري الذي اشتهر بالرياضيات بعدئذ . ثم تعطلت المدرسة سنة ١٨٧٠ وانا في نحو التاسعة من عمري وانتقلت منها الى مدرسة الثلاثة الاقمار الارثوذكسية فبقيت نحو سنتين وقد أخذت ألتذ بالعلم واتفهمه . في اواخر السنتين وأنا في الحادية عشرة من عمري احتاج والدي الي لاساعده مؤقتاً في تقييد الاسماء وارضاء الزبائن ريثما يوفق الى مساعد غير الذي تركه بالامس . ولكن تلك المساعدة المؤقتة امتدت الى سبعة أو ثمانية اعوام قضيتها في أسواق بيروت بين عامتها . . . وأخيراً عرفت شاباً اسمه خليل شاول من دير القمر فنمت صداقتنا وكان اديباً فحذوت حذوه وكان له أصدقاء من تلاميذ المدرسة الكلية عرفتهم بواسطته وملت الى معاشرتهم والاستفادة منهم » (١)

فقال توفيق افندي غبريل : — وكيف تعلمت اللغة الانكليزية ؟

قال زيدان : — « لما كنت في الخامسة عشرة من عمري كان المعلم مسعود الطويل قد أنشأ مدرسة لتعليم اللغة الانكليزية وهو يأكل في مطعم أبي وأجرة التعليم ٦ فرنكات في الشهر فاتفقت معه ان يعلمني وان تقطع الاجرة من حساب اكله . وهكذا صرت أردد عليه في منزله ليلا لانني منهمك نهاراً في المطعم . وبعد مضي خمسة أشهر صرفني قائلا انني صرت أبرع منه باللغة الانكليزية . . . » (٢)

فقال احمد زكي باشا : — أنتم أبناء سوريا قد نبغتم في كل عمل باشرتموه

فقال زيدان : — عفواً يا سعادة الباشا فانما النبوغ لامثال البستاني واحمد فارس واليازجي . وعلى سيرة اليازجي أذكر ان الشيخ ابراهيم اليازجي كان من أقدم معارفي كما صار بعدئذ من أعز أصدقائي

قلت : — أو هل درست عليه اللغة

قال زيدان : — لا وانما عرفته اذ كنت أعمل في مطعم أبي فقد « تعشقت أهل العلم وكنت اذا أتاني احد من اهل العلم او الصحافة بالغت في اكرامه وحفظت كل كلمة يقولها . وكان الشيخ من جملة الذين يترددون على مطعم أبي وهو يلبس الشروال العربي

---

(١) مذكرات جرجي زيدان بخط يده من صفحة ٩ الي ٢٤

(٢) مذكرات جرجي زيدان بخط يده صفحة ٢٥ و ٢٦

والطربوش المغربي . ومما لا أزال اذكره انه تغذى عندنا مرة وخرج فنسي نظارته على المائدة فتبعته ودفعتها اليه فتبسم وقال « نسيت عيني عندك ولكن لا خوف عليهما لاني تركت قلبي عندكم طويلا ولم يصب بسوء » ونهض مرة عن المائدة ودفع الي قطعة من النقود وأظنها ريالا فددت يدي الى الصندوق لادفع له الباقي وأنا أقول « بسم الله الرحمن الرحيم مالك يوم الدين » وفتحت الصندوق فاشار باصبعه الى الدراهم التي فيه وقال « اياك نعبد واياك نستعين » (١)

فقال نعوم بك شقير : — وكيف خطر لك الدخول الى المدرسة الكلية ؟

قال زيدان : — « خطر لي أن آتي العلم عن طريق الطب لما فيه من المصلحة المادية فضلا عن الادبية . فقابلت الدكتور اسكندر بارودي في جمعية شمس البر وعرضت عليه عزمي وسألته كم يلزم من الوقت والدراهم فقال مستغرباً « ان طالب الطب ينبغي أن يتعلم علوماً استعدادية يستغرق درسها سنوات فضلا عن اللغتين الانكليزية والعربية » فقلت « وما هي تلك العلوم » قال « هي الفلسفة الطبيعية والجبر والهندسة والحساب واللغة والنحو واللغة الانكليزية فيقدم بها امتحاناً يوم طلب الدخول اول السنة فاذا نجح دخل الطب وبقي في دراسته اربع سنوات » فاعظمت عدد هذه العلوم وفيها ما لم اسمع باسمه بعد كالجبر والهندسة فقلت له « ألا تظن انه اذا اجتهد الانسان يقدر ان يتعلم هذه العلوم في أثناء أجازة فصل الصيف فيتقدم للامتحان في أول السنة المدرسية ؟ » فضحك الدكتور بارودي استخفافاً وقال « هذا مستحيل خصوصاً وأنت لم تدرس في مدرسة وليس لك علم » . فقلت « دعنا نجرب » قال « جرب » فاخذت أدرس تلك العلوم على المعلم اسكندر بارودي حتى اذا انتهى الصيف وجاء موعد الامتحان نجحت وأبيح لي الدخول الى مدرسة الطب » (٢)

فقال زكي باشا : — وهل نجحت في امتحان السنة الاولى ؟

فقال زيدان : — « بعد الفراغ من الامتحان جاءني الدكتور فارس نمر وهو يومئذ المعلم فارس وصافحني وقال « أهنئك يا زيدان . برافو . ان امتحانك بديع » فلما جاء يوم توزيع الشهادات بحضور جمهور من اهالي بيروت وأعيانها كنت جالساً في مؤخر القاعة فلما بدىء بتوزيع شهادات الامتياز وقف الدكتور لويس احد اعضاء العمدة يحمل شهادة وناداني باسمي وانني نلت الامتياز بالكيمياء التحليلية فتقدمت لتناولها من يده بين التصفيق

(١) مذكرات جرجي زيدان بخط يده ص ٣٠
(٢) مذكرات جرجي زيدان بخط يده ص ٣٥

العام وعدت مطرقاً خجلا . وسمعت احدهم يقول « لا ترجع . انتظر الشهادة الاخرى» واذا بالاستاذ بورتر يناديني وانني نلت الامتياز باللغة اللاتينية . وبقيت في المدرسة بضعة شهور من السنة الثانيـة ثم حدثت فيها حادثة اتحاد طلبة الطب على المطالبة بحقوقهم وهي اول حادثة من نوعها في الشرق فخرج معظم الطلبة وكنت من جملتهم »(١)

فقال خليل مطران : — لقد كانت حيـاتك مثال النشاط والاجتهاد وعنوان العظمة الحقيقية

فقال زيدان ، وقد غض من طرفه كعادته متى سمع اطراءه : — « تختلف العظمة شكلا واثراً باختلاف السبيل الذي يسعى صاحبها فيه أو الغرض الذي يرمي اليه » (٢)

فقال توفيق افندي غبريل : — انت خبير بالمدرسة الكلية الاميركية في بيروت ولا ريب في انك درست نظام التعليم في مصر فما رأيك في الجامعة المصرية

قال زيدان :— « الكلية احدث عهداً من الجامعة ؟ وكانوا يريدون بها جماعة من تلاميذ الجامعة واساتذتها يقيمون معاً في بناء خاص يستقلون به عن سائر التلاميذ بروابط فيما بينهم ويسمونه Collegium اذ لم يكن يشترط اقامة الطلبة في الجامعة نفسها بل حيث يطيب لهم المقام . ثم صارت الاقامة في المدرسة شرطاً من شروطها فالتلميذ الذي يتلقى العلم في جامعة لا بد له من الاقامة في كلية من كلياتها ثم اصبحت الكلية مدرسة عالية لفرع من فروع العلم والجامعة مؤلفة من عدة كليات » (٣)

فقال زكي باشا : — يلوح لي انك لا تستحسن انشاء الجامعة الآن

قال زيدان : — « لقد علمنا حتى الآن ان دروس الجامعة ستكون اشبه بالمحاضرات منها بالدروس القانونية . اذاً تكون الفائدة منها أقل كثيراً مما تحتاج اليه الامة المصرية . لان مثل هذه المحاضرات قد يستغنى عنها بما يلقى في الاندية العلمية الحديثة من الخطب الادبية والفلسفية والتاريخية . وانما نحن في حاجة الى مدرسة كلية تلقى فيها العلوم باوقات معينة ويطلب من التلاميذ الملازمة كل يوم على السماع والاسماع والمراجعة . أما اعطاء اربعين درساً في السنة من كل علم اي نحو درس واحد كل اسبوع فلا يأتي بالفائدة المطلوبة ولا سيما اذا كان المراد جعل الحضور اختيارياً كما يفعلون في مدارس أوربا الكبرى » (٤)

فقال زكي باشا : — ولكنهم يفعلون ذلك في اوربا

---

(١) مذكرات جرجي زيدان بخط يده ص ٤٦
(٢) الهلال سنة ١٣ ص ٥٥٧ (٣) الهلال سنة ١٥ص ٧٥
(٤) الهلال سنة١٦ص ٤٨١

فقال زيدان : — اوربا ! اوربا ! لا يا سيدي . « وكون هذا الاسلوب معولا عليه في اوربا لا يستلزم ملاءمته لنا ونحن في حاجة الى الاجبار على التعليم والتدقيق في السؤال عما فهمناه وما لم نفهمه حتى نألف بمرور الاجيال حضور الدروس الاختيارية من تلقاء انفسنا » (١)

فقلت : — قد فهمنا رأيك في الجامعة فما رأيك في رأي القائل باتخاذ اللغة العربية العامية للكتابة بدلاً من اللغة الفصحى

قال زيدان : — « حبذا لو أن اصحاب هذا الرأي افادونا اولاً ايَّ اللغات العامية العربية يريدون أن نتخذ : لغة مصر أم لغة الشام أم لغة العراق أم لغة الحجاز أم اليمن أم المغرب ؟ » (٢)

قال خليل مطران : — يريد اصحاب هذا الرأي أن تؤلف لغة تشترك بين هذه اللغات

فقال زيدان : — « أن اللغة لا تتألف بالتواطؤ وانما هي جسم ينمو نمواً طبيعياً على مقتضى ناموس الارتقاء العام . وعليه ارى ان اللغة الفصحى هي الحافظ الوحيد للرابطة العربية بين سائر الناطقين بهذا اللسان . والفضل في حفظها انما هو للقرآن الكريم » (٣)
« واذا قيل انها غريبة عن افهام العامة فذلك زعم باطل الا اذا أريد التقعّر واستخدام الالفاظ الوحشية الغريبة التي لا يفهمها الخاصة فضلاً عن العامة واما لغة الانشاء العصرية فانها شائعة على صفحات الجرائد والمجلات يفهمها الخاص والعام » (٣)

***

واذ ذاك ادبرت اطباق الحلويات مع القهوة واعترض محادثتنا العلمية حضور المرأة الفاضلة التي جعلت حياة جرجي زيدان ساعات هناء كاملة فتمكن من القيام باعماله الباهرة وكان يتمثل في اطراء زوجته بقول سليمان الحكيم : « المرأة الفاضلة من يجدها . ثمنها يفوق اللآلي . تصنع له خيراً لا شراً كل ايام حياتها »

وانصرفنا من زيارة زيدان ولم تزعج الخمرة واحداً منا اذ لا محل لها في هذا البيت ولا اقلق القمار احدنا لان بيت العلم والفضيلة بعيد عن امثال هذه الدنيات والحمد لله

سليم سركيس

---

(١) الهلال سنة ١٦ ص ٤٩١ (٢) الهلال سنة ١٠ ص ٢٧٩
(٣) الهلال سنة ١٠ ص ٢٧ (٤) الهلال سنة ١٠ ص ٢٨٠

غزة و يافا

وصفهما وتاريخهما وسائر احوالهما

«الهلال» استولى السكون على ميدان فلسطين مدة طويلة ولكنه كان سكون تأهب لحوادث خطيرة الشأن . واول حادث من ذلك سقوط بئر سبع في قبضة الجيش البريطاني في صباح ٣١ اكتوبر الماضي . وتبلغ المسافة التي تقدمها البريطانيون من القنطرة على قنال السويس الى بئر سبع ١٥٠ ميلاً على خط مستقيم . على ان ماقطعوه حقيقة يبلغ ثلاثة أضعاف هذه المسافة لما في الطريق من التعاريج والصعوبات . وفي صباح ٧ نوفمبر استولوا على مدينة غزة التي كانت تعد من أحصن المدن العثمانية . وتبع ذلك سلسلة انتصارات . فقد اقتفى البريطانيون اثر العدو من ذلك الحصن شمالاً فاستولوا على جميع مواقعه التي كانت في الطريق . واهم تلك المواقع نقطة تقاطع خط السكة الحديدية في وادي سرار . واخيراً في مساء ١٧ نوفمبر صدر بلاغ رسمي بالاستيلاء على يافا . ولا يزال التقدم مطرداً في هذا الميدان

وقد جاوز مجموع الاسرى الذين ورد بيانهم رسمياً منذ ٣١ اكتوبر الى ١٥ نوفمبر ٩٠٠٠ أسير والغنائم ٩٠ مدفعاً و١٣ طيارة وكميات كبيرة جداً من الذخائر والقطرات والعربات الحديدية . لان انسحاب الجيش العثماني السريع لم يسمح له باتلافها

هذا وقد قدم الاسطول مساعدة تذكر في اثناء هذه المعارك

ومما يجدر ذكره أن مع الجيش البريطاني في فلسطين فرقٌ فرنسية وايطالية

ويقابل هذا النجاح الباهر في ميدان فلسطين نجاح لا يقل عنه شأناً في ميدان العراق . فالانتصارات البريطانية فيه كانت متواصلة تحت ادارة الجنرال مود (الذي جاء نعيه اخيراً) وقد بلغ ما اخذه البريطانيون منذ يوليو سنة ١٩١٦ من الترك في ذلك الميدان اكثر من ٣٠٠٠٠ أسير و ١٨٦ مدفعاً غير ما اخذوه في فلسطين

***

وقد نشرنا في ما يلي مقالتين عن مدينتي غزة ويافا وهما اهم المدن التي استولى عليها البريطانيون في تقدمهم الى حين كتابة هذه السطور .

وفي اول هذا الجزء خريطة لسوريا وفلسطين يستطيع القارىء بواسطتها ان يتتبع مجرى الحوادث في تلك الجهات

***

غزة

غزّة (كاديتيس القديمة) من اكبر مدن فلسطين ومن أهم أسواقها وهي مؤلفة من ثلاث قرى كبيرة . وموقعها في الجنوب الغربي من الخليل على اكمة تبعد عن البحر نحو ٤ كيلو مترات بين رياض غنّاء وأراض خصبة حافلة بالاشجار المثمرة على اختلاف انواعها كالنخل والزيتون والرمان والبرتقال والعنب وغيرها . وهي تفصل بين مصر وسوريا وسكانها نحو ٤٠٠٠٠ نفس اكثرهم من المسلمين وهم من حيث المظاهر الخارجية اقرب الى المصريين منهم الى السوريين . وقد اشتهرت قديماً بتجارة الصابون والقطن والقلي . اما اليوم فلا شأن يذكر لمتاجرها

ويقال لها غزة هاشم نسبة الى عمر بن عبد المناف القرشي الملقب بهاشم الثريد المتوفى فيها وفيه قال الشاعر :

وهاشم في ضريح وسط بلقعة تسفي الرياح عليه بين غزّات

وفيها ولد الامام الشافعي وقد أسر هناك وهي موطن عمر بن الخطاب

وقد شقّ بعضهم اسمها من عزة بالعبرانية أي القوية والحصينة لما كانت عليه من المنعة في سالف الدهر بدليل ما يشاهد هناك من آثار حصونها القديمة ولا سيما قلعتها الكبرى وكانت تعد من امنع حصون فلسطين . وذكرت غزة في التوراة بين اقدم مدن فلسطين واهم مراكز الفلسطينيين على حدود البلاد الكنعانية

ومما يجدر بالذكر من تاريخها ان تحوتمس الثالث أحد فراعنة مصر جعلها قاعدة لاعماله الحربية عند اغارته على سورية . وقبل ان تدخل في حيازة العبرانيين كان ملكها يانبيبري خاضعاً للفراعنة . واليها لجأت قبائل راقائيم وايناسيم لما طاردها يشوع وجلاها عن الجبال . وقد بلغها يشوع في فتوحاته ولكنه عجز دونها وكانت تابعة لسبط يهوذا اسماً . ولما استولى عليها الفلسطينيون اضطهدوا اليهود الذين كانوا فيها وما برحوا يسومونهم الخسف والهوان مدة ٤٠ سنة الى ان ظهر شمشون الجبار وانتقم لقومه منهم . وفي غزة تم لهذا الجبار النصر الاخير على الفلسطينيين وقد خلع ابوابها وقضى مع ثلاثة آلاف فلسطيني تحت انقاض هيكلها الذي كان مشيداً تكرمة لالههم دجون كما جاء في التوراة . وقيل ان ضريحه هناك لا يزال معروفاً الى اليوم . وقد دخلت في حيازة سليمان ثم في حيازة حزقيا ولكن الى وقت قصير . وفي سنة ٧٣٥ ق . م . استولى عليها تغلافلصر ملك نينوى والحقها بمملكة اشور ثم ثارت عليه واستنصر ملكها هانون فرعون مصر « شيشق » فاجتاح هذا سورية وجعل غزة قاعدة لاعماله الحربية وكانت حرب هائلة

تناولت الممالك الاسيوية بأسرها . ثم جاءها سرغون وقمع فتنة الغزّيين ومن ثم استتب الامر فيها لملوك اشور من هذا الملك الى سنحاريب الى أسرحدون الى اشوربانيبال . وبعد انقراض دولة السرغونيين دخلت في حيازة الفراعنة اذ استولى عليها نخاو الثاني ثم تغلب نبوخذنصر على المصريين وانتزعها من يدهم (٦٠٥)

وبعد سقوط مملكة بابل حاصرها الفرس واستولوا عليها بعد قتال طويل (٥٢٩) وحاول الاسكندر في مسيره على مصر اخضاعها لسلطانه فقاومته شهرين ثم فتحها وقتل رجالها وقاد نساءها واطفالها الى الاسر (٣٢٢) ومن ذلك الحين اصبحت مدينة يونانية . وبعد موت الاسكندر باتت غزة مسرحاً لحروب هائلة سحابة قرنين كاملين بين المصريين والسوريين واليهود . وقد انتزعها انتيغونوس من بطليموس مرتين متواليتين (٣٠٥ و٣٠٦) ثم استرجعها بطليموس منه مرتين واستنجد سلوقس عليه فقهراه (٣١٢) وظلت في حيازة المصريين نحو قرن . وفي سنة ١٩٨ اجتاحها ملوك سورية . وفي سنة ١٤٥ جاءها يوناتان المكابي وحرق ضواحيها فسلمت له وحاصرها اسكندر يانيوس سنة كاملة وفتحها واعمل السيف في رقاب اهلها جزاء لهم على سوء معاملتهم لليهود ودكها من اساسها (٩٦) ثم رممها غابينيوس وكانت في جملة المدن التي اعادها اغسطس قيصر الى هيرودوس

وفي ايام اليونان كانت غزة مركزاً لعبادة الاوثان . وكان اهلها يعبدون الاله مرناس والزهرة والشمس وابولون وبروسربين . وكان لهذه الآلهة فيها هياكل عظيمة فخمة . وقد دخلها الدين المسيحي على يد بولس الرسول . وكان اول اسقف عليها فيليمون وذكر من اساقفتها القديس سلفانوس الذي استشهد سنة ٣١٠ واسكليباس الذي حضر مجمع نيقيا . ولم يستأصل الدين الوثني منها الا في القرن الخامس اذ هدمت معابد الآلهة واقيم مكان هيكل مرناس الشهير كاندرائية عظيمة بشكل صليب . وفي القرن السادس بلغت شأواً بعيداً من العمران وكان فيها خمس كنائس كبرى . وافخم اثر تاريخي فيها جامع بني على انقاض كنيسة قديمة شيدت تكرمة ليوحنا المعمدان وهو الجامع الاكبر الذي جعله الترك مستودعاً للذخائر ونسفته المدافع الانكليزية قبل الهجوم الاخير على المدينة (اكتوبر سنة ١٩١٧)

وفي سنة ٦٣٤ استولى عليها ابو بكر قائد جيوش العرب في عهد عمر بن الخطاب . ولما استولى عليها الصليبيون في القرن الثاني عشر وجدوها مقفرة خربة . وفي سنة ١١٤٩ اقام فيها بلدوين الثالث قلعة عظيمة لرد اغارات اهل عسقلان عنها وعهد في حراستها الى فرسان الهيكل . وبعد معركة حطين الشهيرة دخلت في حيازة الظافر

وفي سنة ١٢٤٤ حمل الكايسيبون في وادي غزة حملة هائلة على المسيحيين والمسلمين وكسروهم شر كسرة . وفي سنة ١٥١٦ أحرز السلطان سليم الثالث الفاتح العثماني الشهير في هذه المدينة على المماليك نصراً عظيماً فتح امامه طريق مصر . وقد احتلها الامير علي بك المصري سنة ١٧٧١ وفتحها نابوليون سنة ١٧٩٩ وابراهيم باشا الفاتح المصري الشهير سنة ١٨٣١

يافا

يافا من أهم مدن فلسطين وهي ميناء القدس وتبعد عنها ٨٧ كيلومتراً بالسكة الحديدية وموقعها على تل ترتفع قمته عن سطح البحر ٥١ متراً وعن السهل المجاور لها ٣٠ متراً . ولها من البحر منظر جميل يكاد يضارع منظر بيروت رونقاً وبهاء . وتمتاز عنها بما تعيد الى ذهن الناظر اليها من التذكارات المقدسة : فيقف خاشعاً متهيباً اذ يذكر وهو في هذا الموقف انه على باب أرض الميعاد ، تلك الارض التي وعد بها الله ابراهيم الخليل وحل بها الشعب الخاص وحنت اليها جميع الامم لانها في اعتبار الجميع مهبط الوحي ومقام الانبياء

﴿ وصفها ﴾ ويافا محاطة من ثلاث جهات برياض غنّاء يحسر الطرف دونها وتعرف بالبيارات . وهي حافلة بالاشجار المثمرة ولا سيما البرتقال وهو من أهم موارد الرزق فيها ويمتاز بكبر حجمه وجمال رونقه ولذة طعمه

والمدينة قسمان : المدينة القديمة وهي منحصرة في التل المتقدم الذكر ويحيط به سور قديم متهدم والشوارع في هذا القسم ضيقة قذرة ولا سيما في فصل الشتاء . والمدينة الجديدة وهي قائمة خارج السور بين الحدائق المحيطة به وفيها أبنية فخمة جميلة على الطراز الحديث . وفي المستعمرة الالمانية الواقعة في ضواحيها كثير من المباني الجميلة وقد أنشئت سنة ١٨٥٦ وكانت أولا للاميركان ثم ابتاعتها منهم طائفة المانية تعرف « بالهيكل الالماني » او اصدقاء بيت المقدس سنة ١٨٦٨ وهي منظمة أحسن تنظيم . وهناك مستعمرة سارونا « شارونا » وموقعها في سهل شارون الخصيب الواقع بين يافا وقيصرية وهي مشهورة بكرومها وخمرها وثمرها . وفي ضواحي يافا مستعمرة أخرى للاسرائيليين وهي بلدة قائمة بذاتها على شاطىء البحر وتمتاز بابنيتها الجميلة وشوارعها المنظمة

﴿ سكانها ﴾ أما سكان يافا فلم يكن عددهم في الربع الاخير من القرن الماضي يجاوز عشرة آلاف نفس وكانت يومئذ حقيرة لا شأن يذكر لها . أما قبل الحرب فبلغ نحو ٤٥ او ٥٠ الف نفس واحصي عددهم سنة ١٩٠٥ فبلغ ٤٠٠٠٠ وهم قسمان عثمانيون وهم

الفئة الكبرى واوربيون وهم الفئة الصغرى . ومن الفئة الاولى نحو ٣٠٠ ٢٤ مسلم والف اسرائيلي و٣٠٠ ٥ مسيحي معظمهم ارثوذكس ومن الاوربيين ٥٠٠ ٤ اسرائيلي (وقد زاد عدد هؤلاء كثيراً في السنوات الاخيرة) والف من البروتستانت . ويقدر عدد الحجاج الذين يؤمونها لزيارة الاماكن المقدسة في القدس وغيرها نحو ٠٠٠ ٥٠ نفس ومعظمهم من الروس ويليهم الاسبانيول

﴿ تجارتها ﴾ يافا من اهم الموانئ التجارية في الشرق الادنى وقد دخلها سنة ١٩١٠ ١٥١٤ سفينة محمولها ١١٣٦٧٧٠ طناً . ومعظم صادراتها من البرتقال والقمح والشعير والسمسم والبطيخ والصابون والخمر والجلود وقد كانت قيمتها ٦٣٦١٤٥ ليرة عثمانية حسب احصاء سنة ١٩١٠ . أما وارداتها فاهمها المنسوجات القطنية والصوفية والحديد والقرميد والخشب وادوات البناء على اختلاف أنواعها والمشروبات الروحية الاوربية والارز والبن والسكر وزيت البترول وغيرها وكانت قيمتها ٤٥٠ ١٠٠٢ ليرة عثمانية سنة ١٩١٠ . وميناء يافا عرضة لجميع الاهوية والارياح كميناء البيروتية . ومما يزيده خطراً على السفن التي تقصده كثرة الصخور الممتدة امامه على مسافة شاسعة وقلة عمق البحر هناك في منطقة لا تقل مساحتها عن بضعة اميال مربعة فتضطر السفن أن تلقي مراسيها على بعد ميل او اكثر من الميناء . وكثيراً ما يضطرها هياج البحر أن تكتفي باخذ البريد دون سواه وهذا ما يحول دون تصدير جانب عظيم من حاصلات البلاد الى الخارج

﴿ المعاهد العمومية ﴾ وفي يافا كثير من الملاجئ والمستشفيات والمدارس والمعاهد الدينية والفنادق الكبيرة . وأهمها دير الفرنسيسكان وفيه ملجأ للزوار الذين يحجون الى الاراضي المقدسة ومدرسة خارجية للاولاد . ودير الفرير أو الاخوة المسيحيين وفيه مدرستان . والمدرسة الايتالية للاولاد والبنات . ومدرسة الايتام الاميركانية والمستشفى الالماني وبجانبه المدرسة الالمانية ومدرسة للاولاد انشأتها شركة اوربية من فلورنسا ومدرستان لراهبات الظهور المعروفات براهبات القديس يوسف . ومدرستان للبنات تديرها راهبات الفرنسيسكان . ومستشفى القديس لويس الفرنساوي الذي انشئ سنة ١٨٧٦ وتديره راهبات القديس يوسف . ولهن هناك مستوصف خيري يعالجن فيه الفقراء مجاناً . وفي ما خلا ذلك فان لكل طائفة في يافا مدرسة قائمة بذاتها . وللمبشرين الانكليز هناك دار فسيحة ومدرستان ومستشفى ومدرسة كبيرة داخلية للبنات

﴿ آثارها القديمة ﴾ وفي يافا كثير من الآثار القديمة اهمها كنيسة اللاتين المحاذية لدير الفرنسيسكان وهي واقعة على قمة التل القائمة عليه المدينة القديمة ومبنية على انقاض قلعة أنشئت في القرن الثالث عشر . ومنها بيت سمعان الدباغ الواقع الى جنوب كنيسة

اللاتين في جوار المنارة والأثر الباقي منه جامع صغير يعرف بجامع التابيت او ماري بطرس وهو مبني على انقاض ذلك البيت . وحكايته ان بطرس الرسول لجأ اليه وشهد في الرؤيا ملاءة ملؤها حيوانات طاهرة ونجسة وسمع صوتاً من السماء يدعوه الى قبول اليهود وغيرهم في حضن الكنيسة . وفي هذا البيت نفسه جاءه رسل يدعونه الى زيارة كرنيليوس في قيصرية كما جاء في اعمال الرسل . وقيل ان هناك اقام زعيم الرسل طابيثا الصالحة من الموت . ويحيط بهذا الجامع أنقاض بناء قديم يستدل من وصفها في تاريخ يافا ان هناك كانت قائمة كنيسة القديس بطرس التي جدد بناءها ابناء القديس فرنسوا داسيز بامر لويس التاسع ملك فرنسا . ودير الارمن وفيه عزل المصابون بداء الطاعون من جنود نابوليون الذين أمّوا يافا سنة ١٧٩٩ بقيادة الجنرال كليبر . وعلى مسافة ربع ساعة من السوق مقبرة طابيثا وتعرف بجبل طابيثا نسبة الى طابيثا الصالحة المتقدمة الذكر ويروى انها مدفونة هناك مع ان ضريحها غير معروف الآن . ولهذا المكان منزلة عظيمة عند كثير من اهل يافا فيخرجون اليه في الاحد الرابع بعد عيد الفصح من كل سنة ويحتفلون بتذكار قيام طابيثا من بين الاموات احتفالاً عظيماً . وفي هذا المكان عدة قبور منقورة في الصخور عليها كتابات يونانية ولكن الاسماء الواردة فيها عبرانية الالفظ . ويخال هذه الكتابات نقوش تشبه النقوش التي تحفر على قبور اليهود مما يدل على ان هذه المدافن يهودية

﴿ تاريخها ﴾ يافا مشتقة من « يافو » بالعبرانية و « جوبيه » باليونانية أي الجميلة . وقد اختلف المؤرخون في منشأها فذهب فريق الى انها أنشئت في عهد سابق لعهد الطوفان وأيد الفريق الآخر ما جاء في الحكايات الوثنية من انها أنشئت في عهد جوبا بنت ايول وزوجة سيفه أو سيفيوس ملك الحبشة وهو الاسم الذي اطلقه عليها قدماء اليونان . ومن المرجح أن يكون ما بين اسمي جوبا وجوبيه من التشابه باعثاً للقدماء على الاخذ بهذه الرواية . وهذا التشابه عينه هو الذي دعا قديماً رؤساء اليهود وكهنتهم الى ان ينسبوا تأسيس يافا الى يافث بن نوح

وفي الحكايات الوثنية ان في هذه المدينة ذاتها قيدت أندروميدا بنت سيفا وكسيوبه بالسلاسل الحديدية على شاطئ البحر وقدمت ضحية لوحش البحر فداء عن اهل المدينة وان الاله برسيوس هبط من عل مخترقاً حجب الهواء فقتل الوحش وانقذ الاميرة من شره . وزعم استرابون وبليني وفلافيوس يوسف ان آثار السلاسل التي قيدت بها أندروميدا كانت لا تزال ظاهرة في ايامهم . ويقال ان سكوروس احد ضباط بمبايوس نقل من جوبيه (يافا) الى رومية عظام سمكة او حيوان بحري عظيم يبلغ طولها ١٢ متراً وقدمها

للشعب الروماني كهيكل الوحش البحري الذي قتله برسيوس . ويذهب فلافيوس يوسف الى أن الفينيقيين هم الذين بنوا يافا وجعلوها مستعمرة فينيقية . وقد وجد اسمها منقوشاً بلفظ « جابي » أو « جابو » على مدخل هيكل الكرنك بين اسماء المدن الفلسطينية التي افتتحها تحوتمس الثالث احد فراعنة مصر سنة ١٦٠٠ ق . م . وورد اسمها مرتين متواليتين بهذا اللفظ عينه في رسالتين موجهتين من حاكمها الى امينحوتب احد فراعنة مصر سنة ١٤٠٠

ولما قسمت ارض الميعاد في عهد يشوع ابن نون كانت جوبيه (يافا) من نصيب سبط دان ولكنها لم تخضع الاسرائيليين الا في عهد الملك داود فدخلت في حيازته مع سائر المدن البحرية التي كان يحتلها الفلسطينيون . وفي ايام سليمان كان الفينيقيون يقطعون خشب الارز والسرو من غابات لبنان ويرسلونه على اطواف عن طريق يافا الى أورشليم لبناء هيكل سليمان . ولما وقع الخلاف بين اسباط بني اسرائيل وانقسموا على ذاتهم استقلت يافا ردحاً من الزمن ثم وقعت تحت نير الاشوريين في عهد دامانيكار الثالث (٨١٢ — ٧٨٣) . وفي خلال ذلك ارسل الله يونان النبي الى نينوى لانذار اهلها وردهم الى التوبة فهرب من وجه الرب الى جوبيه (يافا) وركب سفينة شراعية كانت مسافرة الى ترشيش فهبت زوبعة عليها وسقط يونان في اليم فابتلعه الحوت وقذف به على الشاطئ حياً بعد ان مكث في جوفه ثلاثة ايام

وبعد ان ظلت يافا زمناً بيد الفلسطينيين عاد الملك حزقيا (٧٢٧ — ٦٩٨) فنزعها منهم ولكنه لم يكد يستتب له الامر فيها حتى هب سنحاريب ملك اشور لمحاربة مصر فمر على مملكة يهوذا ليخضعها لسلطانه لانها كانت حليفة مصر واستولى على عدة مدن فيها وفي جملتها مدينة جابي أو جابو (يافا) . ولما وقعت اشور في يد الكلدانيين استولى نبوخذنصر على البلاد التي كانت خاضعة لها . وبعد سبي بابل أعاد قورش الفارسي مدينة « جوبيه » الى اليهود . وبعد موت الاسكندر تنازع خلفاؤه من السلوقيين والبطالسة ملوك مصر والشام السلطة على مدينة « جوبيه » فقاست من هذا التنازع الشدائد والاهوال . وفي خلال ذلك اغرق الوثنيون من اهلها ٢٠٠ نفس من اليهود واتصل خبرهم بيهوذا المكابي (١٩٥ — ١٦٠) فغزا الميناء ليلاً على حين غفلة وأحرق ماكان فيه من السفن بعد ان فتك بمن فيها . وفي نحو سنة ١٤٢ ق . م . استولى عليها سمعان المكابي وأقام فيها حامية من اليهود . وبعد ان افتتح بمبايوس قيصر اورشليم سنة ٦٣ ق . م . استحوذ على يافا وضمها الى ولاية سورية الرومانية . غير انه لم تكد تستقر حيناً على هذه الحال حتى انبرى يوليوس قيصر لبمبايوس وقهره واعادها

الى اليهود . ثم استولى عليها هيرودوس الكبير عنوة بمساعدة الرومان اثر موافقة مجلس الشيوخ الروماني على تسميته ملكا لليهودية . ولم يطل العهد بحكمه لها حتى وهبها انطونيوس امبراطور الرومان لعشيقته كليوبترا وظلت في حيازتها الى ان انتصر اغسطس على انطونيوس في معركة اكتيوم فعادت من ثم الى حكامها الشرعيين . وفقدت كثيراً من اهميتها التجارية بعد ان صرف هيرودوس اهتمامه الى برج استراتون وجعله مدينة عامرة ذات ميناء واسع سماها قيصرية ولكنها مع ذلك لم تفقد شيئاً من اهميتها السياسية واستمتعت بنوع من الاستقلال حقبة من الدهر

وقد آمن كثيرون من اهلها بالمسيح منذ اول ظهور النصرانية ولا سيما بعد ان أقام بطرس الرسول طابيثا الصالحة من الموت

ولما ثار اليهود على الرومان لخلع نيرهم زحف ستوس غالوس حاكم سورية على مدينة جوبيه (يافا) واضرم فيها النار بعد ان قتل نحو ٨٤٠٠ نفس من اهلها واعمل فيها يد الخراب . فأمها اليهود من جميع الانحاء التي اضطهدهم فيها الرومان واقاموا في خرابانها واتخذوا القرصنة حرفة لهم فاطبق عليهم جيش الامبراطور فسبسيان واهلك منهم ٤٢٠٠ نفس وشيد فسبسيان بانقاضها قلعة منيعة اقام فيها حامية قوية من الجند الروماني . ومن ذلك الحين انتعشت المدينة ودبت فيها روح الحياة وازهرت فيها النصرانية واصبحت مركز اسقفية . ويروى ان فيدوس احد اساقفتها شهد مجمع اللد سنة ٤١٥ ومجمع افسس سنة ٤٣١ . وذكرت اسماء كثيرين من اساقفتها في اعمال المجامع التي عقدت بعد حروب الصليبين . وفي القرن السابع كان الحجاج الذين يؤمون اورشليم لزيارة الاماكن المقدسة ينزلون اولا في قيصرية ثم اخذوا بعد ذلك يؤمون يافا لزيارة ضريح طابيثا او « دركاس » وبيت سمعان الدباغ . ويروى ان القديس ايرونيموس والقديس بولس (غير بولس الرسول) وابنته القديسة استوكيوم والقديس ثيودوسيوس وانطونيوس الزائر قصدوا زيارة الاماكن المقدسة معاً ولما وصلوا الى اللد ذهبوا تواً الى يافا قبل ان يزوروا الاماكن المقدسة في اورشليم

وبعد الفتح الاسلامي اطلق على هذه المدينة اسم يافا وجعلت ميناء فلسطين كما كانت اولا . ولما جاءها الصليبيون وجدوها خربة منحطة لا أثر فيها للحصون والمعاقل فصرف غودفروا دي بوبون عنايته اليها واقام حولها سوراً منيعاً (١١٠٠) وجعلها كونتية تابعة لمملكة اورشليم وظلت الاسرات الشريفة تتوارث الحكم فيها الى سنة ١١٤٧ وكان لبلدوين الاول والثاني شأن يذكر في ما احرزته من العمران في عهدهما . وبعد معركة حطين الشهيرة (١١٨٧) استولى عليها الملك العادل اخو صلاح الدين الايوبي

ثم أعيدت الى الافرنج أثر المعاهدة التي ابرمت بعد معركة عرصورس ١١٩١ بين صلاح الدين وريكاردوس قلب الاسد . ثم عادت فوقعت بيد الملك العادل سنة ١١٩٧

وفي سنة ١٢٠٤ دخلت في حيازة غوتيه دي بريان أثر الانتصارات الباهرة التي احرزها على جيوش العرب . وفي سنة ١٢٢٨ رممها الامبراطور فريدريك الثاني واعاد اليها رونقها القديم . وفي سنة ١٢٥١ جاءها القديس لويس ملك فرنسا واحاطها بسور منيع اقام عليه ٢٤ برجاً كشافاً وشيّد فيها كنيسة عظيمة ذات عشرة مذابح واقام على خدمتها رهبان الفرنسيسكان . وفي سنة ١٢٦٧ اجتاحها بيبرس البندقدار سلطان مصر ودكها من اساسها ومن ذلك الحين دثرت معالم مجدها وطمست آثار تاريخها تماماً بحيث سدل عليه ستار النسيان سحابة اربعة قرون كاملة . وجل ما رواه المؤرخون عنها في تلك الحقبة الطويلة أنها كانت ملجأ للصيادين والنوتية . ولم تأخذ يافا باسباب النهوض الا منذ القرن السابع عشر اذ طفقت روح الحياة تدب فيها . وفي سنة ١٦٥٠ شيد الاخوة المينور فيها ديراً كبيراً وبجانبه ملجأ للزوار . وفي ٢٠ مايو « ايار » سنة ١٧٧٥ زحف محمد بك أبو الذهب من مماليك مصر على فلسطين واستولى على مدنها وفي جملتها يافا

وفي ٣ مارس سنة ١٧٩٩ دخلها الجيش الفرنسي عنوة بقيادة الجنرال كليبر احد قادة نابوليون وفتك بحاميتها وكانت مؤلفة من اربعة آلاف الباني . وتفشى الطاعون بين جنود نابوليون وهو هناك فعزل المصابين في دير الارمن وسممهم اشفاقاً من ان يسري الداء الى رفاقهم . واتقد نفر من المؤرخين عمله هذا ونفى آخرون عنه هذه التهمة وبرأوه من تبعتها . ولما اجتاح ابراهيم باشا الفاتح المصري الشهير البلاد الشامية مرّ بمدينة يافا في شهر دسمبر سنة ١٨٣١ واستولى عليها . وبعد ذلك بسبع سنين اصيبت بزلزال عظيم خرب جانباً منها ودك اسوارها . ثم عاد اهلها فجددوا بناءها وجعلت من ذلك الحين تتدرج في مراقي العمران الى ان اصبحت مدينة عامرة واسعة المتاجر وفيرة الارزاق . وكانت الى تاريخ دخول الجيش البريطاني اليها (١٧ نوفمبر سنة ١٩١٧) ميناء فلسطين ومركز قائمقامية تابعة لمتصرفية القدس

بولس مسعد

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بأحرف أو بكلمة عند النشر

الروافض وتاريخهم

﴿ بيجاند . ارجنتين ﴾ عبد الرؤوف خليل طبوشه

من هم الروافض وما هو مذهبهم وتاريخهم وفرقهم ؟

﴿ الهلال ﴾ الروافض هم الغلاة في حب علي بن أبي طالب وبغض ابي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية وآخرين من الصحابة ، وذكروا ان سبب تسميتهم بالروافض هو رفضهم زيداً بن علي بن الحسين بعد ان كانوا قد بايعوه عقب وفاة ابيه لانه لم يوافقهم على التبرؤ من الشيخين ، وكان لما اختلف الناس في الامام بعد الرسول ذهب الجمهور الى انه ابو بكر . وقال العباسية هو العباس بن عبد المطلب لانه العم والوارث فهو أحق من ابن العم ، وقال العثمانية وبنو أمية هو عثمان بن عفان ، وذهب آخرون الى غير ذلك ، وقال الرافضة هو علي بن ابي طالب . ثم اختلفوا في الامامة اختلافاً كثيراً حتى بلغت فرقهم العشرات اشتهر منها عشرون فرقة عدا الزيدية الذين اقروا امامة ابي بكر واختلفوا في امامة عثمان فانكرها بعضهم وأقر البعض الآخر انه الامام بعد عمر بن الخطاب لكنهم قالوا ان علياً افضل من ابي بكر وامامة المفضول جائزة . أما الغلاة فقالوا هو علي بالنص ثم الحسن والحسين بعده

ومن فرقهم المشهورة : الامامية الذين قالوا ان الامامة في علي وابنه الحسن والحسين وذريتهما ، والكيسانية اتباع كيسان مولى علي بن ابي طالب القائلون ان الامام بعد علي ابنه محمد بن الحنفية ، والخطابية اتباع ابي الخطاب محمد بن ابي ثور ومذهبه الغلو في جعفر بن محمد الصادق ، والزيدية اتباع زيد بن علي بن الحسين القائلون بامامته ، والسبائية اتباع عبد الله بن سبأ ، والكاملية والبيانية والمغيرية والهشامية والزرارية والمنصورية واليونسية والذمية والزرامية والبسلمية والجعفرية والصباحية الى غير ذلك من فرقهم

العديدة التي لا يسعنا ذكرها وسرد مذاهبها واقوالها فان لكل فرقة منها عشرات الفرق نشأت عنها وتخبطت في آرائها ومعتقداتها وتراها بالتفصيل في كتب الفرق ككتاب الملل والنحل للشهرستاني وغيره ممن لخصنا عنهم ما تقدم

العدد ١٣

﴿ الاسكندرية ﴾ ج . ج .

لا يخفى ان كثيرين من الافرنج يتشاءمون من العدد ١٣ فعلى فرض انه جلس ثلاثة عشر شخصاً الى مائدة معاً فهل يرجح موت احدهم في السنة التالية وهل يمكن بيان امكان ذلك بالضبط

﴿ الهلال ﴾ يتوقف ذلك على السن وقد حسبوا امكان حدوث الموت في ظرف سنة اعتماداً على الاحصاءات الموثوقة كما يأتي :

السن	يموت واحد من	السن	يموت واحد من
١٠ سنوات	١٣٤	٤٥ سنة	٩٠
١٥ سنة	١٣١	٥٠ »	٧٣
٢٠ »	١٢٩	٥٥ »	٥٤
٢٥ »	١٢٤	٦٠ »	٣٥
٣٠ »	١١٩	٦٥ »	٢٦
٣٥ »	١١٢	٧٠ »	١٧
٤٠ »	١٠٣	٧٢ ½ »	١٣

اي انه اذا كان الاشخاص المذكورون في سن ٧٢ ½ سنة فمن المتوقع علمياً أن يموت احدهم في اثناء السنة التالية

اجور النواب

﴿ ومنه ﴾ هل لكم ان تخبرونا عما يتقاضاه نواب الشعب في الدول الكبرى

﴿ الهلال ﴾ اليك قائمة باهم البلاد وما يتقاضاه فيها النواب

فرنسا : عضو مجلس الشيوخ او مجلس النواب نحو ٦٠٠ جنيه انكليزي في السنة

المانيا : عضوالبندسرات او الريشستاغ نحو ١٥٠ جنيهاً عن الفصل النيابي (ينزل له من ذلك جنيه عن كل يوم غياب) ويعطى تذكرة مجانية لركوب السكك الحديدية اثناء انعقاد المجلس

ايتاليا : لا أجرة لاعضاء المجلسين

اليابان : كل من اعضاء مجلس النواب واعضاء مجلس الاشراف غير الوراثيين يتقاضى نحو ٢٠٠ جنيه في السنة عدا نفقات الانتقال

روسيا : كان يتقاضى عضو مجلس الدوما نحو ٦ ريالات اي ١٢٠ قرشاً عن كل جلسة عدا نفقات الانتقال

اسبانيا : لا اجرة للنواب . ولكنهم يمنحون تذكرة للانتقال على السكك الحديدية لمسافة ٢٤٨٠ ميلاً

انكلترا : رئيس مجلس العامة فقط يتقاضى ٥٠٠٠ جنيه سنوياً اما الاعضاء فلا أجرة لهم

الولايات المتحدة : كل عضو في أحد المجلسين يتقاضى سنوياً ١٥٠٠ جنيه غير نفقات الانتقال . ورئيس المجلس يتقاضى ٢٤٠٠ جنيه

قلعة قب الياس

﴿ لورنس . ماس . اميركا ﴾ نمر افندي خليل سويا

في مقالات « المسعودي » المتتابعة في أهلة السنة ٢٥ عن « الدولة العثمانية في سوريا ولبنان » جاء ذكر قلعة قب الياس مراراً . ولما كانت أنقاض القلعة المذكورة لا تزال موجودة في بلدة قب الياس جئت أسأل حضرتكم التكرم بالافادة عن باني القلعة المذكورة فالبعض يقول أن بانيها الامير فخر الدين بن معن وغيرهم يقول غير ذلك فما هي الحقيقة ؟

﴿ الهلال ﴾ قلعة قب الياس قائمة على قمة جبل صغير تشرف منه على ما يحيط به من البقاع الجميلة . وهي قديمة جداً يرجع تاريخ بنائها الى عهد سابق لعهد الصليبيين . ويستجلى من تاريخ لبنان ان امراء جبيل « بيبلوس » الوطنيين هم الذين بنوها في القرن الخامس للميلاد لرد غزوات العرب عن البلاد . وقد خربت مراراً . وتملكها الامراء بنو الحرفوش أصحاب بعلبك حقبة طويلة في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وكانت تنسب اليهم لانها كانت داخلة في عهدتهم . ونازعهم ولايتها مراراً الامير فخر الدين المعني الشهير ودخلت في حيازته ورممها وأقام فيها حامية كبيرة وجرى له فيها مع أعدائه معارك دموية فنسبت اليه لبعد شهرته وعظم سلطانه . وهي اليوم كومة من الانقاض لا شأن يذكر لها

« المسعودي »

اسماء المحافل الماسونية

﴿ فلاجستاف . اريزونا . اميركا ﴾ خطار يوسف نكد

ما سبب تسمية المحافل الماسونية في هذه البلاد باسماء شرقية (كسوريا وفلسطين والاردن الخ . . .) وتقلدهم الملابس الشرقية كالشروال والطربوش والثياب المقصبة وعليها خطوط عربية

﴿ الهلال ﴾ ليس لتسمية الجمعيات الماسونية بالاسماء المذكورة سبب سوى الاعتقاد الشائع بان سليمان الحكيم هو مؤسس الماسونية . اما لبس الثياب السورية وما اشبه فاصطلاح خاص لا يسري على جميع الجمعيات الماسونية ولا علاقة له بمبادئ هذه الجمعية

الحبر الاعظم

﴿ دنبري . اميركا ﴾ شكري جرجس مسعود

معلوم ان الحبر الاعظم هو اكبر رجل ديني في الكنيسة الكاثوليكية فما هو سبب حلقه شعر رأسه ووجهه وحاجبيه ؟ هل كان ذلك شائعاً منذ الابتداء ام حدث بالتدريج ؟

﴿ الهلال ﴾ نشأت هذه العادة بالتدريج وليس في الكتب المقدسة ما يقضي بذلك . والمعروف بحسب التقاليد أن السيد المسيح كان ذا لحية تامة . فقد قال المؤرخ بوليوس لنتولس في وصفه « ان شعره بلون الخمر من عند اطرافه ذو لون ذهبي من نحو أصوله مستقيم بلا لمعان غير انه مجعد على مساواة الاذنين لماع مقسوم في النصف كعادة النصارى أهل الناصرة وله لحية تامة لونها بلون شعره متشعبة شعبتين » وفي التقاليد ايضاً ان بطرس الرسول اول الباباوات كان ذا لحية

شجرة الحياة

﴿ نوفا غرانجا . برازيل ﴾ طنوس ومخول سليم

نرجو الافادة عن شجرة الحياة المذكورة في الكتاب المقدس هل وجدت وأين وكيف يعلل وجودها ؟

﴿ الهلال ﴾ كانت شجرة الحياة شجرة من اشجار جنة عدن ومركز هذه الجنة غير معروف بالتمام ولكن الراي الغالب أنها في وادي الفرات والارجح ان الاسم « شجرة الحياة » رمزي لا حقيقي

مطبوعات جديدة

نظراً لكثرة المطبوعات الجديدة التي اجتمعت لدينا قد أجلنا الكلام عن بعضها الى الجزء الآتي

﴿ البستاني ﴾ هو مختارات من مجموعة اشعار غرامية للنابغة الهندي العصري رابندرانات طاغور الذي فاز بجائزة نوبل للشعر الخيالي معربة نظماً ونثراً بقلم وديع البستاني . وقد سبق ان أتحف حضرته قراء الهلال بامثلة من تلك الاشعار النفيسة الجميلة في الاصل وفي النقل . وانا في ذلك ما يغنينا عن الاطناب في بيان مكانة الشاعر الهندي في عالم الادب ومقدرة المعرب في تأدية معانيه بقالب عربي صحيح . ثمن النسخة ٨ قروش صاغ

﴿ ديوان رامي ﴾ هو مجموعة اشعار من نظم احمد رامي تتجلى فيها روح فتية ومنازع عصرية تشف عن روح ناظمها ومنازع نفسه . وهاك الكلمة التي صدر بها الديوان دليلا على سلاسته ورقته

الى محراب افكاري ومهبط وحي اشعاري
الى القلب الذي حرّك بالاشجان اوتاري
الى جنة احلامي الى نزهة ابصاري
الى الروح التي احيت تعلاتي وأوطاري
الى الفجر الذي رصع بالانداء نواري
الى الطير الذي آنس بالتغريد اسحاري
أقدم كاس اشعاري وأهدي طاق ازهاري

﴿ اوزان الشعر العربي ﴾ بحث جديد في اوزان الشعر بقلم الكاتن وليم تمبل جاردنر المستشرق الانكليزي . وقد نشر حضرته في الجزء الاول من هذه السنة شرحاً لطريقة النظم التي ابتدعها اعتماداً على علم الاصوات . وهي تسهل النظم تسهيلا عظيماً . وفي هذا الكتاب بيان وافر لتلك الطريقة مع الامثلة المعينة على ايضاحها

﴿ تاريخ الاتراك العثمانيين ﴾ نقله عن الانكليزية حسين لبيب المدرس بمدرسة القضاء الشرعي . وقد صدر الجزء الاول من هذا الكتاب الذي يتم في ثلاثة اجزاء : الجزءان الاولان منها عن التاريخ السياسي والاجتماعي والجزء الثالث عن اللغة التركية وتاريخها وآدابها ووصف الحكومة الخ . ويرى المطلع على هذا الكتاب أنه ليس قاصراً على تراجم السلاطين بل فيه وصف لحضارة العثمانيين واحوال عامتهم من جميع الوجوه .

وقد وعد المؤلف باعادة طبع الكتاب على ورق صقيل عند انتهاء الحرب وانفراج الازمة الحاضرة

« مدينة الفسطاط » هي المحاضرة الثانية من المحاضرات الأثرية ليوسف احمد المفتش بلجنة حفظ الآثار العربية بوزارة الاوقاف . وموضوع هذه المحاضرات درس أهم الآثار العربية الموجودة بمصر من الوجهتين التاريخية والفنية وارشاد الجمهور من زائري هذه الآثار وغيرهم الى نفائس الصناعة العربية . والمحاضرة التي بين أيدينا تبين تاريخ مدينة الفسطاط وما حصل بها من الحوادث الهامة وماكان فيها من الصناعات المدهشة والعمائر العربية من مساجد ومدارس وقصور ومعامل وخوانق وربط وزوايا وبيمارستانات وحمامات وفنادق وأسواق الى غير ذلك من آثار الحضارة والمدنية ، وقد بحث فيها المؤلف عن خطط الفسطاط وأقسامها ودورها بحثاً تاريخياً وافياً والجملة ان هذا الكتاب جليل المباحث يجمع بين الفائدة التاريخية والأثرية ولذة سرد التاريخ وحوادثه الغريبة

« الولاء في نقد ذكرى أبي العلاء » هو انتقاد أدبي على كتاب ذكرى أبي العلاء للدكتور طه حسين وضعه حسن حسين والتزم طبعه حسين مصطفى . وقد نهج فيه الناقد منهج النقاد الحديثين فدرس الكتاب والمؤلف درساً دقيقاً ثم اصدر حكمه عليهما

« كنوز الصحة » وضعه صموئيل ابادير مدرس علم الصحة بكلية اسيوط وقد راجعه الدكتور جرجس الضبع . ان هذا الكتاب مع صغر حجمه (نحو ٨٠ صفحة) جامع لفوائد كثيرة علمية وعملية عن الصحة والمرض وهو مزين بالرسوم التي تعين على فهم الموضوع . وقد قسم الكتاب الى ابواب في العظام وجهاز الهضم والدورة الدموية وجهاز التنفس والجهاز العصبي والحواس الخمس وغير ذلك واردفت بباب في الاسعافات الوقتية . فهو بذلك من خير ما يوضع بين أيدي الشبان والشابات

« الرسم والتلوين » بحث فني في آلات الرسم وطرائق العمل بها تأليف توفيق بولاد الرسام والملاحظ الفني في مصلحة المساحة وهو كتاب جديد في موضوعه لم يكتب مثله بعد والغرض منه وصف آلات الرسم الضرورية وإرشاد طلاب هذا الفن الى اتباع أفضل الطرق واقربها وانجعها

« المغني في اللغة الفرنسية » كتاب جامع لما يحتاج لاستعماله من المفردات والجمل الفرنسية الشائعة والمتداولة وما تعنى به في اللغة العربية مع تصوير النطق الفرنسي بحروف عربية تأليف احمد أبي الخضر منسى

« عواطف الابناء نحو خير الرؤساء واعطف الآباء » مجموعة تحتوي تاريخ المرحوم الطيب الذكر رفائيل هواويني اسقف بروكان ورئيس الرسالة الروحية السورية

الارثوذكسية في جميع انحاء اميركا الشمالية المتوفى في ٢٧ فبراير سنة ١٩١٥ جمعها الارشيديا كون عمانوئيل ابو حطب محرر مجلة الكلمة

« سبيل الوصول الى الاصول » او الفصول البينات في اصول الكائنات بقلم الخور اسقف خير الله اسطفان المعتمد البطريركي الماروني في اميركا . هو كتاب فلسفي مؤلف من ثلاثة عشر فصلا : تبحث في وجود الله وصفاته وفي اصل العلم وحدوثه واستحداث المعادن وظواهر المادة والنوامي والحياة وغير ذلك من المسائل العظمى التي تشغل عقل كل مفكر . ثمنه ريالان اميركيان

« الخلاصة الشهية في اخص العقائد والتعاليم الارثوذكسية » او كاتشيس مطول تأليف افلاطون مطران موسكو وقد عربه عن المتن اليوناني بتصرف الخوري يوحنا حزبون راعي الكنيسة الارثوذكسية في المنصورة

« ذكرى المولد النبوي » وفيه خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الاسلامية وكليات الدين وحكمه تأليف السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار

المنتخبات

هي جريدة تصدر في مدينة سان باولو بالبرازيل بادارة ميخائيل ناصيف فرح وكيل الهلال في البرازيل وتمتاز هذه الجريدة عن سواها بكونها توزع مجاناً وبأن فيها مختارات من أشهر الكتب والصحف من أقلام اكابر الكتاب فضلاً عن أسماء الكتب العربية التي تظهر حديثاً في عالم الادب مما يباع في مكتبة منشئها في سان باولو بالبرازيل وبيان مواضيعها ومحتوياتها . وفي اختيار المنتخبات وتنسيقها دليل على مقدرة منشئها وحسن ذوقه

ملحق

قائمة مكتبة الهلال

قد اصدرت مكتبة الهلال ملحقاً بالكتب الجديدة التي ظهرت في عالم المطبوعات وفيه بيان بزيادة أثمان بعض الكتب بسبب ازمة الورق الحاضرة وهو يرسل مجاناً لمن يطلبه

العمال والسياسة

المذاهب الاشتراكية والاجتماعية والفوضوية والتعاونية وغيرها

ما برح نفوذ العمال يتزايد منذ بضعة عقود حتى كادت احزابهم تكون صاحبة القول الفصل في سياسة الدول المتمدينة . وقد كثر ذكرهم في هذه الحرب اذ سعوا غير مرة للتأثير في مجرى الحوادث بعقد المؤتمرات والمداولة بشأن الصلح ولا سيما مؤتمر ستوكهلم الذي حالت الحوائل دون عقده . وهاك حوادث روسيا الجارية اكبر برهان على سطوة العمال في هذا العصر مما ينذر بقدوم عهد جديد على البشرية

في كل شعب من الشعوب المتمدينة اليوم احزاب تذود عن مصالح العمال . ولكن بين مبادئها وخططها ومناهجها فروقاً كثيرة . وانما تتفق جميعها في مطلب واحد وهو الاستعاضة عن ملكية الافراد لوسائل الثروة بملكية الجماعة لها . وفيما خلا ذلك فهناك تضارب بيّن في الطرق المؤدية الى هذا الغرض

الاشتراكية

غرض الاحزاب الاشتراكية حيازة السلطة السياسية ليتيسر لها بواسطتها اعادة بناء الاجتماع على اسس عادلة صالحة ، فتلغى الأثرة التي نالها بعض الافراد ويتساوى الجميع بقدر المستطاع في الحقوق والواجبات . هذا هو الغرض الرئيسي الذي ترمي اليه الاشتراكية كمذهب او نظرية . واحزاب العمال في اوربا جميعاً اشتراكية اسماً وغرضاً الا في انكلترا فان حزب العمال فيها لم يكن عند تأسيسه حزباً اشتراكياً وانما كان الغرض منه في اول امره اتحاد العمال لتحسين حالهم وزيادة اجورهم ليس الا . على انه ما برحت الروح الاشتراكية تزداد وضوحاً فيه حتى اصبح اليوم يقابل الاحزاب الاشتراكية المؤلفة على القارة الاوربية — وان يكن اسمه « حزب العمال » فقط Labour Party — وله بها صلات وروابط ناشئة عن وحدة الغرض . وقد ذكر هذا الحزب في بروغرامه ان غايته القصوى « منح العمال ثمار اتعابهم الكاملة بقلب النظام الحالي المبني على استئثار اصحاب المال وتشييد نظام جديد مبني على امتلاك الجماعة للوسائل التي من شأنها ايجاد الثروة وتوزيعها وتبادلها »

وعلى الاجمال يجوز اعتبار هذا القول بمنزلة بيان عام يعبر عن المرمى الرئيسي لاحزاب

العمال التي يعد اعضاؤها في الدول الاوروبية بالملايين وممثلوها في المجالس النيابية بالمئات ، فضلاً عن صحفها ومؤتمراتها ومنشوراتها التي تزداد عدداً وشأناً في كل سنة ، مما يجعل الحركة الاشتراكية أعظم قوة سياسية منظمة في هذا العصر

والاشتراكية كما ذكرنا هي في آن واحد مبدأ اجتماعي ومنهج سياسي . وانه لمن العسير ان نبين بالتفصيل ما بين الاحزاب الاشتراكية المختلفة من الفروق الثانوية في المسائل الاقتصادية والخطط السياسية وانما نقتصر على ايراد الشرح المجمل التالي وفيه خلاصة الآراء التي اتفق عليها الاشتراكيون في العالم :

يقول الاشتراكيون ان العمال يحرمون بمقتضى النظام الاقتصادي الحالي معظم الربح الذي يستحقونه من نتيجة عملهم ، فان حق ملكية الافراد على الارض وعلى رأس المال يخول أصحابهما اكثر المكاسب ولا ينال العمال منها الا الضروري الذي لا غنى عنه للقيام بعملهم واعالة اسرهم

فان الارض بطبيعتها من الضروريات العمومية . وينجم عن احتكار الارض شبه استرقاق اقتصادي ، اذ يستبد صاحبها بالزارعين فيملي عليهم الشروط التي يريدها . وفضلا عن ذلك فان مالك الارض يغنم الزيادة المستديمة في ثمن ارضه . وهذه الزيادة تأتيه عفواً من غير ان يبذل ادنى جهد في سبيلها ، وهو ما يعبر عنه الانكليز بقولهم Unearned increment

أما صاحب رأس المال فهو في نظر الاشتراكيين بمقام مالك الارض . فان الصانع في هذه الايام لا يستطيع امتلاك الادوات اللازمة للصناعة ، فان الصناعة الحديثة تستوجب انشاء المعامل العظيمة التي تستخدم احدث الوسائل العلمية . فالصانع مجبور بحكم الاضطرار الا يكون منفرداً . وبعبارة أخرى فليس الانتاج اليوم عملا فردياً لفائدة الافراد بل هو عمل اجتماعي لفائدة الاجتماع . هذا هو السبب الذي جعل نظام الملكية القديم مجحفاً بحقوق العمال ، وان كان عادلا أو نافعاً في وقته

ان الصناعة في هذا العصر تستدعي بطبيعتها التعاون المستمر بأوسع معانيه بين العمال . فكما ان التعاون أصبح ضرورياً للانتاج فمن العدل ان يشمل ايضاً امتلاك الوسائل والادوات اللازمة لذلك الانتاج . ففي داخل المصنع نجد الارتباط محكماً بين العمال في جميع ادوار العمل وبين ادوار توزيع المصنوع والمتاجرة به . ولكن هذا الارتباط يفقد عند تقسيم المكاسب بين صاحب العمل والعمال . ذلك هو السبب الذي ينسب اليه الاشتراكيون فقر العمال وشقاءهم

ويقول الاشتراكيون فضلاً عن ذلك انه ما زالت الارض والاموال في أيدي فئة المستأثرين فلا امل في تحسين حال العمال . وانما تعود زيادة الارباح الناشئة عن

الاختراعات المستجدة وعن حسن التنظيم وتقدم العلوم الى الملاك واصحاب المال وحدهم

والخلاصة ان الاشتراكيين يتطلعون الى نظام صناعي تكون الارض فيه ورؤوس المال اللازمة للصناعة والتجارة ملكاً للجماعة فتدار شؤونها بصورة ديموقراطية إما تحت سيطرة الحكومة مباشرة اذا كانت المصلحة ذات صبغة وطنية عامة او بادارة مجلس محلي اذا كانت صبغتها محلية محصورة

ثم ان اصحاب المذهب الاشتراكي يستشهدون بالتاريخ فيبينون ماكان من أمر الملاك واصحاب المال في اول العهد الصناعي الحديث ، ايام لم تتعرض الحكومات لتنظيم الصناعة وسن القوانين الحافظة لحقوق العمال ، وما كان من شقاء الطبقات السفلى في الشعوب المتمدنة . ولكن الشرائع ما برحت تخفف من وطأة المستأثرين . فصدرت قوانين كثيرة من شأنها ملافاة هذه الحالة السيئة . وقد رمت تلك القوانين المستحدثة الى اربعة اغراض رئيسية ، وذلك بتأثير الحركة الاشتراكية ، وهي :

(١) التضييق المتواصل على مالكي الارض وارباب الثروة . فمن ذلك منع توظف الاحداث الى سن معلومة ، واجبار اصحاب المصانع على توفير الشروط الصحية لعمالهم ونحو ذلك

(٢) الاستعاضة عن المشروعات الفردية المستقلة بالمشروعات الوطنية العامة أي جعل المشروعات المفيدة تحت سلطة الحكومة وادارتها بدلا من تركها لاثرة الافراد يتصرفون بها حسب منفعتهم الخاصة لا حسب المنفعة العامة . فمن ذلك ادارة الحكومة للمصالح ذات الشأن كالبريد والتلغراف والتلفون والسكك الحديدية والتراموای وتوليها توزيع الماء والكهرباء والغاز ونحو ذلك من الضروريات

(٣) الاستيلاء على ارباح الملاك واصحاب المال بفرض الضرائب واستخدام ذلك للمصلحة العامة

(٤) الاستعاضة عن الاعانات والمساعدات الفردية للمعوزين والمسنين بالاعانات والمساعدات الوطنية ، أي بدلا من ان يترك ذلك للمحسنين تتولاه الحكومة وتنظمه وتستدر له المال من رعاياها . ويدخل في هذا الباب القوانين القاضية بتعيين معاش للمسنين والعناية باصحاب العاهات والامراض ونحو ذلك

ومما يجدر ذكره ان الاحزاب الاشتراكية بعد ان كانت ترمي الى قلب النظام الحاضر بالطرق الثورية والوسائل العنيفة تحولت تدريجياً الى المطالبة بحقوقها عن طريق السياسة والوسائل المشروعة . ثم ان اغراضها كانت في اول امرها نظرية خيالية فاصبحت اليوم عملية معقولة . ومن الادلة على تطور الاشتراكية من هذا القبيل ان زعماءها

كانوا يحجمون عن قبول المناصب في الوزارات والحكومات بل كانت الاحزاب الاشتراكية تنكر اعضاءها الذين يقبلون تلك المناصب وتعدهم خونة للقضية الاشتراكية . اما اليوم فقد اصبح للاشتراكيين قسط وافر من السلطة السياسية في الدول الاوربية ، بل ترى الوزراء وكبار الرجال والمصلحين الآن من زعماء الاشتراكية

ومن مطالب الاشتراكيين حرية الانتخابات والمساواة في حقوق المنتخبين جميعاً ومنح النساء تلك الحقوق اسوة بالرجال . وعلى الاجمال فالاشتراكيون يطالبون بكل الاصلاحات التي من شأنها تحسين حال العمال وازدياد نفوذهم — يطالبون بها ويقبلونها موقتاً باعتبار انها تمهد لهم الغرض الاقصى الذي يرمون اليه وتهيئهم لتحقيق امنيتهم الكبرى . فمن ذلك مطالبتهم بالقوانين الصحية وتقصير وقت العمل ومساعدة المرضى واصحاب العاهات والتعليم العام وسيطرة الحكومة على السكك الحديدية وعلى وسائل النقل والمناجم والارض وسائر المصالح ذات المنفعة العمومية الخ . . .

على ان هناك فروقاً ثانوية كثيرة بين الاحزاب الاشتراكية كما ذكرنا سابقاً . ولكن ذلك لا يمنع تآزرها وتعاونها في الاغراض الرئيسية التي ترمي اليها جميعاً . وقد نشأ عن الحركة الاشتراكية ثلاث حركات هي بمثابة فروع لها وهي : الحركة الاجتماعية Communisme والحركة الفوضوية Anarchisme وحركة نقابات العمال Syndicalisme

الاجتماعية

الفرق بين الاشتراكية والاجتماعية طفيف يدور حول امور ثانوية لا حول المبادىء الاساسية . وقد كان الكتاب في أول الامر يعتبرون الكلمتين مترادفتين . ثم أصبح للاجتماعية معنى خاص وهو انها لا تطلب تشارك الجماعة في احداث الثروة وتوزيعها فقط بل تطلب تشاركهم أيضاً في امتلاك كل شيء — حتى الحوائج الشخصية — وتوزيع تلك الاشياء على كل فرد حسب رغبته وحاجته . كما هو الحال اليوم في بعض المنافع العمومية كالطرق والحدائق فالجميع يتمتعون بها على السواء . ويجدر بنا ان نذكر ان أصحاب هذا الرأي قد ابرزوا مذهبهم غير مرة الى حيز العمل فذهب جماعات منهم الى امكنة بعيدة وانشأوا فيها مستعمرات منظمة على مبدأ الاجتماعية المتقدم أي انهم جعلوا كل شيء بلا استثناء مشتركا بينهم. ولكن معظم هذه التجارب فشلت

الفوضوية

قلما يميز الجمهور بين الاشتراكية والفوضوية . والحقيقة انهما يتفقان في امر واحد وهو مقاومة كل ما من شأنه مس حرية الفرد بأوسع معانيها . وفيما سوى ذلك فالبون

شاسع بينهما بل هما على طرفي نقيض . فبينما يطلب الاشتراكيون تخويل السلطة التامة للحكومة حتى تنظم وسائل احداث الثروة ووسائل توزيعها نجد الفوضويين يحاولون بالغاء كل سلطة عليا وانما يعتمدون على تعاون الافراد من تلقاء انفسهم

النقابات

ان حركة نقابات العمال احدث الحركات المتقدمة . وهي ضرب من ضروب الاشتراكية بل انها قامت لتحل محلها لان الاشتراكية في نظرها قد فقدت قوتها الثورية واصبحت حزباً اصلاحياً ليس الا وذلك بسبب دخول الاشتراكيين في سلك التوظف . ويدعي زعماء النقابات انهم لم يأتوا بجديد وانما هم يتمسكون بالمبادىء الاشتراكية الاصلية التي ترمي الى قلب النظام الحالي بشهر حرب عوان بين طبقات العمال والطبقات المستأثرة ، في حين ان الاشتراكيين قد تحولوا عن هذا الغرض واضاعوا صولتهم بالتساهل في مطالبهم

قلنا ان هذه الحركة تعتمد على الطرق العنيفة لنيل اغراضها فهي تسعى اولا في تأليف نقابات لاهل الصناعة الواحدة ثم تأليف نقابات لاهل الصناعات المتشابهة ثم نقابة لجميع الصناعات معاً . والسلاح الاكبر الذي تعتمد عليه هو الاعتصاب . على ان هذا المذهب قد خفت وطأته اخيراً وكانت قد بلغت مبلغاً عظيماً ولا سيما في فرنسا

التعاون

ليس لحركة التعاون في انكلترا صبغة سياسية . اما في سائر اوربا فانها في الحقيقة فرع من الاشتراكية ولكنها اشتراكية مخففة كل التخفيف . وقد ورد في بيان عن غرضها أن ذلك الغرض هو التوفيق بين مصالح صاحب المال والعامل والشاري ، والاستغناء عن الوسطاء الذين ينالون قسماً كبيراً من ارباح اولئك . والتعاون انواع مختلفة منها التعاون في طرق احداث الثروة كأن يتعاون مزارعو جهة فيشترون ويبيعون معاً أو ينشئون الاعمال المفيدة لهم جميعاً . ومنها التعاون في الشراء كأن يتفق نفر من العمال على شراء حاجاتهم معاً فينالون بذلك اسقاطاً في الاثمان

* * *

وجملة القول انه بالرغم من هذه الفروق الثانوية بين المذاهب المتقدمة فالغرض واحد وهو الغرض الاشتراكي المتقدم بيانه . وقد اصبح للاشتراكيين ممثلون كثيرون في مجالس الدول الاوربية . واليك عددهم حسب آخر احصاء نشر قبل الحرب : المانيا ١١٠ — النمسا ٨٢ — فرنسا ٧٦ — اسوج ٦٤ — انكلترا ٤٢ — ايتاليا ٤٢ — استراليا ٤١ — البلجيك ٣٥ — الدانمارك ٢٤

المرسيلياز

تاريخ النشيد الوطني الفرنسي وترجمته الى العربية

منذ اكثر من ثمانين سنة - سنة ١٨٣٦ - توفي في بلدة شوازي لي روا Choisy - le - Roi بفرنسا ضابط كان يتقاضى معاشاً ضئيلا من الملك لويس فيليب ، مات ولم يدر به الا القليلون . ولكن أثره الخالد كان منقوشاً في صدر كل واحد



روجه دي ليل واضع المرسيلياز

من أبناء وطنه : ذلك الضابط هو روجه دي ليل Rouget de Lisle واضع النشيد الوطني الفرنسي الذي لامثيل له في اثارة النفس والحماسة ، نشيد « المرسيلياز » ذي النغمات النارية

قليل من الشمبانيا في ليلة من ليالي سنة ١٧٩٢ جعلت روجه بطلاً وطنياً . ولكن تلك الليلة الوحيدة التي تفجرت فيها عبقريته كانت كافية لتخليد ذكره مدى الدهور

على أن جريدة الديبا Journal des Debats وحدها ذكرت اذ ذاك خبر وفاته . . . في آخر الصفحة الثالثة وبهذه الكلمات فقط :

توفي في الليلة بين ٢٦ و ٢٧ الجاري في شوازي لي روا المسيو روجه دي ليل واضع « المرسيلياز » وقد شيعت جنازته اليوم الثلاثاء في شوازي لي روا . ولد المسيو روجه دي ليل في

سنة ١٧٦٠ ومات فقيراً بين نفر من اصدقائه المخلصين ولا دخل له الا معاش سنوي قدره ١٥٠٠ فرنك (ثم جعل ٣٠٠٠) منحه اياه الملك اثر ثورة يوليو (سنة ١٨٣٠)

هكذا أرادت « الشهرة » : الرجل الذي أحيي بنشيده حب الحرية والاستقلال ، الرجل الذي خشي صولة أبياته الحماسية ملوك أوربا وسلاطينها ، لم تشأ الشهرة أن تمنحه الا تلك الاسطر القليلة . . . .

وكأن « الشهرة » عادت فعوضت عما فاتها ومنحت ذي الحق حقه فانبعث ذكر روجه دي ليل بعد النسيان وأقيمت له التماثيل ولهج بذكره الصغير والكبير

ولد جوزف روجه (وهو اسمه الاصلي) في ١٠ مايو سنة ١٧٦٠ في بلدة لونس لي سونيه Lons-le-Saunier من أسرة متوسطة الحال . وقد كان والده محامياً في البرلمان . وكان صاحب آراء حرة ... ولكن مع الاعتدال . فبعد ان أتم جوزف دروسه الاولية وتعلم الموسيقى ولا سيما الكمنجة شرع يبحث عن حرفة يحترفها فرأى أن العسكرية خير ما يوافق مزاجه وأمياله . ولكن أنى له ان يدخل المدارس الحربية وهو من العامة وهي لا تقبل الا الاشراف ؟ اذ ذاك تذكر جوزف ان واحداً من أفراد أسرته البعيدين كان يسمى « دي ليل » فما كان منه الا ان أضاف هذا الاسم الشريف الى اسمه فاصبح « روجه دي ليل » وهكذا تمكن من دخول المدرسة الحربية ، وزاد شرفاء فرنسا واحداً !

دخل جوزف المدرسة العسكرية في السادسة عشرة من عمره فقضى فيها ست سنوات . ولم يطرأ في حياته أثناء ذلك حادث يستحق الذكر . فكان يقضي ساعات فراغه بين العزف على الكمنجة ونظم الشعر — اذا جاز أن نسمي شعراً القصائد الركيكة التي كان ينظمها من حين الى حين بمناسبة وبغير مناسبة ... ولبعض تلك القصائد عنوانات طويلة غريبة واليك عنواناً من ذلك : « الى مدام دي ل .. التي كانت تجمع التبرعات لدفع الاجرة الشهرية لمرضعة طفل ماتت أمه وأبوه كفيف البصر » . وقد كان يوقع بعض تلك المنظومات على الموسيقى

هذا هو روجه دي ليل كما كان سنة ١٧٨٨ أي قبيل الثورة الفرنسية : شاعر صغير ولكن ذو مطامع كبيرة . وقد الف اذ ذاك روايات تمثيلية لم يقبل عليها أحد

وفي سنة ١٧٩١ كان روجه في مدينة ستراسبورغ برتبة « كابتن » : هناك في ليلة من ليالي الربيع ولد نشيد المارسلياز من قاع كؤوس الشمبانيا . واليك تفصيل ذلك :

تعرف روجه في ستراسبورغ بمحافظ المدينة البارون فريدريك ديتريش وقد كان عالماً ذا مقام رفيع بين بني وطنه . وكان يجتمع في منزله نفر من الادباء والقواد

والضباط وكلهم من الناشئة الحديثة الميالة الى الحرية ولكن مع المحافظة على الحكم الملكي والتقاليد الملكية . ولذا كان حبورهم عظيماً ار اليمين التي اقسمها الملك لويس السادس عشر عندئذ بالامانة للدستور الجديد . وقرر محافظ المدينة أن يقام احتفال فخم لهذه الذكرى

كان ذلك بعد اعلان الحرب وسريان الحماسة الوطنية في الصدور واندفاع الفرنسيين لمقاتلة الاجانب ذوداً عن ارض فرنسا المجيدة . وكان المحافظ قد امر بتعليق المنشور التالي على جدران المدينة في يوم ٢٥ أفريل سنة ١٧٩٢ ، وهو بلا ريب حجر الزاوية الذي بني عليه نشيد « المرسيلياز » :


Allons, Enfans de la patrie
le jour de gloire est arrivé
Contre nous de la tyrannie
l'étendard sanglant est levé
Entendez-vous dans les campagnes
mugir ces féroces soldats
Ils viennent jusque dans vos bras
Egorger vos fils, vos compagnes !

القطعة الاولى من المرسيلياز بخط يد ناظمها

الى السلاح يا اهل الوطن ! لقد نشرت راية الحرب وصدرت الاشارة . الى السلاح ! الى القتال والنصر أو الموت !* الى السلاح يا اهل الوطن ! اذا ثبتنا في طلب الحرية فان جميع دول اوربا ترى خيبة مكايدها . فليرتجف اولئك الظلام المتوجون . لنمش ولنكن احراراً حتى النفس الاخير ولتكن امنيتنا دائماً عز الوطن وسعادة الجنس البشري

وفي مساء ذلك اليوم نفسه اجتمع اصدقاء المحافظ في منزله كالعادة . وكانت الحماسة مستولية على الجميع . ودار الحديث على الاناشيد الوطنية فقال البارون ديتريش انه ليس لفرنسا نشيد وطني يليق بها . ثم وجه كلامه الى روجه واقترح عليه بصفته شاعراً وموسيقياً معاً أن يضع ذلك النشيد الذي تنتظره فرنسا جمعاء

فاعتذر روجه متواضعاً . ولكن الحاضرين كرروا الطلب وكانت كؤوس الشمبانيا تدار على الحاضرين في هذه الاثناء فاثارت الحمية في الرؤوس ولا سيما رأس روجه فوعد

اخيراً ببذل جهده في هذا السبيل

ثم انصرف المدعوون وعاد روجه الى غرفته وقد بلغ منه التحمس مبلغاً عظيماً . فتناول الكمنجة وأخذ يوقع عليها الانغام التي أوحتها اليه عواطفه الثائرة. وكانت العبارات الواردة في منشور الصباح تتردد في ذهنه : « الى السلاح يا اهل الوطن ! . . . لقد رفعت راية الحرب . . الى السلاح . . . . »

في هذه الحالة وبهذا الانفعال نظم روجه خمسة ادوار بنفس واحد . . . ثم خانته قواه فاستلقى على سريره ونام . . .

ولم يكد يطلع الفجر حتى هرول الى منزل المحافظ فاقامه من نومه وأنشد له في الحال الابيات التي نظمها . وفي مساء ذلك اليوم اجتمع الاصدقاء في منزل المحافظ كالعادة وأنشدت مدام ديتريش على توقيع البيانو تلك الابيات المجيدة فكان لها اشد وقع في النفوس

قلنا أن روجه نظم خمس قطع فقط . والمرسيلياز كما لا يخفى مؤلفة من سبع قطع . فالقطعة السادسة يرجح أنها من نظم الاب بسونو. أما القطعة السابعة وتسمى قطعة الاولاد فقد اختلفوا في ناظمها

وبالاجمال يقال ان انغام « المرسيلياز » أفضل من ابياتها . وقد طرأ عليها تغييرات طفيفة مع مرور الايام . وفي سنة ١٨٧٩ صدر قرار رسمي بجعلها النشيد الوطني الفرنسي ولكنها لم تثبت بشكلها الموسيقي النهائي الا سنة ١٨٨٩ (سنة معرض باريس) اذ كلفت الحكومة الفرنسية الموسيقي أمبرواز توما أن يلحنها حتى لا يكون في فرنسا كلها الا مرسيلياز واحدة

وقد كانت تسمى في البدء « نشيد الحرب لجيش الرين » ثم سميت « بالمرسيلياز » نسبة الى مرسيليا لان المتطوعين القادمين من جنوبي فرنسا اكثروا من التغني بها

ولا بد لنا من التنبيه هنا الى ان روجه ظل طول حياته ميالاً الى الملكية ولم يكن يقصد من نشيده الا اثارة الحماسة الوطنية . فهو نشيد وطني وليس نشيداً ثورياً . بل ان روجه كان ناقماً على رؤساء الثورة الفرنسية المتطرفين حتى انه كسر سيفه ليحفظ قسم الامانة الذي أقسمه بصفته ضابطاً للملك لويس السادس عشر

وقد كانت « المرسيلياز » سبب شقاء ناظمها لانها اولت الى غير ما اراد بها . وقد سجن في اثناء الثورة ثم افرج عنه وتقلب في مهن ومناصب شتى منها انه عين سفيراً في عهد نابوليون. ومنها انه كان يترجم مقالات للمجلة البريطانية وغيرها . وقد نظم اناشيد مختلفة وله آثار ادبية متنوعة ولكنها لا تستحق الذكر

وفي سنة ١٨٢٦ سجن لتراكم الديون عليه وعجزه عن وفائها فخرج من السجن منهوك القوى . ولما علم الملك لويس فيليب تألم به منحه معاشاً قدره ١٥٠٠ فرنك ثم جعل ٣٠٠٠ فرنك وأعطاه لقب شفاليه في اللجيون دونور (جوقة الشرف) . واخيراً توفاه الله في منتصف ليل ٢٦ يونيوسنة ١٨٣٦ في بلدة شوازي لي روا كما ذكرنا

وقد مشى الجمهور في جنازته. ولم يكد ينزل التابوت في الحفرة حتى قام جماعة من الفعلة فرفعوا قبعاتهم عن رؤوسهم وأنشدوا بصوت واحد نشيد المرسيليز ، ذلك النشيد الذي جلب لصاحبه الشهرة و المجد كما جلب عليه التعاسة والشقاء !

وقبل ذكر الترجمات العربية رأينا أن تثبت هنا الاصل الفرنسي :

LA MARSEILLAISE

Allons, enfants de la patrie,
Le jour de gloire est arrivé !
Contre nous de la tyrannie
L'étendard sanglant est levé. (bis)
Entendez-vous, dans les campagnes,
Mugir ces féroces soldats ?
Ils viennent jusque dans nos bras
Egorger nos fils, nos compagnes !

. . .

Aux armes, citoyens ! formez vos bataillons !
Marchons ! Marchons !
Qu'un sang impur abreuve nos sillons !

Que veut cette horde d'esclaves,
De traîtres, de rois conjurés ?
Pour qui ces ignobles entraves,
Ces fers dès longtemps préparés ? (bis)
Français ! pour nous, ah ! quel outrage !
Quels transports il doit exciter !
C'est nous qu'on ose méditer
De rendre à l'antique esclavage !

Quoi ! ces cohortes étrangères
Feraient la loi dans nos foyers !
Quoi ! ces phalanges mercenaires
Terrasseraient nos fiers guerriers ! (bis)
Grand Dieu ! par des mains enchaînées
Nos fronts sous le joug se ploieraient !
De vils despotes deviendraient
Les maîtres de nos destinées !

Tremblez, tyrans ! et vous perfides,
L'opprobre de tous les partis,
Tremblez ! vos projets parricides
Vont enfin recevoir leur prix ! (bis)
Tout est soldat pour vous combattre,
S'ils tombent, nos jeunes héros,
La France en produit de nouveaux,
Contre vous tout prêts à se battre !

Français, en guerriers magnanimes,
Portez ou retenez vos coups !
Epargnez ces tristes victimes,
A regret s'armant contre nous. (bis)
Mais ces despotes sanguinaires,
Mais ces complices de Bouillé,
Tous ces tigres qui sans pitié,
Déchirent le sein de leur mère !

Amour sacré de la patrie,
Conduis, soutiens nos bras vengeurs !
Liberté, liberté chérie,
Combats avec tes défenseurs ! (bis)
Sous nos drapeaux, que la victoire
Accoure à tes mâles accents !
Que tes ennemis expirants
Voient ton triomphe et notre gloire !

Nous entrerons dans la carrière
Quand nos aînés n'y seront plus ;
Nous y trouverons leur poussière
Et la trace de leurs vertus. (bis)
Bien moins jaloux de leur survivre
Que de partager leur cercueil,
Nous aurons le sublime orgueil
De les venger ou de les suivre !

الترجمات العربية

يتحتم في ترجمة نشيد كالمرسيليز مراعاة ثلاثة أمور : اولاً ، نقل المعاني التي ارادها الواضع بلا زيادة ولا نقصان . ثانياً ، صوغ العبارات في قالب يثير الحمية في القلوب ثالثاً ، المحافظة التامة على الوزن والنغم

واول من ترجم المرسيليز الى اللغة العربية رفاعه بك الطهطاوي وقد تصرف في

الترجمة تصرفاً عظيماً فضلاً عن انه لم يراع الوزن والنغم فليس يستطاع انشاد منظومته باللغة العربية . والى القارىء القطعة الاولى منها :

فهيا يا بني الاوطان هيا ... فوقت فخاركم لكم تهيا
اقيموا الراية العظمى سويا ... وشنوا غارات الهيجا مليا
عليكم بالسلاح أيا اهالي ... ونظم صفوفكم مثل اللآلي
وخوضوا في دماء أولي الوبال ... فهم اعداؤكم في كل حال
وجودهم غدا فيكم جلياً ... بنا خوضوا دماء أولي الوبال
أما تصغون اصوات العساكر ... كوحش قاطع البيداء كاسر
وخبث طوية الفرق الفواجر ... ذبيح بنيكم بظبا البواتر
ولا يبقون فيكم قط حيا

وقد ظهرت حديثاً ترجمة حسنة باسم خليل افندي حصلب التزم ناظمها الاصل الفرنسي بقدر المستطاع وان يكن قد تصرف في بعض المعاني ولكن يتعذر انشادها على الموسيقى وهذه القطعة الاولى منها :

هلمّ يا بني الوطن ... لقد أتى يوم الفخار
بنود ظلم وفتن ... المستبدين شعار
قد رفعوها ضدنا ... وقصدهم سفك الدماء
ليقتلوا اولادنا ... ويزهقوا روح النساء
ألا سمعتم في الحقول ... زئير هاتيك الاسود
جنود عدوان تصول ... عصبة بغي لا تسود
فطهروا من النجس ... ارض فرنسا الطاهرة
طاهرة من الدنس ... ذات المزايا الفاخرة
هيا اجمعوا صفوفكم ... هيا بنا الى السلاح

وبين أيدينا الآن ترجمة ثالثة لم تنشر بعد نظم وتوقيع ارنست نعمة الله بك وقد عني بها عناية كبرى ليتمكن من نقل المعنى المقصود في عبارات عربية حماسية مع المحافظة على الوزن والنغم تماماً . وفي مراعاة كل ذلك صعوبات جمة تستدعي براعة فنية ودقة عظيمة

وقد طلبنا الى حضرته ان يذكر لنا أسلوب ترجمته فكتب الكلمات التالية تعليقاً على النشيد قال :

« أن النشيد العربي تعريبي موزون على تفاعيل خاصة تطابق النغم مطابقة تامة وتكرور في كل من الادوار السبعة

« واني لم اكتف بالتقيد بالوزن والنغم مع المحافظة على الاصل مبنىً ومعنىً بل تعديتهما الى ما لا يقل عنهما صعوبة وهو مقابلة القافيتين الفرنسيتين rime féminine و rime masculine بما يوافقهما في اللغة العربية من قافية متحركة وقافية ساكنة ، مما يجعل هـذا النشيد صالحاً للالقاء والانشاد كالنشيد الفرنسي على السواء . فباهمال حركة الحرف الاخير من القافية المتحركة يسوغ الالقاء وباثبات هذه الحركة يمكن الانشاد ، مع العلم بان كل شطر في النص العربي يقابل بيتاً كاملاً في النص الفرنسي »

نشيد المارسيلياز

تعريب وتوقيع ارنست نعمة الله بك

— ١ —

هلم يا أهل الاوطانِ لقد أتى يوم العلى
نشرت رايات الهوانِ ضدنا تروى بالدما (يعادالشطرالثاني)
ألا اسمعوا ملء الفضاء جأرَ العصبة الطاغيه
جاءت حمانا باغيه ذبح الاولاد والنساء

***

أيا بني الوطن ألا ادفعوا الرَّدى
هيَّا هيَّا
واشفوا الدمن من مهجة العدى
ألا اشهروا السيوفْ ألا انظموا الصفوفْ
هيَّا هيَّا
وارووا الصدى من مهجة العدى

— ٢ —

فما نوى القوم الانذالُ مع الملوك الخائنه
ولمن صيغت ذي النصالُ والسلاسل الشائنه (يعاد)
لنا ! ... فيا ذل البلادِ هبّوا للعدى كلكم
هل يرتضي مَن مثلكم رقاً يزري بعهد عادِ

— ٣ —

ألجماعات الاعداء   تحكّم في مهدنا
هل لاوغاد أجراء   أن يصولوا مع أسدنا   (يعاد)
ربّاه !.. أأيد عانياتُ   تحني للثرى هامنا
هل تملكنْ زمامنا   أيدٍ للظلم جانياتُ

— ٤ —

حذار يا فوج الظُلامِ   وويلكم عارَ الملا
من غدرتم غدر اللئامِ   كيدكم سيلقى الجزا   (يعاد)
فكاننا ليث النزالِ   ان في النقع شبل كبا
وافى سواه واثبا   يصليكم أيّما قتالِ

— ٥ —

أمعشر الجند الابطالِ   ألا اطعنوا قلب العدى
بل أحيدوا قوس الوبالِ   عن نعاج كانوا الفدى   (يعاد)
لكنّ سفاكي الدماء   بل ذي الطغمة الباغيه
ويحَ الذئاب الضاريه   تلقي الاوطان في الشقاء

— ٦ —

فداك يا حبّ الاوطانِ   فقدُ وثبّتْ عزمنا
يا حريه شمس الامانِ   في حماك نيل المنى   (يعاد)
الى العلى خوضوا الغمارا   هيا نحو صوت الفدى
اذ ما العدى تسقي الردى   تولينا النصر والفخارا

— ٧ —

نخوض طوعاً في الميدانِ   اذا قضى أبكارنا
في ثراهم نحيا الاماني   للوفا تذكو نارُنا   (يعاد)
فحبذا كأس الحمامِ   اذ لا عيش من بعدهم
فلننتقمْ لمجدهم   أو نلقى الموت كالكرامِ

قصص تجسس غريبة

حدثت في هذه الحرب

ما اكثر حيل الجواسيس ! وما أبرعهم في ابتكار الطرق الغريبة لاستقاء المعلومات وتبليغها بالرغم من العيون المبثوثة حولهم والاحتياطات الجمة التي تتخذها الحكومات ولا سيما في زمن الحرب ! فلقد خلفت الحروب الماضية حكايات تجسس شهيرة كان لبعضها نصيب عظيم في ترجيح كفة النصر لاحد الفريقين . وقد نشرنا فصلا وافياً عن الاساليب والرموز المشهورة التي يستخدمها الجواسيس في الهلال الرابع من السنة الرابعة والعشرين . ولكن هذه الحرب فاقت الحروب السابقة في هذا المضمار كما فاقتها في غيره . فقد أتقن الالمان على الخصوص فن التجسس وبرعوا فيه . وقد رأينا ان نأتي هنا على بعض الشواهد التي حدثت في هذه الحرب ومنها يرى القارىء مقدار ما بلغه هذا الفن من التقدم العجيب

***

ولكي يدرك القارىء شأن الجاسوسية نذكر هنا وصف الاحتياطات الدقيقة التي تتخذها المانيا في اثناء الحرب حول كل زائر يقصدها من البلدان المحايدة ، كما وصفها الذين خبروها بأنفسهم . قال أحدهم :

« ليس من السهل أن يدرك القارىء معنى « التفتيش » عند الالمان . فقد أدخلتُ غرفة صغيرة في محطة هربستال وحولي نفر من الضباط والجنود برأسهم كابتن ليتأكدوا خلوص نيتي . فشرع الكابتن يفحصني بنفسه ففتش جيوبي وفحص أوراقي وجس بطانة ثيابي ثم أمرني ان أخلع ما عليَّ . ففعلت واذا به قد تناول اسفنجة منقوعة في محلول كيماوي وبدأ يمسح بها جلدي من فوق الى تحت . ثم رجع الى الوراء وانتظر قليلاً توقعاً لظهور بعض الكتابات السرية التي لاتظهر الا بمعالجتها كيماوياً فلما لم يرَ شيئاً أذن لي بلبس ثيابي »

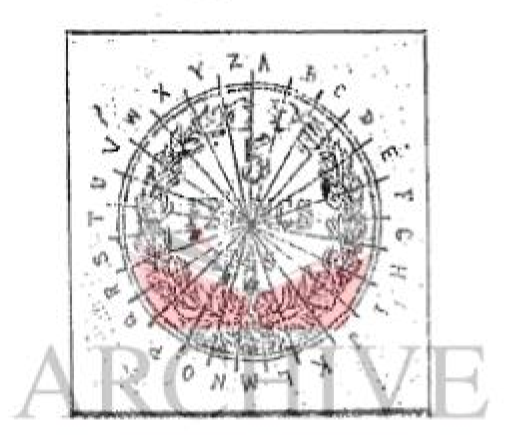
هذا ما كان يحدث منذ شهور . على ان الالمان قد ضاعفوا أخيراً تدقيقهم في هذا الباب . واليك حكاية أحد الذين زاروا البلاد الالمانية حديثاً قال :

« اجري تفتيش الجمرك في خيمة صغيرة بجانب الماء : بدأ المفتشون باخذ الكتب والصور والجرائد والاوراق ولم يتركوا الا تذكرة المرور . حتى انهم لم يسمحوا بحمل الدليل لما قد يكون فيه من التفاصيل والمعلومات . ثم أخذت مناديلي ونشرت واحداً

واحداً . وقد شك الفاحصون في بعضها فاخذوها ونقعوها في مواد كيماوية لاظهار ما قد يكون مخفياً في طياتها من الكتابات السرية . ثم فحصوا أقلامي الرصاصية وقلمي المداد فحصاً دقيقاً . . . على انه قد نال بعض رفاقي من المسافرين عناية أشد مما نالني فقد فحصوهم في كل جزء من اجسامهم بلا استثناء حتى آذانهم وأنوفهم فحصت بتدقيق . . . »

***

ذهبت السيدة ك الانكليزية – وهي من رؤساء لجان الاسعاف – الى باريس وقصدها أن تسافر الى هولندا . فنزلت في نزل فخم في شارع ريفولي . وكان الفصل اذ ذاك ربيعاً والشعب الفرنسي يترقب حركات الجيش ويتوقع هجوماً عظيماً . ولا حاجة بنا أن نشير



قطعة فرنسية تساوي ٥ فرنكات :
اذا جمعت الحروف المقابلة للخدوش التي عليها كان منها كلمة سوم Somme

الى أن حكومة فرنسا اتخذت اذ ذاك كل الاحتياطات الميسورة لكتمان أمر هذا الهجوم ، كما ان المانيا استخدمت كل الحيل لاستكشاف سره . وكانت السيدة ك كلما مرت في ساحة النزل تلحظ امرأة فرنسية طاعنة في السن منهمكة في الكنس والتنظيف وعلامات الحزن والاسى مرسومة أبداً على وجهها . ولكن السيدة ك لم ترَ في ذلك غرابة وباريس ملأى بالوجوه الحزينة

ففي اليوم السابق لسفر السيدة الى امستردام دخلت العجوز غرفتها خجلة متهيبة فقالت أن ابنها اسير في بلجيكا وانها تود أن ترسل اليه بعض النقود . وتوسلت الى السيدة أن تحمل تلك النقود الى شخص في امستردام اعطتها عنوانه يستطيع بصفته محايداً أن يوصل المبلغ الى ابنها . ثم أخرجت ثلاث قطع كل قطعة تساوي ٥ فرنكات فقبلتها والدموع تترقرق في عينيها وقالت للسيدة : « ستحمل هذه النقود ايضاً محبة أم لولدها »

فتأثرت السيدة من هذا المشهد ووعدت بايصال المال . فحالما وصلت أستردام قصدت العنوان وسلمت النقود الى الرجل المطلوب وكان عاملاً في محل صغير

هنا انتهت الحادثة في نظر السيدة ك وهي تظن انها أتت عملاً مشكوراً . . . وما كان أبعد عن ذهنها هول الشر الذي جرته على فرنسا بعملها هذا . فانها بنقل تلك النقود نقلت خبر الهجوم الذي ما برحت الحكومة الفرنسية تخفيه قدر جهدها : فالقطعة الاولى انبأت عن جهة الهجوم والقطعة الثانية ذكرت عدد الفرق المعدة له والقطعة الثالثة اشارت الى تاريخه



على اليسار صورة قفير نحل تحمل رسالة سرية
وعلى اليمين بيان الطريقة المستعملة لاستخراج الرسالة وهي كلمة فردون Verdun

انظر الى الرسم المنشور في الصفحة السابقة يتبين لك الاصطلاح السري الذي أستخدم لنقل هذا الخبر . فهو عبارة عن تقسيم وجه القطعة الى ٢٦ قسماً متساوياً كل قسم يقابل حرفاً من حروف الابجدية . فلكي يكتب الاسم المطلوب يكفي خدش القطعة خدشاً خفيفاً في الزاوية المقابلة لكل حرف من حروفه . ويعرف ترتيب هذه الحروف بالنظر الى بعد الخدش عن مركز الدائرة فالحرف الاول هو الاقرب اليه والثاني ابعد فالثالث وهلم جراً

* * *

ولا يظن القارىء ان الالمان وحدهم يستخدمون هذه الطرق في مفاوضاتهم السرية فقد استفادت فرنسا من بعض عملائها فوائد جمة واليك مثلا من ذلك :

تربية النحل منتشرة في بعض جهات سويسرا انتشاراً عظيماً حتى ان البعض يصدرون من حين الى آخر لنشرات تفيد المشتغلين بهذه التربية . وقد كان في مقاطعة

بادن الالمانية المجاورة لسويسرا رجل شيخ يعنى بامر النحل وكان يصدر نشرة يوزعها في جهاته وجهات سويسرا . وكان غلاف تلك النشرة في الظاهر ذا شكل واحد لا يتغير . فلما نشبت الحرب كانت النشرة تصدر ولم يخامر السلطة العسكرية الالمانية ادنى ريب في أمرها

والحقيقة ان ذلك الرجل كان أشد الناس خطراً على المانيا : فانه توطن تلك الجهة أثر حرب السبعين وما برح منذ ذلك الحين يترقب الفرص لخدمة وطنه. وتيسر له ذلك بعد نشوب الحرب بواسطة نشرته ولم يكن يعلم سرها الا بعض الموظفين الكبار في وزارة الحربية بباريس . وكل السر كان محصوراً في غلاف النشرة فقد كان يحمل المعلومات المطلوبة . واليك تفصيل ذلك (انظر الصورة في الصفحة السابقة) :

ارسم ٢٦ خطاً عامودياً على طول الغلاف أي بعدد حروف الابجدية . ثم انظر الى صور النحل المقابلة لتلك الحروف فكلما وجدت نحلة كاملة الاجنحة دوّن الحرف الذي يقابلها ابتداء من اعلى نحلة الى تحت . فيجتمع هكذا حروف الكلمة المراد نقلها

***

في اوائل ايام الحرب أرسلت عدة اشارات تلغرافية من انكلترا الى عنوان في أميركا. وقد كان البوليس السري الانكليزي في ريب من المرسل والمرسل اليه . ولكن الرسائل لم يكن فيها ظاهراً ما يدعو الى الريبة فان موضوعها كان صحة « الوالد » وتفاقم الخطر عليه . واخيراً أرسلت اشارة مؤداها ان « الوالد مات » (Father died) فوقع هذا التلغراف قبل ارساله تحت يد المراقب ففكر قليلاً ثم ابدل كلمة « مات » بكلمة « توفي » (Father expired) وأمر بارسال التلغراف . فبعد قليل أتى استفهام من المرسل اليه فحواه «هل الوالد مات أم توفي؟ » وهكذا تمكن البوليس من استكشاف امر أولئك الجواسيس والقبض عليهم

***

ومن أكثر الطرق استعمالاً في التجسس ابدال الكلمات بارقام مصطلح عليها . على أنه لا يكفي اذ ذاك الحصول على جدول الكلمات وما يقابلها من الارقام لكشف الرمز فقد يكون بين المتراسلين اتفاق مؤداه ان يضيفوا الى الاعداد المذكورة في الرسائل عدداً معلوماً في ايام الاثنين وأن يطرحوا منها عدداً آخر في ايام الثلاثاء وأن يضربوها بعدد ثالث ايام الاربعاء وان يقسموها بغيره ايام الخميس وهلم جراً

***

من اغرب الحوادث التي حدثت في هذه الحرب ما جرى لشاب امريكي من اهل الثروة تطوع في فرقة الطيران في الجيش الفرنسي ولشقيقته التي لحقت به من بلادها

وتوظفت في مستشفى قريب من خط القتال . فان اندفاع هذه الفتاة وخيالها لم يقتنعا بتلك الوظيفة . وقد كانت رغبتها الكبرى أن تنتظم في سلك الطيران ... ولكن أنى لها ذلك وهي فتاة ؟

وفي ذات مساء جاءها أخوها وقال لها ان الالمان قد احتلوا القصر الذي كانا يملكانه بقرب تلك الجهة وأنهم اخذوا يملأونه ذخيرة ومؤونة . فقالت له في الحال : « فلنحرقه ! » ولكن الشاب لم يفهم المراد من كلامها . أما هي فاخذت تبين له كيف يتيسر تنفيذ المراد . فاقترحت عليه ان يأخذها في طيارته فينزل بها على مسافة من القصر فتذهب اليه متخفية بثياب صانعة وتعهدت باحراق القصر على ان يعود هو قبل الفجر بساعة فيحملها على طيارته

فلما عزما على ذلك انتظرا حتى كان يوم كثير الغيم لتسهل عليهما المهمة . فجلست الفتاة في الطيارة مكان صديق أخيها الذي كان مفروضاً عليه مرافقته في الطيارة . ولم يلحظ أحد هذا الابدال لانها كانت قد ارتدت ثياب ضابط فرنسي . فطارا ونزلا خلف الصفوف الالمانية

خلعت الفتاة ثياب الضابط ثم ظهرت بثياب الصانعة وتوجهت نحو القصر فدخلته بهذه الصفة وتمكنت بعد قليل من اضرام النار فيه

ولكن الالمان تمكنوا من اطفاء النار بعد ان التهمت جانباً من القصر . فاخذوا يبحثون عن منشأ الحريق . فوجدوا ان الصانعة كانت قد نزلت الى القبو لجلب زجاجات من النبيذ طلبها بعض الضباط وان النار نشبت من الشمعة التي كانت بيدها

فاستدعوا الصانعة وسألوها عن منشأ الحريق فقالت ان سقف القبو منخفض وانه ممتلىء بنسيج العنكبوت الذي اشتعل حالما مسته الشمعة

وكان قائد الفرقة التي استولت على القصر أميراً مجرياً أتى مع الجيش النمسوي . فلما سمع هذا التعليل ترك القاعة ثم عاد اليها وبيده بعض نسيج العنكبوت وقال : « هذه قصة كاذبة . فان نسيج العنكبوت لا يشتعل » . ثم أمسك بيده النسيج وقربه من نار الشمعة فلم يشتعل وانما كش وتقلص . ثم تحول الى الضباط الذين تحت أمرته وقال : « اني سأتولى بنفسي تحقيق هذه الحادثة »

فلما انصرف الضباط قال للفتاة : « لقد خلصتك . وانما ألتمس منك ان تخبريني كيف كنت تتوقعين العودة الى الخطوط الفرنسية »

فقالت : « اتبعني الى الغيط الذي الى الجنوب الغربي من القصر »

فخرج معها يتبعهما ثلاثة أنفار والجميع مطرقون . فلما بلغوا المكان شرحت له

الحيلة . فاستوقف اذ ذاك الجنود الثلاثة وتقدم معها مسافة يسيرة . فاختلج قلب الفتاة خوفاً على حياتها وحياة أخيها وانتظرت ان يصدر الامر الى الجنود باطلاق الرصاص عليها . ولكنها ما لبثت ان سمعت الامير المجري يقول لها :

— لست فرنسية يا مدموازيل . انك اميركية . وقد شاهدتك في كرلسباد مع أخيك ، وفي نيس أيضاً . فليس لك عذر الفرنسيات في مساعدة وطنهن . ولكني لست بروسياً . . . فاني أعتمد عليك في كتمان كل ما حصل الليلة وان تعودي تواً الى أميركا »

قال ذلك وغادر المكان في الحال مع رجاله

فدهشت الفتاة ووقفت مبهوتة وهي تسمع وقع أقدام الضابط ورجاله

وبعد ساعة تقريباً قدم اخوها وعاد بها الى الخطوط الفرنسية ولكنها رفضت بتاتاً أن تخبره بشيء مما حصل وعادت سريعاً الى باريس ومنها الى نيويورك

هذه هي القصة كما وردت في احدى المجلات الاميركية . وانه ليسر الانسان ان يصدقها بتفاصيلها حتى يقتنع بان هذه الجزرة الهائلة لم تزل من قلوب القائمين بها كل عاطفة سامية شريفة

التناسخ

أجدرُ بمن تبكيه فرقة راحل	أن لا يسر فؤاده بجديد
وبمن يسر بمقبل متجدد	ان لا يُرى جزعاً على مفقود
افرح لكلتا الحالتين اوابتئس	لهما معاً فالعيش في التجديد
الناس بين مودع ومسلم	والدهر بين مجدد ومبيد
والكون باقٍ رغم ما تمنى به	اجزاؤه من صرفه المحمود
الموت حق والحياة جميلة	فافرح اذن للميت والمولود
لا شيء اعجب في مقال الناس من	لفظي فناء مطلق وخلود
ضدان ان سمعا فان تفهمهما	تجنح الى التقريب والتوحيد
انظر الى الكون الذي اسكنته	تبصر قديماً في رواء جديد
اجسامنا ونفوسنا وسماتنا	كانت لآباء لنا وجدود
سبحان من جعل الحياة واختها	تتبادلان ازمة الموجود
يا مرحباً بك يا حياة ومرحبا	بالموت من مبدٍ لها ومعيد

عبد اللطيف النشار

صناعة الورق ومعامله

عند العرب

كثر الاهتمام في هذه الايام بما بلغته ازمة الورق من الشدة ولا يخفى على احد ما للورق من الاهمية في كل مدنية وعلى الاخص في هذا العصر، فهو عماد المطبوعات والصحافة التي أصبحت الان من الحاجيات ؛ وقد صارت ازمته اليوم تهدد الحياة الادبية المصرية لانقطاع الوارد منه فقد شملت الحكومة ودوائرها والصحافة والتجارة والمدارس وتلاميذها والكتاب والمؤلفين وأصحاب الجرائد والمطابع وعمالها وكل فرد من افراد الامة ممن حرم من مطالعة ما اعتاده من المطبوعات . فبلغ سعره حداً لا يطاق لتلاعب التجار بأثمانه [1] فتوقفت النهضة الفكرية والعلمية وصغر حجم الصحف وقل عدد ما يطبع منها وارتفعت أسعارها وقل طبع الكتب العلمية والادبية ونشرها وخمدت قرائح المؤلفين والكتاب وسكنت حركة المطابع فاقفل بعضها واستغنى البعض الاخر عن كثيرين من عماله فباتوا بلا مورد يرتزقون منه ، واذا استمرت هذه الازمة فقد تصبح مصر بلا صحافة ولا مطبوعات

وقد رأينا لهذه المناسبة أن نبسط للقراء انعكاس آيتنا في هذا الباب وزوال صناعة من صنائع أجدادنا العرب ، فبعد أن كانوا يصدرونه الى اوربا ويحدثون فيها الازمات التجارية اذا انقطعوا عن تصديره اليها اصبحت اوربا تحدثها بيننا اذا انقطع عنا الوارد منها ، فنذكر تاريخ الورق واختراعه وصناعته عند العرب وما كان عندهم في مصر وغيرها من البلاد من معامله ومصانعه التي حفظ لنا التاريخ ذكرها :

تاريخ الورق في الشرق

كان الشرق هو الاسبق الى اختراع الورق وصنعه واستعماله في الكتابة بل كان يصدره الى أقطار العالم ولا سيما الى بلاد الغرب التي اصبحت تضن به علينا اليوم بسبب الحرب . وتاريخ صنع الورق يتنازعه الصينيون والعرب . فالى هذين الشعبين الشرقيين يرجع الفضل في اختراعه

---

(١) فالرزمة التي كانت تباع بخمسة عشر قرشاً بيعت باكثر من ٣٠٠ قرش

فالصينيون كانوا يصنعون الورق قديماً وهم أول من صنعه وقد تمكن اهل سمرقند من اخذ هذه الصناعة عنهم فانتقلت الى بلادهم واصبحت سمرقند اكبر مستودع للورق . ولما فتح المسلمون سمرقند شغلوا اسراهم الصينيين في صنع الورق ثم اقتبسوا هذه الصناعة واستخدموا الورق (الكاغد) بدلاً من الرق (الجلود) والاقمشة التي كانت تستعمل عند الامم القديمة من اليونان والرومان وأهل اوربا وغيرهم ، وبدلاً من البردي (البابيروس) الذي كان شائعاً في مصر حتى عهد العرب ، قال الدكتور جوستاف لوبون [1] « فالعرب هم أول من استعاض عن الرق (parchemin) بالورق » وقال قبل ذلك : «ولولا فضل العرب في ذلك لضاعت نفائس مؤلفات الحضارة القديمة التي قدمها لنا العرب محفوظة اتم الحفظ » وكان الورق يصنع في سمرقند ثم في بخاري (التي انتقل اليها) من الحرير حتى سنة ٦٥٠ ميلادية وسنة ٢٧ هجرية ، فلم يكن هذا الاكتشاف الثمين الذي وقف عليه العرب ليفيد اهل اوربا في ذلك الوقت كما قال الدكتور جوستاف لوبون لان الحرير كان غير معروف فيهما تقريباً حينئذٍ اللهم الا بشرط الاستعاضة عنه بمادة اخرى ، وهذا هو ما فعله العرب فقد استعاضوا عنه بالقطن وصنعوا منه الورق : فقد عمله في حدود المائتين يوسف بن عمر امير مكة في ايام العباسيين من القطن ومنه الورق الدمشقي الذي تكلم عنه مؤرخو اليونان وسيأتي ذكره بعد . وكان عمل يوسف بن عمر هذا في سنة ٧٠٦ ميلادية كما ذكر كثير من المؤرخين منهم العلامة سيديو Sedeillot في كتابه « خلاصة تاريخ العرب » . وقد ظهر من درس مادة كتب العرب القديمة وتحليلها انهم بلغوا في هذه الصناعة في وقت قصير من الاتقان والجودة ما لم يسبقهم أحد اليه . وشاع استخدام الورق عندهم في هذا العصر اعني في عصر العباسيين شيوعاً عظيماً اذ انهم لم يجتهدوا في ممارسة هذه الصناعة اجتهادهم في ابان هذه الدولة النابهة لضيق الرقوق والجلود اذ ذاك عن المكاتبات والمراسلات والسجلات فاشار الفضل ابن يحيى بصناعة الكاغد (الورق) وصنعه . قال ابن خلدون : « وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية

(١) La Civilisation des Arabes p. 518,519

و بلغت الاجادة في صناعته ما شاءت »[١]

معامل الورق فى مصر ودمشق وبغداد

فانتقلت هذه الصناعة من سمرقند وبخارى الى خرسان فالى بغداد ومن بغداد الى سائر البلاد الاسلامية كتهامة وصنعاء، وقد انشأ له العرب المعامل العظيمة في بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها من عواصم الاسلام وكانوا الوسيلة في نشر صناعته في اقطار العالم وعلى الاخص في اوربا

وكانت معامل بغداد تصنع الورق الجيد الفاخر وكذلك معامل القاهرة ودمشق الآ ان مصر وسوريا امتازتا في التاريخ بهذه الصناعة . فمصر كانت تصنع الورق الرخيص حتى قيل أنه كان يستعمل للف الاشياء كما تلف بالورق اليوم ، وسوريا كانت تصنع الورق الغالي الثمن الذي كان يستعمل في كتابة الحجج والوثائق وغيرها وتصدره الى أوربا وهو المشهور بصنع دمشق . وذلك ان اهل أوربا لما أفاقوا من سباتهم في القرون الوسطى استخدموا هذا الكاغد الشامي وكان يعرف عندهم باسم « ورق دمشق » Charta Damascena فما كانت تستعمله ايطاليا واسبانيا واليونان وغيرها من بلدان اوربا الى اخر القرن العاشر كان من مصنوعات سوريا ومصر خاصة وسائر الشرق الاسلامي عامة

معامل الورق فى اسبانيا

ولم يصنع الورق في اوربا الآ في القرن الثاني عشر للميلاد اذ انتقلت صناعته اليها بطريق الاندلس وكان العرب قد أدخلوها اليه لما افتتحوه وأنشأوا فيه المعامل ، فقد كان للعرب معامل لصناعة الورق في شاطبة و بلنسية وطليطلة وغيرها من مدنهم في اسبانيا ولما رسخت صناعتهم هذه في الاندلس تفننوا فيها ، فاخترع الاندلسيون صناعة الورق من الكتان ، والتيل ، والخرق البالية . قال الدكتور جوستاف لوبون « ويتضح ايضاً انه يرجع الى العرب فضل اختراع الورق من الخرق (Chiffons) وهذه الصناعة صعبة للغاية لما تتطلبه من التراكيب والاعمال اليدوية العديدة »[٢] . هذه شهادة حجة من ثقات مؤرخي الافرنج اليوم عن فضل اختراعهم واليك ما هو ابلغ منها عن نبوغهم وتفوقهم في هذه الصناعة

---

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٢٥٠ طبعة مصر سنة ١٣١١
(٢) La Civilisation des Arabes p. 520

قال العلامة سيديو : « وانشئ في اسبانيا معامل ورق من الاقمشة البالية وسابق اهل ولنطية وقطالونية في هذه الصناعة اهل كزاطيوه واستعمل ورق العرب في القرن الثالث عشر بقسطيلة التي شاع منها استعماله في فرنسا وايطاليا وانكلترا والمانيا ، الا ان ورق الكتب العربية المكتوبة بخط اليد (المخطوطة) يفوق ورق الافرنج لمعاناً ولطافة كما فاقه بما كان العرب يختارونه في تزويقه بابهج الالوان والاحبار والازهار » [1] ولما خرجت الاندلس من حكم العرب ودخلت في حوزة الافرنج استبقوا معامل الورق العربية في جميع مدن اسبانيا ثم انتقلت هذه الصناعة العربية من اسبانيا الى سائر ممالك اوربا

صناعة الورق في مصر

تبين لنا مما تقدم ان العرب كانوا يصنعون الورق من الحرير (شرانق الحرير) والقطن ، والكتان ، والتيل ، والخرق (أو خرق الكتان) البالية ، ونزيد على ذلك انهم كانوا يصنعونه ايضاً من القنب والجوت وبالاجمال من النباتات ذات الالياف. اما الآن فمعظمه يصنع في معامل اوربا واميركا من « السليلوز » ، وهو المادة الاساسية في تكوين الخشب ، ومن الاشياء المتقدمة [2] فانهم يغلون المواد النباتيـة والالياف الخشبية والانسجة القديمة ثم يأخذون ذلك ويجرون فيه طرق التبييض بالمواد القلوية كالكلور والصودا وغيرهما

أما مصر فكانت تصنعه من المواد السالفة الذكر ومن الحلفاء أيضاً وقد رأينا انها كانت في مقدمة البلدان الشرقية في صناعة الورق بما أنشأه العرب فيها من المعامل فكانت مشهورة بذلك منذ عشرة قرون كما سطر التاريخ بل كانت مشهورة بصنعه حتى القرن السابع للهجرة وما بعده. فقد ردد غير واحد رواية ابن الحاج المغربي في كتابه « المدخل الى الدين » المؤلف سنة ٧٠٠ هجرية ان معامل الورق كانت موجودة بكثرة في مصر كسائر المعامل والصنائع التي تدل على مدنية حقيقية بل ظلت

(١) انظر ترجمة كتابه « خلاصة تاريخ العرب » للمرحوم علي باشا مبارك ص ٢٦٨ طبعة مصر سنة ١٣٠٩ هـ

(٢) ويصنعونه ايضاً من قشر الموز والياف الجوز الهندي والتبن والقش والاخشاب المائية واوراق الشجر

مصر تصنع الورق حتى في عصورها الوسطى قبل هذه النهضة الحديثة . ومع أنها اهملت سائر أنواعه فقد اقتصرت في صنعه على نوع منه وهو ورق اللف الرخيص الذي كانت مصدره حتى في العصور القديمة ، ولا ننس الورق الضارب لونه الى الصفرة الذي كانت تصنعه مصر منذ نصف قرن وتستعمله في طبع كتبها التي نرى منها الشيء الكثير بين أيدينا مع أن مصر لم يكن فيها الآلات الحديثة التي تستعمل اليوم ولا الطرق العلمية الحديثة المعروفة الآن

هذا هو تاريخ الورق في بلادنا وهذه كانت صناعته عندنا . أوليس من المصائب العظيمة بعد هذا كله ان تحرم بلادنا منه ومن صنعه ونكون عالة في ذلك على اوربا مع ان لاجدادنا الفضل في اختراعه ونشر صناعته في انحاء العالم ونقلها الى اوربا ومع توافر مواده الأولية عندنا وهي غير متوافرة كثيراً في اوربا ذاتها ! وهل نحن بعد هذا اكثر تمدينا وحضارة من العرب ؟ واذا كان ذلك فما هو التمدين الحقيقي اذاً ؟

الورق من صنائع العرب وآثارهم الجليلة وقد كانت مصر منبعه كما تقدم في سلطنتها الاولى فهلا تكون كذلك في سلطنتها الزاهرة فيسطر لها التاريخ من مآثر عصرها الحديث احياء هذه الصناعة في بلادنا وهي في اشد الحاجة اليها . وليس بالكثير ان تساعد الحكومة على انشاء معمل للورق واعداد الالات اللازمة له فتريح وتستريح من هذه الازمة التي تزداد شدة كما طال اجل الحرب وحتى تعود مصر الى سابق مجدها وشهرتها فيخلد التاريخ اسم من يعمل على ذلك كما خلد اسم امير مكة يوسف بن عمر والوزير الفضل ابن يحيي وزير الرشيد

ع . عباده

من ادارة الهلال

تطلب ادارة الهلال بالثمن او المبادلة الاجزاء والسنوات الاتية :

الاجزاء ١ و ٩ من سنة ٢٣ — ٣ و ٨ من سنة ٢٤ — ٧ من سنة ٢٥ — والسنوات ٢ و ٤ و ٢١ و ٢٤ و ٢٥

نجاة نابوليون في النمسا

من كيد شاب بروسي

[الهلال] كان للقصص التاريخية التي نشرناها عن نابوليون وعصره وقع حسن عند القراء فاستزادونا منها ومن امثالها . ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان تلك القصص مستقاة من اوثق المصادر واصحها . فهي مثبتة من الوجهة التاريخية لا ريب في وقائعها . وهذا ما يجعل لها قيمة حقيقية دائمة

في اول يوليو سنة ١٨٠٩ اتخذ نابوليون قصر شونبرون في النمسا مقراً له ولحاشيته . ففيه دبر معركة واغرام الشهيرة التي حاز بها نصراً مبيناً على أعدائه وعقد على اثرها (في ١٤ اكتوبر) صلحاً جلب الذل والهوان على المكسورين . فكان ذلك باعثاً على تكاثر المكائد حوله بقصد اغتيال حياته

وليس بين الذين أقدموا على تحقيق هذه الامنية من كان اقرب الى بلوغ غايتهِ من فريدريك ستابس البروسي

قدم فريدريك ستابس مع غيره من جواسيس بروسيا الى شونبرون في اواخر شهر يوليو اذ ثبت ان نابوليون عقد النية على المكوث فيها . فما برح يترقب الفرص الى ان كان يوم ٢٣ اكتوبر

في ذلك اليوم بينما كان نابوليون يعرض جيوشه المظفرة مع اركان حربه اذا بشاب حسن الهندام يتقدم نحوه . فظن المارشال برتيه انهُ يحمل عريضة للامبراطور فاشار اليهِ ان يسلمها اليه

ولكن الشاب اجابه : — اني اريد ان اكلم نابوليون بذاته

فقال برتيه : — اذا كان لديك رسالة تريد ان تبلغهُ اياها فخابر ياوره بشأنها

فرجع الشاب بضع خطوات الى الوراء وهو يحدق بنابوليون . وكان برتيه قد همَّ بالرجوع . على انه لم يكد يتحول حتى لحظ ان الشاب اسرع نحو الامبراطور . فأمره باللغة الالمانية ان يرجع واخبره اذا كان لديه شيء يقوله او يقدمه ان يكون ذلك بعد عرض الجيش

وما برح الشاب في هذه الاثناء واضعاً يده اليمنى في جيبهِ وقد برز منهُ طرف لفافة

من الورق ، وظل شاخصاً بنابوليون . فخامر برتيه ريب في مقاصده فرأى من الحكمة ان يبعده عن المكان فأمر ضابطاً ان يقبض عليه ويخفره

وكان الناس منهمكين في عرض الجيش فلم يلحظ احد هذا الحادث . وبعد دقائق قليلة عاد الضابط فاخبر برتيه بان الشاب أودع في مكان امين وانهم وجدوا في جيبه سكيناً كبيراً ملفوفاً بصحيفة ورق ابيض

فلما انتهى العرض ذهب اليه برتيه مع الجنرال دوروك فوجداه ملقى على السرير وامامه صورة امرأة ومحفظة جيب وقطع من النقود الذهبية . فبادره برتيه بالسؤال :

— ما اسمك ؟

— لا اذكر ذلك الا لنابوليون

— ماذا كنت تبغي ان تصنع بهذا السكين ؟

— لا اذكر ذلك الا لنابوليون

— هل اردت اغتيال حياته ؟ — نعم

— لماذا ؟ — لا اذكر ذلك الا له وحده

وبعد هنيهة اطلع نابوليون على محضر هذا الحادث فأمر ان يؤتى بالشاب الى مكتبه . فاتى معقول اليدين وعلى جانبيه جنديان يخفرانه . ولم يكن مثوله امام نابوليون ليحدث له اضطراباً بل ظل هادئاً رابط الجأش وسلم على نابوليون باحترام . واذ ذاك دار الحديث التالي بينهما :

— هل تتكلم الفرنسية ؟ — قليلاً جداً

— من اين انت ؟ — من نومبورج

— ما مهنة ابيك ؟ — قسيس بروتستنتي

— كم سنك ؟ — ثماني عشرة سنة

— ماذا اردت ان تصنع بهذا السكين ؟

— ان اقتلك

— انك مجنون ايها الشاب ! او انت صاحب وسواس !

— لست مجنوناً ولا اعرف ما هو الوسواس

— اذاً انت مريض

— لست مريضاً فان صحتي جيدة جداً

— ولماذا تبغي قتلي ؟

— لانك جلبت الشقاء على بلادي

— هل اسأت اليك ؟

— اجل . كما اسأت الى كل الماني

— من ارسلك الى هنا ؟ من حملك على ارتكاب هذه الجريمة ؟

— لم يأت بي الآ اعتقادي الصميم باني اذا قتلتك اخدم بلادي واوربا جمعاء اجمل خدمة

— هل هذه اول مرة شاهدتني فيها ؟

— كلا . رأيتك في ارفورت

— هل خطر لك اذ ذاك ان تقتلني ؟

— كلا . فقد ظننت انك لن تشهر الحرب على المانيا ثانية وكنت من المعجبين بك

— من كم يوم انت في فينا ؟

— منذ عشرة ايام

— لماذا انتظرت كل هذه المدة لتنفيذ بغيتك

— جئت شونبرون منذ ثمانية ايام بقصد قتلك ولكن عرض الجيش كان قد انتهى فأجلت تحقيق مرادي الى هذا اليوم

— قلت لك انك مجنون او انت مريض

— لست هذا ولا ذاك

— ليؤتى بكورفيزار

— ومن هو كورفيزار ؟

— هو طبيب

— ولكني لست في حاجة اليه !..

واستولى السكوت عندئذ على جميع الحاضرين الى ان اتى كورفيزار، وستابس في اثناء ذلك هادئ لا يحرك ساكناً . فلما اتى كورفيزار فحصه وجس نبضه . فقال ستابس :

— أليست صحتي جيدة ؟

فوجه كورفيزار كلامه الى نابوليون وقال : — ان حضرته في صحة جيدة

فقال ستابس ، وكأنه فاز على نابوليون : — ألم أقل لك ذلك !

فحار نابوليون في امر هذا الشاب ورباطة جأشه ولكنه عاد وقال له :

— انك مندفع مغرور وستنزل باهلك شراً . على اني امنحك الحياة اذا طلبت العفو عما اردت واظهرت اسفك لما فرط منك

— لست ابغي عفواً ولا اسف لي الا فشلي فيما قصدت

— عجباً ! يظهر ان ارتكاب جريمة امر بسيط عندك

— ليس قتلك جريمة بل هو واجب

— ما الصورة التي وجدت معك ؟

— هي صورة امرأة احبها

— انها ستحزن لما ينزل بك

— ستحزن لاني لم انجح . فانها تمقتك كما امقتك انا

— ولكن اذا عفوت عنك هل تعرف لي ذلك ؟

— بل انا أعود فاقتلك !

فدهش نابوليون ومن معه من ذلك العناد الغريب وأمر أن يعاد ستابس الى السجن . فلما خرج ستابس قال نابوليون لاعوانه :

— ان حادث هذا اليوم عجيب . ومصدر كل ذلك برلين وويمار فان للنساء في هذين البلاطين سطوة لا مثيل لها

وفي يوم ٢٨ أكتوبر غادر نابوليون شونبرون وكان ستابس قد اعدم في صباح اليوم نفسهِ . وكان يرفض ان يتناول طعاماً كلما عرض عليهِ لانهُ — كما كان يقول — « لا يزال لديهِ القوة الكافية لاستقبال منيته »

هكذا انتهت حياة ذلك الشاب الغريب الاطوار الحديدي الارادة . وقد كان لهذا الحادث أثر شديد في نفس نابوليون . ومما قاله لاحد اعوانه : « انهم يتوصلون الى اقناع عمالهم حتى بفائدة موتهم »

كتاب الاكليل للهمداني

وهو كتاب تاريخ نفيس كان مفقوداً فوجد منه الجزء الثامن

١ — تمهيد

في العراق كتب كثيرة مبثوثة في مدن مختلفة من اصقاعه وفي بيوت مختلفة. والذين يملكونها يحرصون عليها اعظم الحرص فيخفونها عن الباحثين والمنقبين ولا يريدون ان يطبعوها ولا يدعون الغير ان يطبعها فتبقى في زوايا الظلمات حتى يموت ذلك الضنين فيرثها من لا يضن بها فيبيعها أو يهديها الى أحد اصدقائه وحينئذ تظهر من عالم الخفاء الى عالم الوجود

كان يظن العلماء والباحثون من المستشرقين ان كتاب الاكليل زال من عالم الوجود. ولما وجد العلامة الالماني مولر جزءا من هذا الكتاب قام له العلماء وقعدوا فكان له دوي عظيم في عالم العلم. وقد كتب المرحوم صديقنا المأسوف عليه جرجي زيدان عن هذا الكتاب في مؤلفه «تاريخ آداب اللغة العربية» في الجزء الثاني ص ٢٠٤ قال: «لم يقف الباحثون الا على جزء نشره المستشرق مولر المذكور مع ترجمة المانية وتعاليق. وقد اقتبسنا كثيرا منه في كتابنا «العرب قبل الاسلام» لانه يصف قصور اليمن ومحافدها في صنعاء ومأرب مما شاهده بنفسه في مكان السدّ وكيفية توزع المياه»

قلنا: واليوم نبشر العلماء ومحبي التاريخ والاخبار باننا ظفرنا بجزء آخر من هذا الكتاب الذي لا ثمن له عند احد اصدقائنا الخلص وقد اباح لنا استنساخه. وها نحن نصفه لقراء الهلال وهي المجلة التي نجلها اعظم الاجلال لما لنا من الصداقة مع مؤسسها المرحوم الفاضل الجليل ولما لنا بصاحبها الحالي من الصداقة والود

٢ — وصف الكتاب

في اول صفحة من هذا الكتاب ما يأتي نقله بحرفه: «الجزء الثامن من الاكليل، للهَمْداني رحمه الله تعالى. آمين. — الجزء الثامن من الاكليل للحسن

احمد الهمداني رحمه الله في محافد اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات . وسميت المحافد محافد لحفود الناس حولها وقصدهم اياها . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً .»

ودونك ما جاء في الصحيفة الاولى منه :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

(ما يأتي بحرف احمر وكذلك جميع العناوين) باب ما جاء من ذكر قصور اليمن ومعاقلها وما قيل من الشعر وما فيها من الاخبار

اقدم شيء (قصر غمدان) قال الهمداني :

اول قصور اليمن واعجبها ذكراً وابعدها صيتاً : (قصر غمدان) وهو « قصر ازال» وهو في صنعاء بعد . وقد ذكره بهذا الاسم من كان في آخر الجاهلية . قال امية ابن ابي الصلت :

جلبنا المدح تحفيه المطايا الى اكوار اجمالٍ ونوقِ
تؤم بنا ابن ذي يزن وتفري ذوات بطونها ام الطريقِ
مغلغلة مرابعها تراما الى صنعاء من فج عميقِ
ولما وافقت صنعاء صارت بدار الملك والحسب العريقِ اهـ .

ثم يذكر بعد هذه الابيات بيتاً آخر لعمرو بن النعمان بن عفير بن زرعة بن ذي يزن في الجاهلية . الى آخر ما هناك من الاخبار والتفاصيل النفيسة التي تزري بالدرر لا بالدراري النيرات . ونحن نذكر هنا عناوين الفصول لتكون بمنزلة الفهرست ليقف الباحث على ما في هذا المصنف النفيس من المباحث والابواب والمطالب ونذكر بجانبها الصفحة التي وردت فيها حفظاً على تبويب النسخة التي بيدنا

ومن وقف على هذا الكتاب من اوله الى آخره يجد فيه ما لا يجده في كتب البلدان التي وصلت الينا ولهذا فانه يحيي رفاتاً كثيرة من دوارس العرب ويحق ان يكتب هذا التأليف الجليل بماء العيون لا بماء الذهب

وفي آخر الكتاب ما نصه :

« تم الموجود من كتاب الاكليل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

هذا هو الجزء الثامن من عشرة أجزاء من الاكليل للحسن احمد الهمداني رحمه الله

جعل الجزء الاول : مختصر الاخبار من المبتدأ واصول الانساب

والثاني : نسب وُلد الهميع بن حمير

والثالث : فضائل قحطان

والرابع : السيرة القديمة الى عهد تُبع ابي كرب

والخامس : في السيرة الوسطى من أول ايام اسعد تبَّع الى ايام ذي نؤاس

والسادس : في السيرة الاخيرة الى الاسلام

والسابع : في التنبيه على الاخبار الباطلة والحكايات المستحيلة

والثامن : في ذكر قصور حمير ومدائنها ودفائنها وما حفظ من شعر علقمة بن ذي جدن والمراثي والمساند

والتاسع : في امثال حمير وحكمها باللسان الحميري وحروف المسند

والعاشر : في معارف همدان وحاشد وبكيل

وهذا المنسوخ هو الجزء الثامن وذلك بعناية الوزير الشهير الكريم المطلق ، والليث المحقق ، شرف الاسلام ، وزينة الايام ، الحسن فنى (؟) سلمه الله تعالى وعافاه امين » اه .

ومن هذه الخاتمة ترى منزلة سائر الكتب او الاجزاء اذ لم يقف احد على محتوياتها الى هذا اليوم . ومعرفة مضامينها الآن يبعث فينا الهمة الى تتبع ما بقي منها. هذا ما اردنا افادته للقراء وعسانا ان نظفر بالبقية وما ذلك بمستحيل

بغداد « مستهل »

السلطنة

لا يصلح لهذا الامر الا اللين من غير ضعف القوي من غير عنف

امير المؤمنين عمر بن الخطاب

اني لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني

الخليفة معاوية بن ابي سفيان

اقطاب الدهور — ٢

او مقدمة الانقلاب الاجتماعي العظيم

[الهلال] اتى الكاتب في المقالة السابقة على خبر الخلوة الاجتماعية الخيالية التي اجتمع فيها اقطاب الدهور للنظر في حالة الهيئة الاجتماعية بعد الحرب وما يلزمها من الاصلاح . وكان اول المتكلمين الفيلسوف كنفوشيوس الصيني وخطابه في حال المجتمع عموماً . وتلاه زرادشت وهاك نص خطبته

خطاب زرادشت

حال الانثى في المجتمع البشري

وقف زرادشت في الاقطاب خطيباً على اثر كنفوشيوس . فرفع يده الى الجو كأنه يخاطب شخصاً غير منظور . فانطفأت الانوار كلها وظهر على الحائط ستار ابيض منوَّر بالنور الراتجي . وظهرت عليه الاجرام السموية واحدة فواحدة . واخيراً ظهرت الكرة الارضية باقسامها : اولاً اميركا ثم اوربا فافريقيا فالاوقيانوس الهندي فبلاد الهند . واطال في اظهار اقسامها وجبالها وانهارها وسهولها ومدنها وبيوتها وسكانها ونسائها . فعلم القوم ان موضوع خطابه « المرأة الهندية »

فظهرت لهم على الستار اسرة هندية اجتمعت حول كبيرها المتوفى وهي مؤلفة من العجوز امرأة الفقيد وكبير اولادها زيب في سن الاربعين وامرأته بما واولادها زون وفاي وكارد وأخوه شند

كانت كارد مولعة بابيها تطوقه بذراعيها كل ليلة وتقبله مثنى وثلاث ورباع . على انها هذه الليلة منعت من مقابلته . وحملتها والدتها بما الى الزنانا وهي تصيح « يا بابا » باعلى صوتها فحضنتها والدتها وخاطبتها بجد قائلة « ليس للفتاة الهندية يا عزيزتي أن تعاشر اباها فوق الخامسة » . فأقامت مع امها في مدفن الاحياء او « الزنانا » وهي عبارة عن غرفة داخل غرفة تجلس فيها المرأة مبرقعة وجهها الى الحائط وظهرها الى الباب

وظهر شند الشاب بملابس السفر الى بنارس ولم يؤذن له ان يرى عروسه جنك قبل سفره كما كان يرغب بل نفرت والدته من طلبه هذا وعدته من ضلالات الاوربيين التي ورثها شند عن المدرسة

وبعد مدة أتى خبر وفاته على الطريق فحسبوا موته جواباً من الآلهة على ضلاله . ثم ظهرت فتاة لطيفة في سن الثانية عشرة بملابس الارامل وهي جنك عروسه . فدخلت

بيت حماتها لتعيش تحت يدها عيشة الارامل حسب عادات الهند . فركعت أمامها وهمت بتقبيل قدميها فرفستها هـذه بشراسة ولعنت ساعة كتبت فيها لابنها عليها . هذه حفلة زفاف جنك الحزينة

في الهند ثلاثون مليون ارملة بينهن كثير من الفتيات العذارى . فان كل مخطوبة بموت عريسها تحسب أرملة . ومتى بلغت الثانية عشرة تلبس ثياب الارامل وتدخل بيت حماتها لتعيش عيشة الارامل . فلا يقدم لها الطعام الكافي . ولاتنام كفاية . ولا تستريح . واذا مرضت لا يدعى لها طبيب ولا ترحم أو يرثى لحالها

خلت جنك بنفسها في الزنانا المظلمة وعيون الحشد شاخصة اليها . فرفعت عينيها الى العلا كأنها تود ان تسأل الآلهة « لماذا تسمح بهوان الفتيات » . الا انه لاح عليها مظهر الخوف والاحتساب فلم تجرأ على انجاز ما دفعها اليه الطبع . تخفضت رأسها تحت أحزانها الثقال . فتاة كاعب النهدين نقية القلب طاهرة الذيل حسناء متروكة لغير ما ذنب جنت . ولكن هي سنة الآلهة التي « لا تسأل عما تفعل » . واذا فرضنا انها ضلالات الناس نسبوها الى الآلهة فمن ينكرها عدّ عندهم كافراً زنيماً . أفترضى الآلهة بذلك ؟ . واذا كانت لا ترضى فلماذا تسكت عنه ؟ هنا شك بعضهم في أمر العناية . وهم يرون جنك نائمة على الحصير تتشنج كل الليل وترتجف خوفاً لانها لم تعتد النوم وحدها . وتورمت عيناها لفرط البكاء . وخيل اليها ان روح عريسها ترف فوقها . ولكن وا أسفاه ... وفي أول الفجر تسلل شخص الى غرفتها كأنه من أمهر اللصوص وقلما تمكنت من الالتفات لترى من هو بادرتها حماتها برفسة شديدة قائلة « الى متى تنامين يا لكاع » . فاغمي عليها لشدة الألم والخوف . وحماتها تشتم وتلعن . ولا ذنب لجنك سوى كونها ارملة

مرضت جنك فلم يدع اليها طبيب . وكانت الحمى المحرقة تاكل عظامها ولم يقدم لها كأس ماء بارد . الا ان سلفتها بما رقت لها سراً . فكانت تخرج الى المطبخ متظاهرة بالخدمة وكانت تبل ذيل فسطانها بالماء . ثم تدخل اليها فتعصره في فمها . أتت ذلك بعامل انساني ولكنها كانت ترتجف خوفاً من العواقب

وبالواقع حلت بها الكوارث . فاولاً مات بكرها . فعدّ ذلك مظهراً لغضب الآلهة . ثم اقترح الكاهن التضحية بطفلها . فذاب قلبها على رضيعها . على انها ارغمت على الخضوع . ففصل ذلك الرضيع عن حضنها في ظلمات الليل وقدّم ضحية على مذابح الجهل . وكان على الام ان تكون شكورة

على ان مصائبها لم تنته بموت ولدها بل تعدتها الى مقتلها واليك البيان : كان على المرأة الهندية ان لا تظهر لاحد من الناس . الا انها متى أتاها محمل — هودج —

الكاهن البرهمي تحتم عليها ان تدخله وتذهب الى بيت الكاهن . في ذات يوم وصل الهودج وأمرت بمبا بان تتوجه الى الكاهن . فلبست أفخر حلاها وأبهى ثيابها ودخلت الهودج وأرخي الستار . وحملت على الاكتاف وهي تظن انها ذاهبة الى الكاهن ولكنها كانت مخدوعة ولم تشعر الا وهودجها على الارض . ورفع ستاره بيد هازىء ثم نظر اليها بقحة والتفت الى الحضور وقال بتهكم « اليكم الرقاصة التي وعدتكم بها » . وكان بين الحضور زيب زوجها فصاحت مستغيثة به . فنهض مسرعاً وشكر للرجل صنعه بمرارة ورصانة وأمر الحمالين ان يعودوا بالهودج من حيث أتوا . وتحرير القصة انه حدث نزاع بين زيب وبين رجل اسمه سنغ لاسباب اقتصادية . فحقد هذا عليه واضمر له الشر . ثم نصب هـذا الشرك لامرأته انتقاماً منه . ويحسب ظهور المرأة لدى الغرباء عاراً لا يمحى ولو كان ذلك عن غير قصد منها

ظهرت بمبا في المشهد تدخل بيتها وقد علتها صفرة الوجل كأنها في موقف الحشر . ورأت ان غضب زوجها وغضب الآلهة قد اجتمعا على رأسها . لا لكونها اخطأت بل لكون الحظ قد خانها وهتك شرف زوجها بان رآها الآخرون فيا للفضيحة ويا للعار . وفيما هي ترتعد وتهتز دخل زوجها البيت اسود الوجه احمر العينين . وبادرها بضربة على ام رأسها القتها على الارض . فصاحت كارد « وا اماه » وركضت نحوها فتناولها ابوها برفسة كادت تقضي على حياتها . فاختطفها اخوها بين يديه وحملها خارجاً وافهمها بلطف ان العار قد لطخ الاسرة برؤية الغرباء الام . وعلى الاب ان يطهرها ولو بالدم . فقالت كارد « واويلاه . اتموت امي ؟ » ثم جمدت وهي تسمع ضربات أبيها كانه يقاتل احد السباع او يقوض جداراً . ولم يكن كلا ولا حتى حملت تلك المسكينة الى المدفن وختمت حياة كلها تعاسة

اما جنك فحسدتها على موتها لان حياتها تحت يد حماتها كانت شراً من الموت . اما كارد فكانت تعزيتها انها زوجت قسراً بكاهن برهمي . ولم يلبث معها طويلا حتى مات . فقيدت معه الى عرمة الحطب واحرقوها حية . وانتهى مشهد الاسرة الهندية على هذه الصورة

. . . .

وجعلت تمر الصور أمام الاقطاب عن أحوال الاسرة في بلاد الدنيا : افغنستان . العجم . تركيا . مصر . اوربا . وفي كل منها للمرأة مأساة تستهل الدموع . فقد رأوا المرأة تنوح في ظلمات الليل من جراء المظالم . رأوها جائعة عارية مريضة . رأوها ذليلة مرذولة حزينة . رأوها يحيط بها أولادها التاعسون وهي تعاني معهم الامرين . ولكن

لم يطل الخطيب في شرح حالها لانه كان يرمي الى شرح حال المرأة الاميركية

اميركا أم العجائب ومنتهى المدنية . فبرؤية موقف المرأة فيها مع ما مر من شرح حال المرأة الهندية يكون الحضور قد رأوا حالة المرأة في كل الدنيا

فظهرت امام الحضور الولايات المتحدة بجبالها وأنهارها ومدائنها وكنائسها ومعاملها وبيوتها الخ . وكلها مدهشات . وظهر امامهم شاب أسمه تالمج وصبية اسمها اليز . علق الشاب بها فلاصقها . فرأت انه يحبها وشرع الحب نافذ عند الاميركان فمدت اليه يدها . فقبَّلها . فتورد خداها وزادت بذلك جمالاً . فزاد بها هياماً . ثم خلت اليز بنفسها خلو جنك في زنانتها . وظهر للحضور أنها تهم بسؤال السموات والخجل يكسوها « كيف تبيح لشاب ان يغازل فتاة ؟ » فانها تعلمت ان الالهة طاهرة سامية . على انها ذكرت ما سمعته من الواعظين والاهلين عن « الحب الطاهر » وفهمت بالحب الطاهر الحب الذي يعقبه الزفاف . فهدأ روعها وزالت مخاوفها . كيف لا والالهة مع الوالدين تزكون عملها

فذاع أمر حب تالمج للآنسة اليز . وحسدها كثيرات من رفيقاتها . فكانت متحيرة . لماذا يحسدها البنات ؟ وما زالت علاقات تالمج بها تزداد حتى صارا « جسداً واحداً وما جمعه الله لا يفرقه انسان » فغيروا اسمها الى مسز تالمج وجعلت تعمل في بيتها الجديد بيدين راضيتين . وقد فخروا لها بصهرهما لانه من مشاهير الخطباء . على ان شهرة الزوج لا تضمن سعادة زوجته ان لم تكن حياته اليومية على ما يرام

فلما قضى تالمج منها وطراً بردت لواعج حبه ولاذ بغيرها من الاوانس المحيطات به شأن كثيرين من الرجال . والمرأة اول من يشعر بانقلاب الزوج . فآلمها ذلك . ولما شكت الامر لوالدتها حلقت بها وقالت لها بجد وانتهار « احذري يا اليز ان تحولي بين تالمج وبين الله »

فراع اليز كلام أمها . ويلاه ! ! . . . . الام والله ايضاً مع الزوج الخؤون الغادر ؟ ياللعار كيف ترضى الالهة بالظلم وتؤيده ؟ أفالله يسارع للرجل في هواه ؟ . فاذا كان لا فلماذا يسكت عن الظلم . واذا كان نعم فكيف يصان شرف الالهة . وعلى كلا الحالين اليز الجميلة شقية وشقية جداً . ولكن هي وحدها كذلك ؟ . . . قضت اليز عشر سنين في بيت ذلك الشهير كلها حسرات والآم فولدت له ثلاثة وهو يزداد رغبة عنها حتى هجرها هجراً تاماً فكانت اسيرة سرية . وكان يقضي اكثر أيامه ولياليه في مداعبة البنات تحت ستار التعليم والخدمة الروحية . وكان ذا موهبة نسائية من الطبقة الاولى . فكانت الاناث تدر به وتغالي في مديحه. واذا عاكستهن زوجته سقطت منزلتها وحل بها

الذل والهوان . كيف لا وامها اول من يصب عليها قوارع غضبه فلم يكن لقلبها عزاء ولا لآلامها سمير . وكان حولها أربعة صغار تحيي الليالي في خدمتهم وقلبها يقطر حزناً

وفي ذات يوم والبز — وان شئت فقل مسز تالمج — محمومة ، وابنها الاكبر ساخن والثاني رمدان والثالث في طور التسنين والرابع طفل في حضنها ، ظهر زوجها على المسرح امام الاقطاب في مكتبته يغازل المرنمة كارنر الحسناء الشهيرة . وبينما قلب الزوجة يقطر حزناً وغماً واولادها حولها يبكون ويتألمون كان تالمج يضم تلك البارعة ويقبلها ويتلو في حبها الاشعار الرائقة . وفي اثناء ذلك وردت اليها منه ورقة ينبئها فيها انه ذاهب تلك الليلة الى جوهانسبرغ بنسلفانيا لحضور مؤتمر ادبي . فغابت عن الصواب لعلمها ان زوجها يحسن الحيلة انتهازاً للخلوة بكارنر الحسناء . وجاء في صحف المساء « ان الخطيب تالمج توجه الى مؤتمر جوهانسبرغ صحبة المرنمة كارنر فعلى الجمهور ان يبادر لتشنيف الآذان واحياء القلوب بترنيم هذه وخطابة ذاك »

ووجدت البز على مكتب زوجها قطعة من جريدة الصباح فيها « ان الخطيب برنستن من بيت لحم باوهايو قد فر صحبة السيدة هاي المرنمة والحكومة تتأثره لان السيدة ذات بعل واولاد » وتحت هذه الجملة خط بالحبر الاحمر كتبت تحته هذه الجملة :

« ضحكة كبيرة . الا تشاركني بها ايها العزيز تالمج . احذر معاشرتهن . . . . صديقتك كارنر »

فطار صواب البز اذ قرأت ذلك . وعجبت كيف تقدس الهيئة عملا وتنكره في آن واحد . تتأثر الحكومة برنستن وتقدس عمل تالمج وكلاهما سيان . افصحيح ان الآلهة توافق على ذلك ؟

هنا ذهلت البز . وتراءى لها انها طارت في الجو واذا بها فوق القطار المقل زوجها فهبطت على احدى عرباته وارسلت نظرها من كوة مزجججة فرأت داخل الغرفة ما اقشعر له بدنها : تالمج يضم الى صدره كارنر ويقبلها

ثم ظهر لالبز بيتها ورأت نفسها مريضة واولادها من حولها . ثم رأت الناس يسمعون تالمج ويصفقون له .ولدى خروجهم من الخطابة كانوا يتسابقون الى هز يديه والممتازات في الجمال والدلاعة يفزن بهزة يده . ووالدتها معجبة بتقاه فجمد الدم في عروقها وغابت عن الصواب . ثم سمعت مسز كارنر تنشد بصوتها الرنان

وظهر لها ان عجوزاً حدباء سمعت الترنيم فسألت عن الخبر وعرفت ان تالمج والمرنمة من ركاب ذلك القطار . فأتت اليه شاكية . وخلاصة شكواها ان زوجها الدكتور باركر مات مفلساً . وسبب افلاسه مغازلتهن فترك لها خمسة ايتام وهي دون الثلاثين من

العمر . ولدى موته حضر اليها الوجوه والاعيان وبينهم رجال الدين بالطبع . فاوجبوا عليها ايفاء الديون ووقفت النفس على تربية الايتام

ولم يفكر احد منهم ان لتلك الارملة طبيعة بشرية . فلم يشعر احد معها . فانكرت طبيعتها في سبيل البنين كما كانت قد أنكرتها في سبيل أبيهم . على انهم لما شبوا هجروها واحداً فواحداً وغادروها وهي عجوز فقيرة . وقالت ما راع مسز كارنر وهذا نص العبارة : « يا سيدي أنا خسرت حياتي ولا أمل لي باستعادتها على انني أشفق على أولئك الاوانس الماشيات في اثري أن يصبن بمثل ما أصبت » . وكان تالمج يتشاغل ويقطع عليها الحديث . فنظرت فيه وقالت « وأين زوجتك ياسيدي؟ » . قال « في البيت مع الاولاد » . قالت « وما أعظم ما تحملت في سفرك هذا خدمة للانسانية . حقاً انه لولا مؤانسة هذه السيدة الحسناء لحسبتك من اكابر القديسين » قالت ذلك وخرجت . فتنفس تالمج الصعداء وأسرع يضم حبيبته كارنر ويقبلها . وزوجته ترى وهي تهتز وتتشنج لهول ماترى

هذه كانت رؤيا مسز تالمج في غيبوبتها . وفي الصباح نشر في الصحف الخبر التالي « وجدت زوجة تالمج الخطيب الشهير ميتة وزوجها في مؤتمر جوهانسبرغ . عظم الله اجره وأجزل له العزاء »

وفي اليوم التالي طفحت الجرائد في وصف صبره وتحمله المصاب الاليم بنفس اميركية كبيرة . ولم يذكر أحد شيئاً عن امرأته . فكان المجد له والموت لها

وفي الاسبوع التالي ارسل الايتام الى ملجأ هناك . وذهب تالمج بالحبيبة كارنر يقضيان شهر العسل

. . . .

هنا التفت زرادشت الى الحضور وقال : « تبارك اهورمزدا اله النور الذي يجلي الحقائق ويجلو صدا الاوهام . ويمزق الغياهب والسفور ويبرز الخفيات الى النور فلا يزكي الا الحق ولا يقبل الا الصدق . لقد رأيتم الانثى في كل البلاد ورأيتم ذلها وهوانها . وما دامت نظامات الهيئة الاجتماعية كذلك . فعلى الراحة وعلى السعادة السلام . فعلينا الليلة ان نستأنف عمل رصيفنا سقراط في « اصلاح الآلهة » . اي اصلاح أفكار الناس في الآلهة

« هذه الانثى وقد القت دموعها جداول بل أنهاراً بل بحاراً تغرق فيها سعادتها وأمانيها . فعليكم يا أقطاب الدهور ان تهبوا لنصرتها وانقاذ الانسانية من براثن الضلال »

حنا خباز

تاريخ القدس

منذ أقدم الازمنة الى الآن

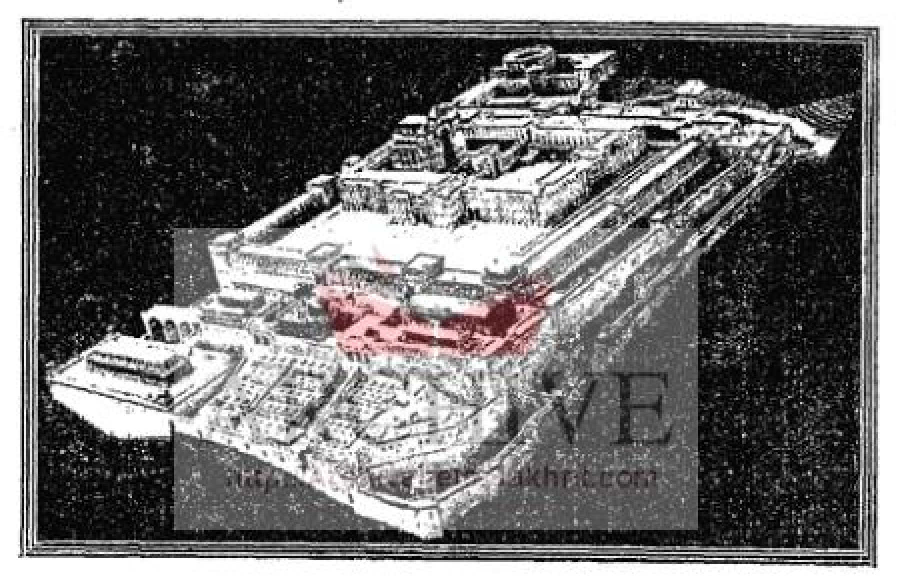
القدس من أقدم مدن العالم واعرقها حضارة وهي مهد النصرانية واليهودية . ففي جوارها أنزلت الشريعة الموسوية على الشعب العبراني وولد منشىء الشريعة المسيحية التي قلبت صفحة العالم

كانت القدس منذ ازمنة عريقة في القدم حصينة جداً . وجاء في الكتابات الهيروغليفية انها في نحو سنة ١٤٠٠ ق. م. كانت من المناعة والعمران بمكان عظيم . وكانت من أهم معاقل اليبوسيين ومن أجل مناعتها جعلت عاصمة مملكة يهوذا واتخذها داود وسليمان قاعدة للملك . وكانت هدفاً لمطامع الغزاة والفاتحين

أما اسم القدس فقد اطلقه عليها العرب . وتسمى أورشليم من يورسليم (يروشلايم) بالعبراني اي مدينة سالم وفي اليونانية واللاتينية « هيروسوليما » . وقد ذكرها فلافيوس يوسف باسم مدينة سالم وطن ملكيصادق الملك . وهناك في وادي الملك شمالي وادي سدرون بقرب المدينة التقى هذا الملك بابرهيم في القرن الحادي والعشرين قبل المسيح فباركه وقدم للرب الخبز والخمر . وقبل مجيء الاسرائيليين الى ارض الميعاد كانت « يورسليم » تؤدي الجزية لفراعنة مصر اسوة بجميع المدن الكنعانية . وفي اواخر القرن الخامس عشر ق . م . كان اليبوسيون تغلبوا على القبائل الضاربة في فلسطين واستولوا على معظم المدن وتهددوا « يورسليم » فكتب اميرها عبدي حنا مراراً الى امنحوتب الثالث والرابع يستنجدها عليهم . ولكنها وقعت في أيدي الغزاة وسميت يبوس وظلت في حيازتهم الى السنة السابعة لملك داود النبي . وكان ادونيصادق اليبوسي ملك يورسليم في جملة الملوك الخمسة الذين كسرهم يشوع تلك الكسرة الهائلة واستوقف الشمس فيما جاء في التوراة ليستتم نقمته منهم . على ان اورشليم لم تقع تحت نير العبودية بل حفظت استقلالها عدة قرون وكان لمناعة موقعها شأن كبير في حفظ هذا الاستقلال

ولما اقتسم اسباط بني اسرائيل العشرة أرض الميعاد كانت اورشليم من نصيب سبط بنيامين . وحاول سبط يهوذا انتزاعها منه ففشل . ولما اجمعت الاسباط على الاعتراف بداود ملكاً عليها (١٠٥١) زحف بجيش عظيم من الاسرائيليين على اورشليم وفتحها وطرد اليبوسيين منها وجعلها عاصمة الملك والمركز الديني للشعب الاسرائيلي ووصل المدينة الخارجية بقلعة صهيون وسميت مدينة داود أو العليا وبعد أن نقل اليها تابوت

العهد سميت الجبل المقدس وزانها بالقصور الفخمة وأتى بالعمال الذين اشتغلوا في بناء القصر الملكي من صور وجلب له خشب الارز من لبنان . واستفتح داود ملكه براحة لا يمازجها كدر ثم عصاه ابشالوم ابنه البكر وتلا ذلك تمرد ادونياس ابنه الثاني عليه ومحاولته خلعه فاحبط مسعاه ومسح سليمان ثالث ابنائه ملكا على اسرائيل . وسخط الرب على داود فتاب اليه واقام على جبل مرياح مذبحاً له وختم ايامه بتوبة صالحة ودفن في مدينة داود أو في جبل صهيون في الجنوب الغربي من المدينة واتخذ بنو اسرائيل ضريحه مدفناً لملوكهم وظل معروفاً الى عهد الامبراطور اوربليانس ثم طمست آثاره . ولما اعتلى سليمان منصة الملك زاد في تحسين اورشليم وتحصينها وبنى هيكله المشهور

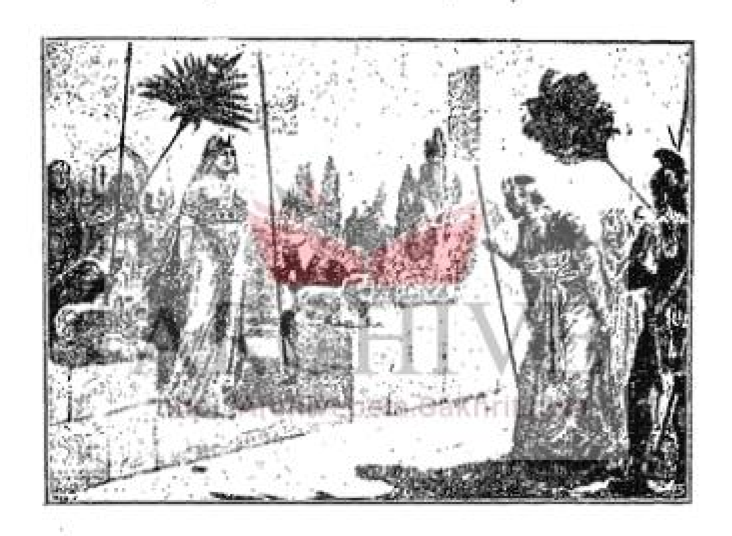


هيكل سليمان كما كان في القرن العاشر ق . م .

على جبل صهيون وأتى بالمهندسين والعمال الذين اشتغلوا فيه من فينيقية وجلب له خشب الارز من لبنان . وبلغت أورشليم في ايامه شأواً بعيداً من المجد والعمران . غير ان ما وضعه من الضرائب الفادحة أثقل كاهل الشعب فضج بالشكوى . ولما وافته منيته كانت روح الثورة قد تملكت النفوس فانفصلت أسباط الشمال عن بيت داود ونادت برحبعام الافرائيمي ملكاً عليها فباتت ثمة اورشليم عاصمة مملكة صغيرة مؤلفة من سبطي بنيامين ويهوذا . وتذرع فرعون شيشق بما أصاب بيت داود من الانقسام للانتقام لبنته ارملة سليمان الحكيم من الاسرائيليين فزحف بجيش عظيم على اورشليم ودك حصونها وقصورها

وفي ايام يهورام (٨٩٥ — ٨٨٨) غزاها العرب والفلسطينيون وتملكوها وسبوا نساءها (سفر الاخبار الثاني ص ٢١ ع ١٧) وبعد ان انتصر يهوشع ملك اسرائيل

على عمـاصيا ملك اليهودية (٨٤٠ — ٨١٢) في معركة بتسميس (سفر الملوك الثاني ص ١٤ ع ١٣) زحف على اورشليم ودك جانباً من سورها وقام هوشع بن عماصيا فرمم السور والحصون غير انه دهمها زلزال شديد فخربها . وجاء يوأثان (٧٥٩—٧٤٤) فجدد بناءها وخلفه حزقيا (٧٢٧ — ٦٩٨) فانصرف الى تحصينها ولا سيما بعد أن بلغه تأهب سنحاريب لمحاصرتها وانشأ فيها حياضاً كبيرة حصر فيهـا المياه التي كانت تتسرب اليهـا من الجبال منهـا حوض حزقيا الذي يعرف اليوم بنبع العذراء فلاذ الاشوريون بالفرار ومناهم ملاك الرب بالطاعون فافنـاهم على بكرة ابيهم (سفر اشعيا) ثم عاد الاشوريون الى محاصرة اورشليم واسروا ملكها وساقوه الى بابل ثم اطلقوا سبيله فعاد الى اورشليم ورممها . وخلفه يهوشع (٦٤١ — ٦١٠) فرمم



كليوبطرا ملكة مصر تزور جارها الملك هيرودس في اورشليم سنة ٣٣ ق . م .

الهيكل . وعقب السلام النسبي الذي استمتعت به المدينة المقدسة في عهد حزقيا وخلفائه شقاء وانحطاط عظيمان حيث زحف عليها نبوخذنصر ملك نينوى (٥٨٧ أو ٥٨٨) وملكها يومئذ يواشين فدمرها ونهبها وساق ثمانية آلاف نفس من أهلها الى بابل (سفر الملوك الثاني ص ٢٤ ع ١٥) . وبعد جلاء هذا الطاغية عنها ثار اليهود على حاميتهـا وفتكوا بها فعاد البابليون اليها وحاصروها سبعة عشر شهراً الى ان فتحوهـا واجهزوا على ابنيتها وفي جملتها الهيكل . ولما استولى قورش الفارسي على مملكة اشور سمح لليهود بالعودة الى فلسطين (٥٣٦ او ٥٣٠) وتجديد بناء الهيكل والسور فجددوهما واحتفلوا بتدشينهما سنة ٥١٥ ثم تولى نحيمي على اورشليم بأمر الملك ارتحشرخس فجدد حصونها وعزز اسوارها وظلت على الشكل الذي وضعه لها الى السنة الثالثة والاربعين للمسيح .

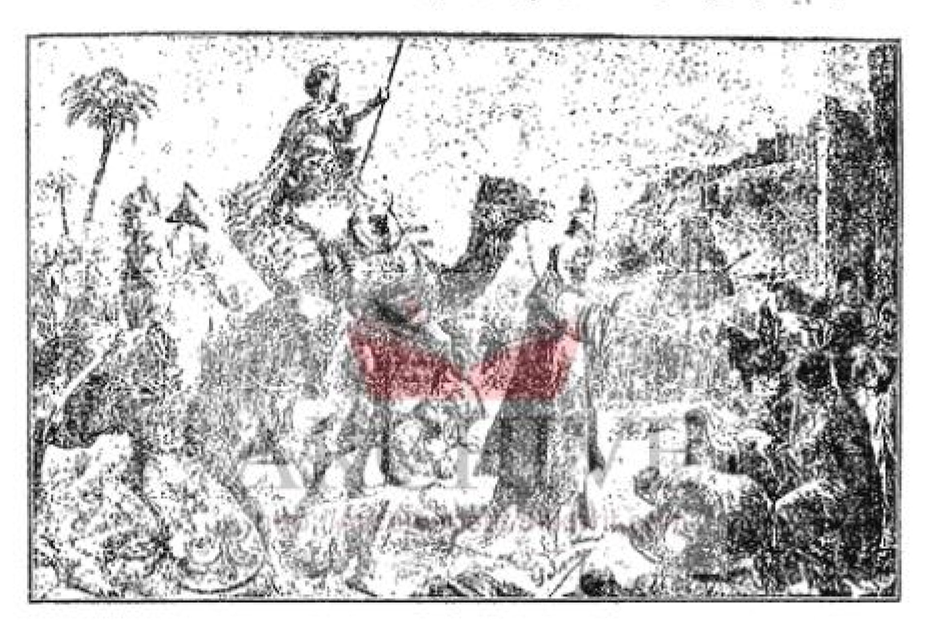
ولما جاء الاسكندر سلمت له فعامل أهلها بالرفق . وبعد موته استولى عليها بطليموس سوتير اول ملوك البطالسة (سنة ٣٠٥ ق . م .) وقد بلغت في عصر هذه الدولة من العمران شأواً بعيداً يعز نظيره . ثم وقعت في أيدي السلوقيين وباتت مسرحاً للحروب ومركزاً للفتن . وكان انطيوخس ايفان (سنه ١٧٥ — ١٦٤) اول من افتتح هذا العصر الدموي فيها فزحف عليها (١٧٥) ودك هيكلها واطلق فيها يد النهب . وبعد سنتين جاءها ابولونيوس قائد جيوشه فاجهز عليها . ثم حصن انطيوخس المدينة السفلى وجعلها معسكراً للجيش السوري وملجأ لليهود الهاربين واشتدت وطأته



هجوم الرومانيين على بيت المقدس سنة ٧٠م

على السكان فقام متاتيا وبث فيهم روح الثورة ولكنه توفي قبل ان يدرك امنيته فقام باعباء الدعوة ابنه يهوذا المكابي (١٦٦—١٦١) مؤسس دولة المكابيين واصلى السوريين والمقدونيين حرباً عواناً . وبعد ان انتصر انطيوخوس الخامس الملقب بإباطور على اليهود في حرب بيت زكريا دك اسوار جبل صهيون (سفر المكابيين ص ٦) فهاج عمله هذا سخط اليهود عليه وحاصر يوناثان (١٦١ — ١٤٣) جيش ابولونيوس في القلعة الكبرى ولكنه لم يظفر منه بطائل . ثم ظهر سمعان المكابي فافتتح القلعة وطرد الجيش السوري منها وخلفه ابنه هركانس وملك سوريا يومئذ انطيوخوس السابع فحاصره الجيش السوري فيها وفتحها بعد حصار طويل (١٣٤) ودك هذا الطاغية الاسوار من اساسها . ثم أعاد هركانس الكرة على القلعة وطرد جيش انطيوخس منها ودكها الى

الحضيض . وفي سنة ٧٠ ق.م. عصا ارسطوبولس أحد امراء المكابيين اخاه هركافس الثاني (٧٨ — ٧٠) واغتصب منه الملك واشتدت وطأته على اليهود فاستعان هركافس عليه بالحارث ملك العرب فمدَّه بجيشه وحاصر ارسطوبولس في الهيكل واضطرمت نار الثورة في البلاد فافضى نزاع الاميرين الاخوين الى مداخلة الرومان فزحف بمبايس القائد الروماني الشهير على اورشليم وانحاز هركافس الى جانبه وفتح له الابواب وتحصن ارسطوبولس في جبل صهيون وأتى من آيات البسالة في الدفاع ما استنفد قوى الجيش الروماني ثم غلب على امره واستولى بمبايس على الحصون وامعن في اليهود ضرباً وقتلا



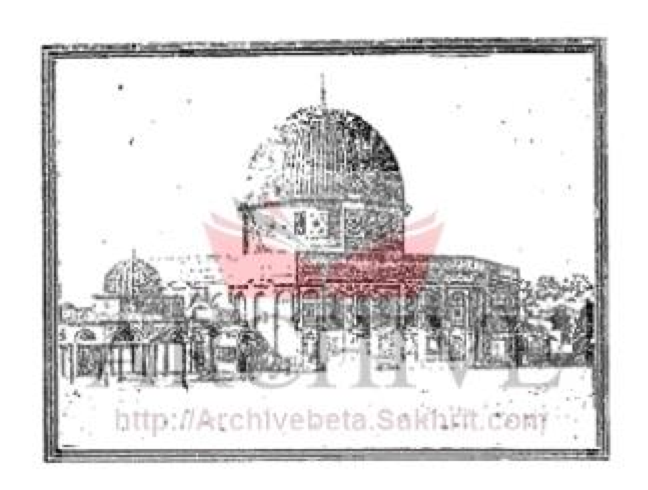
دخول عمر بن الخطاب بيت المقدس

ولكنه لم يمس الهيكل وجعل اليهودية ولاية رومانية قاعدتها اورشليم وولى عليها هركافس الثاني مكافأة له على ولائه (٦٣ أو ٦٥)

وفي سنة ٤٠ شبت في اورشليم فتنة كبيرة افضت الى دخول البرتيين اليها وخلعهم هركافس ومناداتهم بانتيغون والياً على اليهودية ولكنه لم يكد يستتب له الامر حتى برز له هيرودس الكبير وانتزع منه الحكم بمساعدة الرومان واقره مجلس الشيوخ الروماني في ولايته (سنة ٤٠ وقيل ٣٧ وهو الاصح) . وحاول اليهود مقاومته فأحبط مسعاهم وانصرف الى تحسين المدينة وتحصينها فاقام فيها القصور الباذخة الفخمة والحصون المنيعة وانشأ فيها الاندية العظيمة والشوارع الرحبة وباتت في عهده آية من آيات الزمان تضاهي اعظم المدن الرومانية جمالا وفخامة . واحصي يوماً عدد الضحايا التي اعدت

للفصح فبلغ فيما يقال ٢٧٠٠٠٠ خروف . وبعد موت المسيح نقل سور المدينة من مكانه القديم بامر اغريبا الاول وقيل انه كان يتخلله ٩٠ برجاً ضخماً اهمها برج بسيوفينوس . تلك كانت حالة اورشليم في ايام المسيح اي مدينة مهمة تضارع اعظم المدن السورية حضارة وفخامة

وفي السنة الثامنة والثلاثين لملك هيرودس ولد المسيح في بيت لحم وبعد ان عاش ثلاثين سنة فقيراً مجهولاً بشر بتعاليمه مدة ثلاث سنوات واتم على جبل الجلجلة فداء البشر . ومات هيرودس في السنة الرابعة للمسيح بعد ان حكم اكثر من ٤٠ سنة وخلفه ابنه ارخيلاوس فحكم اليهودية والسامرة بامر اغسطس قيصر تسع سنوات وتعاقب الولاة



قبة الصخرة من الخارج

الرومانيون على حكم تلك البلاد واخصهم بالذكر بيلاطس البنطي (٢٦ — ٣٥) صاحب الكلمة المشهورة في المسيح . الى ان قام اغريبا الاول حفيد هيرودس الكبير فانعم عليه الامبراطور كليغولا بلقب ملك وقد حكم ٣٧ سنة . وبعد موته عاد الولاة الرومان الى حكم اليهودية وارتكبوا فيها المظالم والموبقات ولا سيما فلوريوس حيث قتل عدداً كبيراً من اليهود فثاروا عليه (٦٥ — ٦٦) وحاول هيرودس اغريبا الثاني واخته بيرينس قمع الفتنة ففشلا ولاذا بالفرار وانقسم الشعب احزاباً في تنازع الحكم واستظهر حزب الوطنيين المتطرفين على بقية الاحزاب وتناولت الثورة انحاء فلسطين فزحف الامبراطور فسبسيانوس عليها بجيش عظيم (٦٧) وهمّ بفتح اورشليم ثم اضطر ان يعود الى رومية بعد ان عهد في هذه المهمة الى ابنه طيطس . فزحف هذا على المدينة المقدسة (سنة ٧٠) والاحزاب الوطنية تتنازع السلطة فيها وتتطاحن لاجلها فهاجمها من الجهات

الاربع وشهد من استقتال اليهود في الدفاع عنها ما دعاه الى مخابرتهم بتسليمها اليه على يد يوسيفوس نخاب مسعاه ووالى الرومان كراتهم عليها الى ان دخلوها عنوة واحرقوا الهيكل واعملوا سيوفهم في رقاب اليهود وباعوا من سلم منهم بيع السلع . ونسي ذكر اورشليم بعد ذلك الى ان كانت سنة ١٣٠ فثار اليهود على الرومان وجاء قائد الامبراطور ادريانس (١١٧ — ١٣٨) فقمع الثورة وافنى العصاة على بكرة ابيهم (١٣٢) ودك المدينة من اساسها وبنى مكانها مدينة جديدة سميت ايليا كيتولينا تكرمة للمريخ (كيتولين) . غير انه لم يكد يستوثق من الامر حتى عاد اليهود الى العصيان باغراء بركوشيباس (١٣٣) فقمع يوليوس ساويرس عصيانهم ونفاهم من المدينة وحظر عليهم العودة اليها

وبعد خروج اليهود من اورشليم سدل حجاب كثيف على تاريخها حقبة طويلة من الدهر ولم تنقشع عنها غياهب الظلمة الاّ منذ انتصر الدين المسيحي على الوثنية في الامبراطورية الرومانية الشرقية واتخذته حكومتها ديناً رسمياً لها فدخلت حينئذ اورشليم دوراً جديداً من الحياة الحقيقية وكان اول عهدها بهذا العصر الذهبي من تاريخها في ايام قسطنطين الكبير حيث انبرت والدته القديسة هيلانة لمناهضة انصار الوثنية وأقامت عدداً كبيراً من الكنائس العظمى وفي مقدمتها كنيسة القبر المقدس وهي اليوم من انفس الآثار التاريخية التي خلفتها لنا القرون الخوالي في المدينة المقدسة (٣٢٦) وسمح قسطنطين لليهود بالعودة الى اورشليم فاخلدوا فيها الى السكون حتى سنة ٣٣٩ حيث حاولوا خلع نير الرومان ولكنهم فشلوا . وميزهم الامبراطور يوليانس على المسيحيين وأذن لهم بتجديد بناء الهيكل غير انهم لم يكادوا يتموه حتى طردوا من المدينة

ومنذ سنة ٤٥١ فصلت اورشليم عن ابرشية قيصرية وانشئت فيها بطريركية مستقلة واقام يستنيانس والبابا غريغوريوس فيها كثيراً من الكنائس والاديار ونسجت حكومات اوربا على منوالهما فاقامت الاديرة والملاجىء لايواء الزوار وراجت فيها تجارة الآنية الكنسية رواجاً عظيماً . وفي القرن السادس عملت لها خريطة بقطع الفسيفساء وهي اقدم وانفس خريطة عملت لاورشليم

وظلت اورشليم مدينة عامرة عظيمة ولا سيما من الوجهة الدينية الى سنة ٦١٤ اذ غزاها الفرس بقيادة ملكهم كسرى الثاني فذبح من أهلها ٦٢٠٠٠ نفس وقاد عدداً عظيماً منهم الى الاسر . ولم يطل بها عهد الخراب فاستعادت عمرانها واهميتها بمعونة المصريين . وفي سنة ٦٢٨ اجتاح الملك هرقل فلسطين واستولى على اورشليم وتلا ذلك محاصرة العرب لها بقيادة ابي عبيدة (٦٣٧) فقاومه أهلها مقاومة عنيفة ثم سلموها

لعمر بن الخطاب نفسه فامنهم على ارواحهم واموالهم ورفق بحال المسيحيين وكان عددهم فيها وقتئذ ٥٠٠٠٠ الف نفس. ولما انقضى حكم الامويين في بلاد الشام دخلت اورشليم في حيازة الدولة العباسية واشهر خلفائها هارون الرشيد وكان بينه وبين الامبراطور شرلمان مودة افضت به الى موافقته على وضع الاماكن المقدسة تحت حمايته اجابة لملتمس البطريرك جورجيوس (٧٩٦ـ٨٠٧) وفي سنة ٨٠٠ بعث اليه بمفاتيح كنيسة القبر المقدس ايذاناً بذلك. وفي سنة ٩٦٩ استولت الدولة الفاطمية المصرية على اورشليم. وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر دخلت في حيازة الاتراك السلجوقيين بعد فتن وحروب شديدة تعرف بحروب التركمان. وجاء الحاكم بامره سنة ١٠١٠ فهدم المعاهد الدينية وادعى الالوهية. وفي سنة ١٠٧٧ زحف على اورشليم اتنستر بن آبق الخوارزمي فاستولى عليها وتملكها ملك شاه الى سنة ١٠٩٩ حيث اقبل الصليبيون على الاراضي المقدسة اجابة لدعوة بطرس الناسك فاستولوا على اورشليم واقاموا عليها ملكا منهم.

وفي سنة ١١٨٧ طردهم صلاح الدين الايوبي منها وسمح للمسيحيين باخلائها

ثم عاد الصليبيون الى محاصرتها سنة ١١٩٠ فتأهب صلاح الدين للدفاع عنها وعزّز حصونها فرفعوا الحصار عنها. وفي سنة ١٢١٩ جاءها الملك المعظم صاحب دمشق واشفق ان يستولي الافرنج عليها ويتحصنوا فيها فدك حصونها وابراجها . وفي سنة ١٢٢٩ عقدت هدنة عشر سنين بين فريدريك الثاني بربروسا الالماني وبين الملك العادل سلطان مصر وبمقتضى هذه الهدنة توج فريدريك فيها وسُمح للمسيحيين بالعودة اليها على شرط ان لا يعيدوا بناء الاسوار ولكن الافرنج نكثوا العهد وحصنوا المدينة. وفي سنة ١٢٣٩ استولى عليها الامير داود احد امراء العراق وطرد الافرنج منها ولكنها أعيدت اليهم سنة ١٢١٣ اثر معاهدة عقدت بينهم وبين العرب. وفي سنة ١٢١٤ اضرم الخوارزميون نار الثورة وفتكوا باهل اورشليم واستولوا عليها. ثم دخلت في حيازة الايوبيين. ولما استولت دولة المماليك البرجية على بلاد الشام وقعت اورشليم في ايديهم واوغلوا في الظلم والاستبداد وظلت في حيازتهم الى ان زحف السلطان سليم الاول على سورية وانتزعها من المماليك سنة ١٥١٧ فدانت اورشليم لسلطانه. وفي سنة ١٨٣١ فتحها ابراهيم باشا البطل المصري الشهير. ثم أعيدت الى الدولة العثمانية سنة ١٨٤٠ بمقتضى الحلفة التي ابرمت بين دول اوربا المتحدة لتسوية المسألة المصرية. وألحقت اولاً بولاية دمشق ثم فصلت عنها سنة ١٨٨٧ وجعلت مركز لواء من الدرجة الاولى تابع للباب العالي مباشرة

بولس مسعد

حياة أصحاب الفنون

تليت بنادي الموسيقى العربية في حفلة تأبين الشيخ سلامه حجازي

ترنم بالحان الاسى واسمع الصدى تجبك منى بين الضلوع هواتف
فاقست الاحزان الا تيسرت ولا دنت الآمال لولا المخاوف
ترنم فان الناس ضاقت صدورهم وطاف بهم من ظلمة اليأس طائف
كأن الشجى أسقاهمو برمية [(1)] علا الجو منها عارض متكاثف
قلوب مقاناة [(2)] الرجاء بلاعج من اليأس تربيه المنايا الزواهف
فوقع على اوتارها نغمة الاسى فقد هيئت بين الضلوع المعازف [(3)]
ترنم واسمعهم شكاية موجع يرفرف قلب بين جنبيه جادف [(4)]
وما اتحدت آمالكم وشجونكم وما ائتلفت اوطاركم والعواطف
تحزنك حزن اليم يطغى عبابه ويهتاج فيه موجه المتجانف
وحزنك حزن الليل غارت نجومه وثارت به هوج الرياح العواصف
واحزانهم لا يثقل القلب وقعها وان صبغت منها الوجوه الكواسف
همو يحسبون الموت رزءاً وما دروا بان حياة المرء رزء مضاعف
همو يمنحون الموت نظرة ناقم فكلهمو من سطوة الموت واجف
فعلمهمو أن يمنحوا العمر نظرة لتسكب سوم الدموع المذارف
اذا ما وصفت اللهو جودت وصفه ولكن حزني فوق ما انا واصف

***

ألا كيف يطوي مهمه العمر دالف تعارضه كثبانه والحقائف [(5)]
يجشم طي البيد واليوم صائف ألا كيف يطويه الفتى وهو راسف
وما هو بالمستطيع وقفاً لسيره فقد خايلت عينيه فيها المزالف [(6)]
يرى الظل عن بعد فيشتد عزمه فتغلق عينيه الرمال السوائف
ويظمأ حتى تبلغ الحلق نفسه وهيهات ان تبتل منه المراشف
فتلك حياة الحي بئست حياتنا ونعم الردى لولا الاماني الزوائف
حياة كافواه البراكين يرتمي على الناس منها نارها والقذائف

---

(١) الرمية السحابة (٢) مقاناة أي مختلطة قال امرؤ القيس
كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل
والزواهف القريبة (٣) المعازف آلات الطرب (٤) جادف طائر (٥) الدالف الماشي مشية المتيد والحقائف اكوام الرمل (٦) المزالف القرى

فيا غائباً في الترب ما جئت باكياً لفقدك لكني على الحي آسف
يذكرني موت الفتى بحياته فأحزن لا أني من الموت خائف
يذكرني آماله وجهاده فيكشف عني غيهب اللهو كاشف
هنيئاً لمن ماتوا رواحة طائر كليل تلقاه من الموت لاقف
تخافون وقع الموت والموت سلوتي اذا راعني خطب من الدهر عاصف
عزائي أني تارك ما سئمته فوقع المنايا بيننا مترادف
وأشقى الدنا ذو الفن يحيا لفنه وينعم فيه غيره وهو كاسف
وهل نافعي أني زرعت خميلة وغيري منها آخر الدهر قاطف
شقيت بفن ابتني حجراته ليأوي اليها الواهنون الحراشف(١)
لكم دوني الصرح الذي أنا مبتن أقيموا به دوني فاني آزف(٢)
فعبدكم قد أطرب الناس صوته فهل كان يشجيه الصدى وهو عازف !
نساء بما نجني لكم فاشكروا لنا لكم دوننا آمالنا والعوارف

عبد اللطيف النشار

شذرات

﴿ لا أبا لك ﴾ اصلها مسبة فصارت تضرب في المدح وذلك ان بعض العرب يأتي بها على طبق المدح فيقول للحاكم أنظر في أمر رعيتك لا أبا لك . قال اعرابي :

رب العباد مالنا ومالك قد كنت تسقينا فقد بدا لك
انزل علينا الغيث لا أبا لك

كان المسور بن مخرمة جليلاً نبيلاً وكان يقول في يزيد بن معاوية انه يشرب الخمر فبلغه ذلك فكتب الى عامله بالمدينة أن يجلده الحد ففعل فقال المسور في ذلك :

أيشربها صرفاً يفض ختامها ابو خالد ويجلد الحد مسور

من اراد ان يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ، ومن اراد ان يكون أديباً فليتفنن في العلوم

عبد الله بن مسلم بن قتيبة

---

(١) الحراشف الصغار والشيوخ والمراد هنا الضعفاء (٢) آزف راحل

التقريظ والانتقاد

ماجدولين

هذه القصة اول مؤلفات الفونس كار وضعها وكان من عمره في الرابعة والعشرين فاودعها ما شاءت أن تمليه عليه أماني الصبا واحلام الشباب ، وكل ما قد يتصوره من معنى السعادة والحب فتى لم يتجاوز بعد باب الحياة ، وما قد يتوهمه من نعيم الوجود وشقائه شاب ذهب الخيال بنفسه مذاهب جعلته يرى الحقيقة بشعة مخيفة والحياة أقل من أن يرضى بها انسان

وقد رأى اديبنا الكبير السيد مصطفى المنفلوطي أن لا يحرم قراء العربية فوائد وجدها في تلك القصة فعربها بعد أن تصرف فيها بتغيير موضوعها وحوادثها وشخصية ابطالها وكثير من آراء مؤلفها وبحذف بعض فصولها واثبات خلافها وبغير هذا مما يقول الاستاذ عنه انه صير القصة أقرب الى الذوق العربي واكثر نفعاً للمجتمع الشرقي ومما جعل هذا التعريب نوعاً جديداً من انواع الكتابة لا يصح أن يسمى ترجمة ولا اقتباساً ولا تأليفاً . وأنه لنوع لا ادري كيف اسميه كما اني لا ادري اذا كان الاستاذ محقاً في قوله « أنه مع هذا التصرف قد حافظ كل المحافظة على جميع فوائد الكتاب ومزاياه »

ولع السيد المنفلوطي من زمن بالادب الغربي مع انه يجهل لغاته وود لو ينقل منه الى العربية ما يصلح لان يكون نموذجاً لكتابنا يقتدون به . وقد ايأسه ما رآه من أثرة المتمكنين من هذه اللغات او احجامهم عن تعريب النافع والمفيد منها . فعمد الى طريقة الجأته اليها رغبته في الرفع من شأن لغته وغيرته عليها من جمود كتابها وقصرهم جهدهم على تقليد القديم وترديده ، وهي أن يستعين بمن يترجم له الكتاب الذي يختاره ترجمة حرفية يصوغها هو في قالب عربي بالاسلوب الذي يرضاه . وبهذه الكيفية اخرج لنا بعض مؤلفات قيمة يجد القارئ فيها من الجديد ما لا يجده في الكتب العربية قديمة وحديثة

هذه الطريقة ، وان كانت تنم عن غرض كبير لا تعمل على تحقيقه الا كل نفس كبيرة ، الا انها في اعتقادي طريقة لا تنطبق على قواعد فن الترجمة في شيء وليس من ورائها اقل من مسخ الاصل المراد ترجمته

لا يكفي لترجمة كتاب ، لا سيما اذا كان من المؤلفات الادبية ، أن ينقل موضوعه الى اللغة التي يترجم اليها . لان في كل كتاب اشياء جوهرية غير موضوعة لا يجوز اهمالها كروح المؤلف واسلوبه وما في هذا الاسلوب من المعاني الجديدة والاستعارات والتشبيهات وغير هذا مما لا بد من المحافظة عليه كل المحافظة واثباته في الترجمة حتى يستطيع قارئ هذه أن يعرف من المؤلف مزاجه العقلي وذوقه وشاعريته وطريقته في ترتيب افكاره واستنتاجاته وحتى لا تكون الترجمة بجانب الاصل كالهيكل العظمي بجانب جسم الانسان

ولا سبيل للمترجم الى هذه الغاية الا اذا اتقن معرفة اللغة التي يترجم منها حتى يستطيع أن يتفهم من بين سطور المؤلف تلك الاشياء الجوهرية ، ومعرفة اللغة التي يترجم اليها حتى يوجد منها ما يثبت به هذه الاشياء في ترجمته . أما استعانة عالم بلغة الترجمة يجهل لغة الاصل بعالم بهذه يجهل تلك فطريقة عقيمة تذكرنا بحكاية الاعمى والمقعد . ولا اظن أن حظ الاستاذ ومساعده من الترجمة اوفر بكثير من حظ هذين التعسين من الحياة

ولكن مهما يكن من الامر يمكننا بشيء من التساهل أن نعتبر « ماجدولين » كتاباً اجتماعياً جديداً وضعه الاستاذ المنفلوطي في قالب قصة شيقة تطيب قراءتها لكل ذي ذوق سليم

اذا نظرنا الى الكتاب بهذا الاعتبار الفينا فيه من المزايا والصفات ما يجعلنا نفخر بالاستاذ واضعه وما يثبتنا في يقيننا بأنه أمام كبير في الادب العربي الحديث وبان هذا الادب سيرقى رقياً كبيراً تكون للاستاذ اليد الطولى فيه

القصة شيقة ماتعة وهي على طولها خالية من الحشو الممل والمبالغات الممقوتة : أما أسلوب الكاتب فيها فحسبنا أن نقول عنه انه اسلوب الاستاذ المنفلوطي ، ذلك الاسلوب الذي جمع بين البلاغة القديمة والادب الحديث من حيث متانة التركيب ورقة التعبير وحسن الذوق في اختيار اللفظ وتنسيق العبارة وتجنب التكلف في التخيل والغلو في الوصف والتصوير . وأن القارئ ليجد في « ماجدولين » صفحات يود لو تطول حتى لا تنقطع تلك النغمة المشجية التي يحدثها انسجام الجمل وتتابع المعاني الرقيقة المفرغة في قالب يزيد رقتها حسناً وبهاء

ولولا هنات طفيفة في الكتاب قد يكون سببها الافراط في حب الابتكار كقول الاستاذ : « اني لأذكر هذه الايام واحن اليها حنين الليل الى مطلع الفجر » وقوله : « وودّ لو وجد السبيل الى منازلته في ميدان خصام يضربه فيه ضربة تهشم انفه وتخضب الذي فيه عيناه » وقوله : « ليت الدهر يستل حياتنا من ايدي آجالنا » وقوله : « رأيت

النحل يتطاير حول الازهار كما تتطاير الاحلام حول افواه الاطفال الصغار » — لولا هذه الهنات التي لا يحاسب عليها الا من بلغ مبلغ الاستاذ من الادب لقلنا ان الكتاب سليم من كل عيب

ولكن ذلك لا يمنعنا من القول بان أسلوب الاستاذ المنفلوطي قد بلغ في « ماجدولين » حداً يجعل له مقاماً فريداً في عالم الادب العربي وبأن هذا الاسلوب هو الحلقة المفقودة في سلسلة أساليب الكتابة العربية حسن الشريف

EGYPTIAN COLLOQUIAL ARABIC
By Cannon W.H.T. Gairdner

اهتم حضرة العالم المستشرق الكانن ولیم تمبل جردنر في الاعوام الاخيرة بدرس علم الاصوات واتقان النطق بالاحرف العربية على اختلافها . وقد أنشأ لهذا الغرض حلقة لتدريس اللغة العربية لطائفة المرسلين الذين يؤمون مصر من انكليز واميركين ووضع لذلك برنامجاً أسفر في بضع السنوات الاخيرة عن نجاح تام

وآخر ما قام به في هذا السبيل انه وضع كتاباً نفيساً في اللغة العربية العامية (المصرية) جمع فيه قواعي ووضعه على اسلوب يسهل على التلميذ تناوله وكان قد سبق فوضع في هذا الموضوع كتاباً آخر (لم يطبع) ثم أهمله ووضع الكتاب الذي نحن بصدده مؤسساً اياه على طريقة أفضل من كل ما تقدمه من هذا النوع

وقد وقفنا على هذا الكتاب فرأيناه جديراً بالمطالعة ولا سيما أنه عنوان سعي الغربي واجتهاده وقد قال في مقدمته أن أحسن ما كتبه المتأدبون في اللغات الاجنبية هو ما كتبوه عن اللغة العربية العامية . ومع تعدد الكتب الموضوعة في هذا الصدد لم يرَ حضرة الكانن جردنر بداً من وضع كتاب يكون أوفى من كل ما تقدمه وينظر فيه نظراً خاصاً في فن النطق بالاحرف وهو ما يعرف عند الغربيين «بالفونتيك» أي علم الاصوات

ومما يجدر بالذكر أن المؤلف لم يضع كتابه الا بعد خبرة سنوات عديدة قضاها في الانصات الى المحادثات العربية والصغي الى أصوات الناطقين بها ومراقبة حركات شفاههم عند النطق حتى أنه قضى سنة في جمع الملاحظات والمعلومات عن كيفية التلفظ بالاحرف العربية في جميع حالات التخفيف والتفخيم . وقد كان حضرته من المستشرقين القلائل الذين أدركوا ان حرف الراء مثلاً في كلمة « رمس » هو غير حرف الراء في كلمة « رباب » فانه مخفف في الاول مفخم في الثاني . وقس على ذلك جميع الاحرف العربية فان النطق بها يختلف باختلاف مواقعها وهو الحقيقة التي أراد حضرة الكانن جردنر تقريرها في كتابه الذي نحن بصدده

ولا يخفى ان معرفة الحقيقة شيء وايضاحها للاخرين شيء آخر . واذا كان الاول صعباً في الاحوال الاعتيادية فان الثاني أصعب دائماً ولا سيما عند نقل الاصوات من لغة الى لغة . وهنا منشأ الغلط في نطق الالفاظ الاجنبية فان معظم الذين وضعوا الكتب لتعليم لغة من اللغات الاجنبية اكتفوا بتصوير الاحرف دون الاصوات فعبروا عن حرف الراء في المثلين المذكورين آنفاً (أي في « رمس » و « رباب ») بحرف « R » في اللغات الاوربية أي انهم اكتفوا بمجرد رسم الحرف ولم يكترثوا لتصوير الفرق بين صوتي هذا الحرف المختلفين . وهذا وجه ضعف لا يخفى على أحد وقد بدا أثره في معظم مؤلفات الاوربيين عن اللغة العربية وكيفية النطق بها

وقد انتبه بعض العلماء المستشرقين الى هذا الامر وأدركوا انه نقص يجب سده . وكانوا قد اجمعوا سابقاً على طريقة معينة للتعبير عن بعض الاصوات غير الموجودة في اللغات الاوربية فعبروا عن « الخاء » مثلا بحرفي « Kh » أو « Ch » . وعن العين بحرفي « AA » أو بحرف « A » مسبوقاً بضمة مقلوبة هكذا « 'A » وعن الغين بحرفي « Gh » وعن القاف بحرف « K » أو « Q » وهلم جراً

ثم جاء فريق آخر من المستشرقين فوجد ان حرفي « التاء » و « الطاء » مثلا ليس لهما ما يقابلهما في اللغات الاوربية سوى حرف T مع ان بين الحرفين فرقاً كبيراً في النطق فاصطلحوا على ان يعبروا عن حرف الطاء بحرف T منقوطة من تحت . وعن حرف الضاد بحرف D منقوطة من تحت وعن حرف الذال بحرفي TH وتحتهما خط صغير . وحرف الحاء بحرف H منقوطة من تحت وهلم جرا

على ان هذه الطريقة ايضاً لم تكن تخلو من الصعاب ولا سيما ان بعض الاحرف العربية كالخاء والغين والشين مثلا كان يعبر عنها بحرفين . فاذا شددت زاد الطين بلة فكانت كلمة « رشّ » مثلا تكتب في الافرنجية هكذا Rashsha فضلا عن انه لم يكن ثمت مايدل على كيفية النطق بحرف ال « R » مثلا فقد يجوز ان يكون مخففاً أو مفخماً . وقس على ذلك بقية الاحرف

أخيراً اصطلح الاوربيون على أحرف جديدة وعلامات موضوعة للتعبير عن اصوات الاحرف العربية (او بالحري عن اصوات الاحرف السامية) وسموا طريقتهم هذه « أصطلاح الاصوات الدولي »

ومما تمتاز به هذه الطريقة ان لكل حرف عربي حرفاً — او رسماً اصطلاحياً — يقابله في اللغات الاوربية ويدل على مبلغ تخفيفه او تفخيمه . فهمزة القطع مثلا يعبر عنها بعلامة تشبه قليلا علامة الاستفهام في اللغات الاوربية محدبة الى جهة اليمين . وحرف

العين يعبر عنه بالعلامة نفسها محدبة الى جهة اليسار. وحرف الخاء يعبر عنه بحرف « X » وحرف الياء بحرف « J » وهلم جرا

هذا هو المبدأ الذي جرى عليه حضرة السكان جردنر في كتابه النفيس . وقد تمكن بهذه الطريقة من تصوير الالفاظ العربية صورة اقرب الى نطقها الحقيقي من كل صورة أخرى اصطلاحية . فانك اذا تصفحت الكتب الغربية الموضوعة لتعليم اللغة العربية والتي تحتوي على الالفاظ العربية مكتوبة بالاحرف الافرنجية تجد فيها نقصاً عظيماً يشوهها ويضل طالب اللغة لانه لا يرى في الكتاب ما يرشده الى النطق الحقيقي بالالفاظ العربية

مطبوعات جديدة

﴿ شرح قانون تحقيق الجنايات ﴾ تأليف حسن نشأت بك الدكتور في العلوم الجنائية ومدرس العلوم الجنائية بمدرسة الحقوق السلطانية وبالجامعة المصرية . هو كتاب جديد في موضوعه صدر منه الجزء الاول ويستدل منه على أن المؤلف ينوي استيفاء مبحثه من جميع وجوهه فقد خصص قسماً كبيراً من الجزء الذي بين أيدينا لدرس تاريخ الاجراءات الجنائية في مصر منذ اقدم الازمنة الى هذا العصر وهو بحث شيق مفيد يشكر عليه المؤلف اجمل الشكر. أما طريقة الكتاب فهي أن المؤلف شرح قواعد تحقيق الجنايات المصرية الاهلية علمياً وعملياً مع مقارنتها عند اللزوم بالقواعد المماثلة أو المؤدية الى نفس الغرض الموجودة في البلاد الاجنبية وخصوصاً فرنسا . وهو مطبوع طبعاً متقناً على ورق صقيل وثمنه ٢٥ قرشاً صاغاً

﴿ الحشرات الضارة في مصر ﴾ هو بحث في طبائع وادوار حياة الحشرات والقراد والعناكب التي تضر بالمزروعات وحاصلات البساتين والغواكه واشجار الفاكهة ونباتات الزينة والظل والمباني والاثاثات وغيرها والتي تصيب الانسان مباشرة او تحمل اليه العدوى مع بيان الطرق اللازمة لاتقاء شرها ووصف أعدائها الطبيعية بقلم ف . ك . ويلكوكس عالم الحشرات بالجمعية الزراعية السلطانية وترجمة محمود افندي بيرم رئيس سكرتارية الجمعية المذكورة . وقد صدر الجزء الاول من هذا الكتاب الفريد في مبحثه وفائدته وسيتلوه جزءان آخران لاستيفاء الموضوع . اما الجزء الاول فخاص بدودة اللوز الحمراء المعروفة بالقرنفلية التي يعلم خطورتها كل مزارع في هذا القطر . والكتاب مرتب احسن ترتيب وواضح اتم الوضوح في متنه وفي صوره الجميلة الملونة وغير الملونة وهو يقع في نحو ٤٠٠ صفحة كبيرة مطبوعة على ورق صقيل وثمنه خمسون قرشاً مصرياً

العائلة والمنزل

صحة الحامل في الشرق

ما هي عليه من الاهمال وما ينبغي لها من العناية

أطرق هذا الموضوع لشدة اعتقادي أهميته وفائدته لكل امرأة بل لكل رب اسرة تهمه سعادته وسعادة زوجه واسرته اذ ان على صحة الزوجة يقف ركن عظيم من أركان السعادة البيتية

قلما تمنح المرأة الحامل في الشرق ما تمنحه شقيقتها الغربية من العناية سواء في مدة الحمل او في أثناء الولادة والاسابيع التي تليها . فهي تترك غالباً في المدة الاولى لرحمة القضاء والقدر وفي الثانية يسلم أمرها لعجوز قذرة تدعو نفسها « داية » وهي تجهل هذا الفن كل الجهل وانما يكون لديها المام بامور تلقتها عن والدتها أو احدى قريباتها أو تكون قد تعلمت القليل من فن الولادة ، والمعرفة القليلة تضر اكثر مما تنفع

ومما يدعو الى الاسف ان بعض الاسر الراقية تجهل هذه الحقيقة فتسلم أمرها لداية من هؤلاء فيفضي الامر الى موت الكثيرات والى ما نراه كل يوم من جيوش النساء المتألمات صاحبات الامراض المزمنة ومعظمها يرجع اصله الى ما كان اثناء الولادة من الاهمال وعدم الاكتراث وخصوصاً الى ضروب القذارة المتأتية عن أيدي تلك المولدات

اما ما نسمعه من حكايات الفلاحات في مصر والبدويات في سوريا وكيف انهن يلدن في الحقول أو على قوارع الطرق ثم يعدن الى منازلهن ماشيات وهن بصحة جيدة فلا عبرة به ، وان تكن هذه الحوادث حقيقية ، فان هناك حوادث كثيرة من هذا القبيل أدت الى موت الوالدة أو موت الطفل أو موتهما معاً . وكل طبيب مارس هذا الفن في مصر او في سوريا أو غيرهما من بلاد الشرق يستطيع ان يذكر عشرات الحوادث المثبتة لذلك . فاذا كان هذا شأن الفلاحات والبدويات فكيف بساكنات المدن !

***

المرأة الحامل عند بعض العلماء بمنزلة المريضة . على اننا اذا رأينا في هذا القول بعض المغالاة فلا ريب على الاقل في انها على الحد الفاصل بين الصحة والمرض . فادنى خلل يطرأ على عضو من أعضائها يفضي الى اضرار كبيرة وقد يؤدي الى أسوأ العواقب . مع ان

هذا الخلل ذاته قد يطرأ على الجسم في غير حالة الحمل فيمر ويزول على اهون الصور . والسبب في كون الحامل على هذه الحال ما نشاهده في كل أعضائها تقريباً من التغييرات الوقتية : فاننا اذا وجهنا نظرنا الى القلب مثلاً وجدنا به تضخماً ناشئاً عما يفرض عليه من زيادة العمل . وكذلك نجد في الرئتين ازدياداً في الضغط مع تقدم الحمل . أما الكبد فوظيفته تضطرب كل الاضطراب ويكون غالباً في حالة تستدعي اشد الانتباه . والكلى يتضاعف عملها لما يجب عليها من زيادة الافراز . هذا فضلاً عن اضطرابات مختلفة في المجموع العصبي والقناة الهضمية ، وما الوحم والامساك والقيء الا من ظواهر تلك الاضطرابات . فلا بد والحالة هذه من شدة الاعتناء في ملاحظة الحامل ومداركة كل طارىء كبير او صغير يطرأ عليها حتى لا تحول هذه التغييرات الوقتية الى أمراض مزمنة تكون سبباً في تألمها تألماً دائماً وجعلها عبئاً ثقيلاً على ذويها

واني ذاكر هنا ما يجب على الحامل عمله بنفسها او تنبيه الطبيب المولد اليه من الاعراض التي تطرأ عليها حتى يمكن مداركتها في الحال قبل استفحالها فتجتنب ما وقعت فيه غيرها من النساء من الحوادث المحزنة التي لم يفد فيها نطس الاطباء اذ يكون قد سبق السيف العذل :

أولاً الرياضة يومياً في اهواء الطلق ويكون ذلك اما بالسير على الاقدام او بركوب العربة حسب ما تقتضيه الاحوال . ولا مانع من الاستحمام في حمامات البحر . وعلى كل حال فيجب الاعتدال في الرياضة وافضل مقياس لها هو ان لا تبلغ درجة التعب . أما في الاشهر الاخيرة من الحمل فينبغي تجنب ركوب العربات في الطرق غير المنتظمة أي التي بها مرتفعات ومنخفضات وخصوصاً من سبق لها ان « اسقطت »

ثانياً الثياب يجب ان تكون رحبة غير ضاغطة على الوسط ويستحسن عدم شد « الكورسيه » في الاشهر الاخيرة وقد يقوم مقامه حزام بسيط واسع . واذا كان في الرجلين تمدد (احتقان) في الاوعية الدموية وجب لبس جوارب من الكاوتشوك فهي تفيد كثيراً

ثالثاً لا مانع من ان يكون الغذاء عادياً مع تجنب المأكولات العسرة الهضم ، الا في احوال مخصوصة يستشار بها الطبيب

رابعاً يجب الاعتناء بالقناة الهضمية ومنع الامساك باخذ حبوب « الكسكرة » او مسحوق عرق السوس مساء بقدر ملعقة صغيرة قبل النوم . ولا يستحسن تعاطي ملينات شديدة او مطهرات الا بامر الطبيب

خامساً الاعتناء بالثديين وهذا من الامور الجوهرية التي اريد ان ألفت الانظار

اليها على الخصوص فان ما نراه من تجرح الحلمة في زمن الرضاعة وما ينتج عن ذلك من الخراجات في الثدي قد يفضي الى اجراء عمليات وإلى آلام مبرحة يمكن تجنب معظمها اذا اعتني بالحلمة اثناء الحمل . وهذه طريقة بسيطة للوقاية المطلوبة: يمزج محلول مركب من ٢٥٠ جرام ماء بوريك مشبع مع ٣٥٠ جرام من الكحول (الاسبرتو) النقي وتغسل بهذا المحلول الحلمتان صباحاً ومساء في الشهرين الاخيرين من الحمل. واذا كانت الحلمة صغيرة بطبيعتها — وهذا طبعاً يضايق الطفل اثناء الرضاعة — وجب مطها اثناء الحمل عدة مرات صباحاً ومساء وهذا من شأنه ان يزيد حجمها

سادساً البول . بالنسبة لكثرة الاختلاطات الكلوية اثناء الحمل وما ينتج عنها من الاضرار الكثيرة كالاسقاط (الاجهاض) والتسمم البولي المعروف عند العامة بالتشنج والذي هو مظهر من مظاهر اضطراب الكلى يجب فحص البول مرة كل شهر فحصاً بسيطاً بارساله الى الطبيب المولد . ويستحسن أن يكرر مرة كل اسبوعين في الشهرين الاخيرين وبذلك يمكن تجنب حوادث محزنة كثيرة

سابعاً يجب مفاوضة الطبيب المولد في الحال عند حدوث اي عارض مما يأتي : قلة البول . اضطراب النظر (زغللة) . صداع مستمر . ورم في الوجه والرجلين . نزيف

***

هذا بخصوص العناية بالحامل اما بخصوص عملية الولادة ذاتها فيحزنني ان أقول أني شاهدت بعض الدايات المتعلمات يهملن قواعد النظافة اثناء الولادة اذ رأيت بعضهن لا يغسلن ايديهن قبل التوليد ولا يغيرن ثيابهن وقد يكن آتيات من معالجة امرأة واضعة مصابة بحمة النفاس أو بمرض معد . ورأيت بعضهن يستعملن اثناء الولادة مراهم هي بدون شك ملوثة بالميكروبات لعدم الاعتناء بحفظها في حين انه لا فائدة من هذه المراهم ولا هي تسهل الولادة كما يدعين

ليس كل مايطلب من الطبيب المولد (أو من المولدة) استخراج الجنين ولا هنا تنتهي مهمته بل عليه واجبات خطيرة قبل الولادة وفي اثنائها وبعدها لصيانة الام والمولود . فعلى المولد قبل كل شيء ان يفحص الحامل قبل الولادة بشهر أو بستة اسابيع لاجراء مقاييس مخصوصة ومشاهدة علامات يعرف منهـا ما اذا كانت حالة الام والجنين على ما يرام او لا . فان لم تكن على ما يرام كأن يكون عند الام مثلاً تضيق طبيعي ينذر بعسر الولادة او يكون في رأس الجنين تضخم غير طبيعي ينبيء باستحالة الولادة السليمة وجب على الطبيب الاحتياط لذلك وربما اضطره الامر الى اجهاض الحبلى قبل ميعادها بشهر مثلا فتكون نتيجة ذلك خلاص الام والجنين معاً . ولولا هذا الفحص الاولي

فقد ينتهي الامر بولادة عسرة تفضي الى موت الجنين وربما الى موت الام معه . ومثل هذه الحوادث كثيرة يندر من لم يسمع بمثلها

وعلى المولد او المولدة اثناء الولادة ان يساعدا أيضاً في تخفيف الآلام من دون أن يؤخرا سير الولادة . وعليهما كذلك أن يساعدا في ايجاد « الطلق » اذا كانت الولادة بطيئة وأن يلاحظا حركة الجنين ونبضات قلبه وهو في بطن امه حتى لا يموت اذا كانت الولادة بطيئة طويلة . وفضلا عن ذلك فاذا وجدا أن هناك ضعفاً طرأ على الام وخصوصاً على قلبها وجب عليهما انهاء الولادة باي طريقة من الطرق الطبية المعروفة تلافياً للخطر

وهناك واجب آخر عظيم الشأن قلما تلتفت اليه الداية أو يهتم له العامة وهو ما يحصل من التمزق في اعضاء المرأة اثناء خروج الجنين . ففي معظم الحوادث تحصل تمزقات بدرجات مختلفة ولكن الداية لجهلها عواقب هذه التمزقات ولعجزها عن معالجتها تتركها تلتئم لنفسها . ولكن ذلك قلما يعيد العضو الممزق الى حالته الاصلية الطبيعية . فهذه التمزقات يمكن تجنب معظمها على يد المولد الماهر واذا وقعت بالرغم من عنايته فعليه أن يخيطها في الحال أو بعد بضعة ايام حسب ما يتراءى له

وعلى المولد ايضاً أن يعتني بالوالدة مدة من الزمن بعد الولادة الى ان تعود كل اعضائها الى الحالة التي كانت عليها قبل الحمل . فباهمال ذلك ينشأ كثير من الاضطرابات والامراض النسائية . ونظراً لظهورها بعد الولادة بمدة طويلة يتعذر على المرأة الاقتناع بان هذه الاضطرابات مسببة عن اهمال الداية وجهلها

هذا قليل من كثير اكتبه في هذا الموضوع ولست ارمي الى ايفائه حقه لان ذلك من اختصاص المجلات الطبية ، وكل ما اعناه هو ان آتي ببعض النصائح المفيدة للامهات حتى يلتفتن الى امرهن ويعتنين بحالهن اثناء الحمل. حتى اذا ما سرن بمقتضى هذه النصائح خلصن من آلام وامراض كثيرة واصبحن أسعد حالاً وأصلح للقيام بواجباتهن نحو أولادهنّ واسرهن

الدكتور
ميشيل سمعان

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف أو بكلمة عند النشر

اللحم واللبن الصناعيين

﴿ سان باولو . برازيل ﴾ س . د .

اذكر اني قرأت خبر اختراع لحم صناعي ولبن صناعي . فهل لكم ان تفيدونا عن حقيقة هذا الاختراع

﴿ الهلال ﴾ نعم لقد وجد أحد الكيماويين البلجيكيين وهو المسيو افرونت تركيباً يقوم مقام اللحم . وأهم ما يدخل فيه الشعير المختمر بالنقع (ومنه تصنع البيرة) ويسمى ملت Malt . فهذا الملت يغسل ويكبس ثم يوضع في الحامض الكبريتيك (زيت الزاج) ثم يعالج بالكلس ثم يكرر هذا المزيج وتتبخر منه الماء ويكبس ثانية ويعالج بمواد كيماوية أخرى لم يبح بها المخترع فيخرج اللحم الصناعي وهو يشبه اللحم الطبيعي في الطعم ولكنه ارخص بكثير. وقد سماه مخترعه فياندين Viandine وهو اشتقاق من كلمة Viande الفرنسية أي اللحم . على اننا لا نعلم هل استعمل ذلك اللحم بصورة فعلية وما كانت النتائج من جراء ذلك

اما اللبن الصناعي فهو ايضاً من معجزات الكيمياء الحديثة . وقد استخرجوه من نوع من الحمص او البازلا ينمو في اليابان والصين وجهات الشرق الاقصى ويسمى « سويا » فان في تلك الحبوب مادة لزجة لبنية . وقد استعمل هذا اللبن في فرنسا والمانيا. أما طريقة استحضاره فهي ان تلك الحبوب تسحق ثم تعالج بمواد كيماوية ويضاف اليها ماء ثم توضع في آلة تدور دوراناً سريعاً واخيراً تحمى لدرجة عالية جداً

فائدة الملح

﴿ ومنه ﴾ لماذا نستخدم الملح في الطعام ؟ فقد حصل جدال في هذا الشأن وأود ان تتكرموا بالاجابة للفصل في الموضوع

﴿ الهلال ﴾ ان الانسان يحتاج الى الملح لسببين :

اولا لانه يدخل في تركيب الجسم نوعان رئيسيان من الاملاح وهما املاح البوطاس واملاح الصودا (واهم هذه الاخيرة الملح الاعتيادي الذي نتعاطاه) . اما الاولى فانها تدخل في تركيب عدة اصناف من الطعام واما الثانية فقلما توجد في الاطعمة ولذا فلا بد من ان يتناولها الانسان على حدة

ثانياً لانه يساعد على توليد الحامض الهيدروكلوريك في المعدة وهو ضروري للهضم ولقتل بعض الميكروبات

قرية صدد

﴿ بدرو لبوبولدو برازيل ﴾ جرجس انطون عيسى

قرأت في الهلال الرابع من السنة الخامسة والعشرين وجه ٢٩٤ بالهامش في مقالة « الدولة العثمانية في لبنان وسوريا » ان المقدمين مقلد الحسيناتي من العناصلة والشدياق يوسف أبا رعد المعروف بخاطر ابن الشدياق شاهين الحصروني ابن الشدياق شاهين المشروقي الكبير الجد الاصلي لبني المشروقي جاؤوا من صدد الشرق الى جبة بشري سنة ١٤٧٠ فوقفت حائراً في هل هذه هي صدد التي أعرفها جنوبي حمص للشرق أو يوجد مكان آخر يدعى بهذا الاسم ؟ صدد هذه قرية كبيرة وفيها آثار قديمة وبرج وفي أديرتها يوجد كتب (فناقيط) سريانية للصلاة وهي وقف لمطرانخانة الحدث والحدث هذه خربة كبيرة شرقي صدد وفيها الى الآن عمائر وقصور قديمة . فالظاهر ان الحدث كانت مدينة مركزية وصدد كانت تابعة لها . وقرأت في التوراة في العدد ص ٣٤ ع ٧ « وهذا يكون لكم تخم الشمال من البحر الكبير ترسمون لكم الى جبل هور ومن جبل هور ترسمون الى مدخل حماة وتكون مخارج التخم الى صدد » . وفي حزقيال ص ٤٧ ع ١٥ « وهذا تخم الارض نحو الشمال من البحر الكبير طريق حثلون الى المجيء الى صدد » فهل تتكرمون علينا بالافادة عنها

﴿ الهلال ﴾ صدد الشرق التي نشأ فيها بنو المشروقي هي صدد التي تعرفونها في الجنوب الشرقي من حمص وكانت قرية الحدث الواقعة شرقيها من أهم مراكز السريان اليعاقبة في سورية وهذا ما يعلل وجود كثير من المؤلفات الدينية (فناقيط) في أديرتها . وقد اعطي اسم الحدث لاحدى مطرانيات هؤلاء السريان لاهميتها ويستجلى من الانباء التاريخية التي عثرنا بها ان القريتين كانتا عامرتين جداً حافلتين بالآثار

النفيسة . وقد ذكرت صدد غير مرة في التوراة كما جاء في سؤالكم . ولا نعرف بلداً في سورية باسم صدد غير هذه . وانما جاء في تعليق الشرتوني على ما ورد في تاريخ العلامة الدويهي عن بني المشروقي ان صحة اسم بلدهم الاصلي « صفد » وهو خطأ في ما نعلم ولو كانت « صفد » هي المقصودة بقول المؤرخين الذين كتبوا عن بني المشروقي لما نسبوها الى الشرق فقالوا « صدد الشرق » دفعاً لما قد يقع من الالتباس بينها وبين صفد هذه الواقعة في فلسطين وهي في الجنوب « المسعودي »

احمد فارس الشدياق

﴿ الجيزه . مصر ﴾ احمد الحيشي

من المعلوم ان المرحوم احمد فارس الشدياق كان مسيحياً ثم اسلم فما سبب ذلك وما ترجمته وهل ظل على اسلامه ؟

﴿ الهلال ﴾ في كتاب مشاهير الشرق للمرحوم مؤسس الهلال ترجمة وافية لاحمد فارس الشدياق (١٨٠١ — ١٨٨٧) . اما اسلامه فيرجع تاريخه الى ما جرى لاخيه سعيد اثر خروجه من مذهبه ودخوله في المذهب الانجيلي . فان البطريرك الماروني غضب عليه وما زال يهدده ويسومه العذاب الواناً حتى يرجع عن رأيه فلم يزدد الا تمسكا واصراراً الى ان آل ذلك الى موته بدير قنوبين في عنفوان شبابه شر موتة . وكان فارس الشدياق شديد التعلق باخيه فأثر الامر في نفسه أعظم تأثير . ولكنه لم يسلم الا بعد ذلك بسنين اذ كان في معية باي تونس فنال عنده أسمى المناصب واسلم وسمي احمد فارس الشدياق الى ان مات

مولود عجيب

﴿ يوسف موسى أبو السيل ﴾

ولد لاحد اقاربي مولود ذكر بعد حمل مدته عشرة أشهر وبضعة ايام ولكنه كان صغيراً جداً وأذناه طويلتين قليلاً ولم نَرَ فيه اثراً للعظام وكان له صوت ولد يبلغ من العمر خمس سنوات وقد مات بعد ٢٤ ساعة فما تعليل ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ الارجح ان الحساب مغلوط والاطفال بعد الولادة يكاد لا يكون عندهم عظم صلب بل يكون مرناً غضروفياً . فيتصلب شيئاً فشيئاً مع مرور الايام . ولا غرابة تستحق الذكر في الصوت ولا في عدم التناسب بين الاذان والوجه

حد العمر

﴿ الدويم . السودان ﴾ ابراهيم أفندي فرج

طالعت في تقويم مسعود ان في بلغاريا نحو ٣٨٠٠ شيخ يزيد عمرهم على المئة مع ان عدد سكانها لا يجاوز ٣٨٠٠٠٠٠ وقد قال الاستاذ متشنيكوف ان طول عمرهم راجع الى اكثارهم من اللبن الرائب . فهل يؤخذ من ذلك ان العمر غير محدود وهل اذا سافر مصري مثلا الى تلك البلاد وعاش معيشة أهلها وتعاطى لبنهم يعيش اكثر من مئة عام ؟

﴿ الهلال ﴾ لا يستنتج من ذلك ان العمر غير محدود . لكنه يثبت تأثير انواع الاكل في الشرايين والقلب والجسم عموماً . فمن المعروف ان اكلة النباتات اطول عمراً من اكلة اللحوم ويعللون ذلك بان اللحم يولد سموماً تمتص الامعاء منها شيئاً فتدور مع الدم فتسبب صلابة في الشرايين . والنبات اقل توليداً للسموم من اللحم . واقل منهما اللبن الرائب او الياغورت وهو ما يعتمد عليه البلغاريون في طعامهم . ويظن كثيرون انه من الاسباب الخطيرة في اطالة العمر عندهم

الجامعة

﴿ بارنكيلا . كولومبيا ﴾ ديب يوسف سعد

أرجو ان تفيدوني عن الجامعة هل هو سليمان بن داود الملك أم له ولد آخر بهذا الاسم ؟

﴿ الهلال ﴾ الارجح ان كاتب سفر الجامعة هو سليمان الحكيم نفسه اذ يقول في ديباجة الكتاب : « كلام الجامعة بن داود الملك » والمعروف ان سليمان هو ابن داود الوحيد الذي ملك على اسرائيل . وهنالك عدة ادلة أخرى على ان سليمان هو الجامعة ولكن بعض المعترضين ينكرون ذلك لاسباب يطول بنا شرحها

عادة العرب في نكت الارض عند التفكر

قوم اذا نزل الغريب بدارهم تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة سدوا شعاع الشمس بالفرسان
لا ينكتون الارض عند سؤالهم لتطلب العلات بالعيدان
بل يسفرون وجوههم فترى لها عند السؤال كاحسن الالوان

شاعر

الالزاس واللورين

عقبة الصلح الكبرى

ان فتح الالزاس واللورين وضمهما بالقوة هما العقبة
الكبرى دون الصلح والسبب الحقيقي للتسليح الهائل
(مؤتمر السلم الدولي بجنيف سنة ١٨٨٤)

« الالزاس واللورين » ولاية ضمت الى المانيا سنة ١٨٧١ أثر الحرب البروسية الفرنسية وهي تتألف من مقاطعة الالزاس الفرنسية كلها (وعاصمتها ستراسبورغ) وجانب من مقاطعة اللورين (وعاصمتها متز) . ولا يزال الجانب الآخر من اللورين في يد الفرنسيين . وما برحت هذه الجهة مركزاً تجارياً كبيراً لوقوعها بين المانيا وفرنسا وسويسرا ولمحاذاتها مجرى نهر الرين فضلاً عن حاصلاتها الطبيعية المختلفة ومناجمها الغنية (وخصوصاً في اللورين)

وتبلغ مساحتها ٥٦٠٥ ميل مربع (أو ١٤٥١٨ كيلو متراً مربعاً) وهي مقسومة اليوم ادارياً الى ثلاثة اقسام : الالزاس العليا والالزاس السفلى واللورين . وقد كان عدد سكانها ١٨٧١٧٠٢ نفس في سنة ١٩١٠ نصفهم تقريباً من سكان المدن والنصف الآخر من سكان الريف . أما من حيث الدين فان ٧٪ المجموع من الكاثوليك ومعظم الباقين من البروتستنت . وأما من حيث اللغة فان ٨٥ في المئة اليوم يتكلمون الالمانية والباقون الفرنسية

***

في سبتمبر سنة ١٨٧٠ عندما بدأ الناس يتحدثون بالصلح والحرب البروسية الفرنسية لا تزال دائرة رحاها أعلن بسمارك انه لا بد لالمانيا من ضم ستراسبورغ (عاصمة الالزاس) ومتز (عاصمة اللورين) وقد كتب الى بعض رجال السياسة وقتئذ يقول : « ما زالت ستراسبورغ ومتز في يد فرنسا فان موقفها الهجومي افضل من موقفنا الدفاعي . . . واذا استولت المانيا على ستراسبورغ ومتز فانها تستخدمهما في سبيل الدفاع فقط . ففي أكثر من عشرين حرباً نشبت بيننا وبين فرنسا لم نكن مرة المعتدين . واننا لا نطالبها بشيء الا سلامتنا . . . أما من جهة المانيا فليس يخشى زعزعة السلم الاوربي »

لا ينكر أن لبسمارك بعض الحق فيما قال . فان جانباً كبيراً من سكان هذه الجهة الماني الاصل

ولكننا اذا نظرنا الى نفوس الاهلين لم نتردد دقيقة في اعتبار «الالزاس واللورين» فرنسية وروحاً ومنزعاً ومشرباً . فمنذ الثورة الكبرى ما برحت عواطف الالزاسيين واللورينيين اوضحة جلية من هذا القبيل . ففي الاجتماع التاريخي الذي عقدته «الجمعية الوطنية» في ٤ اغسطس سنة ١٧٨٩ ، بعد أن قام نواب المقاطعات الفرنسية معلنين انضمامها التام الى فرنسا وتنزلها عن امتيازاتها الخصوصية ، قام نواب اللورين واعلنوا أن مقاطعتهم ،وان تكن احدث سناً من سائر اعضاء الاسرة الفرنسية ، ترغب في أن تنضم الى تلك



« التذكار » للنحات دوبوا

وهو يمثل الزاسيتين تتذكران وطنهما وما حل به من المصائب

« الاسرة المجيدة » . وقد ختمت تلك الاقوال بالدماء في حروب الثورة وحروب نابوليون . اذ اظهر اهل الالزاس واللورين اخلاصهم لفرنسا وتفانيهم في سبيلها . وقد قام منهم نفر من اكابر القواد في تلك الحقبة منهم كلرمان وكليبر وناي وراب وغيرهم

على أن بسمارك ما لبث ان ندم على خطته . وقد ذكر كاتم اسراره عن لسانه قوله : « لو اعطانا الفرنسيون ملياراً آخر[1] ربما تنزلنا لهم عن متز اذ نستخدم ٨٠٠

---

(١) كانت الغرامة الحربية التي فرضها الالمان ٥ مليارات فرنك

مليون من ذلك لاقامة حصن على بضعة اميال منها . . . انني لا استحسن وجود هذا القدر من الفرنسيين في داخل منزلنا بالرغم من ارادتهم . . . » ولعل ما حمل بسمارك على عمله كان الحاح الجنرال فون مولتكي . فانه ما برح يبين شأن متز قائلا ان ضمها يؤدي الى زيادة ١٠٠٠٠٠ جندي عند تعبية الجيوش . وقد اقتنع الامبراطور الالماني بهذه الاقوال على ما يظهر

والارجح ان الالمان قصدوا ضم الالزاس واللورين منذ نشبت حرب سنة ١٨٧٠ فانهم لم يكادوا يفتحونها حتى ادخلوا اليها النظامات والقوانين الالمانية . وهو ما لم يفعلوه في الجهات الاخرى التي اكتسحوها

ولم تكد تعلن شروط الصلح حتى احتج نواب المقاطعتين اللتين اراد الالمان سلخهما ، وعددهم ٣٥ نائباً ، احتجاجاً شديداً ارسلوه الى المجلسين الفرنسيين المنعقدين وقتئذ في بوردو . ومما قالوه :

« ان الالزاس واللورين ترفضان الانسلاخ . فان اهليهما في منازلهم وجنودهما تحت سلاحهم يعلنون لالمانيا والعالم اجمع ، بصوت واحد ، الاولون بتصويتهم والآخرون بقتالهم ، ارادة الالزاس واللورين التي لا تتحول بان تبقيا فرنسيتين . ان فرنسا اذا وافقت او امضت على التنزل عن اللورين والالزاس تكون قد هددت مواصلة حياتها الوطنية وضربت وحدتها بيدها ضربة مميتة »

ولكن المانيا لم تعبأ بهذه الاقوال . وغاية ما تساهلت فيه انها تركت لفرنسا مدينة بلفور وجهتها (وهي من اللورين) — لم ترضَ بذلك الا مضطرة أثر المقابلة التي جرت بين المسيو تيارس مندوب الشعب الفرنسي وبسمارك . فان تيارس لما رأى تمسك المستشار خاطبه مهدداً بقوله « فليكن ما تشاء ايها الكونت . ليست هذه المفاوضات الا تلاعباً ورياء . فاشهروا الحرب اذن : اكتسحوا مقاطعاتنا واحرقوا منازلنا واذبحوا الاهلين الآمنين ، لتكملوا بذلك صنعكم . ولسوف نقاتلكم حتى آخر نفس من حياتنا . فقد نكسر ولكن شرفنا لن يلطخ » فلم يتمالك بسمارك — بسمارك الحديدي — من التأثر ازاء هذا الكلام . فانسحب لمفاوضة مولتكي اولاً ثم مفاوضة مليكه فكانت النتيجة أن تنزل الالمان عن بلفور ، على شرط أن يدخلوا باريس منصورين : وهكذا تحملت باريس الجميلة الشامخة تلك الاهانة لتخلص شقيقتها بلفور !

* * *

ظنت المانيا أن شروطها القاسية تذل فرنسا ذلاً لا قيام بعده . ولذا فان أسفها كان شديداً لما استطاعت فرنسا في ربيع سنة ١٨٧٣ من وفاء الغرامة الحربية الباهظة

المفروضة عليها . على ان الجرح الذي أصاب فرنسا كان بليغاً . وقد ظل النفور مستحكماً بينها وبين المانيا منذ ذلك الحين

وكان من سياسة بسمارك انه بذل جهده من جهة لعزل فرنسا عن سائر الدول وانه جرأها من جهة أخرى على الفتح والاستعمار في الخارج لتلهو عما ألمّ بها في اوربا وليقوم النزاع بينها وبين الدول الاستعمارية الاخرى ولا سيما انكلترا وايتاليا . ولكن ما كان بين روسيا والنمسا من التنافس بشأن المسألة الشرقية وانحياز المانيا الى النمسا مهد السبيل التحالف بين روسيا وفرنسا . ثم ان فرنسا لم تلبث أن تحولت عن الاستعمار في سنة ١٨٨٥ ولا سيما أثر موت كثيرين من شبانها في التونكين [١] وأدركت حقيقة موقفها في اوربا . وليس من يجهل ما كان بعد ذلك من ابرام الاتفاق الثلاثي بين فرنسا وروسيا وانكلترا

* * *

ومما أذكى فكرة الثأر في قلوب الفرنسيين معاملة الالمان لسكان الالزاس واللورين. ولو أحسنوا معاملتهم لضعفت حجة فرنسا وتوطدت قدمهم في الارض التي انتزعوها . ولكن الالمان مع بطشهم وقوتهم ينقصهم حسن السياسة والسلوك مع الشعوب التي يخضعونها . ففي سنة ١٨٧٦ نشر أحد الالمان الاحرار كتاباً بين فيه حقيقة الحال في الالزاس فجاءت أخباره على غير ما كانت تنشره الجرائد ، بايعاز الحكومة ، من الفصول الطويلة تصف فيها رجوع أهل الالزاس واللورين الى العادات الالمانية وتشربهم الروح الوطنية الى غير ذلك . فقد وجد الكاتب المذكور ان أقل من ربع التلاميذ المسجلين في سجل الجامعة التي أنشئت في ستراسبورغ كانوا من الاهلين ومعظمهم من تلاميذ اللاهوت الذين سلكوا هذا المسلك مضطرين للتوظف في جهات الالزاس واللورين . ووجد ان عدد السكان نقص اذ هاجر أكثر من ١٠٠٠٠٠ الى فرنسا وهبط سكان متز من ٥٠٠٠٠ الى ٣٣٠٠٠ . ثم ان المانيا فرضت في الحال الخدمة العسكرية على الناشئة بالرغم من الحاح الاهلين في تأجيل ذلك فكانت النتيجة ان اكثر من ١٢٠٠٠ شاب هجروا بلادهم وانضموا الى الجيش الفرنسي

وجملة القول ان الالمان اتبعوا في الالزاس واللورين سياسة الارهاب . وما برح الاهلون يظهرون نفورهم من الحكومة وموظفيها وقد حدثت حوادث كثيرة من هذا القبيل . وبلغ من عدوان الاهلين للحكومة ومقاطعتهم لموظفيها أن البرنس هوهنلو

(١) وكان في مقدمة الناقمين على الالتهاء بالاستعمار المسيو كليمنصو رئيس الوزارة الحالي فقد حمل حملات شديدة بين فيها ان فرنسا لا تجني نفعاً من تلك السياسة وانما تجلب عليها عداوة انكلترا وغيرها في حين ان المانيا تقوى وتتنعم بنجاح خططها

حاكم الالزاس أعلن سنة ١٨٨٧ بالعبارات الصريحة ان الحكومة الالمانيـة لا تمنح الالزاس واللورين نظاماً دستورياً حراً الا اذا عدل أهلها عن الاحتجاج على انضمامهم الى المانيا وقبلوا بحالتهم تماماً

* * *

وفي عهد الامبراطور الحالي زاد الضغط على الالزاس واللورين فان مراميه تجلت واضحة في الخطب الاولى التي القاها. فقد تحدث بعض السلميين وقتئذ في جعل هاتين المقاطعتين على الحياد . فاستغنم الامبراطور الفتى فرصة كشف القناع عن تمثال للامير فريدريك شارل ففاه بخطاب رنان جاء فيه « أننا نؤثر التضحية بالثمانية عشر فيلقاً التي عندنا وبالاثنين والاربعين نفساً من رعيتنا في ساحات القتال على أن نسلم حجراً واحداً مما غنم والدي والامير فريدريك شارل »

وما برح محبو السلم يشعرون منذ ذلك الحين بان مسئلة الالزاس واللورين هي العقبة الكبرى في سبيل الصلح الدولي الدائم فاقترحوا عدة اقتراحات في سبيل تسويتها منها جعل الولايتين على الحياد . ومنها أيضاً استبدال مدينة متز وما يجاورها (وهي فرنسية بحتة) بمستعمرة فرنسية . ولكن الحكومة الالمانية رفضت بتاتاً النظر في كل اقتراح بهذا الشأن

كلمات لابقراط

أعطاء المريض بعض ما يشتهيه انفع من اخذه بكل ما لا يشتهيه

دخل على عليل فقال أنا والعلة وانت ثلاثة فان اعنتني عليها بالقبول مني لما تسمع صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه

ولما حضرته الوفاة قال خذوا جامع العلم مني : من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره

من أحب لنفسه الحياة اماتها

العلم كثير والعمر قليل فخذ من العلم ما يبلغك قليله الى كثيره

قال ان المحبة قد تقع بين العاقلين من باب تشاكلهما في العقل ولا تقع بين الاحمقين من باب تشاكلهما في الحمق لان العقل يجري على ترتيب فيجوز ان يتفق فيه اثنان على طريق واحد والحمق لا يجري على ترتيب فلا يجوز أن يقع فيه اتفاق بين اثنين

العشق طمع يتولد في القلب ويجتمع فيه مواد من الحرص

الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع

اعداء المرأة

وآراؤهم فيها قديماً وحديثاً

يتعذر أن تجد امراً اتفق فيه الرجال اتفاقهم في الحكم على المرأة . فهم جميعاً — الا شواذ قليلة — يعدون المرأة بفطرتها دون الرجل وانما يتفاوتون في تعيين المسافة التي تفصلها عنه . وقد بلغ من امتهان المرأة في العصور السالفة أن اللاهوتيين تباحثوا طويلا في هل المرأة نفس كالرجل . ومهما يكن حظ الرجل اليوم من الرقي والتساهل فانه لا يعترف للمرأة الا بالقليل ويحتفظ لنفسه بالتفوق في معظم الشؤون

هذا الشعور يتخلل المدنية الحديثة في جميع ظواهرها . فهو ميراث الاجيال السالفة ، وما أشد وطأة العقائد الموروثة ! بل انك اذا أجلت النظر في المدنيات الهندية والصينية واليونانية واللاتينية وغيرها وجدت للمرأة ذلك المقام الوضيع نفسه فكأن تلك المدنيات جميعاً تصيح بصوت واحد « أيها الرجل! حذار حذار من المرأة »

اذا صح أن الآثار الادبية تعبر عن روح الامة فهاك أمثلة تبين لنا رأي اليونانيين في المرأة :

في رواية « أندروماك » لاوريبيدس موقف تقول فيه امرأة هذه الكلمات عن جنسها « ... لقد وجدوا أدوية تشفي من نهش الكواسر ولسع الحيات ولكنهم لم يجدوا ما يمنع شر المرأة الذي هو أشد من شر الحريق والافعى »

وفي رواية اخرى له ايضاً يسائل أحدهم جوبيتر (إله الآلهة) لماذا « لم يستغن عن النساء في تناسل الجنس البشري »

وفي مكان آخر « لماذا جعل الخالق تحت الشمس ذلك الوبأ الوخيم على الرجال ، وبأ النساء ؟ »

وقال سقراط « لا شر اشر من النساء » وقال « من إراد النجاة من مكائد الشيطان فلا يطيعن امرأة ، فان النساء سلم منصوب ليس للشيطان حيلة الا بالصعود عليه » وقيل له « ما تقول في النساء » فقال « هن كشجر الدفلى له رونق وبهاء فاذا أكله الغر قتله »

بل هذا افلاطون الحكيم مع ما اشتهر عنه من الرزانة والتعقل يقول « ان الادنياء والظالمين من الرجال يتحولون عند ولادتهم الثانية الى نساء »

هذا قليل من كثير فقد اتفق سواد الشعراء والكتاب الاقدمين على بخس المرأة حقوقها . وقد كان الرومانيون لا ينظرون اليها الا كوسيلة للذات . بل ان تعاليم السيد المسيح الذي كان شديد العطف والحنان على المرأة لم تلبث ان اهملت واسيء فهمها فتكاثر ظالمو المرأة ومهينوها . فقال القديس برنار انها « آلة ابليس » وقال يوحنا الدمشقي انها « ابنة الغش وعدوة السلام » وقس على ذلك اقوالا كثيرة من هذا القبيل

* * *

أما العرب فقد كان للمرأة عندهم مقام رفيع في اول الامر ولكنها ما لبثت ان هبطت شيئاً فشيئاً . قال الشاعر العربي :

ان النساء شياطين خلقنَ لنا   نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال أبو العلاء المعري :

الا ان النساء حبال غي   بهنّ يضيع الشرف التليد

وليس ابلغ في هذا المعنى مما كتبه أبو بكر الخوارزمي الى رئيس بهراة يعزيه بينته وهو قوله :

ولولا ما ذكرته من سترها . ووقفت عليه من غرائب أمرها . لكنت الى التهنئة اقرب من التعزية . فان ستر العورات من الحسنات . ودفن البنات من المكرمات . ونحن في زمان اذا قدم احدنا فيه الحرمة . فقد استكمل النعمة . واذا زف كريمة الى القبر . فقد بلغ أمنيته من الصهر

قال الشاعر :

ولم ارَ نعمة شملت كريماً   كنعمة عورة سترت بقبر

وقال آخر :

تهوى حياتي واهوى موتها شفقاً   والموت اكرم نزال على الحرم

وقال آخر :

وددت بنيتي ووددت أني   وضعت بنيتي في لحد قبر

وقال آخر :

ومن غاية المجد والمكرمات   بقاء البنين وموت البنات

وقال آخر :

سميتها اذ ولدت تموت   والقبر صهر ضامن وبيت

* * *

على ان هناك شواذ لانستطيع اغفالها . فان بعض كبار الرجال منحوا المرأة حقها

من الاجلال والاكرام . منهم دانتي وبترارك . ومنهم شكسبير رب الروايات التمثيلية فان المتأمل في رواياته يجد ان أبطاله الرجال هم دائماً أصحاب ضعف من بعض الوجوه وأما النساء فانهن يمثلن التضحية ورقة الشعور وسمو الاخلاق . ومنهم أيضاً كورنيل الشاعر الفرنسي الشهير كما يتضح من مطالعة رواياته التمثيلية . ومنهم في المانيا الشاعر هنريك فون ميسن من أهل القرون الوسطى فان له قصائد جميلة في امتداح المرأة . وقد سمي في زمنه بمادح النساء . ولما مات تقاطرت النساء من جهات مختلفة لتشييعه

* * *

تلك شواذ لايعول عليها فان أولئك الافراد ذهبوا ولم يؤثروا في مقام المرأة . فما زالت هي هي احدى ثلاث ليس الا : أمٌ أو صانعة أو آلة للذات ، وان تكن في بعض الاحيان قد نالت من الاكرام والتمليق ما يبهر عيون الناظرين ولكن ذلك كان من باب التأنق والمغالاة ولم يكن صادراً عن اجلال حقيقي لشخصها .

قال شارون أحد كتاب فرنسا الاقدمين في كتاب له اسمه « الحكمة » ما يأتي عن واجبات المرأة نحو زوجها وهو « ان تحترمه وتوقره وتبجله لكونه سيدها ومالكها وان تطيعه في كل ما هو عادل ومشروع وان تتكيف وفقاً لطبعه ومزاجه كما لو كانت مرآة له . . . وعليها ان تغسل له رجليه وان تحرس المنزل واذا بعدت عن زوجها ألا تُرى ابداً . . . »

وممن جاروا على المرأة فولتير وروسو وديدرو ومونتسكيو، وان يكونوا هم الذين وضعوا أساسات بناء الحرية العظيم . فقد ذكر هذا الاخير ان الطبيعة التي منحت الرجل القوة والعقل لم تمنح المرأة الا الزينة والاناقة فمتى زال عنها ذلك الغشاء الخارجي المزخرف زالت مهمتها وسطوتها . أما ديدرو فقد طلب من النساء ان يكن بمنزلة موزعات للذات الجسدية ليس الا . وأما روسو فقد لطف هذه العبارة اذ قال ان النساء جعلن لمسرة الرجل

ولكن الرجل ؟ أليس من الواجب عليه ان يكون سبب سرور المرأة ؟ يجيب روسو على ذلك بقوله « ان هذا الفرض أقل تحتما من ذاك »

فلا غرابة ان تكون الثورة الفرنسية — التي شيدت على مبادىء أولئك الفلاسفة — قد أهملت حقوق المرأة واكتفت باعلان حقوق الرجل فقط

أما نابوليون فانه لم يتحرر من تلك العقائد الموروثة . فان قانونه المدني يقر مبادىء خضوع المرأة لسلطة الرجل . ومما قاله في جزيرة القديسة هيلانة « منحت المرأة للرجل لتلد له أولاداً فهي ملكنا ولسنا ملكها »

ولعل فلاسفة الالمان الحديثين كشوبنهور ونيتشي ووينجر كانوا أشد أعداء المرأة . على انه قد ظهر كتاب كثيرون من غير الالمان ناصبوا الجنس اللطيف العداء . فمنهم بودلير الشاعر الفرنسي الذي سخط على الطبيعة لانها استخدمت « ذلك الحيوان الدنيء لاطفاء نور العبقرية » . بل ان حماة المرأة أنفسهم لم يسلموا من وخزها ولومها . قال اسكندر دوماس الصغير ان المرأة هي « العمل الالهي الوحيد الذي لم يكمله الخالق »

ولكن الالمان فاقوا الجميع في تحقير المرأة وتذليلها ولا سيما انهم بنوا ذلك على أساس علمي فلسفي كما زعموا . ففي مقدمتهم شوبنهور الذي مثل المرأة بأفظع الصور وأشنعها واتهمها بكل رذيلة وقبيحة ومن أقواله « ان فطنة الرجل وذكاءه يبلغان كمال نموهما في الثامنة والعشرين . أما في المرأة فانهما يبلغان حدهما في الثامنة عشرة . ولذا فان عقل المرأة لا يزيد نمواً عنه في تلك السن فكأنها تبقى طول حياتها ولداً كبيراً »

بل ان نيتشي ندب حظ البشرية لما سوف يحل بها أثر تحرير المرأة ومن أقواله « ان أعظم مصائب زمننا هذا هو ان المرأة أخذت تتحول فيه عن مخافة الرجل »

ومن رأيه ان بين المرأة والحقيقة تنافراً طبيعياً . قال « ماذا تهمها الحقيقة؟ ليس شيء في العالم اكره عندها ولا أبغض ! . . . » . وفي نظر نيتشي ان المرأة « مخلوق يجب حبسه أو انها خلقت للخدمة »

بقي ان نقول كلمة في مذهب وينجر وهو أغرب المذاهب جميعاً . أما وينجر هذا فلم يبرز الا كتاباً واحداً في حياته ثم انتحر بعد نشره بسنتين وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره ناقماً على العالم وما فيه . ولكن كتابه المتقدم كان كافياً لاشتهار اسمه فقد جمع فيه تراث الشتائم والمسبات واللعنات التي قذفتها الدهور في وجه المرأة وصاغ كل ذلك في قالب علمي فلسفي يدل على مقدرته كما يدل على تهوره وجنونه . ولعل خير ما أتاه ذلك الفيلسوف المجنون هوانه انتحر في ربيع شبابه فوفق بذلك بين القول والعمل

من رأي وينجر ان الاجنة (جمع جنين) ليست مقسومة الى جنسين منفصلين كما هو شائع ، أي ليس بينها ما يحوي الصفات الذكرية وحدها أو الصفات الانثوية وحدها . فان في كل فرد بعض هذه الصفات وبعض تلك ولكن باقدار مختلفة . فالرجال هم الذين تتغلب فيهم الصفات الذكرية والاناث هم الذين تتغلب فيهم الصفات الانثوية . ومن المخلوقات من تتساوى فيهم الجهتان وهم الخناث

وعلى هذا البناء فليس الحب الا تجاذباً متبادلا بين الذكورة والانوثة . فأكمل الحب ما جمع المتحابان فيه رجلا تاماً وامرأة تامة . مثال ذلك : لنفرض ان رجلا يجمع ٨٠ في المئة من صفات الذكورة و ٢٠ في المئة من صفات الانوثة فعليه ان يجد امرأة عندها

٢٠ في المئة من صفات الذكورة و٨٠ من صفات الانوثة . كذلك المرأة التي ليس عندها الا ٣٠ أو ٤٠ في المئة من الانوثة يجب ان تبحث عن رجل عنده ٧٠ أو ٦٠ منها . وقس على ذلك

فكأن تجاذب الجنسين يتم بمقتضى قانون علمي صريح يمكن ان نسميه قانون الاستكمال أي ان كل فرد يبحث عما يكمله وهو سر الحب والسعادة في بني البشر

على ان النبوغ والعبقرية والاقتدار هي في نظر وينجر من خصائص الذكورة . وما النساء العظيمات الا رجالاً ناقصين . فهن نساء جمعن قدراً كبيراً من صفات الذكورة . على ان هذا القدر لا يزيد في أعظمهن على ٥٠ في المئة أي انهن قلما يسمون على الرجل المتوسط

ومن رأي وينجر هذا ان الحياة الشهوانية هي جل حياة المرأة . أما الرجل فله مطامع ومشاغل واغراض اخرى . وهو بعكسها يستطيع أن يتجرد عن تأثيرات الوراثة والبيئة فتنفجر بذلك عبقريته ، في حين أن هذا التجرد متعذر على المرأة فهي اسيرة بطبيعتها وفطرتها

***

هذا مجمل وجيز لتلك النظرية الغريبة وانما اوردناها انموذجاً لما بلغ من امتهان الرجل للمرأة وتذليله لها . على أن دولاب الرقي البشري سائر الى الامام بالرغم من هذه الاقاويل . وقد علمت المرأة أن لا أمل لها بتوقع خلاصها عن يد الرجل وانها لن تنال نصيبها الكامل من الحياة الا بسعيها وكدها

ولسوف تخرج المرأة من الازمة البشرية الحاضرة اسمى وابهى مما كانت فتتقدم الانسانية بذلك خطوة واسعة نحو الكمال باذن الله

من تحلى بغير ما هو فيه   فضحته شواهد الامتحان

ابو عمرو بن العلاء

اقاد الى السجون بغير ذنب   كأني بعض عمال الخراج

ابو دلامة الشاعر

قيل للامير يزيد بن المهلب مالك لا تبني داراً ، قال : منزلي دار الامارة أو الحبس

المهر و « الدوطة »

منشأهما وتاريخهما

نرى الشعوب المتمدنة جميعاً في هذا العصر وقد جعلت « الدوطة » من أركان نظام الزواج . ولا يخفى ان الامر لم يكن دائماً على هذه الصورة ولا هو كذلك اليوم في جهات مختلفة . فما هو منشأ « الدوطة » ؟ وما تاريخها ؟ وكيف توصلت الشعوب في تطورها المستمر الى هذا النظام ؟ ولماذا ؟

ان أقدم اشكال الزواج واكثرها شيوعاً الخطف القهري أي ان الرجل لم يكن يحصل على امرأته الا بانتزاعها بالقوة من أهلها أو قبيلتها . ولا يزال هذا الشكل مشاهداً عند معظم القبائل المتوحشة . ومع بزوغ فجر الحضارة أصبح الزواج سلمياً ولكنه تقلب في أطوار مختلفة . ولا بد لنا لادراك نشوء الدوطة من تتبع أطوار الزواج السلمي فان الارتباط متين بين شكل « الدوطة » وشكل الزواج

***

ليس نظام « الدوطة » كما هو معروف اليوم الا الحلقة الاخيرة من سلسلة ذات أربع حلقات أو هو الطور الاخير من أطوار أربعة تقلب فيها الزواج السلمي

﴿ الطور الاول ﴾ أبسط صور الزواج السلمي المبادلة أي ان الرجل كان يحصل على امرأته مقابل أخت له أو اخوات يمنحها الى ذويها . قال أحد الذين درسوا عادات الاستراليين الاصليين « يحصل الاسترالي على امرأته أو نسائه اما بوراثة أخ له توفي قبله أو بهبة بعض اخواته أو بناته »

﴿ الطور الثاني ﴾ أما الطور الثاني فهو اكثر شيوعاً واشتهاراً وفيه يقضي طالب الزواج زمناً معيناً في خدمة والد امرأته اما بصفة خطيب أو زوج . وقصة لابان ويعقوب في التوراة خير مثل يقدم على هذا الطور

﴿ الطور الثالث ﴾ ومع تقدم المدنيـة واختراع النقود وازدياد الثروة يدخل الزواج في طور ثالث هو طور الشراء أي ان الرجل يشتري امرأته من اهلها مقابل مبلغ من المال ، بدلا من ان يخدم مدة معينة كما في الطور السابق . وهو المهر بمعناه الاصلي . وكلمة مهر موجودة في العبرانية بهذا المعنى ذاته . وعنـد الهنود نحو ذلك ايضاً كما عند اليونان والرومان . وقد سمى هوميروس الفتاة اليونانية « تلك التي تجلب لاهلها ثيراناً هدية من خطيبها »

﴿ الطور الرابع ﴾ أخيراً يبلغ الزواج طوره الحالي في هذه المدنية . فبدلا من ان يشتري الرجل المرأة مقابل مال أو متاع يهبه لاهلها يصبح هؤلاء هم المجبورون على منح الرجل « دوطة »

فما هي العوامل التي تحدث هذا الانقلاب العظيم ؟ هذا ما سنراه فيما يلي

***

ويجدر بنا الاشارة قبل ذلك الى ان بعض الكتاب الاجتماعيين وفي مقدمتهم سبنسر جعلوا الطور الثاني أي طور الاستخدام لاحقاً لطور الشراء . ولكن أحدث الاراء في هذا الباب هو ما ذكرناه سابقاً . وعلى كل حال فليس لهذا الامر شأن كبير في موضوعنا ولا سيما ان كلا الاستخدام والشراء يدلّ على امر واحد وهو ان الرجل لا يحصل على امرأته الا يبذل شيء في سبيلها اما ماله او متاعه او تعبه . وانما الذي يهمنا تقريره قبل الاسترسال في بيان الاسباب الحقيقية لنشوء « الدوطة » هو ان الشراء تقدم نظام « الدوطة » الذي نعرفه اليوم

فلماذا كان الاقدمون يشترون المرأة ؟ الجواب هو انها كانت تشترى بصفتها وسيلة لانتاج الثروة وليس بصفتها امرأة . قال أحد الكتاب الاجتماعيين عن القبائل المتوحشة « ان ثمن المرأة عند معظم هذه القبائل قلما يزيد على ثمن العبد . وقد كان الامر كذلك في العصور الخالية الا شواذ قليلة » . وقال آخر « نجد في كولومبيا انه على مقدرة المرأة ونشاطها واستطاعتها حمل الاثقال يتوقف عدد ما تجلبه لاهلها من الخيل » وقال ثالث « عند التركمان تشرى الارملة بثمن أغلى من ثمن الفتاة لانها اكثر تدرباً ودراية في شؤون المنزل »

كل ما تقدم يدل على ان المرأة كانت تُشترى لانها كانت تنتج ثروة أو بعبارة أخرى لانه كان لها قيمة اقتصادية راهنة . فلماذا عدل الرجل عن شرائها وأصبح يطالبها او يطالب ذويها بشيء من المال ؟ وكيف حصل هذا الانتقال ؟

***

انأشرف الاعمال بين الجماعات المنحطة القتال والصيد . فعليهما الاعتماد في الارتزاق . وقد احتكرهما الرجال لانفسهم وفرضوا على النساء الاعمال الاخرى لانهم عدوها حاطّة من شأنهم . ولكن مع تقدم الحضارة وانتشار السلم تزداد أهمية الاعمال الصناعية في حين ان القتال والصيد يهبطان في الاهمية . فترى الرجال يحتكرونها ويضعف بذلك شأن المرأة لانه يستغني عنها تدريجاً في احداث الضروريات . وفي الوقت نفسه تتلطف الاخلاق وتتهذب فبعد ان كان المنتصر يقتل المغلوبين ويلتهم جثثهم يرى انه خير له استخدامهم

فيكثر بذلك الارقاء وتقل أهمية المرأة لانهم يقومون مقامها . بل انها بعد ان كانت عاملة منتجة تصبح عبئاً او آلة للزينة والتمتع . اضف الى ذلك امر الاولاد فانهم في القبائل المنحطة يستخدمون حالما يجاوزون دور الطفولة . اما في الجماعات الراقية فلا بد من تدريبهم وتعليمهم زمناً طويلا مما يستدعي نفقة جسيمة . فكل هذه الاسباب تعمل معاً في تخفيض شأن المرأة من الوجهة الاقتصادية وهو ما يؤدي الى ايجاد « الدوطة »

وقد أجمل لتورنو الكاتب الاجتماعي الفرنسي تطور المرأة بالكلمات الآتية : كانت المرأة أولا بمنزلة دابة ثم اصبحت رقيقة ثم خادمة ثم قاصرة يجب الاعتناء بها وتحمل اثقالها . فهذا الدور الاخير هو الدور الذي يستدعي ظهور « الدوطة »

ولكي نقتنع بصحة النظرية المتقدمة يكفي ان نتتبع زوال الشراء تدريجاً . فقد زال هذا النظام عند الرومان وغيرهم اولا بين الطبقات العليا وسبب ذلك واضح وهو ان تلك الطبقات كانت في غنى عن عمل المرأة لكثرة الارقاء فلم تعد تشتريها . على ان بعض الكتاب الاجتماعيين يرون ان هذا التحول حدث اثر ارتقاء الاخلاق وتهذيب العقول أي انه نشأ عن عامل ادبي وعاطفة انسانية . ولكن الصواب في نظرنا ان المصلحة — مصلحة الرجال — هي التي جعلتهم يعدلون في الاصل عن شراء النساء

وهناك برهان آخر يؤيد ما تقدم وهو ان نظام الشراء منتشر حيثما يباح تعدد الزوجات. ولو لم يكن للمرأة قيمة غير صفتها الانثوية لاكتفى الرجل بواحدة يدفع ثمنها بدلا من شراء عدد من النساء . والواقع ان المرأة تحسب في هذه الحال ضرباً من ضروب الثروة في المقام الاول فكلما زاد عدد النساء زادت ثروة صاحبهن . وما قاله سبنسر عن اهل كاليدونيا الجديدة يصح على غيرهم ممن هم في حالهم وهو قوله « للرؤساء منهم عشر او عشرون او ثلاثون امرأة فكلما زدن ازهرت المزارع وكثر الطعام » . وبعكس ذلك حيثما يمنع تعدد الزوجات تظهر « الدوطة » مما يدل على ان قيمة المرأة الاقتصادية قد هبطت فاصبحت عبئاً على الرجل ولذا فهو لا يستطيع ان يقتني غير واحدة

على ان البعض يعدون نظام وحدة الزوجة نتيجة « الدوطة » اي ان المرأة التي تجلب معها مالا تكون معززة الجانب فلا يستبد بها زوجها ولا يجسر ان يقتني نظيرات لها . والحقيقة ان « الدوطة » ليست سبب وحدة الزوجة كما ان هذه ليست سبب تلك وانما هما تنشآن معاً بفعل الحالة الاقتصادية حين يعجز الرجل عن اعالة عدة نسوة فانه يكتفي اذ ذاك بزوجة واحدة وفي الوقت نفسه يطالبها بدوطة يتعاون بها على القيام بنفقات أسرته وبيته

***

هذه كلمة اجمالية عن منشأ « الدوطة » . ويتبين عند مراجعتها انها مبنية على تأثير العوامل الاقتصادية في تطور الشعوب ونظاماتها الاجتماعية . وهناك نظريات وآراء أخرى ضربنا عنها صفحاً خوفاً من التطويل ولان النظرية السالفة هي في رأينا اصح من سواها

والخلاصة انه حيث تعمل المرأة وتنتج يقتنيها الرجل بماله وعند ما لا يعود لها عمل تهبط قيمتها من الوجهة الاقتصادية حتى اذا اصبحت عبئاً على الاسرة لجأ الرجل الى طلب « الدوطة »

على انه لا بد لنا من التنبيه الى أن التطور لا يتم في الواقع كما وصفناه فيما تقدم فان الانتقال من طور الى طور يحصل بالتدريج وتبقى في كل طور آثار من الطور السابق بمقتضى سنة الاستمرار في الاجتماع

كلمات لفيثاغورس

كان على نقش خاتمه : شرٌّ لا يدوم خير من خير لا يدوم — أي شر ينتظر زواله ألذّ من خير ينتظر زواله

ليكن استحياؤك من نفسك اكثر من استحيائك من كل واحد غيرك

ما لا ينبغي أن تفعله احذر ان تخطره ببالك

ما احسن بالانسان أن لا يخطئ وان اخطأ فما اكثر انتفاعه بان يكون عالماً بانه اخطأ ويحرص في ان لا يعاود

الاخلق بالانسان أن يفعل ما ينبغي لا ما يشتهي

الدنيا مرة لك ومرة عليك فان توليت فاحسن وان تولوك فلِن

من استطاع ان يمنع نفسه من اربعة اشياء فهو خليق ان لا ينزل به مكروه : العجلة واللجاجة والعجب والتواني . فثمرة العجلة الندامة وثمرة اللجاجة الحيرة وثمرة العجب البغضاء وثمرة التواني الذلة

ونظر الى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلم فيلحن فقال له : اما ان تتكلم بكلام يشبه لباسك او تلبس لباساً يشبه كلامك

انكى شيء لعدوك أن لا تريه انك تتخذه عدواً

وحضر امرأته الوفاة في ارض غربة فجعل اصحابه يتحزنون لموتها في ارض غربة فقال: يا معشر الاخوان ليس بين الموت في الغربة والوطن فرق وذلك ان الطريق الى الآخرة واحد من جميع النواحي

صفحة

من مفكرات سليم سركيس

اسعدني الحظ فاجتمعت في منزل صاحب الهلال الاديب بزينة المجالس خليل مطران والمهذب الاديب حسن بك الشريف والنطاسي الدكتور ميشيل سمعان فابوا جميعاً الا

عزيزي حضرة الاديب الاريب حفظه الله

وصلتني من مدة نسخة رواية [illegible] وقرأت معظمها [illegible] على آخرها [illegible] منشيها [illegible]

[illegible] ولولا ضيق الوقت لفصلت رأيي فيما حوته [illegible] مذهبي فيما طوته [illegible]

[illegible] شكري على عنايتك بارسال مثل هذه الطرفة الي ثم ان حضرة الهمام الفاضل جناب [illegible] المحترم كتب الي

[illegible] الشيخ على [illegible] على تقصيره [illegible] بعض اعذار قبلتها منه [illegible]

بعد ذلك انه بعث بمبلغ اقل من المطلوب [illegible] على عدم التحري في ذلك [illegible] ان يرسل البقية

[illegible] المعاملة وانما [illegible] بذلك [illegible]

عدم [illegible] في تقديم الشكر على ما [illegible] سبباً في الانقطاع

[illegible] على حضرة الشيخ الجليل الشيخ [illegible]

من [illegible] العلم [illegible] في الفضل [illegible] اما هذه التمام

[illegible] في هذه الايام [illegible] الناس [illegible] صفات [illegible]

[illegible] زينة الفضل [illegible] الكمال [illegible]

[illegible] صاحب الفضيلة الشيخ محمد افندي [illegible]

[illegible] قريب ان شاء الله [illegible]

والسلام [illegible] محمد

[illegible]

١٢ يناير

رسالة بخط يد الشيخ محمد عبده

أن اتصدر المجلس تكريماً لشيخوختي فصدعت بامرهم عملا بقول ابراهيم النخعي « اذا دخل أحدكم بيتاً فليجلس حيث أجلسه أهله »

ثم اوردت لهم بعض حكايات قديمة أثبتت شيخوختي فرأى صاحب الهلال أن ينشرها في مجلته . وهذا هو السبب الذي من اجله اكتب الآن فصلا من مفكراتي

ولقد فطرتُ من صغري على الاحتفاظ بكل ورقة ذات قيمة الا الاوراق المالية فانها كانت ولا تزال افلت عندي من جرادة العيار ولا يقر لها في يدي قرار

فمن تلك الاوراق القديمة رسالة كتبها اليَّ المرحوم الشيخ محمد عبده بتاريخ ١٢ يناير سنة ١٨٨٩ أي منذ ٢٩ سنة — كتبها اليَّ من مصر بعد ان اقام في بيروت زمناً شرَّفني في اثنائه بصداقته فاستفدت من ادبه الجمّ . وفي كتابه الذي انشره هنا بخط يده فائدة صحافية تاريخية وفائدة روائية أدبية وفائدة اخلاقية

الى بيروت في ١٢ [illegible] ٩٥

حضرة الاخ الكريم سليم افندي سركيس المحترم

تمونت كتابكم وشكرت لكم تلطفكم وتكرمكم بالافادة عن [illegible]
[illegible]
[illegible] الاديب سعيد حمدان [illegible] في ارسالها
[illegible]
[illegible]
[illegible]
السلام [illegible]

سليم تقلا

رسالة بخط يد سليم تقلا

أما الفائدة الصحافية التاريخية فهي وصفهُ ما كانت عليه حال المرحوم الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد في ذلك الزمان فانه كان قد اشترى كمية من الحروف العربية من مسبك المرحوم خليل سركيس ثم تأخرعن تسديد الثمن فكتب صاحب المسبك الى الشيخ محمد عبده في الامر فاجابه بما في رسالته اليَّ من وصف حالة صاحب المؤيد المالية

وأما الفائدة الروائية الادبيـة فهي استحسان الاستاذ الامام لرواية « البطلين » وهي رواية كانقد وضعها باللغة العربية المرحوم نسيب شبلي وصف فيها اجتهاد المرحوم جرجي زيدان وشجاعة الجنرال غوردون

وأما الفائدة الاخلاقية فهي اشارته الى وسام انعم به على المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي وعبارة الاستاذ الامام في رسالته اليَّ جديرة بأن تنقش بحروف من نار على قلوب الذين جعلوا المظاهر إلهاً يعبدونه

ومن تلك الاوراق رسالة كتبها اليَّ المرحوم سليم بك تقلا صاحب الاهرام سنة ١٨٩٢ وفيها رأيه رحمه الله في تعريب لفظة (مدموازيل)

ذلك ان الآنسة هند نوفل (وحضرتها الان قرينة جناب حبيب بك دبانة) كانت قد اصدرت في مصر مجلة باسم « الفتاة » وكتبت اليَّ في بيروت تسألني اخذ آراء علماء اللغة في تعريب لفظتي « مدام » و « مدموازيل » فسألتهم رأيهم على صفحات جريدة لسان الحال التي كنت أحررها في بيروت ثم سألت الاستاذ عبد الله افندي البستاني فرأى أن تكون لفظة « محصنة » لمدام و « خريدة » لمدموازيل . فنشرت رأيه ثم زوته معترضاً فاستبدل لفظة « محصنة » بلفظة « عقيلة » ولفظة « خريدة » بلفظة « آنسة » . وكنت قد كتبت الى سليم بك تقلا في ذلك وارسلت رسالة من الآنسة استير ازهري (وهي الآن مدام مويال المعروفة بكتاباتها في مصر) فكتب اليَّ رأيه أن نستبدل لفظة المدموازيل بلفظة « البكر » أو « الكاعب »

رسالة بخط يد بشارة تقلا

ومن تلك الاوراق رسالة كتبها اليَّ المرحوم بشاره باشا تقلا صاحب الاهرام سنة ١٨٩٢ على أثر وفاة شقيقه سليم في سوريا وكنت ملازماً له حتى ساعة وفاته

وهذه الاوراق جميعها ذات قيمة تاريخية وفيها بيان خط يد كل واحد من أولئك العظماء الذين فقدناهم رحمهم الله

سليم سركيس

تحوّل الحركة

في العوالم الجمادية والحيوية والاجتماعية

١ — سنن الحركة

نلاحظ القرد يقلد الانسان والطفل يقلد أبويه . والزي بقوة التقليد ايضاً يشيع في القوم كالموجة في البحر . والموسيقيون يلاحظون أن وتراً يهتز ويبدي صوتاً لنفسه اذا ضُرب بالقرب منه وترٌ من درجته او كان جواباً او قراراً له . وكلنا نقول بألفة بين اشخاص وتنافر بين اشخاص . والفسيولوجيون يقولون اننا نسمع الصوت لان سلسلة رجات او اهتزازات بدت من الجسم الصائت وانتقلت بشكل موجات في الهواء صدمت طبلة آذاننا فارتجت ارتجاج الجسم الصائت ونقل العصب السمعي تلك الرجات الى المركز السمعي في الدماغ . وكلنا نلاحظ أن الموسيقى العسكرية تنظم خطوات الجنود في زحفها

وهناك ألوف من الحركات المادية والحيوية والعقلية والاجتماعية تنتقل من وسط الى وسط متحولة من صورة الى صورة . وربما لاح لبعضنا أن بين هذه الحركات المتحولة علائق أو روابط تتفرع من مبادئ معدودة او هي ترجع الى سنن طبيعية ثابتة لا شواذ لها . هذه السنن وتلك المبادئ هي نواة هذه المقالات

ولاجل استيفاء البحث في هذا الموضوع في العوالم المادية والحيوية والاجتماعية لا بد من التوطئة له ببيان أهم سنن الحركة الطبيعية

١ — ما هي الحركة

الحركة هي حاصل فعل القوة في المادة في فسحة من المكان ومدة من الزمان

رميت حجراً . فالحجر مادة والقوة التي دفعته صدرت من عضل اليد . فارتمى الى مسافة عشرين متراً في ثانيتين مثلاً . فارتماؤه على هذا النحو هو الحركة . اندفاع القنبلة من المدفع الى مدى محدود انما هو حركة ايضاً . جري الماء في النهر بفعل قوة الجاذبية حركة . المشي حركة بفعل قوة مخزونة في عضلنا . الضحك حركة . الكلام حركة . التفكير حركة . وهلم جراً

٢ — انتقال الحركة

من اظهر مظاهر انتقال الحركة من جسم الى جسم ما هو معلوم من احد ضروب البلياردو الذي تصطدم فيه كرة بكرة . فالصادمة تقف مكان الصدم والمصدومة تستأنف الاندفاع بدل الاولى وتتمّ ما بقي من زخم حركتها

القنبلة المندفعة من المدفع مهما تمادت في الاندفاع لا بد أن تقع هي او شظاياها الى الارض بفعل قوة اخرى هي الجاذبية نحو مركز الارض . ولكن لا تنتهي حركتها هناك بل تنتقل الى اجسام اخرى . فالهواء الذي اخترقته انصدم بها صدماً عنيفاً وارتج ارتجاجاً يهز الابنية المجاورة ويكسر الزجاج وتتسع دائرة ارتجاجه حتى تشمله كله وثم يرتج الاثير المحيط به وتتسع دائرة ارتجاجه او بالاحرى تموجه ملء الفضاء . ثم ان الارض نفسها ترتج عند وقوع القنبلة عليها ارتجاجاً تتسع دائرته حتى تشمل الارض كلها وتنتقل الى الاثير ايضاً وتتسع فيه ملء الفضاء . ولما كانت الموجة الارتجاجية أو الاهتزازية كلما تضخمت بشكل كروي تضعف كجذر مكعب البعد عن مركزها تصبح هذه الحركة اضعف من شعورنا المادي وان كانت لا تخرج عن دائرة تصورنا

على هذا النحو تؤثر حركة الترام او القطار الحديدي في الارض وفي الهواء وتذهب رجاتهما في الارض ومنها في اثير الفضاء

قطعنا النظر فيما تقدم عن مصادفة الحركة حركات اخرى معاكسة لها على خط مستقيم فتتنافى القوات او ان تخصم الصغرى من الكبرى ما يساويها وتنتفي بها

٣ — تحول الحركة

كثيراً ما تنتقل الحركة من جسم الى جسم متحولة من صورة الى صورة أخرى وفي حالة تحولها تدعى قوة « جديدة »

الترام يسير بحركة ميكانيكية وهي اندفاعه على عجلات تدرج على خط حديدي . وهذه الحركة الميكانيكية صادرة من قوة مغنطيسية في الدينمو تولدت من قوة كهربائية وردت في السلك الكهربائي . وهذه تولدت في الدينمو الاول عن يد حركة ميكانيكية أخرى أيضاً فيه وفي الآلة البخارية التي أدارته . وهذه تولدت من فعل قوة الحرارة التي بدت في بخار الماء . وقوة الحرارة هذه صدرت من الوقيد المحرق الذي كان خازناً للحرارة بفعل الالفة الكيماوية بين دقائق المادة النباتية . وهذه الالفة الكيماوية قد استمدت الحرارة من الشمس عن يد التموجات الاثيرية كما سيجيء بيانه

الكتابة حركة عضلية وحركة عقلية . فالعضلية نتيجة حركة عصبية تتم بعمل كيماوي في العصب . وهذه الحركة نتيجة عمل كيماوي فسيولوجي تم بين خليات الجسم وحاصل الغذاء الذي اتصل اليه . وهذه نتيجة عمل كيماوي آخر حدث في النبات الذي اغتذيناه . وقد علمت الآن ان النبات استمد قوته من حرارة الشمس . والحركة العقلية نتيجة حركة في مراكز الدماغ والمجموع العصبي كله . وحركة المجموع العصبي نتيجة عمل كيماوي فسيولوجي كما علمت آنفاً

فترى مما تقدم ان الحركة تنتقل من جسم الى جسم تارة انتقالاً بسيطاً بصورتها كانتقال حركة الكرة في البليادرو الى كرة أخرى . وتارة تنتقل وهي تتزيا كل مرة بصورة مختلفة من حرارة ونور وكهرباء ومغنطيس وميكانيكية . فكل حركة قابلة التحول من أي صورة الى صورة أخرى اما رأساً أو بواسطة صورة ثالثة أو اكثر بينهما . وهو مألوف تولد الحرارة بقدح الزناد بفعل حركة عضلية . وتولد النور والحرارة من مجرى كهربائي . وقوة الجاذبية نحو مركز الارض كافية لتوليد كل نوع من انواع الحركة كما لو استخدمنا قوة انحدار الماء لتوليد الكهرباء ومن هذه لنا الميكانيكية والنور والحرارة حتى العمل الكيماوي أيضاً

٤ — استمرار الحركة

رأيت في ما تقدم اننا استطعنا ان نرجع في سلسلة تحولات الحركة الى مصدر عظيم هو الشمس واستطعنا أيضاً ان نتتبع الحركة المتحولة حتى رأيناها تنتشر في أثير الفضاء الذي يستحيل أن ندرك له حدوداً . فأنى للشمس هذه القوة التي تبعث الحركة في أرضنا ؟ وابن تنتهي هذه الحركة ؟ ومتى تنتهي ؟ هذا ما لا قبل للعقل البشري ان يدركه بل يستحيل ان يدركه . وكل ما يمكن أن يدركه العقل هو ان الحركة مستمرة لا يعرف لها بداية ولا نهاية . فهي من هذا القبيل كالمادة والزمان والمكان يستحيل على العقل البشري تصور بدايتها ونهايتها كما يستحيل عليه تصور عدم البداية وعدم النهاية لها

٥ — اتجاه الحركة

بالبداهة نفهم ان الحركة تتخذ خطاً مستقيماً يمتد من مصدر القوة الى ما لا نهاية له . واذا قيل لنا ان الواقع غير ذلك بدر لنا الاستفهام عن السبب

اذا اطلقنا قنبلة من مدفع مركّز على سطح بارجة في اتجاه مائل عن سطح البحر (لا اليه) فبالبداهة نتصور ان القنبلة تسير في خط مستقيم وتتيه في الفضاء . والواقع انها لا تسير كذلك بل تسير في خط منحن نحو البحر حتى تقع فيه . فلماذا ؟

ذلك لان قوة اخرى غير قوة المدفع صادرة من جهة أخرى غير جهة المدفع كانت تفعل في القنبلة فتجذبها نحو الارض فغيرت خط اتجاهها . وهي قوة الجذب نحو مركز الارض تتراءى انها صادرة من مركز الارض الى جميع جهات سطحها الكروي . فهذه القوة الجاذبة متجهة في خط مقاطع لخط اندفاع القنبلة فامالته حتى قاطع سطح البحر

وهناك عامل آخر كان يعمل في القنبلة وهي مندفعة وهو عامل المقاومة . فان القنبلة وهي مندفعة كانت تصدم الهواء وتخترقه في سبيلها فتخسر من معدل اندفاعها ما يساوي مقاومة الهواء له كما ان الهواء اكتسب حركة تساوي ماخسرته القنبلة من سرعة اندفاعها

هذا القول صحيح تام الصحة على افتراض ان الهواء ساكن سكوناً مطلقاً وهو فرض يكاد يستحيل لان للهواء حركة تؤثر ايضاً تأثيراً مهما كان ضعيفاً لا تدركه حواسنا فلا نقدر ان ننفيه من تصورنا وان اغفلناه من الحساب العملي

فاذا اغفلنا حركة الهواء وفرضناه ساكناً بقي لنا ثلاثة عوامل تعمل في اتجاه القنبلة المندفعة : الاول قوة المدفع الدافعة . الثاني قوة جاذبية الارض الجاذبة . الثالث عامل المقاومة — مقاومة الهواء — ولا نسمي هذا العامل قوة لانه لايؤثر في اتجاه اندفاع القنبلة بل يخصم شيئاً من معدل سرعتها . ناهيك عن ان الساكن لا ينتج حركة

﴿ ناموس اتجاه الحركة ﴾ اذاً السنَّة التي تستفاد من هذا البيان هي كما نص عليها نيوتن وهي :

« كل جسم لا بد ان يستمر على احدى حالتيه من السكون او الحركة (في سرعة غير متغيرة) في خط مستقيم الا اذا اضطر ان يغير حالته بفعل قوات اخرى تؤثر فيه »

ولكن لما كان يستحيل انفراد الحركة بقوة واحدة وكان كل جسم واقعاً تحت فعل قوات وعوامل مختلفة المقدار والجهة كان اتجاه المتحرك يختلف باختلاف القوات المتسلطة عليه والعوامل المقاومة له . فما هو ناموس اتجاه الحركة اذاً ؟

﴿ ناموس سبنسر ﴾ نجد الجواب الاصح في بحث سبنسر عن اتجاه الحركة . قال :

« متى كان الجسم متحركا بفعل قوات جاذبة فقط كان خط حركته الخط الحاصل من خطوط القوات الجواذب . وهو ما يسمى خط الجاذب الاكبر

« ومتى كان الجسم متحركا بفعل قوات دافعة فقط كان خط حركته الخط الحاصل من خطوط القوات الدوافع وهو ما يسمى الخط المقاوم الاكبر (أو بالاحرى الخط الدافع الاكبر)

« ومتى كان الجسم متحركا بفعل قوات جاذبة وقوات دافعة معاً كان خط حركته الخط الحاصل من خطوط القوات الجواذب والدوافع معاً

« وهذا الثالث الاخير هو السنة الوحيدة لاتجاه الحركة لان كلا النوعين من القوات يعملان معاً في كل مكان » اه

ولتمثيل خط الاتجاه الحاصل من تأثير قوات مختلفة من جواذب ودوافع خذ الطيارة (ايروبلان) فالخط الذي تسير فيه هو حاصل تأثير قوة الآلة المحركة التي فيه وقوة جاذبية الارض وقوة حركة الهواء ومقاومة الهواء نفسه . فاحسب خطوط اتجاه هذه القوات واستخرج الحاصل منها جميعاً (بحسب القواعد المنصوص عليها في كتب الطبيعيات) فهو خط اتجاه الطيارة

خطوط اتجاه الاجرام السموية هي ايضاً حواصل قوات جواذب ودوافع مختلفة تسبب دورانها في دوائر غير متصلة لسبب سيجيء بيانه

٦ — الحركة الدورية

للحركة سنَّة اخرى غير السنن الآتية الذكر تلعب ادواراً خطيرة الشأن في تكييف المواد وتحويلها وهي « الحركة الدورية »

كنا نلاحظ هذه الحركة في الغصن المترنح في مهب الرياح والراية الخافقة حتى في النسمات اللطيفة والوتر المهتز في العزف ورقاص الساعة Pendulum المترجح كارجوحة الاحداث

ولتفهُّم هذا النوع من الحركة تمعن النظر في رقاص الساعة المعلقة في الحائط فتلاحظ ان الرقاص اذا جذبته او دفعته عن مقر خط اتجاهه نحو مركز الارض لا يعود الى ذلك المقرّ ويثبت فيه بل يتجاوزه آئباً الى خط آخر يبعد عن خطه الاصلي كبعد الخط الاول الذي انجذب اليه تقريباً ثم يستأنف خطرانه او ترجحه على هذا النمط ذهاباً واياباً ما دامت القوة التي دفعته تتجدد . ولكن اذا انقطعت القوة عنه تناقصت مسافة خطرانه مرة بعد اخرى حتى يستقر عند خط اتجاهه الاصلي نحو مركز الارض

واذا انعمت النظر في اهتزاز الوتر وجدت انه يهتز على نمط ترجح الرقاص تماماً . وكذلك ينفرج وينضم زنبلك الساعة الصغيرة . واذا كانت الريح تهب هبة واحدة او هبات متساوية السرعة كان الغصن يترنح والراية تخفق وامواج الماء تتابع على هذا النمط ايضاً

وتمهيداً لبيان أن للحركة الدورية سنة واحدة مهما تنوعت بتنوع المواد المتحركة نأتي على نواميس الرقاص ونواميس الوتر ثم نستخرج منها السنَّة الطبيعية التي تعم جميع الحركات الدورية

﴿ نواميس الرقاص ﴾ كما نص عليها في كتب الطبيعيات

الاول — ان خطرات الرقاص في مكان معين متساوية في الوقت ولا فرق ان كانت مسافات الخطرات متفاوتة بتفاوت القوة الدافعة في الشدة

الثاني — ان مدة الخطران لا تتوقف على مادة الرقاص ولا على وزنه بل على طوله وعلى مقدار جاذبية الارض له (لان مقدار جاذبية الارض يختلف بحسب الامكنة لاختلاف بعدها عن مركز الارض)

الثالث — تختلف مدة خطرات الرقاصات باختلاف اطوالها . فان اطوالها كنسبة مربعات اوقات خطراتها

وبتأمل قليل نجد أن الناموسين الاخيرين الثاني والثالث ينحصران في معنى واحد

وهو أن مدة خطرات الرقاصات تختلف باختلاف اطوالها ولا عبرة في مادة الرقاص ووزنه . وحاصلهما انه كما طال الرقاص بطؤت خطراته والعكس بالعكس على نسبة مربعة

﴿ نواميس الوتر ﴾ الاول — ان عدد اهتزازات الاوتار في الثانية الواحدة يختلف بالعكس باختلاف اطوال الاوتار التي من ثخانة واحدة والمشدودة شداً متساوياً

الثاني — ان عدد اهتزازات الاوتار في الثانية الواحدة يختلف كاختلاف الجذور المربعة لمقدار شدها هذا اذا كانت في طول واحد وثخانة واحدة

الثالث — ان عدد اهتزازات الاوتار في الثانية الواحدة يختلف بالعكس كاختلاف الجذور المربعة لثخانتها اذا كانت مشدودة شداً متساوياً ومن طول واحد

وقد اغفلوا من عداد نواميس الوتر ناموساً آخر وهو ان اهتزازات الوتر الواحد متساوية في الوقت ولا عبرة لزخم عزفه . وهو يقابل ناموس الرقاص الاول

﴿ تعليل هذه النواميس ﴾ اذا انعمت النظر في خطران الرقاص تجد انه نتيجة فعل قوتين : الاولى القوة التي دفعت الرقاص وهي غير ملازمة له (وان تجددت . والتجدد غير الملازمة كما لا يخفى) . والثانية قوة جاذبية الارض وهذه ملازمة له بيد انها تضعف كلما بعد الرقاص عن الخط السمتي وتقوى كلما قربت اليه وكلتا القوتين متفاوتتان (الخط السمتي هو الخط الوهمي الذي عند من نقطة تعلق الرقاص الى مركز الارض ولا بد أن يكون فيه مركز ثقل الرقاص في حالة سكون الرقاص)

وكذلك اذا انعمت النظر في اهتزاز الوتر تجد ايضاً انه نتيجة قوتين الاولى قوة عزف الوتر وهي غير ملازمة له (وان تجددت . والتجدد غير الملازمة كما لا يخفى) . والثانية قوة مرونة الوتر نفسه التي تقضي بعودته الى خطه المستقيم كما تقضي قوة الجاذبية بعودة الرقاص الى خطه السمتي

وعند اقل تأمل تجد أن مرونة الوتر تختلف باختلاف طوله وشده وثخانته أي أنها تكون قوية كلما قصر الوتر واشتد واستدق وضعيفة كلما طال وارتخى وثخن

والغصن المترنح تحت هبة الهواء يتمشى ترنحه على سنة الوتر . حتى أن موجة المياه ورجة المنزل الذي يسير الترام الى جنبه وترنح السفينة وكل حركة دورية تتمشى على هذه السنة ايضاً

فترى مما تقدم ان كل متحرك حركة دورية يكون واقعاً تحت فعل قوتين على الاقل متفاوتتين احداهما ارجح من الاخرى

﴿ تعليل سبنسر للحركة الدورية ﴾ « تنتج الحركة الدورية حيث توجد قوات متصادمة غير متوازنة . فاذا كانت القوات المتصادمة متوازنة كانت النتيجة سكوناً

لا حركة . ولكن اذا كانت احدى القوات أزيد في جهة ما — وبالطبع تسير الحركة في هذه الجهة — فلكي تستمر الحركة على معدل واحد وصفة واحدة في هذه الجهة وجب أن الجسم المتحرك بالرغم من استمرار تغير مكانه (او حيزه) يبقى على نسبات (غير متغيرة) مع مصادر القوات التي سببت حركته وقاومتها . وهذا أمر مستحيل . لانه كلما تقدم الجسم المتحرك من حيز الى حيز تغيرت نسبات القوات العاملة فيه — أي ان انتقاله في المكان لا بد أن يزيد ارجحية احدى القوى الاخرى — اي انه يمنع استمرار تحركه على معدل واحد وفي صفة واحدة . واذا لم يمكن جعل التحرك على معدل واحد وفي صفة واحدة ففي حالة عدم الاسراع او عدم الابطاء المتواصل كل منهما في زمان ومكان غير متناهيين (وهي نتيجة لا يمكن تصورها) لا يبقى الا الحركة الدورية » أي الذهاب والاياب اما في خط مستقيم كالرقاص أو في دائرة كحركة الارض حول الشمس

﴿ تطبيق التعليل ﴾ ولتفهم هذا التعليل الدقيق نشرح حركة الرقاص تطبيقاً عليه

اذا دفعت الرقاص بقوة معينة عن جهة استقراره وهي الجهة المتفقة مع الخط السمتي ابتعد عن هذا الخط في شكل قوس تحدُّبها به مظاهرٌ لمركز الارض وفي مسافة مناسبة للقوة التي دفعته . على ان جاذبية الارض تقاوم حركة اندفاعه وتصرُّ على رده الى مكانه . ولما كانت القوة التي دفعته غير مرافقة له فكلما ابتعد عنها ضعف تأثيرها عليه وتغلبت قوة الجاذبية عليه لانها ملازمته فترده . وفي عودته كلما قرب الى الخط السمتي ازدادت سرعته طبقاً لناموس الاجسام الساقطة . لانه منحدر في شكل قوس كما لا يخفى . فحكمه حكم الجسم الساقط الذي يسرع كلما اقترب الى الارض . (راجع الناموس في كتب الطبيعيات) . أي انه يكتسب من هذه السرعة في انحداره قوة جديدة حتى متى عاد الى الخط السمتي استوفت قوة الجاذبية حقها منه وأنتهى فعلها فيه فيندفع ثانية الى الجهة الاخرى بالقوة التي تجددت له في انحداره . ولكنه كلما ابتعد عن الخط السمتي تزايدت قوة الجاذبية وضعفت قوة اندفاعه الى فوق طبقاً لناموس الاجسام الصاعدة (الذي هو عكس ناموس الاجسام الساقطة) حتى متى تغلبت الجاذبية على قوة اندفاعه ردته أيضاً . وهكذا دواليك الى ان تتلاشى حركة اندفاعه وتفوز الجاذبية اخيراً فتثبته في الخط السمتي

واذا جعلت مرونة الوتر في مثابة جاذبية الارض أمكنك ان تطبق اهتزاز الوتر على هذا التعليل أيضاً . بل يمكنك ان تعلل كل حركة دورية به

﴿ الحركة الدورية غير تامة ﴾ قال سبنسر : « لا يمكن ان تكون الحركة دورية مترددة في خط مستقيم الا حين تكون القوات المتضادة في خط واحد . والراجح دائماً

خلاف ذلك . ولكي تنشيء حركة دورية في دائرة تامة يجب ان تكون القوتان المتقاومتان في زاوية مستقيمة وأن تكون لهما نسبة معينة والراجح دائماً خلاف هذا أيضاً . فجميع اتجاهات القوات الاخرى (اتجاهاتها الاخرى غير تضادها في خط واحد او في زاوية مستقيمة) وجميع نسباتها الاخرى أيضاً لا بد ان تنتج دائرة بيضوية بيضويتها قليلةأو كثيرة . وحينما تتسلط اكثر من قوتين — وهو ما يحدث دائماً — فالخط المنحني لا يمكن ان يعيد نفسه . ولهذا ترى في الكون عموماً أن القوات الفاعلة والمردودة الفعل لا يمكن ان ترد الحركة الى حالتها الاصلية . وهذا هو سر اننا لا نرى الا حركات مترددة على الدوام (من خطران ودوران وتموج واهتزاز وارتجاج) وعند انجاز كل حركة دورية يكون الفرق بين المكان الذي وصلت اليه والمكان الذي برحته مناسباً لنسب القوات العاملة المترددة »

ولا يخفى ان سبنسر يقصد بهذا التعليل العام ان يعلل لماذا ان دورات الاجرام في أفلاكها كل مرة أضيق من سابقتها . أي ان الاجرام تدور في دوائر غير تامة بل كل دورة تكون في حيز ضمن حيز الدورة السابقة لها بحيث أنها تقرب تدريجاً الى مركزها

والمستفاد من كل ما تقدم ان جميع مواد الكون من اثير واجرام تسبح في الاثير وعناصر تتقلب في الاجرام انما هي جميعاً في حركات دورية معظمها تموجية أو اهتزازية وان هذه الحركات انما هي تكيفات لصور القوة التي تتزيا في كل عالم من عوالم الطبيعة بزي

وسترى في المباحث التالية أهمية الحركات الدورية في تكيف العوالم المادية والحيوية والاجتماعية . وثم تعلم سبب افاضتنا في البحث فيها فيما تقدم

﴿ ملاحظة ﴾ لا بد من الانتباه لها في المقالات التالية : الحركة الدورية اما دائرة كدوران الافلاك او مترددة في خط مستقيم أو منحن كحركة الرقاص . والمترددة اما متموجة كتموج الهواء والماء والاثير أو مهتزة كاهتزاز الوتر وان كانت بطيئة كانت خطراناً او ترجحاً أو خفقاناً

نقولا الحداد

اقطاب الدهور – ٣

او مقدمة الانقلاب الاجتماعي العظيم

[الهلال] هذا هو الخطاب الثالث الذي القي في الاجتماع التاريخي الذي عقده اقطاب الدهور لاصلاح الهيئة الاجتماعية وقد كان الخطاب الاول لكنفوشيوس في حال الاجتماع عموماً والخطاب الثاني لزرادشت في حال الآتي

خطبة الرئيس ابن سيناء

العائلة والصحة

كان ابن سيناء المسلم الوحيد بين أولئك الاقطاب وهو فيلسوف التتار الاوحد. فاجلَّهُ الحضور واكرموا مثواه. ورغبوا في خطابه للوقوف على حقائق جديدة نظراً لاختبارات الاسلام في امر العائلة

وقف ابن سيناء يجيل بصره في الجو كأنه يخاطب الارواح العلوية أو يقرأ على جبهة الفضاء اسرار الغيب. وأخيراً عرض عليهم بالفانوس السحري صورة بلاد التتار وهي بلاد واسعة الارجاء قديمة التواريخ غريبة الاوصاف

رأوا بحيرات بيكال واورال وقزوين. وخانات بخاري وسمرقند وطشقند ويرقند وخوقند. وجبال اورال ونهر اورال. ثم مرت أمامهم رسوم تاريخية تبين اهمية الامة التتارية. فرأوا الدول العلوية والسامانية ودولة جنكيز خان ودولة آل سلجوق، رأوا جيوش التتار تحتل البنجاب والصين وروسيا وبولندا وهنغاريا والبلقان وتركيا ومصر وبلاد العرب والمغرب. رأوا التتار على عروش بودابست والقسطنطينية وباكين وغيرها

وما زال حتى ظهر لهم صورة عائلة في استرخان على مصب نهر فولكا. وتلك العائلة مؤلفة من زوجين وفتاة. فالزوج ناصر الدين تتاري وزوجته فاطمة فارسية. وفتاتهما سوسان كانت جامعة صفات التتار والفرس الا انها تتغلب فيها اوضاع التتار كمحبة الحرية الذاتية والاستقلال

وكان الرجل عاقلاً مطلعاً. وزوجته رعناء فضولية

رأى الاقطاب الفتاة سوسان الجميلة اللطيفة في اسواق أسترخان وعلى ضفاف نهر فولكا. وكان الجمهور يحدجونها بالانظار لجمالها وهي في الخامسة عشرة. فكانت تخلو بنفسها وتسأل « لماذا يحدجونني بالانظار!. » فكانت تكره الرجال وتقول « بالله ما اثقلهم » فزادت نفوراً منهم. وكان اكره المواضيع عندها « الزواج ». اما

والدتها فكانت على الضد من ذلك ولم يكن لها هم الا تزويجها . وكانت تقول لسوسان انكِ مجنونة لا تعرفين شيئاً من أسرار الدنيا . فدهشت سوسان وقالت « لماذا يعنى الوالدون في تزويج البنات ؟ · أهنّ متاع يشرى ويباع ؟ »

ولما بلغها أن خاطباً طلبها وأن والديها قطعا في الامر دون علمها هالها الامر · واكثرت من البكاء والعويل · وهمت أن تاتي بنفسها مراراً في نهر فولـكا تخلصاً من الزواج والزوج الثقيل الذي لا يمكن أن تطيقه

ورآها الاقطاب زوجة في بيت تيمور · وهو تتاري طويل القامة مسترخي الاطراف نهم شهواني كسول قليل المروءة بخيـل · فكانت الافراح عندها أتراحاً · وكانت براعة استهلال كلامها الزوجي « ويل للظالمين »

جعل تيمور يلاطفها توصلاً لشهوته · ورأت هي أن تجامله وفي النفس آلام · ومن نكد الحياة أن كثيرات لا يصلحن للحياة الزوجية فيرغمن على الخضوع لمشيئة الرجل وذلك ضد احكام الطبع كما أنهن قد ارغمن على الزواج عملا بالتقليد ليس الا

في ليلة الزفاف خلا قلب تيمور من السرور ورأى أن الزواج شرك له · ولـكن والدته عارضته في ذلك وقالت له أن مشاكل الزواج سحابة صيف ليس الا · فستنقشع وتطلع بعدها شموس السعادة

تختلف بلاد التتار عن بلدان الدنيا في اوصافها واقليمها · ولـكن مصائب الحيـاة لا أقليم لها ولا جغرافية انما هي عمومية في كل مصر وعصر ترافق بنات حواء في رحلاتهن من المهد الى اللحد

هكذا كان الحال في بيت سوسان · فنسيت مسرات الصبا في بيت أبيها وباتت حليفة الغموم والاكدار · وعلى الخصوص لان زوجها مصاب « بمرض نجس » فاصابها منه الحظ الوافر · وهو داء لم ينجع فيه دواء · فزادت سوسان نفوراً من تيمور · وكانت تكرر قولها « ويل للظالمين »

ولما شكا تيمور الحال لوالدته أخذت تعزي قلبه وتلاطفه وقالت له « هذا شأن المرأة في أثناء الحبل · ولـكنها بعد الولادة تحسن اخلاقها » · وبعد الولادة زادت سوسان نفوراً منه · فشكا الامر لوالدته فقالت « لا بأس يا تيمور هو شأن المرضع · فاصبر على سوسان فانها عقب الفطام تحسن اخلاقها وتحلو عشرتها » · على ان سوسان حبلت ثانية قبل الفطام · وهكذا مرّت الحياة الزوجية بين فطام ورضاع · وكان اولادها اربعة

١ محمد وهو اقرع واجرب

٢ قاسم وهو مسلول

٣ ابراهيم وفيه مرض ابيه — الزهري
٤ طه . وهو سقيم النظر وضعيف المجموع العصبي

وماتت والدتهم سوسان كسيرة القلب لان الحياة العائلية لم تلائمها لا جسداً ولا فكراً .
وبعد موت سوسان تفرق بنوها في انحاء الدنيا وولدوا اولاداً على شاكلتهم فكانوا بين الناس مضرب الامثال . وسموهم « بني ساسان » تحريفاً لاسم والدتهم سوسان

وعلى اثر وفاة سوسان أسقط في يد تيمور . فجلس على ضفة فولكا يراجع حياته فرآها سلسلة آلام ومرائر وفشل من اولها الى آخرها . فغلب اليأس على نفسه الصغيرة فالقى نفسه في النهر وختمت حياته التعسة بالانتحار

فجال اولاده في الشوارع كالكلاب . وكانوا ينامون في العراء فراشهم الارض وغطاؤهم السماء . ولم يجسر احد أن يقبلهم في بيته لسبب امراضهم . فساءت اخلاقهم لهجر الناس اياهم وزاد الناس منهم احتراساً وزادوا هم شراً على شر

وكانت ذرية كل منهم تمثل والدها في امراضه وقد احصت الحكومات المتمدنة من ذريتهم في خمسين سنة ٢٠٠٠٠٠ حادثة مرض . ودخل مستشفى برلين في مدة رآسة الهيرفون برخت ١٥٠٠٠ مسلول من بني ساسان . واحصت حكومة اورنبورج في خلال عشرسنين ٥٠٠٠ جناية و ١٢٠٠٠ جنحة من اعمال بني ساسان . وكان الاكراد يقتلونهم على قارعة الطريق تخلصاً منهم والاعراب يدهنونهم بالقطران . وسماهم الانكليز جبسز (Gypsies) وكان السوريون يعيرون من يشتمونه بانه منهم وسموهم نوراً . وفي مصر يدعون غجراً والاكثر على اصلهم التتاري . ولم يلصق بهم احد بالزواج لا من حيث الذكور ولا من حيث الاناث

. . . .

ولكي يبين ابن سيناء تسلسل الامراض والمصائب بالتوارث ارى الحضور مصير ثلاث عائلات من ذرية سوسان

الاولى من بني قاسم رئيسها الفاضل الامام بدر الدين العاملي ولد ١٣ ولداً وابنة . كانوا آية في بسطة العيش في نواحي تفليس فاخنى عليهم الدهر بموت الاب مسلولاً . وتلاه ابنه الاكبر فاخوه وأخوه حتى لم يبقَ منهم احد . ورأى الاقطاب تلك العجوز الهرمة وقد دفنت زوجها واولادها الثلاثة عشر — رأوها في وسط المقابر وقد جمد دمعها وذهلت وصارت كالبهائم . فراعهم منظرها ورقوا لحالها . وقالوا قولها وهي عند قبر ابنها الاصغر تراجع ماضي حياتها باسف وألم شديدين « لماذا يجنون على الفتيات ؟ »

الثانية من سلالة محمد . وهي مؤلفة من والدين وخمسة اولاد وفتاة . مات الوالد

بداء السرطان فبكته زوجته بكاء الخنساء اخاها صخر . وعقب موته بسنة ونصف سنة ظهرت اعراض السرطان في ابنه الاكبر . فكانت والدته تمرضه مدة خمسين يوماً قاسى فيها من الالام ما لا يوصف وقلب أمه يذوب حسرة حتى لفظ الروح وهي تجاهه فقضي على الام لشدة الحزن . وتركت اولادها الباقين لعناية اختهم هند . وكانوا يموتون الواحد بعد الاخر وهند تعاني في مرضهم وموتهم اشق المشاق . حتى بقي عندها اصغر اخوتها وهو البقية الباقية من بيت ابيها . فكانت شديدة الكلف به شديدة الولع شديدة الخوف شديدة القلق

وفي ذات يوم شكا ألماً في جوفه وانتفخ بطنه فبادرت الى الطبيب . ففحصه بتأنٍ وغب الفحص سألها بماذا مات والد هذا الشاب . فبكت وقالت « فهمت فهمت . ويلاه . واشقيقاه » فنصح لها الطبيب ان تذهب الى مستشفى القديس نوفسكي في مدينة قازان . فبذلت جهدها في جمع نفقات السفر وحملت أخاها وذهبت الى قازان . وقدمت نفسها لخدمة المستشفى اكراماً لعيون أخيها العزيز . فقبلت وكانت تخدم تحت يد الاخت لوسيا رئيسة الممرضات . وعني رئيس الجراحين بامر أخيها وعقد له مجلساً شورويًا فقرروا لزوم عملية البقر — فتح البطن — ولم ترقد الفتاة ليلة العملية بل أحيت الليل بالصلاة والتوسل اليه تعالى . وفي ثاني الايام لم تأكل . وفي الساعة الخامسة استدعتها الاخت لوسيا وأخبرتها بأشد الاسف انه لدى فتح البطن وجدوا سرطاناً على طول الجوف . ولا أمل في حياة أخيها . فذاب قلبها وجسمها لوعة وحرقة . وفي ثاني الايام كانت جالسة الى جانب ضريحه كمجنونة وهي تقول « لماذا يجنون على النسل ? »

والثالثة من نسل ابراهيم . وفيها رجل تزوج فتاة كالبدر تماماً والربيع جمالا . وكان لسوء الحظ قد ورث مرض جده — الزهري — وجدع به أنفه . وفي الزواج ظهر مرضه في زوجته التي لم تكن تعرف شيئاً عنه . فماتت به بعد ما خلفت أربعاً

الاول حامد وهو سقيم العينين لاصابته بالمرض فيهما

الثانية رضا وهي بلهاء مجنونة لكونها مصابة بمرض الزهري في الدماغ

الثالث يحيي وقد مات سريعاً لاصابته في الامعاء كامه

الرابعة حورية وهي عمياء للسبب عينه

ولما كان ابن سيناء فيلسوفاً وطبيباً في وقت واحد . أخذ يبرهن للحضور انتقال الامراض بالوراثة . فاظهر لهم صورة الرحم وكيفية تكوّن الجنين فيه . وكبّر لهم صورة الجنين في اول تكوّنه فرأوا في الدماغ نتوءاً صغيراً . ثم أدار لولباً فظهرت لهم صورة رجل ليس فيه الا المجموع العصبي وفي دماغه مثل ذلك النتوء الذي في الجنين .

وكان الرجل الثغ لاصابته في دماغه • وقد علموا انه والد ذلك الجنين • فلما تمت ايامه وولد كان الثغ كابيه • ففهم الحضور شيئاً عن الوراثة وفهموا ان الامراض والعيوب تنتقل بالتوارث وفي ذلك بلاء عظيم

ولما ظن ابن سيناء ان عمله تم أقفل الآلة وقال : —

العلم علمان • علم الابدان وعلم الاديان

وقُدم علم الابدان على علم الاديان لسببين

أولا ان المرء مطبوع على الشعور بالبدنيات دون الروحيات التي قد يحمله الشك على انكارها بخلاف هذه

ثانياً لان الابدان مقر الاديان • ولما كان العقل السليم في الجسم السليم ، والدين السليم في العقل السليم ، كان علم الابدان من اول واجبات الدين

لقد رأيتم عبث الناس بالمصلحة العمومية لفساد نظامهم • فانهم يزوجون الفتاة دون فحص صحي • ودون نظر في صلاحها للامومة • ويدعونها تحت حملها الثقيل دون نجدة • والنتيجة وبال على الانسانية على نحو ما رأيتم

فيا نخبة الافاضل هيا الى الاصلاح واغسلوا ايديكم من شر لا تحصر نتائجه في الذين جنوه بل عم المحيط والانسال

فكم من امرأة اليوم تعاني الامرين من جراء تزويجها على غير صلاح فيها للزواج بل كم من زوج كتيمور مات قبل وقته لاقترانه عن غير اهلية وتسلطه على من لا يستحقها

وكم في السجون من الايتام الذين قضي عليهم لنقص في استعداد والداتهم • فقد علمنا الاختبار ان ليس كل انثى تصلح للامومة • كما ان ليس كل انثى تصلح للزواج • ولكنهم يزوجون كل انثى ويستنسلون كل ذكر • ويدعون الاولاد وهم اهم ودائع الله في احضان من لا يستحقها • وتحت تصرف أقوام لا يقدرون قيمتها

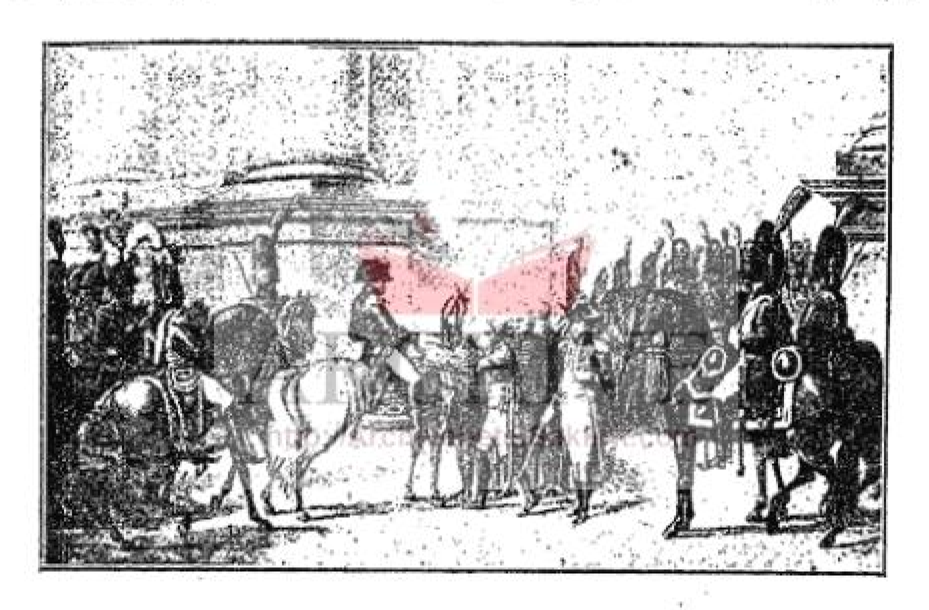
فمن المسؤول عن ذلك كله ؟ ألسنا نحن — أنتم أيها الافاضل الكرام • فشمّروا عن ساعد الجد لاصلاح الاجتماع البشري اذا كنتم تغارون على مصلحة البشرية وعلى سمعتكم بين الاجيال الغابرة والسلام

حنا خباز

دخول نابوليون

برلين

لما فرغ نابوليون في ديسمبر سنة ١٨٠٥ من محاربة المحالفة الاوربية الثالثة التي عقدتها الدول ضد فرنسا ابرم مع النمسا زعيمة تلك المحالفة صلح برسبورج الذي نال فيه معظم مطالبه ، وقد خيم السلام على اوربا أثر ذلك الصلح زمناً لم تطل مدته . فان بروسيا ، التي لم تلازم في تلك الحرب شروط الحياد التام كما اعلنته رسمياً ، ما برحت تحشد الجيوش وتتهيأ سراً للقتال خلف ستار التودد والمجاملة . على أن ذلك التأهب لم يكن ليخفى على



نابوليون عند دخوله مدينة برلين وقد قابله وفد من الاهلين يقدمون اليه مفاتيح المدينة

نابوليون فان التقارير السرية كانت ترد اليه مفعمة بما تضمره بروسيا من نحوه وما تنويه من مهاجمته حالما ترى في نفسها المقدرة على ذلك . وكانت لويزا ملكة بروسيا والوزراء وسائر اهل البلاط يتوقعون كسر شوكة نابوليون والتغلب على جيوشه كأن الامر محتم لا ريب في حصوله عند ما يلتقي الجمعان

وكانت الجيوش الفرنسية اذ ذاك لا تزال معسكرة في بعض جهات المانيا فارسلت بروسيا انذاراً الى نابوليون طلبت فيه الجلاء عن تلك البلاد وطلبت أموراً أخرى وعينت يوم ٨ اكتوبر كآخر موعد للرد

أما نابوليون فلما بلغه الانذار تبسم استخفافاً ثم التفت الى المارشال برتييه وقال :

« لقد ضرب لنا موعد شرف في يوم ٨ اكتوبر وليس من عادة الفرنسي أن يتخلف في مثل هذه الفرص. ويقال ان ملكة جميلة ستكون بين صفوف البروسيين فلنحافظ اذاً على غاية التأدب » وفي الواقع كانت ملكة بروسيا قد ارتدت ثياب امازون لتقود الفرقة المسماة باسمها

وكان نابوليون يتوقع هذا الانذار بين يوم وآخر فلم يتلقه على حين غرة بل كان قد تدبر للامر كجاري عادته في مثل هذه الاحوال حتى انه ارسل الى ملوك باڤاريا وساكس وورتمبرج وهم حلفاؤه يعلمهم أن يكونوا على استعداد لامداده عند اول اشارة. وكان هو اذ ذاك في باريس فتركها وقصد مدينة بمبرج في المانيا حيث كانت جيوشه واتخذها مقراً لاركان حربه. واجتمع لديه ٢٠٨٠٠٠ مقاتل من الفرنسيين وحلفائهم. وكانت بروسيا قد حشدت ١٨٠٠٠٠

والغريب في ذلك أن نابوليون لم يتوقع قط اقدام بروسيا على محاربته لوحدها بدون حليف حتى انه كتب لتليران في هذا الشأن يقول: « ان فكرة اقدام بروسيا وحدها على محاربتي لمما يستدعي الهزء وهو أمر بعيد الوقوع لا يستحق أن ينظر فيه »

وصل نابوليون بمبرج يوم ٦ اكتوبر سنة ١٨٠٥ فاصدر منشوراً الى الجيش يذكر فيه سبب قدومه وامر الحرب الجديدة التي نشبت قال:

أيها الجنود

كان قد صدر الامر بعودتكم الى فرنسا وكنتم قد جزتم عدة مراحل اليها افراح بهيجة كانت تنتظركم في فرنسا وقد اتخذت المعدات في العاصمة لاستقبالكم ولكن بينما نحن مسترسلون نتغنى بالسلام والطمأنينة كانت المكائد تكاد لنا تحت ستار الصداقة والتحالف

فلقد علا نداء الحرب في برلين. وما برحنا منذ شهرين وتحرش المتحرشين بنا يتزايد في كل يوم

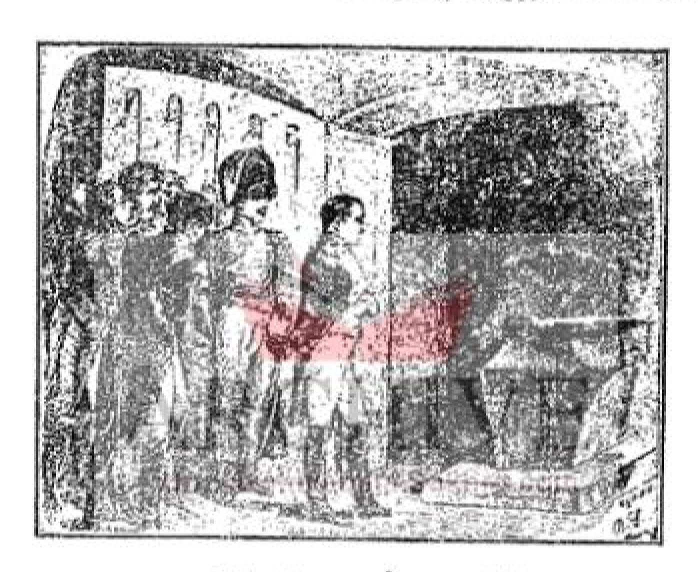
ان تلك الفئة التي قادت البروسيين منذ ١٤ سنة الى سهول شمبانيا لتستفيد من قلاقلنا الداخلية لا تزال هي ذاتها بتيهها وخيلائها صاحبة القول الفصل في مجالسهم

واذا لم يعد مقصدهم اليوم احراق باريس وتدميرها من اساسها فانهم يطمحون الى رفع اعلامهم على عواصم احلافنا، الى سلب ساكس استقلالها باتفاق شائن لجعلها من مقاطعاتهم، الى انتزاع أكاليل الغار من على جباهكم

انهم يريدون ان نجلو عن المانيا لدى مشاهدة جيوشهم

ما اجنهم! ألا فليعلموا أنه لاسهل الف مرة أن يدمروا العاصمة العظمى من ان يلطخوا شرف ابناء الشعب العظيم وحلفائه

أن مقاصدهم خابت في ذلك الحين : فلقد وجدوا في سهول شمبانيا الفشل والموت والعار .
ولكن عبر الايام تمحى . ومن الناس من لا تزول من قلوبهم عاطفة البغض والحسد
أيها الجنود ، ليس بينكم من يود أن يعود الى فرنسا عن غير طريق الشرف
لن ندخلها الا تحت اقواس النصر
أجل ! لقد اقتحمنا الفصول والبحار والصحاري ، لقد كسرنا اوربا المتحدة علينا غير مرة ، لقد حملنا مجدنا من الشرق الى الغرب — أفكان ذلك كله حتى نعود الى وطننا خائبين بعد أن نتخلى عن حلفائنا ، وحتى نسمع قائلاً يقول « أن النسر الفرنسي فر هارباً لدى مشاهدة الجيوش البروسية ؟ »



نابوليون عند قبر فريدريك الاكبر

ليخبر الجيش البروسي ثانيةً ما قد خبره منذ ١٤ سنة
ولكن ها أنهم قد دنوا من مواقعنا الامامية . . .
لنمشِ اذاً ما دام التسامح لم يجدِ لافاقتهم من سكرتهم الغريبة
ليعلموا انه لئن سهل توسيع الاملاك وبسط النفوذ بمصادقة الشعب العظيم فان عدوانه (الذي لا يتأتى الا بهجر كل تعقل وحكمة) لهو اشد واعظم من عواصف الاوقيانوس

عن معسكرنا الامبراطوري في بمبرج في ٦ اكتوبر سنة ١٨٠٦ — نابوليون

وفي اليوم التالي بعث نابوليون رسالة الى مجلس الشيوخ ضمنها ما كان من أمر خداع بروسيا له وما حمله على الالتحاق بجيوشه وانه رغماً من كل ذلك سيبذل ما في وسعه لمنع نشوب الحرب ولتوطيد دعائم السلام

ثم كتب في ١٣ اكتوبر الى فريدريك الثالث ملك بروسيا يطلب اليه التسوية بالطرق السلمية ضناً بدماء الابرار من الرعايا . فعل ذلك وهو يواصل العمل بخطته الحربية لعلمه بسوء نية بروسيا وضعف امله في مصالحتها . وقد كانت خطته بانتصاره الباهر في « يانا » يوم ١٤ اكتوبر وتمزيقه جيوش بروسيا شر ممزق . وقد خسر البروسيون في هذه المعركة ١٥٠٠٠ أسير و١٢٠٠٠ بين قتيل وجريح وهي خسارة جسيمة بالنظر الى ذلك الزمن

أما الجيش البروسي فانه ما زال يتقهقر بلا انتظام والجيوش الفرنسية تتبعه وتشاغله لتمنعه من جمع أطرافه واعادة نظامه حتى اذا رأى الامبراطور فريدريك استفحال الامر خشي سوء العاقبة فارسل يطلب هدنة فلم يرض بها نابوليون وما زال يواصل سيره نحو برلين الى ان وصل بوتسدام[1] يوم ٢٤ اكتوبر حيث اصدر الى جيشه المنشور الآتي :

أيها الجنود

لقد حققتم امنيتي وحزتم عن جدارة ثقة الشعب الفرنسي

فانكم تحملتم بشجاعة المشاق والمصاعب التي اعترضتكم ، بقدر ما أظهرتم في المعارك من الاقدام ورباطة الجأش

انكم المدافعون الجديرون عن شرف تاجي وعن مجد الشعب العظيم . فما زلتم على هذه الروح فليس ما يستطيع مقاومتكم

وقد تبارى الفرسان مع المشاة والمدفعية حتى اصبحت لا ادري أي سلاح افضل . . .

انكم جميعاً لجنود صالحون . وهاك نتيجة عملنا

ان دولة من دول اوربا العسكرية الكبرى — تلك التي تجرأت على ان تعرض علينا شروطاً شائنة — قد تلاشت

ان غابات فرنكونيا والزال والالب ومضايقها التي لم يكن في استطاعة آبائنا ان يقطعوها في اقل من سبع سنوات قد قطعناها نحن في سبعة ايام اشتبكنا في اثنائها مع العدو في اربع مواقع ومعركة كبرى

ولقد سبقنا الى برلين وبوتسدام شهرة انتصاراتنا . وقد غنمنا ٦٠٠٠٠ اسير و٥٥ علماً بينها أعلام حرس ملك بروسيا و٦٠٠ مدفع و٣ حصون واكثر من ٢٠ قائداً

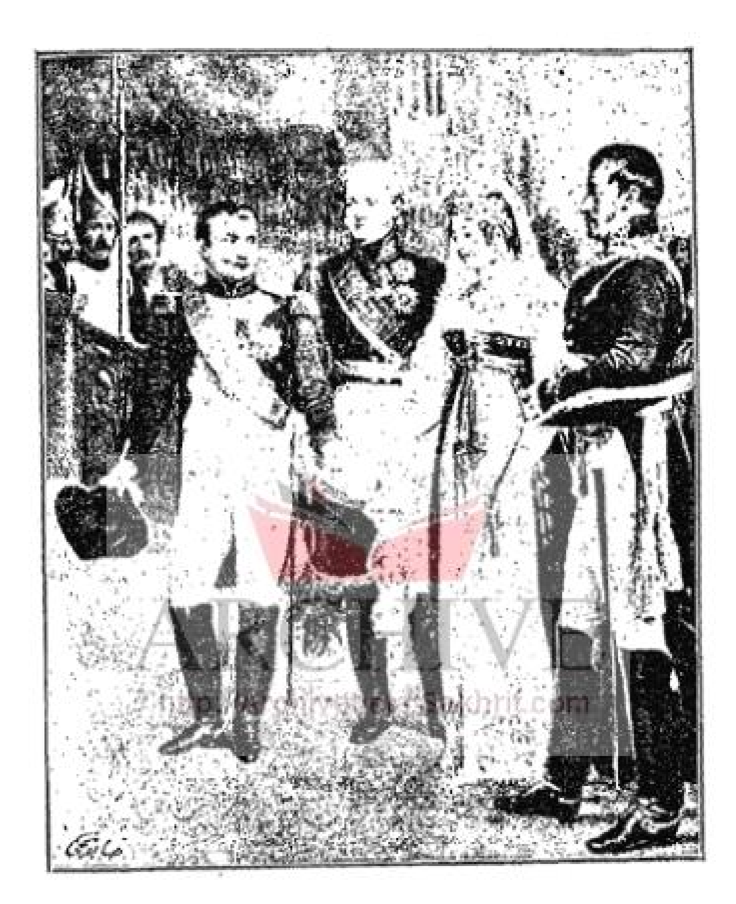
على ان نصف عددكم تقريباً يأسفون لانه لم يتح لهم بعد اطلاق رصاصة واحدة . ان كل مقاطعات المملكة البروسية حتى « الاودر » هي في قبضة يدنا

---

(١) مدينة صغيرة في جوار برلين وهي مقر آل هوهنزولرن

... ان جيوشاً جديدة قد تألفت في داخل الامبراطورية وهي تتقدم لتحل محلنا في حراسة فتوحاتنا

ولقد سخط شعبي باجمعه أثر الشروط الشائنة التي عرضها علينا الوزراء البروسيون فان طرقنا ومدننا القريبة من الحدود ملآى بالمجندين الذين يحترقون شوقاً الى اقتفاء آثاركم



مقابلة نابوليون للملكة لويزا البروسية في تلست
وقد اتت اليه بنفسها لتلتمس منه ان يترأف بحال بروسيا ويتساهل في شروط الصلح

لن نكون بعدئذ ألاعيب صلح غدار

أيها الجنود ! لا استطيع ان أعبر لكم عن عواطفي من نحوكم بافضل من قولي اني حفظ لكم في قلبي تلك المودة التي تظهرونها لي كل يوم

عن معسكرنا الامبراطوري في بوتسدام في ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٠٦ نابوليون

قضى نابوليون في بوتسدام ليلتين وقد نزل في قصر فريدريك الاكبر واقام في حجرته. وفي ٢٦ منه عرض الحرس الامبراطوري ثم زار قبر فريدريك واخذ سيفه وحزامه وغير

ذلك من آثاره وجميع اعلام حرسه الخاص في حرب السبع السنوات وارسلها الى باريس كغنائم حرب

وفي ٢٧ اكتوبر دخل نابوليون برلين في وسط قواده واركان حربه وكان في طليعة الموكب ثمانون من الحرس الامبراطوري حاملين الاعلام التي غنمها الفرنسيون من الجيش البروسي . وقد خرج للقائه وفد من الاعيان والحكام تحت رئاسة البرنس دي هتزفلد حاكم المدينة فرحبوا به وقدموا له مفاتيحها

وصل نابوليون الى القصر الامبراطوري في الساعة الثالثة بعد الظهر فاخذ يهتم بتنظيم شؤون المدينة واستبقى البرنس دي هتزفلد حاكما مدنيا عليها ثم استقبل في اليوم التالي سفراء باڤاريا واسبانيا والبرتغال وتركيا الذين اتوا يهنئونه بفوزه

وفي اثناء اقامته في برلين أتى نابوليون عملاً استحق عليه الاعجاب . ذلك ان البرنس دي هتزفلد الذي ابقاه حاكما على المدينة كان يتفاوض سراً مع الملك البروسي وكان بينه وبين القواد البروسيين مفاوضات سرية . فتوفق المجلس الحربي ذات يوم الى ضبط رسالة بعث بها الى احد القواد البروسيين يعلمه بحركات الفرنسيين . فبينما هو خارج مرة من عند الامبراطور اذا شرذمة من الجند القت القبض عليه وساقته الى السجن . فلما علمت امرأته بذلك ظنت انها وشاية بعض القواد الفرنسيين فعقدت النية على تبرئة زوجها امام نابوليون لتخليصه . فأتت اليه وهي تذرف الدمع والقت نفسها عند قدميه وأخذت تدافع عن زوجها بكل حرارة . فلما رأى نابوليون تأثرها رفعها عن الارض ثم فكر قليلا وقال « لا شك يا سيدتي انك تعرفين جيداً خط زوجك . خذي هذه الرسالة واقرئيها واخبريني عمن كتبها »

فناولها الرسالة فعرفت خط زوجها فلم يسعها انكاره وعلمت انه لم يعد لها حجة لطلب العفو فهمت بالخروج فبادرها نابوليون وقال : « خذي الرسالة يا سيدتي والقها في النار فتخلصين زوجك اذ لا يعود لدينا دليل على خيانته » فتناولتها وهي لا تكاد تصدق ما تسمع والقتها في النار

وهكذا خلصت زوجها من موت اكيد

مشاهد الموت

عند الشعوب

ليس ما هو ادعى الى الهيبة والوقار من مشهد الموت ، حتى في هذا الزمن الذي رخصت فيه الارواح وبيعت بابخس الأثمان . وقد خطر لنا أن نجيل النظر في عادات الشعوب القديمة والحديثة من هذا القبيل ونرى ما عندها من أمر العناية بالموتى وتشييعهم ودفنهم ، عسى أن نتوفق بعد ذلك الى القاء شعاع نور ولو ضئيل على سر الوجود



حمل « المومياء » على المراكب الى المدافن عند المصريين القدماء

الاكبر، سر الموت ، الذي تتساوى عنده الناس مهما يكن بينها من الفوارق والاختلافات

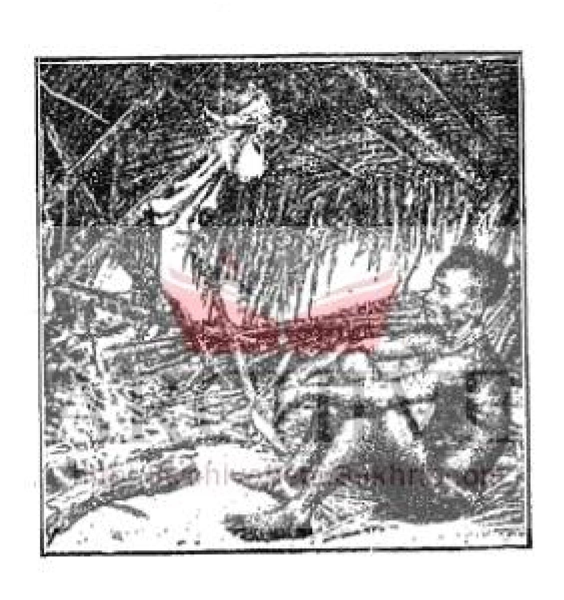
لعلّ في الالياذة أقدم وصف لمأتم . فان النشيد الثالث والعشرين كله مخصص لمأتم فطرقل وماكان من حزن اخيل عليه . قال البستاني في ترجمة الالياذة مخلصاً ذلك المشهد :

« . . . ولما بزغ الفجر أسرع الجند الى جبل ايذة للاحتطاب فجمعوا الوقود وألقوا عليه الجثة فقص اخيل شعره ليحرق مع القتيل وذبح خيلا واثني عشر فتى من الطرواد ليحرقوا فوق جاحمه وأما هكطور فحفظته الزهرة وافلون من الفساد . واضرموا النار فلم تضطرم الا قليلا . فتضرع اخيل الى الرياح فبادرت واضرمت اللهيب ولما

احترقت الجثة جمعت العظام ودفنت ثم تهيأوا للالعاب المعتادة وأعد أخيل الجوائز فتسابقوا بالعجال ثم برزوا للكام والصراع والسباق عدواً والبراز بالسلاح والتخاطر بقذف الكرة والمناضلة وزج الرماح وهكذا انتهت الحفلة »

قد يدهش القارىء لدى مطالعة هذا الوصف ولكنه مطابق لعقائد العصر الذي يرجع اليه . اذ ان العالم الآتي في نظر الاقدمين شديد الشبه بهذا العالم . فلم يكن بد للميت من طعام وشراب ولباس وغير ذلك من الحاجات التي يزوده بها ذووه في قبره

وعناية المصريين القدماء بالموت اشهر من أن تحتاج الى تذكير . وها أهرام الجيزة شاهد على ذلك . وقد كانوا يحنطون الجثث بمهارة غريبة لا تزال موضع اعجاب



احد سكان جزر اندمان في كوخه وقد علق عظام والده امامه

الباحثين الى هذا اليوم . ومن عاداتهم انهم كانوا يحملون الجثة بعد غسلها وتحنيطها وتزويدها بلوازمها وحلاها على قوارب تسير فوق الماء الى المدافن يتقدمها الاهل والاصدقاء

والمآتم متشابهة عند معظم الشعوب في بداوتها . وقد كان من عادات العرب عقر النوق وغيرها على اضرحة موتاهم . واليك أبياتاً لمجنون ليلى يرثي أباه [1]

عقرت على قبر الملوح ناقتي بذي السرح لما أن جفاه الاقارب
وقلت لها كوني عقيراً فانني غداً راجل امشي وبالامس راكب
فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم فكل بكأس الموت لا شك شارب

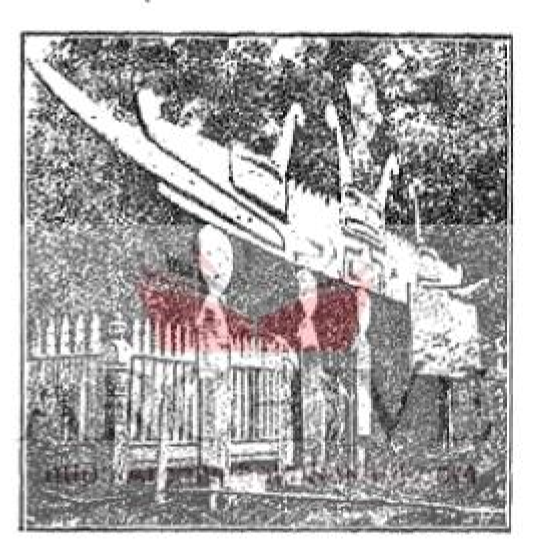
وقد كان فرجيليوس الشاعر الروماني اذا وصف جنازة بطل من أبطال الرومان

(١) عن الاغاني وقد وردت هذه الابيات مختلفة عن هذا النص

يصف فرسه وحزنها على صاحبها . وفي ذلك فرق عظيم عما ذكرناه آنفاً عن الالياذة من قتل الخيل لمرافقة أصحابها الى العالم الآخر

ومن الغريب ان آثار تلك العادات قد اتصلت بهذا العصر . فانه اذا توفي قائد انكليزي اليوم مشت فرسه في جنازته مسرجة وحاملة على مهمزيها نعلي صاحبها . . . ولكن معكوسين

على انه لا يزال بين القبائل المتوحشة آثار للمذابح التي كانت تجري عند الاقدمين . فان مستعمرة الداهومي الفرنسية شهدت في القرن الماضي مشاهد غريبة من هذا القبيل . فانه في سنة ١٨٦٢ مات ملك تلك البلاد فلم يكد يلفظ النفس الاخير حتى



قبر احد رؤساء القبائل الهندية في غربي كندا وعليه صور بشعة لتخويف الارواح الشريرة وابعادها

خرج جنوده شاهرين سيوفهم وشرعوا يقتلون المارة . وفي يوم الجنازة حدثت مذبحة أخرى أتم وأوفى من تلك ذهب فيها أكثر من ٣٠٠٠ نسمة ليرووا بدمائهم ضريح الملك الراحل. وقد كانت رؤوس أولئك الشهداء تعلق على أبواب القصر للزينة

وكان العرب يعتقدون انه اذا قتل رجل ولم يؤخذ ثاره خرج من رأسه طائر يسمى الصدى ويسميه بعضهم الهامة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني حتى يؤخذ بثاره

ومن أشهر العادات وأقدمها اقامة الولائم في المآتم . فقد أخذ الرومان هذه العادة عن اليونان ووصفها شاعرهم فرجيليوس ولا تزال متبعة في كثير من بلاد الشرق وأفريقية وكان لها شأن في جاهلية العرب

وقد كان القدماء يتفننون بمظاهر الحزن والحداد على الميت فقد جاء في التوراة أمثال

ذلك كلبس المسوح والامساك عن الاكل والتمرغ في التراب والامتناع عن الغسل . وفي أخبار عرب الجاهلية شيء كثير من هذا القبيل . قالوا ان المهلهل اذ بلغه خبر قتل أخيه كليب جز شعره وقص ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب الى ان يأخذ بثأر أخيه [١]

وبين القبائل المتوحشة اليوم عادات غريبة من هذا القبيل فان سكان جزيرة منداناو (في الفيلبين) يحلقون ذقونهم وحواجبهم . وسكان زيلندا الجديدة يجرحون أوجههم وصدورهم . وعلى سكان جزر فيجي بالباسيفيكي عندما يموت والدهم ان يقطعوا أصبعاً



الدفن الماهودي عند قبيلة الماندجيا في اواسط افريقيا

من أرجلهم أو من أيديهم اليسرى . أما الاستراليون فانهم يقلعون سناً أو سنين حسب درجة القرابة . وقس على ذلك أمثلة كثيرة يطول بنا ايرادها

وفي السنة الماضية من الهلال (الجزء الثامن صفحة ٦٢٧) مقالة وافية عن « الموت والجثة في الهند » وصف فيها كاتبها بالتفصيل ما هو مشهور عن المجوس من رمي الجثث للطير وعن الهندويين من احراق موتاهم . وقد اشتهر الهنود أيضاً بأن الارامل عندهم يأبين الحياة بعد موت أزواجهن فيقدمن أنفسهن الى المحرقة معهم . على ان هذه العادة قد اندثرت اليوم وكانت لا تزال شائعة في أوائل القرن الماضي . قال أحد الذين شهدوا جنازة « راجا » يصف هذا المشهد :

(١) الياذة هوميروس تعريب سليمان البستاني

« بقيت جثة الراجا معروضة يومين كان البراهمة في أثنائهما يخبرون الشعب بأن امرأة الفقيد سوف تتقدم الى محرقة الراجا كي لا تفارقه . وفي اليوم الثالث حمل الجثة بعض الكهنة وتبعهم الموسيقيون الى مكان الاحتفال العظيم . وكانت الارملة خلف العربة وهي لا تكاد تملك نفسها وبجانبها رجلان يزجرانها . حتى بلغ الجمع الباغودا والمحرقة بقربها . . . وكانت الارملة قد تناولت جرعة كبيرة من بعض المخدرات حتى تستطيع استقبال منيتها . وعند الصباح فتح باب الباغودا وخرج رئيس البراهمة وبيده مشعل ولحقه كاهنان نجرا الارملة ومعها أربعة أشخاص قضي عليهم ان يستشهدوا أيضاً . . .



تشييع الجنازة على النهر في جهة سبريوالد في بروسيا

ولكن الارملة تراجعت اذ ذاك الى الوراء فقبض عليها الكهنة والقوها على المحرقة وتقدم حامل المشعل فاضرم النار فيها »

ولما كان تعدد الزوجات مباحاً عند الهنود فقد كانت جميع نساء الميت يستشهدن على هذه الصورة . وكثيراً ما كان عددهن يبلغ بضع عشرات

***

ومن اكثر العقائد شيوعاً بين الشعوب القديمة والشعوب المنحطة في هذا العصر ان مصير الانسان في العالم الآخر موقوف على العناية بجثته . فلكي يتمكن الانسان من ان يحيا حياة ثانية سعيدة يجب أن يحفظ جسمه ويمنع من الانحلال . هذا هو منشأ التحنيط عند قدماء المصريين . وقد وصف هيرودوتس المؤرخ الشهير الوسائل التي كان يتخذها المصريون لهذا الغرض وهي تستغرق أياماً طويلة وتستدعي دقة عظيمة . ولا يزال

عند بعض القبائل آثار من هذه العادة وان تكن طرقهم أبسط وأسهل من التحنيط المصري. ففي نوكا هيفا (في الباسيفيكي) تترك الجثة معرضة للهواء الطلق بعد استخراج الامعاء منها وفي كل ليلة يأتي أحد أقارب الميت لدهنها ثم تلف الجثة بقطع من القماش . وعند بعض القبائل الهندية القاطنة في مقاطعة برنمبوكو بالبرازيل تشوى الجثة على النار حتى يتيسر حفظها كما تحفظ اللحومات التي نأكلها . وفي اميركا المتوسطة قبائل من الهنود يتبعون نحو هذه الطريقة ويوشمون وجه الميت ويكسونه باقمشة جميلة وبجلود ثم يضعونه في سل كبير ويغطونه باوراق وحشائش ويتركونه على هذه الصورة في أواسط غاباتهم الكثيفة . وفي ماليزيا نحو هذه العادة الا ان الاهلين يزرعون حول الجثة بذوراً لبعض النباتات فلا تلبث أن تلتف على الجثة وتكسوها بخضارها . وفي جهات أخرى لا يطمع الاهلون بحفظ الجثة كلها فيكتفون بالعظام كما يفعل سكان جزر اندمان فانهم يربطون الجثة بحبل ويلقونها في البحر حتى اذا اكلت الاسماك اللحم جروا العظام الباقية الى البر وربطوها في أسقف منازلهم

***

ومن اغرب العادات ما يتخذه البعض من الاحتياطات لتسهيل طريق الروح الخارجة من الجسد الى العالم الآخر ومنع اذى الارواح الشريرة التي تكون واقفة لها بالمرصاد تترقب خروجها . فلابعاد تلك الارواح يشرع اهل الميت في اقامة حفلة كثيرة الجلبة والصياح والعربدة كما يفعل اهل مدغسكر فانهم يولمون وليمة عند القبر ويظلون مدة طويلة يطلقون النار لتخويف الارواح . أما الهنود القاطنون في غربي كندا (كولومبيا البريطانية) فانهم يرسمون صوراً رهيبة على القبر حتى تبتعد الارواح الشريرة لدى مشاهدتها

***

وفي مقدمة الشعوب التي حفلت بالموت وسنت القوانين الدقيقة لما يقام من المآتم والجنازات الشعب الصيني . فان عندهم كتاباً دينياً خاصاً فيه وصف الواجبات العديدة التي ينبغي تتميمها عند حدوث الموت

وفي اواسط أفريقيا قبيلة تدعى « الماندجيا » قد انفردت في أمر غريب وهو انهم يدفنون موتاهم دفناً عمودياً أي انهم يحفرون حفرة عمودية فيضعون فيها الجثة واقفة بعد أن يدهنوها بالزيت . والعادة المتبعة عند سائر الامم هي أن تكون النومة الاخيرة أفقية كما لا يخفى

ومن اغرب عادات بعض قبائل اميركا الجنوبية انها تسد جميع خروق الميت حالما يموت خوفاً من أن يخرج منها « الموت » ويصيب أحد الحاضرين

على ان في اوربا ذاتها عادات غريبة من هذا القبيل ففي جهة السبريوالد في بروسيا — وهي جهة كثيرة الغابات — يحمل النعش على مركب ويشيعه الناس على المراكب ايضاً كما ترى في الصورة مما يذكرنا بعادة المصريين القدماء المتقدم وصفها

ومن الناس من يوصون بامور غريبة بعد موتهم . فمن ذلك ان شلي الشاعر الانكليزي أوصى بان تحرق جثته على شاطئ البحر . ومنه ان قبطاناً اميركياً طلب أن تحرق جثته على السفينة التي قادها في حياته وان تنثر بقاياه في البحر وقد نفذت وصيته هذه بحضور اقاربه

وعلى ذكر الاحراق نقول ان هـذه الطريقة آخذة في الانتشار بين الشعوب الاوربية انتشاراً سريعاً. ومن بدائع فلسفة المعري انه استصوب هذه الطريقة اذ قال :

فاعجب لتحريق اهل الهند ميهم وذاك اروح من طول التباريح
ان حرقوه فما يخشون من ضبع تسري اليه ولا خفي وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتنا غباً واذهب للنكراء والريح

كلمات لسقراط

كان سقراط يرمز في كلامه فمن كلامه المرموز قوله :

(١) عند ما فتشت عن علة الحياة الفيت الموت وعند ما وجدت الموت عرفت حينئذٍ كيف ينبغي ان اعيش — أي ان الذي يريد ان يحيي ينبغي ان يميت جسمه من جميع الافعال الحسية ليتهيأ ان يعيش حياة الحق

(٢) اسدد الخمس الكوى ليضيء مسكن العلة — أي : غمض حواسك الخمس عن الجولان فيما لا يجدي لتضيء لنفسك

(٣) ليست التسعة باكمل من واحد — أي العشرة التي هي عقد من العدد هي اكثر من التسعة وانما تكمل هذه لتكون عشرة بالواحد وكذلك الفضائل التسع تتم وتكمل بخوف الله ومحبته

كان منقوشاً على فص خاتم سقراط : من غلب عقله هواه افتضح

يروى أن سقراط طلب ان يتزوج المرأة السفيهة التي لم يكن في بلده اسلط منها ليعتاد جهلها والصبر على سوء خلقها ليقدر ان يحتمل جهل العامة والخاصة

ما هو الذكاء

ومن هو الذكي ؟

يستسهل الناس الحكم في موضوع الذكاء فكثيراً ما تسمعهم يقولون : « فلان ذكي » و « فلان اذكى من فلان » فينسبون الذكاء الى البعض وينفونه عن البعض الآخر ويجعلون الناس مراتب متفاوتة من هذا القبيل — يقولون ذلك وهم يظنون انهم يعبرون عن افكار جلية في ذهنهم . ولكن ما أبعدهم في الحقيقة عن الوضوح والجلاء . فانك اذا سألتهم عن حقيقة المراد من قولهم « فلان ذكي » وعن القياس الذي اعتمدوه في تفضيلهم الواحد على الآخر كان جوابهم مقصوراً على عبارات اجمالية لا تؤدي معنى واضحاً معيناً . وغرضنا هنا أن ننظر في كنه الذكاء فنسعى في تعريفه بحدٍ يكون بياناً تاماً لمحدوده بحيث لا يقبل الابهام والاحتمال ويجعل اساساً نعتمده في مقارنة الناس بعضهم ببعض من حيث الذكاء حتى يتيسر لنا تفضيل فريق منهم على فريق آخر

ويجدر بنا قبل ذلك أن نشير الى آراء المتقدمين من العلماء في هذا الموضوع ونذكر الآراء الشائعة بين الناس بشأنه فنبين ما فيها من الصواب وما فيها من النقص والخطأ

رأي ديكارت

كان ديكارت [1] يرى « ان الناس في الاصل متساوون في الذكاء » فالانسان يأتي العالم وفيه من الذكاء ما يكفيه لاستخراج الحقائق الداخلة في حيز الادراك البشري (كالنواميس الطبيعية والقضايا الهندسية والحقائق الاخلاقية والاجتماعية الخ) من المبادئ الاولية اللازمة لجوهر العقل أي انه يستطيع ان يستخرجها بنفسه ومن نفسه بواسطة التفكير وحده وبدون ادنى اتصال بالعالم الخارجي. هذا القدر من الذكاء يرى ديكارت انه متوافر في الجميع على السواء لا يزيد في الواحد عنه في الآخر . وقد وضع كتابه المشهور المسمى « خطبة في الاسلوب » Discours de la Méthode بسط فيه رأيه السالف وقال ان الفروق العقلية التي نعهدها بين الناس (وهي التي تجعلهم متبايني العلم والادراك) ليست متأصلة في جوهر العقل وانما هي عرضية تنشأ عن تباين الوجهات التي تتخذها العقول في طلب العلم والمعرفة وتباين الاساليب التي تنهجها في اقتناص الحقائق والوصول اليها . وقد سمى كتابه بذلك الاسم لانه ضمنه « الاسلوب » الذي ينبغي للعاقل ان يسير عليه في طلب

(١) عالم وفيلسوف فرنسي نبغ في اوائل القرن السابع عشر واشتهر باكتشافاته العلمية العظيمة ولا سيما في الرياضيات

العلم والمعرفة والاستدراج من الحقائق الاولية البسيطة الى الحقائق المركبة (١) وفي رأيه انه اذا اتبع الناس اسلوبه هذا تساووا في الذكاء وزالت الفروق العرضية التي تفرق بينهم

وليس من موضوعنا ان ننظر في اسلوبه هل هو صحيح ام لا . انما الذي يهمنا هنا هو رأيه في الذكاء وقوله بان ليس بين العقول فروق جوهرية بل كلها متساوية في الاصل . على انه يتبين لنا من رأي ديكارت انه اراد بالذكاء غير ما نريده نحن وما هو مراد به على العموم . فقد استعمل الذكاء مرادفاً للعقل من حيث هو الالمام بالمدركات الضرورية اي المبادئ الاولية التي هي اساس المعرفة البشرية كالعلم بان الشيء لا يخلو من وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من حدوث او قدم وان من المحال اجتماع الضدين وان الواحد اقل من الاثنين وغير ذلك من المدركات التي لا يجوز أن تنتفي عن العاقل مع سلامة عقله والتي تتساوى فيها العقول ايا كانت

أما في عرفنا فالذكاء غير ذلك فهو ليس الالمام بالمدركات الضرورية ولا مجرد قابلية للفهم ولكنه يتعدى ذلك الى الاستنباط والابتكار واستخراج الجديد المجهول من القديم المعلوم كما سيأتي

الذكاء انواع اكثر مما هو طبقات

قال بعضهم « ليس الصحيح ان تقول فلان أذكى من فلان . وانما ينبغي لنا ان نقول ان ذكاء هذا غير ذكاء ذاك »

وفي هذا القول اذا تأملته بعض الصواب :

فبعض الناس يميلون بفطرتهم الى العلوم الرياضية فتراهم يتعلمونها برغبة ويتفهمونها بسهولة فيبرزون فيها في حين ان غيرهم لا يميلون الى تلك العلوم بل يفضلون عليها العلوم الفلسفية مثلاً فيطالعون كتبها بشغف وتلهف . وترى آخرين يميلون الى غير ذلك كالتجارة أو الصناعة أو الزراعة فيبرع كل في المجال الذي يميل اليه عقله وربما بلغ فيه شأواً بعيداً ولكن قلما يجيد في غيره اجادته فيه . فقد تجد عالماً رياضياً بارعاً في الرياضيات وهو من جهة أخرى أجهل الناس في الاجتماع والعلوم الاجتماعية مثلا فاذا تقدمت اليه ان يبدي لك رأيه في موضوع اجتماعي أو في قانون مدني أو غير ذلك أدهشك ضعف رأيه في تلك المواضيع مع ما هو عليه من البراعة في العلوم الرياضية . وبعكس ذلك العالم الاجتماعي فقد يكون له نظر ثاقب ورأي سديد في شؤون الاجتماع وطبائع البشر

(١) اما الاسلوب الذي قال به فهو اتخاذ القياس الرياضي او الهندسي مثالاً لكل قياس عقلي من اي نوع كان . وهو في نظره القياس الوحيد الذي يوصلنا الى نتائج ثابتة اكيدة

وربما أشكلت عليه أبسط المسائل الرياضية وعجز عن حلها . وقس على ذلك أمثلة كثيرة مما يشاهد كل يوم

على ان ذلك الاختلاف ليس يرجع الى فرق جوهري في العقول وانما الفرق في المناهج التي اتخذتها والسبل التي سلكتها فان بين الرياضي النابغ في الرياضيات والاجتماعي البارع في الاجتماعيات تشابهاً تاماً من حيث عمل العقل وسعيه وتوصله الى استكشاف الحقائق . فالذكاء فيهما واحد وان اتبع وجهات متباينة . كما سترى

الذكاء غير سرعة الفهم

ويعتقد كثيرون من الناس ان الذكاء يقاس بسرعة الفهم وحضور الذهن أي انك اذا القيت سؤالاً أو عرضت لغزاً على شخصين فاسرعهما توصلاً الى الحل المطلوب هو أوفر ذكاء من الآخر . الا ان هذا القياس ناقص لا يعول عليه دائماً فان سرعة الفهم غير جودة الفهم . وغاية ما هناك أنها تنبىء بمرونة العقل ولينه الامر الذي يكتسب غالباً بالتمرين

على انه لا ينبغي ان تنكر ما لمرونة العقل من الشأن ولكنها ليست من صفات العقل الجوهرية . ومما نلاحظه كثيراً ان سريعي الخاطر ليسوا في الغالب أصحاب نظر بعيد ورأي سديد . بيدَ ان الذين يبطئون في فهم المسائل يتمثلونها بتمامها ويحيطون بها من جميع جهاتها ويستخرجون منها النتائج والفوائد . فاي الفريقين اذاً أحق ان يسمى ذكياً : سريعو الفهم أم جيدو الفهم ؟

***

وجملة ما تقدم أن الذكاء غير مرادف للعقل من حيث هو الالمام بالمدركات الضرورية على اصطلاح ديكارت ، كما انه ليس يقاس بسرعة الخاطر والفهم ، وانه قد يكون محصوراً في مواضيع معلومة لا يتعداها

اذاً فما هو الذكاء ومن يستحق ان يسمى ذكياً ؟

ما هو الذكاء

نقول أولاً ان الذكاء قوة نفسية عاملة ساعية على الدوام لتفهم الامور واستخراج النتائج والفوائد وليس مجرد قابلية أو استعداد للاحاطة بالحقائق

على ان هذا القول يحتاج الى بعض التبسط . فلكي نفهم المراد من العبارات المتقدمة لا بد لنا من ان نميز تمييزاً دقيقاً بين الادراك الحسي والادراك الفكري . وذلك ان الانسان يتوصل الى ما لديه من المعلومات عن طريقين : الحواس والفكر . فبواسطة الحواس تأتي الصور المفردة اليه وترتسم في ذهنه كل صورة لوحدها ، وبالفكر يجمع بين تلك الصور ويرى ما بينها من أوجه الشبه والاختلاف وما يربطها بعضها ببعض من

الروابط والعلاقات التي لا يمكن ان يدركها الحس وحده . فان العالم كما تدركه حواسنا مؤلف من صور مفردة مستقلة الواحدة عن الاخرى ليس بينها أدنى علاقة أو نسبة كأنها صور فوتوغرافية مرسومة على صفحة العقل . فالحواس تنقل الينا صور الكتاب والورقة والقلم وغير ذلك — تنقلها واحدة واحدة ولن يستطيع الانسان بحواسه فقط ان يجمع بين تلك الصور باي جامعة كانت ويستخرج منها حكماً ما

لنفرض ان أمامك ورقتين من لون واحد — اللون الابيض . فبالحس تنتقل صورة كل منهما الى ذهنك فترى ورقة بيضاء وورقة بيضاء كل ورقة مستقلة عن الاخرى ولا ينبئك الحس بالبياض من حيث هو صفة مجردة اشتركت فيها الورقتان . أو بعبارة أخرى لا يتأتى لك بالحس وحده ان تحكم بان بياض هذه الورقة هو نفس بياض تلك ولا بد لاكتشاف هذه العلاقة من عمل العقل فهو يدرك ما بين الورقتين من الشبه اذ يجرد صفة البياض عن المحسوس الموصوف بها حتى اذا رآها في أي موصوف بها نسبها اليه

فترى مما تقدم ان الادراك العقلي يمتاز عن الادراك الحسي بان الاول هو ادراك للكليات أي للعلاقات والصفات في حين ان الثاني ليس الا ادراكا للواحد المفرد . فوظيفة العقل ان يجمع بين المحسوسات المستقلة بايجاد الروابط بينها . فحكمك بان بياض هذه الورقة هو نفس بياض الحائط مثلا يفرض أنه حصل في ذهنك صورة ورقة بيضاء وصورة حائط أبيض فجمعت بعقلك بين صورة هذا البياض وصورة ذلك البياض واستخرجت من الصورتين صفة البياض (غير الحسية) التي اشتركا فيها وجعلتك تجمعهما في حكمك

هذا مثال لابسط الاحكام البشرية . وما هي جميعها الا تقرير العلاقات التي يستكشفها العقل بين الامور والاشياء

فجميع العلوم البشرية من رياضية وطبيعية وأخلاقية وفلسفية وغيرها تسير في تقدمها على هذا المنوال . أي أنها تبتدىء بايجاد نسب بين أشياء بسيطة ثم تتدرج شيئاً فشيئاً الى ايجاد نسب بين هذه النسب وهلم جراً الى أعلى درجات المعرفة التي لا نهاية لها

فالاكتشافات العلمية على اختلاف مصادرها ليست في الحقيقة الا اكتشاف نسب جديدة وعلاقات خفية استخرجها المكتشف من عالم الخفاء الى عالم البروز واليقين

فالذكاء ينسب الى المرء حسب مقدرته على استكشاف العلاقات بين الاشياء والحوادث فالناس يتفاوتون في الذكاء بتفاوتهم من هذا القبيل . فالنابغون في الذكاء يرون نسباً وعلاقات حيث لا يراها غيرهم ويستنتجون منها النتائج والفوائد

خذ مثلاً اكتشاف قوة الجاذبية وقوة البخار . فان نيوتن اكتشف الاولى اثر

مشاهدة تفاحة سقطت على الارض واكتشف ستيفنسن الثانية لدى سقوط غطاء قدر فيه ماء مغلي بفعل البخار . فان امثال هذه المشاهد عرضت لملايين من الناس قبلهما ولكنهما انفردا بانهما وجدا علاقة بين وقوع التفاحة وقوة جذب الارض من جهة وسقوط الغطاء وقوة البخار من جهة أخرى

الخلاصة

فبناء على ما تقدم ان وظيفة الذكاء اذاً هي استكشاف النسب والعلاقات الموجودة بين الاشياء وهذا الحد يجوز ان نعتمد عليه في قياس الذكاء فالناس يتفاوتون ذكاء بتفاوتهم في إيجاد النسب والعلاقات كما شرحناها

فذكاء العالم الطبيعي قد يكون مساوياً لذكاء الاديب أو العالم الاجتماعي وان تكن مظاهر ذكائهم متباينة وانما يتشابهون في استنباط النسب والعلاقات كل في عالمه الخاص

***

كلمات لسقراط

لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك فكيف بك اذا كنت لا يأمنك صديقك

الدنيا سجن لمن زهد فيها وجنة لمن أحبها

من أحب ان لا تفوته شهوته فليشته ما يمكنه

قال له رجل شريف الجنس وضيع الخلائق : أما تأنف يا سقراط من خساسة جنسك . فاجابه : جنسك عندك انتهى وجنسي مني ابتدأ

وقال انما جعل الله للانسان لساناً واحداً واذنين ليكون ما يسمعه اكثر مما يقوله

وقال استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه (اي ليست فيه)

اذا ضاق صدرك بسرك فصدر غيرك به أضيق : النوم موتة قصيرة والموت نوم طويل

وسئل سقراط لم صار ماء البحر مالحاً فقال للذي سأله ان أعلمتني المنفعة التي تنالك من علم ذلك أعلمتك السبب فيه

قال له ارشيجانس : ان الكلام الذي كلمت به أهل المدينة لا يقبل . فقال ليس يكربني ان يكون لا يقبل وانما يكربني ان لا يكون صوابا

اذا لم يكن عقل الرجل أغلب الاشياء عليه كان هلاكه في أغلب الاشياء

قال ما كان في نفسك فلا تبده لكل أحد فما أقبح ان تخفي الناس أمتعتهم في البيوت ويظهرون ما في نفوسهم

وقال لولا ان في قولي اني لا اعلم اخباراً بأني اعلم لقلت لا اعلم

المطر

هل يبصر الناس فيك الروض يا مطر ... الزهر فيك وفيك النبت والثمر
في كل حبة طل روضة أُنُفٌ ... يؤرج الكون منها زهرها العطر
لا يخلق القلب شيئاً لا نظير له ... لكن تجمع في مرآته الصور
يا ساكن الدار لا يرضيه رونقها ... امطر بقلبك أرضاً تربها درر
واجعل مبانيها من عسجد بهج ... يظل حيران فيه القلب والبصر

❊ ❊ ❊

أهلاً برائحة في الجو غادية ... تهز أعطافها في ظلها الشجر
اذا أصبت ثرىً أخصبت مجدبه ... فما لمائك فوق الماء ينهمر
يموت بعض بني حواء من ظمأ ... ويرتوي البحر والانهار والغدر
ما لي أسائل عما لا جواب له ... الله يدرك ما لا تدرك الفكر
ما لي أكلف نفسي فوق ما وسعت ... أليس يصيبك ان أجهدته النظر

❊ ❊ ❊

سيري مع الريح أنى سار سائرها ... يهنيك يا مزنة ذا الحل والسفر
وامطري كل أرض قد مررت بها ... فالروض يحتك ظامي القلب ينتظر
لا تسكني أفقاً الا على غرر ... يا ليتني مزنة في الجو تنحدر
اذن لصافحت ما دانيت من غصن ... ومل من طول ما قبلته الزهر
الشمس والشمس أم النور ينقصها ... من المحاسن فضل حازه القمر
وفي الربيع جمال ان فتنت به ... فلست أنسى جمالا فيك يا مطر

عبد اللطيف النشار

الحذر

يعيرني صاحبي انني ... قليل الاناة قليل الحذر
وماذا احاذر يا صاحبي ... أنخشى الليوث نهيق الحمر
ألا ارنيَ رجلاً واحداً ... أعلمك كيف يكون الحذر
تريد لتقتلني بالغرور ... وتشري بي الصلف المستتر
أرى بقراً في ثياب الرجال ... ثياب الرجال وروح البقر
وماذا أحاذر من معشر ... يخافون حتى ظلال الشجر

عبد اللطيف النشار

العائلة والمنزل

رياضة الاسنان

ان تسويس الاسنان كسائر الامراض التي تعرو الجسم لا يفتك بالعضو الذي يصيبه الا اذا كان ثمت استعداد طبيعي له . فالذي يمنع تسويس جميع الاسنان بلا استثناء او اصابة كل الناس به على السواء هو القوة المقاومة الكامنة في الاسنان نفسها . والبرهان على أن فتك السوس بالاسنان ليس واحداً أي انه ليس للسوس ذات التأثير في كل الاسنان هو ان بعض الباحثين من الاطباء اوجدوا بطرق مفتعلة تسويساً في اسنان سليمة فاخذوا اثني عشرة سناً سليمة ووضعوا بينها مكروب السوس فكانت النتيجة ان قسماً منها أصيب وبقي القسم الآخر سليماً . وقد كررت هذه التجربة غير مرة فكانت النتيجة فيها كلها واحدة

ان ما يشاهده اطباء الاسنان كل يوم يؤيد هذا القول . فبينا نرى فتك السوس في بعض الاسنان بطيئاً نرى سيره في غيرها سريعاً . مما يثبت ان شدة فتك السوس بالاسنان او خفته او عدم اصابتها به يتوقف على القوة المقاومة الكامنة في الاسنان . وقد اتضح ايضاً أنه ليس لنوع الاسنان او تركيبها اقل تأثير في ذلك

وبعبارة أخرى مما لا شبهة فيه ان الصحة الجيدة والمآكل المغذية والتعرض لنور الشمس والرياضة والنوم في الهواء الطلق ، كل ذلك يساعد الانسان على مقاومة كثير من الامراض الموضعية ، كما انه بالمعالجة والاعتناء الوافي ينال الشفاء من أكثر الامراض التي تنوبه

يعزى الاستعداد الفطري لتسويس الاسنان عادة الى قلة الغذاء، او قلة الرياضة، او عدم صقل المادة العاجية لانه متى كانت المادة العاجية خالية من الشوائب ومصقولة امكنها أن تقاوم فعل المكروبات والحامض الذي تفرزه . فهذه الاسباب الثلاثة ناتجة بالاكثر عن ترف المعيشة العصرية وأصناف الطعام وطريقة تجهيزه . لا اقصد بقولي هذا ان تسويس الاسنان لم يكن معروفاً قديماً ولكن وجوده كان بنسبة اقل منها الآن بدليل ما شوهد من مجموعة جماجم في معرض كامبردج وفي معارض اخرى . وقد فحص بعض الباحثين جثث عدد من الموميات فتبين لهم ان أهالي تلك العصور لم يكونوا يعتنون باسنانهم كما يعتني بها معظم الناس الآن ومع ذلك فقد كانت اسنانهم سليمة وفي حالة جيدة

جداً . وتبين علاوة على ذلك ان الفك الاسفل قد أصبح الآن اشد ضيقاً منه قبلاً ، ومن الثابت ان اسباب ضعف الاسنان وضيق الفك واحدة

ان معظم الطعام الذي نأكله ولا سيما طعام الغربيين لا يحتاج الى مضغ لطراوته . فكان من نتيجة ذلك ان خفت وطأة العمل على الاسنان والعضلات فضعفت . ولذا فان من الضروري جداً ان يعوّد الوالدون أولادهم أكل الطعام الصلب لكي يألفوا المضغ ويصير مزية فيهم فلا يزدردون طعامهم ازدراداً كما هو شأنهم . لان الاولاد يملون القعود الطويل على المائدة ويفضلون اللعب على ذلك كما هو معلوم

ان وسائل تقوية الاسنان سهلة المنال بل هي أسهل من وسائل تقوية عضلات الذراعين . انما يقتضي كما ذكرت تعويد الاولاد تعاطي الاطعمة الصلبة التي تستلزم مضغاً كثيراً وملاحظتهم وقت الاكل . فاذا روعيت هذه القاعدة نما الفك وقويت عضلات الوجه وصغرت قائمة حساب الطبيب . ومهما أطنبت في فوائد المضغ وضرورته لا أظنني اكون مغالياً

قد يستغرب الكثيرون سلامة أسنان الطبقة غير المرتقية من المرض وتراصّها بانتظام وخلوّها من الرواسب ونمو عضلات وجوههم نمواً يدل على القوة والصحة . فليس سبب ذلك الا نوع الطعام الذي يتناوله هؤلاء القوم لان طعامهم في الغالب مؤلف من مواد صلبة تستوجب مضغاً كثيراً والمضغ الكثير يقوي عضلات الوجه والاسنان وينظفها ويزيد اللعاب الذي يساعد على هضم الاجزاء النشائية في الطعام . ومما لا ريب فيه اننا لو أخذنا أحط قبيلة من قبائل البشر وعودناها تعاطي الطعام الذي لا يقتضي مضغاً كثيراً فلا يمضي وقت طويل حتى نرى أولادهم أو أحفادهم وقد ضعفت أسنانهم وتأكلت وضاقت فكوكهم كالشعوب المتمدنة

الاسكيمو قوم يقطنون شمالي روسيا حيث لا يذوب الجليد طول السنة وقد ظهر أن تسويس الاسنان نادر بينهم وان أسنان شيوخهم وعجائزهم تبرى الى حد اللثة من كثرة استعمالها في مضغ المواد الصلبة

ربما يسأل البعض كيف تتأتى الفائدة من المضغ أو الرياضة للاسنان فاقول : من المعلوم ان انسجة الجسم تغتذي من الدم بواسطة أوعية تسمى شرايين وأوردة وهذا ما يعبر عنه بالدورة الدموية . فالشرايين تنقل الدم من القلب الى الانسجة والانسجة تعود به الى القلب وبواسطة الاوعية الشعرية يحصل تبادل بين الشرايين والاوردة فتأخذ الكريات من الدم ما تغتذي به وتدفع اليها ما فسد منها لتقله الى القلب ومنه الى الرئتين ليطهر بالتنفس . اما فضلات المواد الداثرة فتخرج من الجسم اما غازاً كالنفس

او سائلا كالعرق والبول وغيرهما . فرياضة أي عضو من أعضاء الجسم تساعد الحركة الدموية على القيام بوظيفتها من حمل الغذاء الى الانسجة واخراج الفضلات السامة . ومما لا ريب فيه انه لا يمكن جسماً حياً ان يعيش بدون غذاء . فمما تقدم يتضح ان الجسم الذي لا تسير فيه الحركة الدموية سيرها القانوني تتخزن فيه الفضلات وهي سامة كما ذكر فيمتنع الغذاء عنه ويتلاشى . وهذه القاعدة تنطبق على كل عضو في الجسم وليس على الاسنان فقط

ولتقريب هذه النظرية من الافهام اضرب هذا المثل : لو فرض أن الطعام الذي يتناوله المرء لا يحتوي الغذاء الكافي لكل عضو ونسيج في جسمه فمن البديهي ان يقع التنازع بين الاعضاء لرغبة كل منها في أخذ حاجته من الغذاء قبل غيره حفظاً لكيانه وصوناً لقوته من النفاد . ففي هذه الحالة يفوز العضو القوي بمرامه ويعود العضو الضعيف بالخيبة . وهذه الحالة أشبه ببلد قل وارد الخبز اليه فاذا ما جال البائع فيه تهافت الناس عليه يتخاطفونه من كل صوب خوفاً من نفاذ الموجود فيأخذ النشيط كفايته منه ولا يصيب الكسول الا النزر القليل

وقد أجريت تجارب كثيرة على بعض الحيوانات فغذيت بطعام خال من املاح الجير فظهر بعد ذبحها وفحص عظامها ان ما كان يرتاض منها لم يطرأ عليه الا تغيير بسيط . وأما العظام التي لم تكن ترتاض فرقت كثيراً حتى انها لو لم تذبح تلك الحيوانات لماتت من امتصاص عظامها . فيتضح من ذلك أن العظام المتمرنة القوية كانت تستأثر بكل الاملاح الجيرية الموجودة في الدم . وقد خطر في بال كثيرين في الولايات المتحدة واوربا ان يروضوا أسنانهم بمضغ بعض التراكيب الصمغية التي صنعت خصيصاً لذلك وأعلن عنها انها أتت بفوائد جمة . ولكن من الثابت ان استعمال الصمغ أو اللادن أو المستكا مضر جداً لانه يستدر الغدد فتجور بافرازها على غير طائل حتى يقل اللعاب وقت الطعام وينتج عن ذلك ان المواد النشائية التي توجد بكثرة في الخبز والبطاطس وسائر الحبوب لا يتحول نشاها الى سكر لقلة اللعاب فيدخل النشا الى المعدة غير محول فيتعذر هضمه وتتعب المعدة به . ثم ان كثرة افراز اللعاب بواسطة المضغ مما يهيج المعدة ويؤذيها

فاذا كانت فائدة المضغ ضرورية للبالغين فكم تكون ضرورتها أشد لاسنان الاطفال قبل أن تستوفي نموها وحينما تكون الخلايا التي تتكوّن منها الاسنان لا تزال مشتغلة في جمع ما يلزمها من الغذاء لتكونها . فان الطبيعة توجد جرثومة السن والغذاء يجهزها بالمواد الخام التي تتركب منها فاذا ما توافرت شروط الراحة والرياضة والنوم فلا شيء يمنع نموّ الطفل وتقدمه في الصحة والعافية . هذا اذا لم يكن من ضحايا الوراثة

اما اذا أهمل عضو ما من اعضاء الجسم او انقطع عنه الغذاء فيضعف ويظل تأثير ذلك الضعف مرافقاً للإنسان طول عمره

اراني شردت قليلاً عن الموضوع وما ذلك الا رغبة مني في الالمام بكل اطرافه وتوفيته حقه من الايضاح رجاء ان يتنبه الوالدون الى ضرورة الالتفات الى اسنان اولادهم ولا سيما الى اسنان الاطفال وتعويدها مضغ الطعام حتى اسنان اللبن . لانه على سلامة اسنان اللبن تتوقف الراحة وشكل الاسنان الثابتة والفك . وفضلا عن ذلك فان المضغ يزيد ورود الغذاء الى الاسنان الثابتة . وتستمر الاملاح الجيرية ترسب في انسجتها لغاية السنة الخامسة والعشرين وفي بعض الاحوال الى زمن الشيخوخة حتى يمتلىء جوف الاسنان الخالي ولا يبقى فيه اقل فراغ . وفضلاً عن الفائدة والقوة اللتين تكتسبهما الاسنان من المضغ فان احتكاكها بالطعام الجامد يجلوها وينظفها . وقد ثبت من التجارب العديدة ان الاسنان النظيفة المصقولة تكون اقل تعرضاً للتسويس ولفعل الحوامض من سواها . ومن اجل فوائد المضغ ايضاً تنبيه الغدد اللعابية واستدرار افرازها الذي له شأن كبير في الهضم

لو اعتنى كلٌّ منا الاعتناء الكافي باسنانه واسنان اولاده واستخدمها كما يقتضي لصانها من امراض كثيرة ولوقى نفسه آلاماً هو في غنىً عنها ولقلت علاقاته مع اطباء الاسنان وان كان ذلك مما لا يسر هؤلاء كثيراً الدكتور ادوار غرزوزي

العناية بالآذان

قد يستغرب القارىء قولنا ان عدد المصابين بآذانهم لا يقل عن عدد المصابين بعيونهم وانما الفرق بين الجهتين هو ان الانسان أقل احساساً من جهة اذنيه منه من جهة عينيه أي انه يشعر باضطراب بصره قبل شعوره باضطراب سمعه . وهذا هو السبب الذي يجعل اضطراب الآذان مهملاً في الغالب

ولوقاية الآذان ينبغي في المقام الاول ان يبعد عنها كل ما من شأنه تهييجها كالعيدان والدبابيس وغيرها التي تستعمل أحياناً لتنظيفها . كذلك لا يستحسن تنظيف الآذان بطرف منديل أو محرمة لان ذلك لا يجدي نفعاً فضلاً عن كونه يهيج الاذن ويدفع الافراز الاذني الى الداخل فيضغط على الطبلة وما حولها من الاجزاء الدقيقة . وأفراز الاذن في الاحوال العادية لا يحتاج الى سعي ما لاخراجه فانه ينشف من تلقاء ذاته ويتساقط قطعاً دقيقة . ومن الخطأ الحاح الوالدات على أولادهن ان ينظفوا آذانهم من الداخل . على انه يجوز تنظيف خارج الاذن متى يشاء الانسان على شرط ان تنشف جيداً

الجزء ٦ الهلال السنة ٢٦

اول مارس (آذار) سنة ١٩١٨ و ١٨ جماد اول سنة ١٣٣٦

اقوال ماثورة

لمؤسس الهلال

اخلاق عبد الحميد (١)

نشأ عبد الحميد من صغره على الحذر وسوء الظن مع الحرص على حياته والاحتفاظ بما هو له للاسباب التي ذكرناها في كلامنا عن نشأته الاولى قبل توليه الملك . فلما افضت اليه السلطنة توالت عليه المخاوف — بدأت بتضييق عمه عبد العزيز عليه وعلى اخيه مراد بعد رجوعهم من اوربا اضف الى ذلك ما رآه بعينه من خلع عمه ثم موته ومقتل عوني بجرأة حسن الشركسي ثم خلع اخيه مراد . فرأى حياة السلطان ليست اكثر صيانة من حياة العامة أو هي أكثر تعرضاً للخطر منها . فزاد تعلقاً بالبقاء واشتد خوفه على نفسه حتى بلغ درجة الهوس او الجنون الخاص فاصبح لا يسمع حديثاً او يرى مشهداً او يقول قولاً أو يعمل عملاً الا وهو ينظر من وراء ذلك الى علاقته ببقائه . واضطر للمحافظة على نفوذه واستبداده في اول سلطنته ان يسيء الى بعض الاحرار بالابعاد او القتل بدسائس أشرك بها بعض خاصته فاصبح يخاف نقمة أهل القتلى ويخاف دسائس اولئك الخاصة . وازداد ظنه سوءاً بالناس وصار مدار افكاره ومعاملاته على التحذر فاستعان على ذلك بالتجسس وزاده الجواسيس خوفاً على حياته استدراراً لماله فازداد تعلقاً بهم وتجسساً عليهم . فلم يكن يستقرّ له قرار في ليل ولا نهار ولا يخلو مجلسه أو فراشه أو جيوبه من المسدسات المحشوة يطلقها على المتهم بين يديه لاقل شبهة تخطر له . واصبح لا يثق باحد فاضطره ذلك الى الاطلاع على ماجريات الاحوال بنفسه يقضي الساعات والايام في مطالعة التقارير والاوراق — وفي ذلك من الجهد ما لو بذله

(١) عن الهلال سنة ١٧ صفحة ٥٨٢ و٥٨٣

في مصلحة بلاده لم يصبها سوء . على ان ما كان يبذله في مصلحة الدولة انما كان ينظر من ورائه الى حفظ حياته وبقاء استبداده كأنه وقف حياته على حفظ حياته

واشتدت هواجسه حتى صار يخاف اقرب اقربائه . ذكروا أن جارية شركسية عمرها تسع سنوات كانت تخدمه فوقف يصلي بعض الاوقات وامامه مرآة رأى منها أن الجارية خطت خطوة من مكانها وكان قبل الصلاة قد وضع مسدسه في بعض اطراف الغرفة فظنها ذاهبة نحوه فنهض من الصلاة وهمّ بقتل الفتاة واخذ باستنطاقها فقامت المراي وقعدت وانتهى الامر بنفي الجارية وعشرات من الجواري — ومثل هذه الحوادث كثير . ورأى مرة من نافذة قصره أحد القائمين على تربية نجله سليم افندي يكلم عسكرياً فامر بالقبض عليهما واشتغل بالاستنطاق اسبوعاً

وهو كثير التردد لكنه اذا عقد العزيمة على امر كان حكمه قضاء مبرماً لا يبالي ما يبذل في سبيل انفاذه من المال او يقتل لاجله من النفوس ولا سيما اذا كان ذلك في سبيل حفظ حياته

وهو يصدق المنجمين واصحاب المندل ويعتقد الكرامة في المشايخ ويتوهم اقتدارهم على استطلاع الغيب . وفي مزاجه غرابة فانه عصبي والعصبي حاد المزاج وهو حادٌّ اذا غضب لا يبالي ما يقول او من يضرب او بماذا يضرب . فقد غضب مرة على سعيد باشا فضربه بالدواة . وله مع ذلك قدرة غريبة على الكظم والتظاهر بما ليس فيه يلاطف جليسه ويبتسم له وهو يكاد يتميز غيظاً منه . وقد ظهر ذلك باكبر مظاهره عند اعادة الدستور بالامس . ليس من ينكر انه قاوم الدستور من اول حكمه وبذل في سبيل ابطاله كل قواه وامواله وقتل ألوفاً من الابرياء الاحرار خوفاً من رجوعه . فلما اقرت جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك على انذاره باعادة الدستور وبلغ الانذار المابين تباحثوا في من يبلغه السلطان وهم يتوقعون الخطر على حامل تلك البشرى اليه . فتباعدوا وتقدم اشجعهم ورفع الخبر الى مولاه وقلبه يختلج خوفاً فاذا بالسلطان ابتسم وقال « هذه هي النعمة التي قضيت عمري في انتظارها » ولما التقى الاحرار به بعد نزولهم الاستانة شكا لهم ما كان يقاسيه من العذاب وان الدستور نعمة له كما هو لهم . ولما أدب المأدبة لمجلس المبعوثان اظهر سروراً لا مزيد عليه حتى بكى فرحاً . ولم تمض اشهر قليلة حتى ظهر أنه كان يدبر الوسائل لقلب الحكومة وخراب المملكة

وفي فطرته ميل الى الحرص اشرنا اليه في كلامنا عن صباه لكنه تغير في كهولته فاصبح يسخى أو يحرص تبعاً للاحوال فربما امسك عن عطية قليلة مرة واعطى عطية كبيرة مرة أخرى لشخص واحد حسب غرضه أو ما يتراءى له . وهو شديد التعويل

على المال في تنفيذ اغراضه حتى صار يعتقد بالقياس على ما يراه من المتملقين حوله انه يقدر ان يرشو غلادستون وبسمارك وملك الانكليز عند الحاجة . وكان المال سلاحه الاعظم في مشروعاته . أما الاوسمة والرتب فكانت من وسائل الاسترضاء أو الاغراء — ذكروا أن المذابح الارمنية كلفت الخزينة ٦٤٠ وساماً و ٢٣٥٠٠٠ ليرة انفقت على الجرائد الافرنجية لتحويل الانظار عنها فقد ابتاع اقلام كثير من الجرائد واراد أن يرشو « التيمس » فلم يفلح

وهو يقوم بالفرائض الدينية الاسلامية لكن يظهر من مجمل اعماله انه ضعيف الايمان ولكنه كان يلجأ الى الدين متى اراد به التعصب على المسيحيين او غيرهم او جمع كلمة المسلمين في نصرته

جرجي زيدان

البلاد التي خرجت من سيادة الدولة العثمانية

في زمن السلطان عبد الحميد

١ الفلاخ والبغدان استقلتا سنة ١٨٧٨ وسميتا رومانيا
٢ سيليستريا وودين ونيش سنة ١٨٧٨ سميت بلغاريا
٣ الروملي الشرقي استقلت سنة ١٨٧٨ (جنوبي بلغاريا)
٤ البوسنة والهرسك دخلتا في حوزة النمسا
٥ الجبل الاسود استقل سنة ١٨٧٨
٦ السرب استقلت سنة ١٨٧٨
٧ قبرص احتلها الانكليز سنة ١٨٧٨
٨ اردهان وقارس وباطوم من ارمينيا دخلت في حوزة الروس
٩ تونس الغرب دخلت في سلطة فرنسا سنة ١٨٨١
١٠ تساليا اضيفت الى بلاد اليونان سنة ١٨٨١
١١ مصر احتلها الانكليز سنة ١٨٨٢
١٢ السودان فتحها الانكليز والمصريون

شعوب روسيا

وأمانيها

دخلت روسيا الحرب واحدة وستخرج منها غير واحدة . تلك هي الحقيقة التي تتجلى لكل متبصر في مجرى حوادثها . ولماذا ؟ لانها مكونة من شعوب مختلفة الامزجة والمنازع كانت تجمعها سلطة القيصر الاستبدادية فلم يكد يسقط عن عرشه حتى نادى كل فريق بامانيه ومطامحه . فان تلك البلاد الشاسعة الواسعة التي كنا نراها على الخريطة ملونة



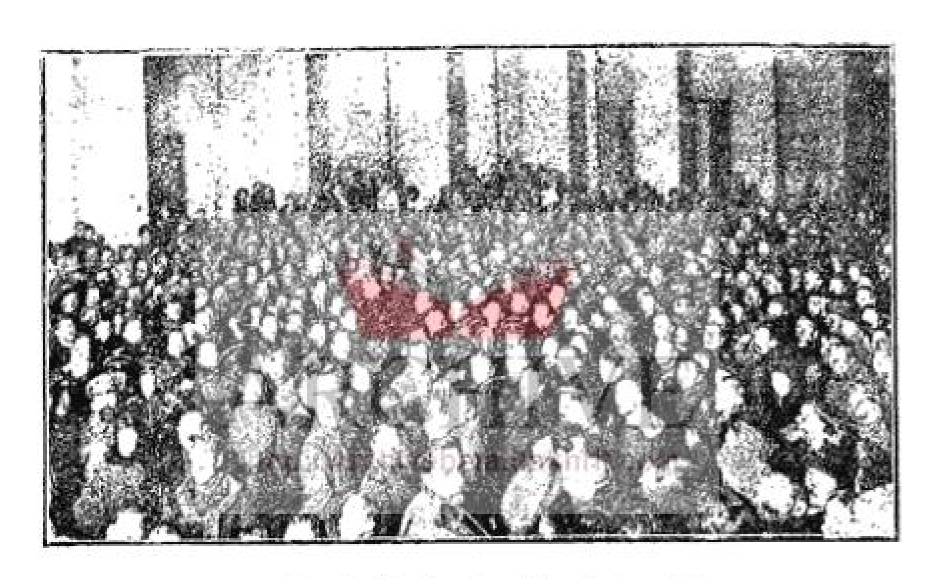
المسيو كرنسكي قبيل سقوطه

بلون واحد كانها أمة واحدة هي في الواقع مزيج غير مكتمل الامتزاج من عناصر شتى جمعتها مطامع القياصرة وصروف الزمان فقيدتها بقيد واحد - قيد الحكومة المطلقة التي تستمد سلطتها من السماء ، والفتها تحت لواء واحد - لواء آل رومانوف المنكودي الحظ

هذا مصير روسيا العظيمة وقياصرتها العظام ! بل هذا مصير كل دولة قامت على غير العدل والانصاف وكل صاحب سلطان قدم مصلحته على مصلحة رعيتـه . أجل ان المتبصر في حوادث روسيا يجد فيها من العبر والحكم ما لا يجده في التواريخ الطويلة : فمن ذا الذي خطر بباله ان الشعب الذي ما برح ينقاد انقياد الخراف يصل الى انكار

كل سلطة بشرية والهية . بل من ذا الذي حلم ان الامة التي كانت موطن الاوتوقراطية في اوربا تنقلب ذلك المنقلب الهائل الذي لم يؤمله اجرأ الفلاسفة وأشدهم تطرفاً !

لقد أصبحت روسيا الآن مسرح اوربا العظيم وما أكثر المشاهد التي تتابع على ذلك المسرح ! بل ما أكثر استجماعها للعبر والتعاليم ! وما أجدر الشعوب باستيعاب تلك الفوائد المعروضة أمامها ! فكأن تلك المشاهد تنطق مبينة عاقبة الضغط وما يتلوه من الانفجار وكيف تتضعضع الرعية من غير راع . بل كأنها تشرح روح الجموع وانصياعها لقادتها المتحكمين فيها وتحول مشاعرها وعقائدها ومنازعها ونتيجة العلم غير الناضج والفلسفة التي لم يتمثلها العامة



جماعة من العمال والجنود في مجلس الدوما بعد الثورة

***

كان سكان روسيا قبل الحرب نحو ١٧٨٠٠٠٠٠٠ نفس ومساحتها ٨٥٠٠٠٠٠ ميل مربع (أي نحو ثلاثة أضعاف مساحة الولايات المتحدة وسدس مساحة القارات الخمس تقريباً)

والشعب الروسي الاصلي يسمى « الروس الكبار » ويقدرون بستين مليوناً أي نحو ثلث المجموع وهم يقطنون روسيا الوسطى والشمالية (أي روسيا الكبرى على الخريطة). أما الثلثان الآخران فانهما مؤلفان من أجناس مختلفة . فمن ذلك أولاً الاكرانيون أو الروس « الصغار » في روسيا الجنوبية (٢٧ مليونا) والروس « البيض » في روسيا الغربية (٦ ملايين) وهم من أقارب الروس « الكبار »

وحول هؤلاء الروس جنسيات مختلفة ضمت الى روسيا على ممر الاجيال . في الشمال الغربي فنلندا وهي بلاد بحيرات وغابات يقطنها ٣٥٠٠٠٠٠ نفس وتمتاز برقيها وتمدن أهلها وحضارتهم تشبه حضارة جيرانهم الاسوجيين كما انهم يدينون مثلهم بالدين البروتستانتي . وفي جنوبي فنلندا المقاطعات البلطيكية وهي أيضاً تمتاز برقيها وحضارتها الا انها أقرب الى الروح الالمانية منها الى الروح الاسوجية . وفي جنوبي هذه المقاطعات بولونيا الروسية أي حصة روسيا من قسمة مملكة بولونيا القديمة وهي تحوي أجناساً مختلفة أهمها ٨٠٠٠٠٠٠ بولوني و١٥٠٠٠٠٠ ليثواني و٥٠٠٠٠٠ الماني و٥٠٠٠٠٠٠ اسرائيلي

وفي روسيا الجنوبية (أنظر الخارطة) فضلاً عن الروس الصغار المتقدم ذكرهم وهم الاغلبية نحو ١٠٠٠٠٠٠ روماني (في مقاطعة بسارابيا) و١٠٠٠٠٠٠ تتري بقرب البحر الاسود وجماعات مشتتة من الالمان والبلغار واليونان وغيرهم

وفي روسيا الشرقية الغربية أجناس أسيوية مختلفة منها ١٠٠٠٠٠٠ تتري حول نهر فولغا و٢٠٠٠٠٠ مغولي حول بحر قزوين . أما مقاطعة القوقاس ففيها خليط من أجناس كثيرة فيهم الشركس والتتر والارمن والجورجيون والفرس وغيرهم فضلا عن ثلاثة ملايين روسي اصيل هاجروا اليها

واذا انتقلنا الى مقاطعات روسيا في آسيا وجدنا فيها نحو ٥٠٠٠٠٠٠ روسي مشتتين بين جبال الاورال والاوقيانوس الباسفيكي وما بقي من أهلها مزيج من الترك والتتر ومعظمهم يدينون بالاسلام

***

هذه هي الاقوام المختلفة التي كان يحكمها القيصر نقولا الثاني وقد بقي معظمها محافظاً على قوميته بالرغم من مساعي الحكومة الروسية لتحويلهم الى روس قلباً وقالباً

ان معظم هذه الشعوب خضعت لروسيا مرغمة أثر فتوحات القياصرة السابقين ولذا لم تكن في الغالب راضية بالحكم الروسي وما برحت تترقب الفرص للاستقلال . ولعل البولونيين أشد هذه الشعوب رغبة في الانفصال عن روسيا وأن يكونوا سلافيين أصلا كالروس . يدلك على ذلك الثورتان الدمويتان اللتان اثاروهما في سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٦٣ . ومعظم البولونيين من الكاثوليك في حين ان سواد الروس كما لا يخفى ارثوذكس . وما قيل عن بولونيا يقال عن فنلندا أيضاً حرفاً بحرف . كذلك الاكرانيون (الذين عقدوا صلحاً مع المانيا) فانهم وان كانوا من السلافيين الارثوذكس الا ان لهم قومية مستقلة ولغة خاصة تميزانهما كما يتميز الهولنديون عن الالمان بلغتهم وقوميتهم

وخلاصة ما تقدم ان بولونيا واكرانيا وفنلندا هي أشد الشعوب الروسية رغبة في الانفصال عن روسيا . على انه قد تنفصل عنها شعوب أخرى غير هذه . ومن المتعذر جداً التنبؤ الآن بشيء من هذا القبيل مع الارتباك السائد على تلك البلاد

كلمات لارسطو

ان من علامة تنقل الدنيا وكدر عيشها انه لا يصلح منها جانب الا بفساد جانب آخر ولا سبيل لصاحبها الى عز الا باذلال ولا استغناء الا بافتقار

العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالماً

ليس طلبي للعلم طمعاً في بلوغ قاصيته ولا الاستيلاء على غايته ولكن التماساً لما لا يسع جهله

اصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك

اعتبر بمن مضى ولا تكن عبرة لمن بعد

لا تغفل فان الغفلة تورث الندامة

لأن تموت محموداً خيرٌ من ان تعيش مذموماً

الجهل شر الاصحاب

الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون صديقاً لغيره

وقال ردًا على من عاتبه على مخالفته لاستاذه افلاطون : انا نحب الحق ونحب افلاطون فاذا افترقا فالحق أولى بالمحبة

ونظر الى حدث يتهاون بالعلم فقال له : انك ان لم تصبر على تعب العلم صبرت على شقاء الجهل

وقيل لارسطو : ما الشيء الذي لا ينبغي ان يقال وان كان حقاً . قال : مدح الانسان لنفسه

قال : امتحن المرء في وقت غضبه لا في وقت رضاه وفي حين قدرته لا في حين ذلته

دفع الشر بالشر جلد ودفع الشر بالخير فضيلة

ولما فرغ من تعليم الاسكندر دعا به فسأله عن مسائل فاحسن الجواب عنها فناله بغاية ما كره من الضرب والاذى فسئل عن هذا الفعل فقال : هذا غلام يرشح للملك فاردت ان أذيقه طعم الظلم ليكون رادعاً له عن ظلم الناس

المسيو نقولا رومانوف

ومدامته

يسكن المسيو نقولا رومانوف وأسرته الطبقة الثانية من منزل مبني بالآجر الا- في مدينة توبولسك . وتوبولسك هذه واقعة في وسط مستنقع كبير من مستنقعات سيبيريا وفيها من السكان ٤٥٠٠٠ نسمة . وهي المدينة التي اعتاد المسيو رومانوف لما كان



القيصر السابق في منفاه وخلفه بعض الحرس

قيصراً على الروس ان ينفي اليها أعداءه وأعداء حكومته . وهو الآن يشكو مثل سائر الناس من غلاء المعيشة ولا سيما أن دخله السنوي المخصص لنفقات المنزل وحدها أصبح ٢٠٠ جنيه في السنة بعد أن كان ٤٠٠٠ جنيه

وصل المسيو رومانوف مع عائلته الى مدينة توبولسك بعد سفرة خمسة أيام قضوها في سفينة بخارية حملتهم على نهر توبول . ولم يكن باستنظارهم مركبة تقلهم الى المنزل المخصص لهم كما أنهم لم يتوفقوا الى استئجار مركبة لان جميع المركبات كانت مشغولة . فاضطر المسيو رومانوف وابنه وثلاث من بناته أن يسيروا اليه على الاقدام حتى اذا وجدوا عربة في طريقهم

أرسلوها الى مدام رومانوف وابنها . وهذا المنزل واقع في الجهات المنخفضة من المدينة على الضفة التي يقطنها عامة الناس في حين ان الاغنياء والاشراف يقطنون الجهات المرتفعة منها الواقعة على الضفة الاخرى . وقد مر المسيو رومانوف مع أولاده بين عامة الناس ولم يشاهد على وجهه شيء من علامات الجزع أو التململ . ولم يتمكن من الحصول على مركبة الا بعد الجهد والعناء فبعث بها حالاً الى المحطة لنقل امرأته وابنته

يشتمل مسكن رومانوف في توبولسك على أربع عشرة غرفة منها غرفة للقيصر وأخرى لامرأته وثالثة لابنه . أما بناته الاربع فقد نزلن في غرفتين فقط . وفي المنزل فضلاً عن ذلك غرفة اكل ومطبخ وغرفة للجلوس . ولم تسمح الحكومة لاسرة رومانوف باكثر من أربع صناع يشغلون باقي البيت

أما الطبقة السفلى فقد نزل فيها نفر من الجنود المنحازة الى الثورة لمراقبة المسيو رومانوف وحراسته . وقد شاهد القيصر في منفاه احد الكتاب واطلع على نسق معيشته فيه فوصف ذلك وقارن بين معيشته في توبولسك وما كان فيه من البذخ والترف في بتروغراد قال :

ما أعظم الفرق بين مقر القيصر الحالي ومقره السالف فقد كان قصره في بتروغراد المعروف باسم « بترهوف » واسعاً مترامي الاطراف حتى ان الداخل اليه كان يضيع في ممراته . وقد كان فيه ٢٠٠ خادم عينوا خصيصاً ليرشدوا المارين فيه الى حيث يقصدون . وكان له قصر آخر يعرف بقصر الشتاء فيه قاعة شهيرة تدعى (قاعة المرائي) طولها ٢٠٠ قدم . أما الآن فطول اكبر غرفة في منزل رومانوف لا تزيد على ١٥ قدماً . وفضلاً عن ذلك فالمنزل خال من أسباب الراحة الحديثة فليس فيه نور كهربائي ولا غاز ولا حمام تجري فيه المياه الباردة والحارة . وكل ما فيه من الكماليات شرفة في الجهة الشرقية يقضي عليها آل رومانوف معظم أوقات الراحة للرياضة واستنشاق الهواء النقي

واذا خطر للقيصر ان يخرج من بيته تبعه اربعة ضباط من الحرس . ويبلغ مجموع الرجال المكلفين حراسته ٤٠٠ جندي يقضون الليل والنهار في ملاحظته وتتبع حركاته . وهم يتناوبون أربع مرات في اليوم بحيث يجتمع منهم ١٠٠ كل مرة . وجميع المخاطبات التي يرسلها القيصر أو ترد اليه لا بد أن يطلع عليها قائد الحرس . وله أن يقتل القيصر أو أي فرد من أفراد اسرته اذا حاول الفرار

وكل ما تحتاج اليه أسرة رومانوف من اكل وشرب يأتيهم به ضباط فرقة الحرس وقد خصصت الحكومة الروسية ٢٠٠ جنيه سنوياً لمثل هذه الحاجيات كما ذكرنا

ولمدام رومانوف شغف خاص بالطعام الالماني فهي تقضي معظم أوقاتها في المطبخ

تشارف على الطبخ . ومن أخبار توبولسك التي يرددها الاهلون ان امرأة القيصر متوقدة الحديث حادة اللسان . أما القيصر فانه أكثر هدوءاً منها وقد ظهرت على وجهه علامات الشيخوخة قبل أوانها . وهو يقضي معظم اوقاته في شرب الشاي الذي اصبح تسليته الكبرى حتى بلغ ما يتناوله منه في اليوم نحو ثلاثين فنجاناً . أما بناته الاربع فهن متمتعات بتمام الصحة وقد اذن لهن بالخروج من غير تقييد وبدون رقيب فتراهن ينزلن الى الاسواق ويختلطن بعامة الناس ويتوددن اليهم وقد تشربن على ما يقال مبادىء الحرية وروح الديموقراطية . وشاع ان احداهن علقت بضابط بحري فتزوجته وهربت معه ولكن كذب الخبر بعد ذلك . وقد تطوعت الصغيرة منهن للتمريض في الصليب الاحمر ووقفت أخرى نفسها لتدريس البنات الفقيرات ضرب البيانو مجاناً . أما الكسيس ابن القيصر الوحيد وولي عهده السالف فهو على ما يرام من القوة والنشاط غير أنه لا يسمح له بالخروج الا برفقة بعض ضباط الحرس

والجملة انه بينما الاولاد متمتعون بالصحة والطمأنينة يقاسي الوالدان مرَّ الالام وهما يشعران بثقل ما حل بهما من الذل والهوان وما فقداه من العظمة والسلطان . ولم تأذن الحكومة الروسية أن يرافق القيصر الى منفاه غير اثنين هما الكونت فردريكس الذي كان رئيساً لبلاطه مدة اربع سنوات والجنرال فويكوف قائد حرسه سابقاً . فليس للقيصر نقولا أحد غيرهما يكشف له قلبه ويشاركه في احزانه . وقد اذن لامرأته أن تصطحب رفيقة لها

وقيل أن القيصر لما علم بتغلب الثوار على حكومته كان في حديقة قصر له في بتروغراد يتلهى بحرث الارض فقال للجنرال فويكوف المتقدم : « لم تكن حياتي في الحقيقة حتى الآن الا حياة أسير فليس يهمني اعتزالي العرش بقدر ما يهمني وجودي بين هذه الزهور . انما أود أن تسحق روسيا أولئك الالمان وانه لفي استطاعتي أن أعيش في ظل حكومة جمهورية »

أما امرأته فلم تستسلم لمصيبتها مثله فالهموم والاحزان لاتفارقها ابداً وهي تلهى عنها بمشاغل البيت والمطبخ

هكذا لحق القيصر نقولا بكل الذين بعثهم الى هذه البلاد ويقدر عددهم بنحو ٢٠٠٠٠٠ منفي . فسبحان مبدل الاحوال

العالم بعد الحرب

وكيف تحل مشاكله الاقتصادية

يدل التاريخ على ان الحروب العظيمة يتلوها دائماً زمن تنهض فيه الحياة الاقتصادية وتنشط . وهو المتوقع حدوثه بعد هذه الحرب . على انه من الصعب تحديد المدة التي تستغرقها تلك النهضة وانما يقف طولها على طول الحرب وتأثيرها في الدول المحاربة وفي العالم اجمع . فان المانيا بعد حرب السبعين دخلت في دور ازهرت فيه صناعتها وكثر المال بين أيديها ولكن تلك الحال لم تطل فلم تلبث أن عقبها هبوط عام . كذلك حدث بعد الحرب الروسية اليابانية فان اليابان نهضت على أثرها نهوضاً حسياً ولكن لزمن قصير وبعبارة أخرى انه يعقب دور النهوض دور خمول وهبوط . وقد دام دور النهوض في المانيا بعد حرب سنة ١٨٧٠ بضع سنوات وبلغ في اليابان ثلاث سنوات وكان نحو ذلك ايضاً في الولايات المتحدة بعد حربها الاهلية . ويرجح انه يستغرق مثل هذه المدة بعد الحرب الحاضرة ايضاً . ولا يبدأ دور النهوض الا بعد تسريح الجيوش وتنظيم طرق المواصلات واتخاذ التدبير اللازمة ليعود دولاب الاعمال الى حركته الاعتيادية وكل ذلك يستدعي زمناً لا يقل عن ستة اشهر

وتمتاز هذه الحرب عن الحروب السالفة بانه لم يبق دولة من الدول الكبرى لم تخض غمارها أو تصب باذاها . وقد كانت الحروب لا تصيب الا دولتين او بضع دول فتستفيد الدول الاخرى في أثنائها بما توردہ من المؤونة والذخيرة كما انها تستفيد ايضاً بعد انقضائها لالتجاء الدول المحاربة اليها واستعانتها بها في اعمال الترميم والتنظيم . أما الحرب الحاضرة فستخرج منها الدول جميعاً منهوكة القوى وهي تكاد تشرف على الافلاس — لا فرق في ذلك بين المحايدة منها والمحاربة — فلن يكون لاحداها امتياز من هذا القبيل . وستحتاز كل منها ما عندها من المواد والموارد وتقتصد فيه بقدر المستطاع لانها أولى به من غيرها بل ستسعى كل منها في استيراد كل ما يمكن استيراده من الخارج . وبعبارة أخرى ستتنافس الشعوب في الشراء أكثر مما تتنافس في البيع

فماذا يحل بالعالم وقتئذٍ اذ تكون الشعوب قد قضت بضع سنوات وهي متضايقة جائعة مفتقرة الى المواد الاولية ؟ هل يكون الصلح نعمة أو مصيبة ؟ هل ترتفع الاسعار ارتفاعاً لا تصل اليه ايدي سواد البشر ؟ وهل يكون في العالم من الحاجيات ما يكفي جميع المتهافتين على شرائها ؟

لاريب في حدوث التهافت على الشراء بعد الحرب فان الاختبار السابق يؤيد ذلك. بل يكفي أن يتبين الانسان الحالة العامة بعين بصيرته حتى يتيقن هذا الامر . ولا ريب ايضاً في انه سيكون ثمت نقص كبير في الموجود والمصنوع . ويتراءى للمتبصر ان هذا المشكل يتعذر حله الا باتفاق دول العالم اجمع على تقسيم الموجود والمصنوع وتوزيعه توزيعاً عادلاً . فلا خلاص الا بهذه الوسيلة التي تؤدي ايضاً الى انماء روح التعاون بين الامم واذكاء فكرة الائتلاف والارتباط بينها

فاذا استطاعت الامم أن تبدل حالة الفوضى الحاضرة بمثل ذلك النظام الدولي لم يبقَ ثمت خوف جسيم من هذا القبيل . ومما لا شك فيه ان العالم كان يسرف في ثروته ويستهلك اكثر من الضروري بكثير . فاذا سدت ابواب الاضاعة وتذرع الناس بالاقتصاد والتدبير في جميع دوائر معيشتهم نجا العالم من أزمة اقتصادية عظيمة وامكنه ان يكتفي بما لديه من المواد الخام والبضائع المصنوعة . ومما يؤيد هذا الرأي ان الحرب لا تنقص الثروة المستحدثة فقط بل هي تنقص الثروة المستهلكة ايضاً أي كما ان الحرب تنقص عدد العاملين القادرين على ايجاد الثروة فهي في الوقت ذاته تنقص عدد الذين يستنفدون تلك الثروة اولاً بمن يموتون فيها وربما زاد عددهم على ٧٠٠٠٠٠٠ وثانياً بمن لا يولدون ويجوز تقديرهم بنحو ٩٠٠٠٠٠٠

وعلى فرض ان العالم توصل الى مثل ذلك الاتفاق المنشود وجعل نفسه رهن اوامر لجنة للتموين الدولي فالمجال يكون مفتوحاً اذ ذاك لنبوغ اهل الادارة والتنظيم والتدبير . ولا ريب في انه ينبغي حينئذٍ تحميل كل دولة معظم حملها اي ان يفرض على كل أمة استحداث لوازمها بقدر المستطاع . اما ما زاد عن حاجتها فيقدم الى حيثما يكون افتقار اليه . والارجح أن انكلترا والمانيا وربما فرنسا ايضاً تستورد من المواد الغذائيـة اقل مما كانت تستورد في السنين السالفة نظراً لازدياد الحاصل فيها اثناء الحرب . اما الولايات المتحدة فلن تزال مورد القطن الاكبر والارجح انها تستطيع سد الجانب الاعظم من حاجة العالم . اما النحاس فسيزداد الطلب عليه ويقل المستخرج منه . واما الحديد فانه موجود في كثير من الدول ولا يخشى من نفاده

ومن الاعتبارات التي ينبغي الالتفات اليها حفظ التوازن والنسبة بين الدول عند توزيع الحاجيات بينها . ونعني بذلك ان تحرم احدى الدول استهلاك جانب من احد الاصناف — وان يكن في استطاعتها استهلاكه كله — ليقدم الى دولة أخرى هي اشد احتياجاً اليه . مثال ذلك انه ينبغي اكتفاء الدولة الواحدة بثمانين في المئة مما تستهلكه من صنف موجود عندها اذا كانت جارتها تحصل بذلك على ستين في المئة من اللازم لها منه

على ان الامل ضعيف بحصول مثل هذا التفاهم بين الدول بل ان بعض الدلائل تشير الى نشوب حرب اقتصادية بعد عقد الصلح . ولكن ذلك لا يغني الناس عن اصلاح ما افسدته الحرب وترميم ما خربته واقامة ما هدمته . وانما يستدعي ذلك من الوقت والعمل اكثر بكثير مما كان يستدعيه لو تمَّ بتدبير متفق عليه بين شعوب العالم . ولا بد ان تدوم ازمة الشحن الحاضرة لمدة بعد عقد الصلح اذ الارجح ان لا تكفي السفن الموجودة وقتئذٍ لحمل بضائع العالم فتبقى اجور الشحن عالية كما أن اجور العمال ستبقى مرتفعة مما يؤدي الى ارتفاع الاسعار على العموم

فمن ذلك نرى ان العالم سيكون مفتقراً الى نهضة عامة ولكن هذه النهضة لن تمتد الى بعد المدة اللازمة لاعادة المياه الى مجاريها . عندئذٍ — اي عندما تعتمل المزارع وتنظم المناجم وتشيد المنازل وتبنى السفن وتعود الحركة الاقتصادية على العموم الى مجراها الطبيعي — عندئذٍ يبدأ دور الهبوط والخمول . وعندئذ يدرك العالم حقيقة الاثر الذي تخلفه الحرب فيحس بخسارة المال والرجال والثروة على العموم ويضطر كل شعب الى تخفيض مستوى معيشته عما كان قبل الحرب وانقاص أسباب لذاته وضروب ترفه ورفاهته . هذا هو الدور الثاني الذي يصعب انهاؤه

بعد الحرب الفرنسية البروسية وبعد الحرب الروسية اليابانية ظهرت اعراض هذا الدور الثاني بصور مختلفة واولها قلة المال بين الايدي اذ كان المال قد انفق في اعمال الترميم والبناء فضلاً عما ادخر منه تحوطاً لازمنة الضيق مما ادى الى قلة الانفاق . ثم ان اعمال الترميم والبناء التي شغلت كثيرين من الناس لم تلبث ان تمت فاصبح اولئك العمال خالي العمل

***

هذه بعض النتائج المتوقعة بعد ان تضع الحرب اوزارها ويرى القارىء ان في سماء المستقبل غيوماً متلبدة ولكن هناك تعزية واحدة وهي ان دور الضيق سيكون خير درس للبشرية تعدّل فيه تقديرها للاشياء فتميز الضروري من الكمالي والجوهري من العرضي . اذ ان تقديرها للاشياء كان مبنيًّا على اساس فاسد . فاذا تمَّ ذلك فتح المجال ثانية لدور رفاهة حقيقية . فان الحرب الاهلية الاميركية كانت المرجع الاساسي لعظمة الولايات المتحدة كما أن قوة المانيا ترجع الى الحرب البروسية الفرنسية وقوة اليابان الى الحرب الروسية اليابانية

صحف ادريس النبي

١ تمهيد

قبل ان تشب نار هذه الحرب المشؤومة التي جلبت على العلم والعالم من النكبات ما لم يذكر مثلها التاريخ كان علماء الافرنج ولا سيما المستشرقون منهم قد أولعوا ولعاً عظيماً بالبحث عن الكتب المنزلة ونسخها القديمة ، وعن الكتب الموضوعة المعدودة منزلة لانها لا تخلو من فوائد جزيلة تشف عن أفكار أهالي العصر وعن الاراء التي كانت تجري في عهدهم . وقد عثروا على عدة كتب جاءتهم بفوائد لم تتوقع فيها ولم يكن من الممكن ان يعثروا على مثلها في سائر المصنفات . فهي اذاً كنوز مدفونة لم ينتبه اليها الاولون . هذا فضلاً عما يجدونها من سبك العبارات وقدم بعض اللغات واللهجات والاغلاط اللغوية التي يظنها بعض الجهلة انها قريبة العهد في العربية . والحقيقة ان ذلك كله قديم

وقد بحثت في الكتب التي نشرت الى اليوم عن صحف ادريس فلم أجدها مطبوعة في موطن ، كما اني لم أجد من عثر على نسخة منها . مع ان قدماء العرب ذكروها في فهارس الكتب المعروفة في عهدهم وقد استشهد بها بعض كتابهم . والمستشرقون حريصون على الحصول عليها ليدرسوها وينشدوا فيها ضالتهم . ولقد وقعت على نسخة من هذه الصحف الجليلة وها انا ذا أصفها لك في هذه المجلة فتكون هي أول مجلة بحثت في هذا الموضوع ، وهي كثيراً ما طرقت مباحث لم تطرقها مجلة قبلها حتى ولا مجلات الافرنج

٢ وصف النسخة

الكتاب قليل الصفحات فيه منها ٦٣ وليست كلها من صحف ادريس . فالقسم الاول منها أي من ص ١ الى ص ١٥ صحف ادريس ، والقسم الثاني أي من ص ١٥ الى ص ٢١ رسالة الملاّ جلال دوالي ، والقسم الثالث وهو الباقي شرح رسالة الملاّ جلال المذكور . طول الكتاب ٢٥ سنتيمتراً ونصف في عرض ١٤ سنتيمتراً . وطول المكتوب من الصفحة ١٨ سنتيمتراً في عرض ٨ سنتيمترات . وكاغده يشبه الكاغد الترمذي وليس به . وهو مصحف تصحيفاً عراقياً ، كعب التصحيف قماش أحمر والباقي أسود وحبره أسود حسن اللون . ورؤوس المباحث مكتوبة بالازرق البنفسجي . مما يدل على ان كتابته حديثة لا تجاوز الخمسين سنة وليس في الكتاب تاريخ ولا اسم الذي

خطه . وقلمه دقيق . في كل سطر نحو ١٢ كلمة . والخط حسن يظهر انه من خط شيعة النجف أو كربلاء أو لا اقل من انه خط أحد الشيعة العراقيين

٣ شيء من منقولات الكتاب

بدء الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة صحف أدريس النبي على نبينا وعليه الصلاة والسلام . الحمد لله على نعمته وصلوته على محمد وعشرته . قال احمد بن حسين بن محمد المعروف بابن منوبه : وجدت هذه الصحف بالسورية ، مما انزلت على ادريس النبي اخنوخ ، صلى الله على محمد وعليه، وكانت ممزقة مندرسة فحربت (كذا) (١) الاجر في نقلها الى العربية بعد ان استقصيت في موضع كل لفظة من العربية موضع معناها من السورية ، وتجنبت الزيادة والنقصان ولم أغير معنى لتحسين لفظ وتقدير سجع ، بل توخيت ايراده كهيئته من غير نقصان ولا زيادة . وعلى الله التوكل وبه الاستعانة . وله الحول والقوة . وحسبنا الله ونعم الوكيل

الصحيفة الاولى وهي صحيفة الحمد

الحمد لله الذي ابتدأ خلقه بنعمته ، واسبغ عليهم ظلال رحمته ، ثم فرض عليهم شكر ما أدّى اليهم ، ووفقهم عنه لاداء ما فرض عليهم ، ونهج لهم من سُبُل هدايته ما يستوجبون به واسع مغفرته . فبتوفيقه قام القاعون بطاعته ، وبعصمته امتنع المؤمنون من معصيته . وبنعمته أدى الشاكرون حق نعمته ، وبرحمته وصل المسلمون الى رحمته . فسبحان من لا يستجار منه الا به ، ولا يهرب منه الا اليه . وتبارك الذي خلق الحيوان (٢) من ماء مهين . وجعلهم (٣) (كذا) في قرار مكين . ثم صيرهم (٣) (كذا) متباسين في الخلق والاخلاق وقدر لهم ما لا مغير له من الآجال أولا (كذا) وراق (٤) له (٥) سحب السموات العلى ، والارضون السفلى ، وما بينهما وما تحت الثرى . بالسن فصح وعجم ، وآثار ناطقة وبكم ، يلوح للعارفين مواقع تسبيحها ، ولا يخفى على المؤمنين

---

(١) لعله يريد فجزيت الاجر (٢) هكذا في الاصل الذي بأيدينا . ولعل الغرض هو الاحياء كما يؤخذ من سياق الكلام التالي (٣) ضمير العاقل هنا يدفعنا الى الظن ان كلمة « الحيوان » في العبارة السابقة مصحفة عن « الاحياء » (٤) الناسخ هنا أخطأ في نقل الاصل والصحيح عندنا هو : من الآجال والاوراق أي الكتب المكتوبة (٥) لعل هنا كلمة ساقطة والاصل : تنطق بحمده بدلا من « له » . والكتاب مشحون بالاغلاط النحوية واللغوية والظاهر ان الكاتب لم يكن يفهم العربية حسناً ، اذ الادلة متضافرة على انه كان فارسي اللغة

سواطع تقديسها ، فله في كل نظرة نعم لا تحد ، وفي كل طرفة آلاء لا تعد ، ضلت الافهام في جبروته ، وجلت الاوهام في ملكوته . فلا وصول اليه الا به ، ولا ملجأ منه الا اليه . ذلكم الله رب العالمين . انتهى

والكتاب كله يكاد يكون على هذا الطرز من تسمية كل فصل بصحيفة وكل صحيفة باسم ، كصحيفة الحق وصحيفة الرزق وصحيفة المعرفة وصحيفة العظمة وصحيفة القربة للصحيفة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة الى آخر ما هناك

ولما ختم المعرب الصحيفة الاخيرة وهي الصحيفة الثلاثون سماها صحيفة العياذ قال : « هذا آخر ما بلغنا من الصحف الادريسية، على نبينا وعليه الصلاة والسلام . تمّ » ولم يذكر سنة النقل والتعريب كما أنه لم يذكر الناسخ سنة النسخ لا في الاول ولا في الآخر

٤ المؤلف وعهده

لا نعلم من امر المؤلف شيئاً . وقد بحثنا في ما لدينا من الكتب عن احمد ابن حسين ابن محمد المعروف بابن منوبه فلم نعثر على شيء يبلّ الصدى . وخزائن كتب بغداد التي كانت تفيدنا بعض الفائدة او كل الفائدة اتلفها الاتراك عند ادبارهم من المدنية فصارت اليوم دار السلام « أفرغ من فؤاد ام موسى » . ولهذا نطلب الى الادباء ان يرشدونا الى تعريف هذا المعرب والى عصره ولهم الفضل العميم

٥ رأينا في الكتاب

لا جرم ان الكتاب موضوع من اوله الى آخره . ونظن ان الواضع له هو الذي سمى نفسه معرب الكتاب . وعلى كل حال لم يكن الواضع الا مسلماً ، لان المآخذ القرآنية بينة في كل صحيفة من تلك الصحف . وعباراته كلها على نسق كتاب الزبور المعروف عند المسلمين ، لا كتاب الزبور المعروف عند اصحاب التوراة . واقول هذا لان الكلام الوارد فيه هو على طريقة الوحي المعروفة عند المسلمين وكلها تبتدئ بقوله : قل او مر او افعل . او على سبيل الامثال كقوله : من عرف كذا حلّ به كذا . او على طريق المناداة كقوله : يا اخنوخ ما اعظم ما يفعل فلان . أو كقوله : سألت يا اخنوخ عن كذا . . . فهو كذا وكذا . . . الى غير ذلك مما يدل على أن الكاتب او المؤلف كان مسلماً ولم يكن سريانياً او كلدانياً او يهودياً او نصرانياً كما يتضح ذلك لكل متدبر عارف بالكتب المنزّلة الصحيحة وغير الصحيحة . والكتب التي وضعت قبل النصرانية او بعدها . فسطر من هذا الكتاب يكشف للحال عن سره وبواطن واضعه

بغداد « مستهل »

تحوّل الحركة

في العوالم الجمادية والحيوية والاجتماعية

٢ — سنة المحاكاة في الاجسام المادية

شيوع الحركة الدورية

رأينا فيما تقدم انه ما من جسم متحرك الا وهو واقع تحت فعل قوتين متفاوتتين على الاقل . ولهذا لابد ان تكون حركته دورية اما دائرة أو مترددة . وقد تكون هذه الحركة الدورية نظاميـة بقدر نظاميـة القوات التي تتسلط على الجسم المتحرك . ونعني بالنظامية انها متكرّرة في مواعيد متساوية تقريباً

فالاجرام السموية تدور في افلاكها دورات نظامية . والحركات الدورية الفلكية تسبب جميع الحركات الدورية التي تحدث على الكرة الارضية . وتكرار فصول السنة الاربعة هو نتيجة حركة الارض الدورية حول الشمس لتقلب انفعال الارض من حرارة الشمس ونورها ومن الجاذبية المتبادلة بينها وبين الشمس وسائر الاجرام

ومياه البحار ترتفع بفعل حرارة الشمس في اوقات معلومة ثم تتساقط مطراً في اوقات اخرى وتنبض من بطن الثرى وتجري في جداول وانهر وتعود الى البحر . وهكذا دواليك عاماً بعد عام

وحركة الرياح العمومية من القطبين الى جهة خط الاستواء على سطح الارض ومن خط الاستواء الى القطبين في الطبقة العليا من جو الارض انما هي حركة دورية ايضاً مسببة عن الحركة الدورية الفلكية

الظواهر الحيوية على سطح الارض من نباتية وحيوانية انما هي حركات دورية ايضاً من تولد ونمو وتوليد وموت . بل يمكنك بقليل تفكير ان تهتدي الى دورية كل حركة من حركات الحيوية في المملكة الحيوانية كالدورة الدموية ونبضات القلب وحركة التنفس والحركة العصبية من حساسة ومحركة . وحركات الجهاز الهضمي . ونجد مثل ذلك في المملكة النباتية كما سيجيء شرحه

ولا تستغرب ان يقال لك ان الحركات الاجتماعية من سياسية واقتصادية وغيرها انما هي حركات دورية ايضاً ونتيجة سائر الحركات الدورية السابقة الذكر كتقلب الامم والدول وتقلبات الاحكام وتقلبات الاسواق التجارية بين صعود ونزول الخ .

حتى ان الحركات الميكانيكية جميعها مبنية على مبدأ الحركة الدورية . وأي آلة ميكانيكية تخلو من عجلة أو اطار أو نحوهما ؟ القوة الكهربائية نفسها التي تلعب دوراً خطيراً في الميكانيكيات انما هي مجرى دوري

فمن جميع الامثلة المتقدمة الواقعة تحت حواسنا نرى ان الحركة اينما وجدت على الاطلاق كانت دورية

وسيط الحرارة والنور

وهنا لا بد ان يخطر في البال امر وهو انتقال حرارة الشمس الى ارضنا والبعد بين الشمس والارض ملايين من الاميال . فاذا كانت الحرارة ضرباً من الحركة — وانها لكذلك بعد ما تقدم بيانه ولما نراه من افعال الحرارة في توليد الحركة الميكانيكية وفي رفع المياه من البحار الى الجبال على اجنحة الهواء — فلا بد من واسطة تنتقل بها من الشمس الى الارض . فما هي هذه الواسطة ؟

لاجل تعليل انتقال الحرارة والنور ايضاً في الفضاء من جرم الى جرم والى ارضنا فرض العلماء وجود مادة الطف جداً من مواد الاجرام التي هي كجرم الارض وسموها اثيراً . وهذه المادة الاثيرية تملأ الفضاء وجميع الاجرام الفلكية غائصة فيها . فهي الوسط الذي تنتقل فيه الحرارة والنور ايضاً . ولما كانت الحركة دورية على الاطلاق اقتضى ان يكون انتقالها في هذا الوسط بشكل حركة دورية ايضاً أي بشكل امواج اثيرية . ولما كان النور اسرع جداً من الحرارة في الانتقال (١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية) كانت موجاته الاثيرية اسرع ايضاً وبالتالي اقصر مسافة طبقاً لنواميس اهتزاز الوتر وخطران الرقاص كما تقدم بيانه في المقالة السابقة

هذه نظرية علماء الطبيعة التي يعللون بها كثيراً من مظاهر الطبيعة وستبقى معمولا بها الى ان تنقضها نظرية أخرى أصح منها

ولكن العجب العجاب في ان هذه الموجات الاثيرية تلعب جميع الادوار العظيمة في جميع الحركات الارضية وجميع التقلبات غير المحصاة التي تحدث في ارضنا . فمجرد الاشارة الى هذه النظرية بما تقدم من القول لا يزيل هذا العجب . لذلك لا بد من التبسط في كيفية تحويل هذه الحركة من صورة حرارة ونور الى الصور المختلفة التي نراها

هذه الموجات الاثيرية تصدم كل ذرة من ذرات ارضنا فتفعل فيها افعالا مختلفة . تركب بعض العناصر مع بعض وتحل بعض العناصر عن بعض وتخزن قوة في بعض المركبات المادية وتطلق قوة من بعض المركبات الى ان نرى العالم الارضي كله في حركات دائمة مختلفة متشعبة ومعقدة بمنتهى ما يتصوره العقل والى حد لا يكاد يدرك .

ذلك هو موضوع بحثنا في هذه المقالة وما يليها بعد أن تبسطنا في سنن الحركة الطبيعية وكشفنا سر الحركة الدورية

انتقال الحركة الدورية في الهواء

وتسهيلا لفهم هذا المبحث نشرح فعل الامواج الهوائية في بعض المواد وتقيدها بنواميس نظامية

عُد بنا الى اهتزازات الوتر

اذا ضربت وتراً في البيانو أو في القانون ثم اسكته في الحال سمعت اصوات جميع الاوتار التي هي جواب وقرار له . وقد سموا هذا التجاوب الفة Sympathy أو عطفاً بين الاوتار وهي تسمية مجازية . والحقيقة ان هذه المجاوبة حدثت طبقاً لناموس الوتر الطبيعي واليك البيان :

علمت من نواميس الاوتار ان صوت الوتر يرتفع أو ينخفض بقدر عدد اهتزازاته في الثانيـة الواحدة أي كلما أسرعت اهتزازاته علا صوته والعكس بالعكس وان سرعة الاهتزازات تتوقف على مرونة الوتر الناجمة من أحواله الثلاثة وهي طوله وثخانته وشده كما نرى ذلك في جميع الآلات الوترية . ولذلك كان لكل صوت من أصوات السلم الموسيقية عدد معدود من الاهتزازات الوترية في الثانية

وقد أحصوا اهتزازات كل نغم من أنغام السلم واستخرجوا النسبة العددية بينها . وجعل المعهد الموسيقي في لندن مقياساً للنغمة الاولى من السلم (أي دو) وهو شوكة معدنية اذا نقرت ابدت نغم « دو » . وبحسب هذه الشوكة المحفوظة في المعهد تُدوَزَن جميع الآلات الموسيقية في انكلترا . وأما اهتزازات هـذه الشوكة في الثانيـة فهي ٢٦٤ هزة

واليك عدد اهتزازات كل نغم والنسبة العددية التي بين الانغام في السلم الوسطى بحسب هذا المقياس الموسيقي

اسماء الانغام	دو	ري	مي	فا	صول	لا	سي	دو
عدد اهتزازات كل نغم في السلم الوسطى	٢٦٤	٢٩٧	٣٣٠	٣٥٢	٣٩٦	٤٤٠	٤٩٥	٥٢٨
احط نسبة عددية بينها	٢٤	٢٧	٣٠	٣٢	٣٦	٤٠	٤٥	٤٨
النسبة الكسرية	١	٩/٨	٥/٤	٤/٣	٣/٢	٥/٣	١٥/٨	٢

فترى من هـذا الجدول انك اذا قسمت عدد اهتزازات كل نغم في الثانية على ١١

خرجت لك أرقام السطر الثاني الرقي وهي عدد اهتزازات الانغام في $\frac{١}{١١}$ من الثانية .
واذا لاحظت النسبة العددية بين « دو » الاول و « دو » الثاني (الاول قرار للثاني والثاني جواب للاول) ظهر لك ان اهتزازات الثاني مضاعف اهتزازات الاول . والسطر الثالث الاخير يريك أحط نسبة للانغام بعضها الى بعض اذا حسب « دو » الاول واحداً

ولما كانت اهتزازات أنغام كل سلم مضاعف اهتزازات أنغام السلم التي تحتها (أي التي هي قرار لها) أو منتصف اهتزازات أنغام السلم التي فوقها (أي التي هي جواب لها) امكنك ان تعلم اهتزازات كل نغم من أنغام أي سلم في الثانية مهما تعددت السلالم

الحاكاة الموسيقية

أما وقد فرغنا من بيان معدل اهتزازات الانغام ونسبتها بعضها الى بعض فقد تمهد لنا تعليل مجاوبة الوتر غير المعزوف في السلم الواحدة للوتر المعزوف المقابل له في السلم الاخرى

وهو طبيعي بحسب سنة انتقال الحركة ان كل هزة وتر تنشيء موجة في الهواء مساوية لها سعة ووقتاً أي ان الوتر الذي يهتز ٢٦٤ هزة في الثانية ينشيء ٢٦٤ موجة هوائية في الثانية وسعة تلك الموجات مساوية لسعة تلك الهزات

ولما كانت اهتزازات الاوتار تختلف اختلافاً متناسباً كانت موجاتها تختلف أيضاً اختلافاً متناسباً كتناسب اهتزازات الاوتار

فاذا ضربت وتر « دو » القرار مثلاً فموجاته تصدم جميع الاوتار طبعاً وفي امكانها ان تهزها كثيراً أو قليلا أي هزاً مسموعاً أو غير مسموع بقدر حدة الوتر المعزوف . ولكن الوتر الذي يسمع منها سمعاً واضحاً هو وتر « دو » الجواب . لماذا ؟ لانه لما كان كلما اهتز « دو » القرار هزة اهتز « دو » الجواب هزتين في مدة واحدة من الوقت كانت الموجة الهوائية التي ينشئها « دو » القرار مضاعف طول الموجة الهوائية لدو الجواب — أي كانت كل موجة من ذاك تتفق مع موجتين من هذا . وبالتالي لا تتعارض الموجتان ولا تفني القوية الضعيفة بل تتساوقان [١] معاً . فمتى انصدم « دو » الجواب بموجة « دو » القرار أو بالعكس متى انصدم « دو » القرار بموجة دو الجواب اهتز مثله وتساوقا اهتزازاً كتساوق امواجهما

الامر بين « دو » و « ري » خلاف ذلك لانه كلما اهتز دو ٨ هزات اهتز ري ٩ هزات

(١) المساوقة المماشاة او المطاوعة في المشي وهو مأخوذ من تساوق القافلة التي يسوق الجمال فيها بعضها بعضاً

أي ان طول ٨ موجات هوائية لدو تتفق مع طول ٩ موجات هوائية لري . فاذا انصدم ري بموجة من موجات دو لا تتساوق موجاتهما من هزة واحدة . وليس في وسع الصدمة الواحدة ان تهز وتر ري ٩ هزات حتى يتم هذا التساوق فقد يهتز هزة واحدة ويقف لمعارضة سائر الموجات له

كذلك الامر بين « دو » و « مي » لان ٤ هزات من ذلك تتفق مع ٥ من هذا . ولكن ربما كانت امكن انصداماً وتحركا من ري لقلة عدد الموجات المتخالفة بينهما . وربما سمع صوت صول اذا ضرب دو ضرباً عنيفاً لان نسبة هذا الى ذاك كنسبة ٢ الى ٣ أي ان موجتين من « دو » تتفقان مع ٣ موجات من صول فتساوقهما امكن من تساوق أولئك . أما تساوق « دو » و « دو » في سلمين أو تساوق أي نغمين متقابلين من سلمين فأشد امكاناً لما تقدم بيانه وهذا هو معنى الالفة الوترية

وحاصل ما تقدم كله ان الوتر يهتز بفعل موجات وتر آخر اذا كان في وسعه ان ينشىء موجات كموجات هذا . وبعبارة أخرى يهتز الوتر بفعل اهتزازات وتر آخر المنتقلة في موجات هوائية اذا كان يمكنه ان يهتز اهتزازات مساوية لاهتزازات ذاك او اضعافها او انصافها بحيث يمكن ان تتفق امواج كل منهما مع امواج الآخر

والنتيجة النهائية التي نستخرجها من هذا التبسط هي ان الوتر المعزوف أنشأ موجات هوائية . وهذه الموجات الهوائية عزفت وتراً آخر مناسباً لذلك . أي ان الحركة الدورية انتقلت من وتر الى وتر على اجنحة الهواء حافظة لنظامها بالدقة من حيث سرعة دوريتها . فاحفظ هذا في بالك واذكره كسنة يمشي عليها كثير من الحركات الدورية في العالم الجمادي وغيره

شيوع سنة المحاكاة

وربما لاح في بالك حقيقة استنتاجية لهذه السنة وهي انه اذا كان كل جسم ذي حركة دورية يؤثر في جسم آخر يستطيع ان يحرك هذه الحركة الدورية مثله على معدل واحد فيمكن اذاً أن يؤثر رقاص ساعة في رقاص ساعة آخر مثله . نعم يؤثر هذا التأثير — ليس في وسع الموجة الهوائية الناشئة من خطران رقاص ان تحرك رقاصاً آخر ساكناً وانما في وسعها ان توفق خطران رقاصين متماثلين اذا كان خطرانهما متخالفاً — توافق خطرانهما في برهة غير طويلة من الزمن اذا كانا قريبين الواحد من الآخر . فعليك بامتحان الامر

وقد ثبت ان هذه السنة — سنة محاكاة الاجسام المهتزة (أو بالاحرى المتحركة حركة دورية) بعضها لبعض اذا كانت متشابهة في معدل اهتزازاتها في الوقت الواحد

لا تقتصر على الحركات الدورية التي تنتقل بواسطة الموجات الهوائية فقط كالاهتزازات الصوتيـة بل تطلق على الحركات التي تنتقل بواسطة الموجات الاثيرية كحركات الحرارة والنور . فقد ثبت من مظاهر الحرارة المختلفة انه حينما ينبسط ضرب من ضروب الموجات الاثيرية على جسم دقائقه قابلة للاهتزاز بسرعة تلك الموجات الاثيرية ولانشاء موجات اثيرية مساوية لتلك الموجات في السرعة – تنتقل الحركة من الاثير الى دقائق ذلك الجسم . وقابلية دقائق الجسم لمساوقة حركة أي نوع من انواع الامواج الاثيرية تقضي بقابليته لانشاء ذلك النوع من الامواج الاثيرية . وبالتالي فالجسم الذي يمتص أي نوع من الحرارة يقدر ان يشع ذلك النوع منها

وفي المقالة التالية بحث مستفيض بهذا الشأن — نقولا الحداد

البلبل

طائرٌ ظلَّ طائرٌ ظلَّ يشدو · ظلَّ يشدو بكل لحن عجيب
غنني غنني ودعني أغني · بل تغني جوانحي بالوجيب
ليس شعري وليس شدوك شعراً · بل هما بل هما عصير القلوب
أروِ قلبي بكل لحن صبيب · أروِ قلبي بقلبك المسكوب
أسقني جرعة من النغم العذب · وغرد بشعري المحبوب
أنا اغري بي الانام فيصغون · واصغاؤهم له يغري بي
يا شبيهي بل ليس لي من شبيه · اين من طيشك الجنون الذي بي
أنت العوبة تطير بها الر · يح وقلبي العوبة للخطوب
ردد اللحن ردد اللحن ردد · ردد اللحن يا أخا المكروب

عبد اللطيف النشار

في شباب الامم تزهر الفنون الحرية ، وفي كهولتها العلم ، وفي شيخوختها الصنائع والتجارة

باكون

تقدم الامة هو مجموع جهد الافراد ونشاطهم واستقامتهم كما ان تقهقرها هو مجموع كسلهم وفسادهم وانانيتهم

سميلز

اطبع الطين ما كان ليناً واعمر العود ما كان لدناً

من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يحب

اقطاب الدهور – ٤

او مقدمة الانقلاب الاجتماعي العظيم

[الهلال] ننشر اليوم الخطبتين الرابعة والخامسة من سلسلة الخطب التي القاها « اقطاب الدهور » لاصلاح الجنس البشري وقد جاءت قبلهما خطب كونفوشيوس وزرادشت وابن سينا

خطبة افلاطون

الملوك والحكام

يرى افلاطون أن الناس في هذه الدنيا يعيشون في نفق مظلم في سقفه كوى تطل على العالم الاعلى . والحكماء هم الذين بلغوا مقبب ذلك النفق فاطلوا على العالم الآخر وعرفوا من حقائق هذا الوجود ما لم يعرفه عامة الناس . فلما وقف للخطابة ادار لولباً فدارت المقاعد بالحضور وهم يرتفعون في خط لولبي حتى بلغوا مقبب افلاطون فنظروا من تلك الكوى منظراً واحداً : رأوا الهيئة الاجتماعية في مهدها

رأوا رجلاً يدعى النمرود تفوق على اقرانه في البسالة والرماية فكان جباراً لا يطاق فقسا على الناس وسحق خصومه تحت قدميه . وكان متعطشاً لسفك الدماء والناس امامه كصغار النعاج امام الذئاب

هذه هي نشأة الملك

ولما مات نمرود خلّف ثلاثة وهم : الوحشي . والبربري . والمتمدن

﴿ الوحشي ﴾ كان يقطن اواسط أفريقيا وجزر المحيط . ودعي وحشياً لانه ضارع الوحوش في حروبه . فكان يأكل أسراه أكل الضواري . ورأى الاقطاب امامهم كثيراً من الحوادث كان جنود الوحشي فيها يقودون أسراهم الى ساحة يضرمون فيها النيران ويضعون أشلاء الاسرى عليها ثم يرقصون حولها رقصاً بديعاً قبل التهامها

﴿ البربري ﴾ موطنه غربي أفريقيا وجنوبيها وشرقي أسيا وشمالي أوربا . كانت حياة الناس رخيصة عنده . فكان يضحي بهم على قبور الموتى . ورأى الاقطاب عدة حوادث من هذا القبيل

﴿ المتمدن ﴾ ولم يشأ افلاطون أن يطيل في أمر الوحشي وأخيه البربري اذ كان يرغب في فضح معايب المتمدن واضراره بالهيئة الاجتماعية

واول من ظهر على العرش امام الاقطاب (فرعون) ملك مصر

عرف هذا الملك بالتعصب والغطرسة . فكان يسخر أسراه في ضرب اللبن وبناء

الاهرام والاهراء . ورأى الاقطاب امام عيونهم ألوفاً من أولئك الاسرى تعفر جباههم الثرى وكان الجلادون وقوفاً فوقهم يجلدونهم : جلودهم تتمزق ودماؤهم تسيل ولحومهم تتناثر . فذابت قلوب الاقطاب اشفاقاً على أولئك المظلومين

ثم زاد فرعون قسوة فامر بخنق الذكور المولودين لاولئك الاسرى والابقاء على الاناث . ثم زاد على ما ذكر وجعل يحرقهم في الاتاتين ويذري رمادهم في الهواء . ولما وقف امامه مصلح من آله ينذره بغضب الآلهة عليه ان هو لم يرعو عن غيه شمخ بأنفه الى العلاء كبراً وهزءاً بالآلهة غير هيّاب . وظل الفراعنة على ذلك خمسة آلاف سنة

تلاهم على عرش الملك (سنحاريب) وذريته على ضفاف دجلة . واتسع نطاق ملكهم فبلغ السند شرقاً والمتوسط غرباً

ورأى الاقطاب معاملته للاسرى من شر ما حدث تحت الشمس . فكان يجدع انوفهم ويصلم آذانهم ويسمل عيونهم ويبتر اطرافهم ويسلخ جلودهم ويلقي المئات منهم أحياء في بئر واحدة حيث يموتون شر موتة

ثم ظهر امام عيونهم (نيرون) الامبراطور الروماني المبتدع في التعذيب والاضطهاد . رآه الاقطاب في روشن قصره وقد صبّ على المسيحيين المواد الملتهبة وأشعلهم كالمصابيح . فكانوا يركضون في أزقة رومية وشوارعها ويصيحون من الالم . ونيرون يضحك مسروراً لهذه التسلية اللطيفة . ورأوا ألوفاً من الشيوخ والفتيان يقادون الى الارينا ويطرحون في ساحتها طعمة للسباع التي كانت تسحق عظامهم على مرأى ألوف من الناس حضروا هنالك لاجل المشاهدة والسرور

ثم رأى الاقطاب أمامهم قائداً شديد البطش صعب المراس خارجاً من سمرقند في قلب الاجيال المظلمة . فشن الغارات على الجهات الاربع . فاجتاح قسما كبيراً من آسيا . ورأوا جلاديه يقطعون رؤوس الناس في بغداد ويبنون بها اهراماً عالية . ولما أخبر الجلادون مولاهم ان الرجال قد نفدوا ولم يكمل بناء الهرم أمرهم ان يكملوا برؤوس النساء . فرأى الاقطاب ألوفاً من النساء يقدن الى أمام الجلادين حيث تقطع رؤوسهن لغير ما ذنب جنين سوى مسرة القائد (تيمورلنك) الطاغية التتاري

تلاه (عبد الحميد خان) الداهية الدهياء . رآه الاقطاب في يلدز كالاسد في عرينه . كان مسدسه محشواً وكثيراً ما أفرغه في جوف آنسة أو فتاة في سن السادسة . ورأوه يقرب اليه رئيس عشيرة أو أحد الاعيان ثم يأمر بتقديم قهوة مخصوصة لذلك المقرب فكان يقضي على اثر شربها . ثم يأمر بتشييع جنازة في مأتم حافل تسير مواكبه في الاستانة فتنطلق ألسنة الخطباء واقلام الصحافيين في كرم ذلك السلطان

وكان رسله في نفس الوقت ينفذون الخطة المرسومة لهم في بلاد الارمن : هناك اريق دم الابرياء وهتكت اعراض النساء ودنست المعابد وديست الحقوق

هنا أدار افلاطون آلته . فانقلبت الصفحة ورأى الاقطاب مشهداً جديداً

رأوا سيدة جميلة جداً تستحم في ساحة بيتها اسمها (بتشبع) . وقبالتها ملك اشتهر بالتقوى والورع فشاقه رائع جمالها . فاطاع شهوته وارسل فجلبها الى قصره واذلها ثم ارسل فقتل زوجها بيد الاعداء وهو من اكابر قواده واشرفهم . وضم بتشبع الجميلة الى نسائه . وهبط جبرائيل من السماء بلوحة كتب عليها : « أن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها »

ورأوا بعد ذلك ملكة اسمها (ايزابل) هي ابنة اشبعل ملك صور وزوجة آخاب أحد ملوك اليهود . كانت آية الله في خلقه جمالاً . فكان لها قوام البان وبياض العاج وعيون المهى ولين الخيزران . على انها كانت بؤرة فساد في البلاط دنست المملكة باسرها وآلت الى دمارها السريع

تلاها أمام الاقطاب (كليوباطرة) الجميلة الفاسقة قانصة القواد . ثم (كاترينا الثانية) ملكة روسيا و (كاترين مديشي) ملكة فرنسا و (هنري الثامن) ملك انكلترا و (بطرس الاكبر) و (نابوليون) وغيرهم من الملوك والعظماء

***

ثم مرّ تحت نظرهم حوادث يطول شرحها هي غاية في الفظاعة والشناعة منها أن الجباة كانوا يقبضون الرسوم من الاهلين مراراً عديدة المرة بعد المرة ويبتزون اموال الخزينة والناس يتضورون جوعاً اذ نفد المال من ايديهم

رأوا الارامل واليتامى يبيعون غطاءهم في قلب الشتاء ليدفعوا للحكومة رسوم اراضي جيرانهم المتنفذين

رأوا أرملة وأولادها يفلحون اراضيهم ويزرعونها ويسقونها ماء حياتهم ويدفعون المرتبات عليها للحكام . وفي وقت الحصاد يأتي الجيران الاقوياء ويدفعون تلك الارملة وصغارها عن الارض ويأخذون حاصلاتها والحكومة تؤيد عملهم

رأوا عصابات اللصوص تكمن في بيت الحكام الى منتصف الليل ثم يتسربون الى بيوت الناس وينهبونها . ورأوا أولئك المسروقين في ثاني الايام يضربون ويهانون لانهم افتروا على اصدقاء الحاكم واتهموه بالسرقة وهو براء منها — على زعم الحاكم

رأوا كثيرين يحملون اموالهم المنهوبة على ظهورهم واذا سئلوا أهذه لكم ؟ انكروا خوف العاقبة وقالوا انها ليست لنا وهم يعلمون انها ارزاقهم

رأوا الحرائر تجر من فرشها ليلاً الى حيث تدنس اعراضها وليس من يجرأ على

حمايتها وانقاذها فكن بعد ذلك يجززن شعورهن ويلزمن العزلة والمناسك حزناً على عرضهن المصون الذي دنسته أيدي الظالمين

وكانت الشعراء تتلو القصائد الرنانة في مدائح أولئك الجناة . ورأوا الازمات الشداد تحيق بالامم حتى اكلت النساء ابناءهن جوعاً . والظالمون يتنعمون بالاطايب واللذات وهم يدوسون بأقدامهم اجسام السيدات الخائرات جوعاً وحزناً

ولم يفه افلاطون ببنت شفة اكتفاء بما رآه اخوانه رأي العين مما قاسى الاجتماع من مظالم الحاكمين . وهبطت المقاعد بهم نزولا وانتهى المشهد الاليم

خطبة اوغسطينوس

رجال الدين

وعلى أثر افلاطون انبرى للخطابة القديس أوغسطينوس فيلسوف الكنيسة الاوحد . ولدى وقوفه أمام الاقطاب ازاح ستاراً على الحائط فرأوا امامهم طغمة من الكهان على أتم انتظام . يلبسون الكتان الابيض النقي ويستحمون اربعاً في النهار واثنتين في الليل ويحلقون شعور أبدانهم مرة في كل أربع وعشرين ساعة محافظة على الطهارة المتحتمة على كهان أوسيرس العظيم . وكانت اجواق المرنمين تحيط بهم وسحب البخور تطبق عنان الجو كأنهم في حضرة الآلهة

وكان لهذه الطغمة نفوذ عظيم في مصر فكان الملوك يصاهرونها ويعفونها هي واملاكها من الرسوم الواجب دفعها على باقي الناس

فماذا كان للبشرية منهم ؟ هل خففوا احمالها ولطفوا اثقالها ؟ لقد كانوا مشيري فرعون واعوانه بل قادته في فظائعه ومظالمه تلك المظالم التي اثقلت كواهل الامم

وقد شهد الاقطاب ما قاسى الناس تحت سيطرة هؤلاء الكهان . فكان الناس يعانون المشاق في الحفر والبناء وضرب اللبن وقطع الحجارة الى غير ذلك . والكهان هم علة القسم الاعظم من تلك المصائب

ثم أبرز الخطيب صورة أخرى وفيها طائفة من الكهان اشتهروا باسم (الكلدانيين) أو (المجوس) وهم حكماء بابل . وقد دان لهم مئة وثمان وعشرون أمة اذ كانوا قابضين على أزمة الامور في قصر الملك البابلي . وكانت لهم الارادة النافذة والكلمة التي لا ترد . على أنهم استخدموا هذه المنزلة وهذا النفوذ لهضم حقوق الناس واتمام شهواتهم النجيسة فكانوا في قصر الملك يغازلون الحسان ويعاقرون ابنة الدنان بينا عوامل الدمار تحل عقد المملكة حتى هبطت الى ادنى الدركات

هؤلاء الكهان بذلوا جهدهم في مقاومة المصلحين الخلصاء كدانيال ورفاقه . ومع احتفاظ الملك بهم وحنوه عليهم القوهم في جب الاسود وفي أتون النار . فلم يكتفوا بنشر مفاسدهم في المملكة بل اضافوا الى ذلك اضطهاد الصلحاء فخنقوا دمارهم وسعوا الى حتفهم بظلفهم . وقد رأى الاقطاب دعائم التمدن الكلداني تنهار بسبب فساد كهان تلك المملكة وغطرستهم . ورأوا الامة تنسحق تحت تلك الانقاض

ثم أبرز الخطيب صورة مثلت للحضور كهنة برهما وبوذة . وهما طائفتان مشهورتان في الشرق الاقصى لهما من النفوذ ما لكهان أوسيرس واهرمزدا في مصر وبابل . على أن من الظاهر الجلي أن انحطاط الهند والصين ووقوفهما وراء جميع الامم المتمدنة دليل على سوء تأثير أولئك الكهان وفساد أمورهم . فقد سيطروا على ضمائر أكثر من ستمئة مليون وحلوا محل الآلهة التي كانت على زعمهم تؤيدهم وتستند الى مشيئتهم

ومع كون الفريقين — البوذيين والبراهمة — وثنيين فقد اثاروا بعضهم على بعض اضطهادات دموية وصبوا على أمم الشرق الاقصى الكوارث والنكبات

ثم أبرز الخطيب صورة مثلت للاقطاب نظام الكهنوت اليهودي . لقد كان طغمة اللاويين أشرف طغمات الكهنة في كل الدنيا . وكانت مزودة بافضل سلاح أدبي . وكان ينبغي ان تكون افضل كهان الدنيا وانفعهم ولكن فساد هذه الطغمة كان مدهشاً فساءوا الى البشرية والى انفسهم اذ كانوا « يأكلون بيوت الارامل ولعلة يطيلون الصلوات » وكانوا « كالقبور المكلسة » نقية المظهر خبيثة المخبر « يحملون الناس احمالا ثقيلة لا يريدون ان يحركوها باصبعهم وكل اعمالهم يعملونها لكي ينظرهم الناس »

هـذا ما كان من أمرهم عموماً . ولما ظهر في وسطهم جليلي عرف بالاحسان الى الامة تميزوا غيظاً وقاموا عليه قومة رجل واحد وسلموه الى قضاء الموت ظلماً وعدواناً وقالوا « دمه علينا وعلى اولادنا » وكانت نتيجة مساعي اولئك الكهان ما عرفه التاريخ بسقوط اورشليم سنة ٧٠ المسيح

تلا ذلك تفرق الامة اليهوية في كل الدنيا وما حلّ بها من المذلة والهوان

هنا امرّ الخطيب صوراً عديدة امام الاقطاب بينت مساوىء الكهنة في كل العصور . فرأوا اولاد عالي يضاجعون النساء في بيت ابيه . ورأوا كهنة الشنار يتآمرون على سلب الرعية . ورأوا كهان دلفي يقودون الفواحش في هياكل منرفا . ورأوا ايضاً دسائس الكهنة في كل الاجيال واكاذيبهم واختراعاتهم وحيلهم

وعندها ابرز الخطيب لوحة كتب عليها ما نصه : « لسنا افضل منهم بكثير »

وتحت اللوحة ظهر ولد اسمه اوغسطينوس هو قس الخطيب الذي اراد ان يمثل

بنفسه لا بغيره تأدبا . كان هذا الولد ابن امرأة شديدة التدين في مدينة هبو في تونس الغرب . وكان ولداً فهما الا انه شرير جداً . عاش مع امرأة ردية عيشة السفاح فولدت له ولداً بالحرام رباه وصحبه الى رومية يوم دعي الى هناك مدرساً للبيان . واذ بلغته انباء ملانيوس اسقف ميلان ذهب الى كنيسته للتمتع ببلاغته . فاهتدى بوعظه وانضم الى الكنيسة صحبة ولده . وقد كتب اوغسطينوس خلاصة اختباراته الروحية في القضايا الآتية :

« لقد ارتني كل اختبارات الحياة اني خاطىء . واني خاطىء جداً . واني خاطىء كل يوم . واني خاطىء في كل احوال الحياة . واراني الاختبار المدقق ان كل انسان خاطىء نظيري فلا ثقة للانسان بالفوز برضاه تعالى الا بالنعمة والجود الالهي »

***

هنا ارخى اوغسطينوس الستار وفتح فمه قائلا :

اخواني ، بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن رجال الدين في كل العصور اقول :

انا لسنا افضل من احد من الناس . ولم نحن الانسانيـة النفع المتوقع منا فكثيراً ما كانت المطامع والشهوات رائدنا في اعمالنا . وقد رأيتم رأي العين غطرسة كهان اوسيرس في مصر . ومفاسد عباد مترا في الاناضول . وفضائح براهمة الهند . ومعايب بوذية الصين . ومكر مجوس بابل . وتحامل الفريسيين والصدوقيين في فلسطين

فهل كنا نحن افضل منهم ? من كان يحمل الاعلام المقدسة في مقدمة كل معركة ? ألسنا نحن الذين جنينا على الانسانية وحملناها فوق اوزارها اوزاراً . وأفسدنا اكثر مما اصلحنا واسأنا اكثر مما احسنا . وكنا حجر عثرة في سبيل المصلحين فلم نرض الالهة في السماء ولا نفعنا الناس على الارض ?

اجل لقد كان في استطاعتنا ان ننهض بالبشرية نهوضاً لا يستطيعه غيرنا . فلئن قعدنا عن ذلك فيما مضى وسكت عنا الناس لجهلهم فسوف يشددون في مطالبتنا بواجباتنا بعد ما حل بهم من المصائب فعلينا ان نصلح انفسنا قبل ان نسعى في اصلاح العالم

***

قال اوغسطينوس ذلك وقعد . فنهض اكويناس شمس مدارس اوربا وفيلسوفها العظيم ووضع يده على صدره وتقدم من اوغسطينوس بادب تام واحترام زائد وحنى الهامة أمامه وهو صامت دلالة على مصادقته على كلامه ورجع الى مكانه

فاثر ذلك جداً في الحضور لانه لم يكن افتراء على الكهان ورجال الدين . بل هو تصريح من اولئك الرجال انفسهم

حنا خباز

حرية البحار

أمس واليوم

تساءل الكثيرون لدى مطالعة أخبار الحرب عن المقصود تماماً من « حرية البحار » فلقد ردد الوزراء والخطباء هذه العبارة غير مرة ولم يفصحوا عن حقيقة مرادهم منها في حين انه من المتعارف المشهور ان مبدأ حرية البحار يعد ركناً أساسياً من أركان القانون الدولي في العصور الحديثة

على ان الكونت هرتلنغ المستشار الالماني قد القى أخيراً خطبة أبرز فيها ما تضمره المانيا من هذا القبيل وما تريده من طلبها حرية البحار . وقد حدانا ذلك الى ذكر كلمة في هذا المبحث الخطير نبين فيها تاريخ المسئلة وأحكامها المختلفة باختلاف العصور وماحدث بشأنها من المنازعات والاتفاقات فنقول :

لمحة تاريخية

ظل مبدأ حرية البحار مجهولا الى القرن السابع عشر . فقد كانت الدول البحرية القوية تخول لنفسها حق السيطرة على البحر وتجبر الدول الاخرى على الانصياع لاحكامها فيه . فمن ذلك ان المملكة الرومانية في ابان عزها جعلت البحر الابيض المتوسط بمنزلة بحيرة تحيط بها مقاطعاتها من كل جهة . ومنه ان البندقية في القرون الوسطى ادعت السيادة على البحر الادرياتيكي . وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر تقاسم سلطان البحر دولتا اسبانيا والبورتغال اذ خولهما هذا الامتياز البابا اسكندر السادس ومنحهما حق السيادة والتمتع على طرق الهند الشرقية والغربية

على ان التنافس التاريخي العظيم في هذا الباب قام بين انكلترا وهولندا في القرن السابع عشر . فان الاولى حرمت على الثانية دخول المياه التي تمخر فيها السفن الانكليزية. وقد دافع اذ ذاك عن حرية البحار كاتب هولندي شهير اسمه غروسيوس Grotius في كتاب سماه « البحر الحر » Mare liberum (سنة ١٦٠٩) فرد عليه كاتب انكليزي اسمه Selden مؤيداً دعوى انكلترا في كتاب اسمه « البحر المقفل » Mare clausum (سنة ١٦٣٥) . وقد كان لهذا الجدال شأن كبير في تاريخ القانون الدولي

التحية

وقد كانت الدولة صاحبة السيادة البحرية تجبر الدول الاخرى على تأدية التحية لسفنها

على البحار والقيام بواجب التبجيل والتوقير . حتى انها كانت تلجأ الى القوة في بعض الاحيان . وقد نشأ عن مسألة التحية منازعات كثيرة بين الدول وعلى الخصوص بين انكلترا وفرنسا وهولندا اذ ادعت كل منها السيادة على البحر وطالبت غيرها بتأدية واجب التحية لها

ولم تتوطد أركان مساواة الدول على البحر الا في القرن التاسع عشر فلم يعد للتحية ذلك الشأن وانما اقتصر معناها على التسليم . فليس من واجب السفن التي تتلاقى على البحر ان تتبادل التحية ولا يجوز استخدام القوة في هذا الباب حتى اذا لم ترد التحية لانها مسألة لياقة ليس اكثر . على ان بعض الاحوال قد تجعل لاهمال السلام أو عدم رده موقعاً سيئاً فيعدّ اهانة . وفي الغالب يكون حل هذه المسائل بالمفاوضات السياسية التي تنتهي بالاعتذار في اكثر الاحيان

وأهم العادات المتبعة اليوم من هذا القبيل هي : اذا التقت سفينة واحدة باسطول حيته أولاً — تؤدى التحية وترد باطلاق المدافع طلقة لطلقة — عند تلاقي سفينتين أو أسطولين تجب التحية أولا على الربان أو القومندان الذي له الرتبة الادنى — ليس من المحتم على السفن التجارية ان تحي السفن الحربية الاجنبية . ولكن هذه العادة شائعة والسفينة التجارية هي التي تبدأ بالتحية

اساس مبدأ حرية البحار

أما الاساس الذي تبنى عليه نظرية حرية البحار فذلك : أولا أن البحر ضروري للعلاقات التجارية والادبية بين الدول فلا تستغني عنه دولة بل هو أشبه شيء بالهواء الذي لا يستطيع احد احتيازه وامتلاكه . ثانياً أن البحر بطبيعته غير قابل للامتلاك اذ يتعذر حصره وتقييده وتحديده . ثالثاً ليس في مصلحة دولة ان تحتاز ما لا حد له ولا نضوب في حين انه يفيد الجميع وان الجميع يستطيعون ان يستفيدوا منه من دون ان يضروا بغيرهم

نتائج هذا المبدأ

لمبدأ حرية البحار نتائج عملية اليك أهمها :

اولاً حرية الملاحة

ثانياً حرية الصيد

ثالثاً استقلال السفن المختلفة في الجنسية بعضها عن بعض

رابعاً اباحة وضع الاسلاك التلغرافية في جوف البحر

على ان حرية البحار ليست مرادفة للفوضى ولا تنافي اتخاذ التدابير التي من شأنها تسهيل سير السفن وتنظيم الملاحة . ولذا فقد عقدت الدول اتفاقات مختلفة لهذا الغرض منها : الاتفاقات الدولية لمنع التصادم بين السفن ، واستخدام الاشارات المصطلح عليها للمفاوضة بينها ، واقامة المنارات ، وحماية الاسلاك التلغرافية الخ . . .

تطبيق المبدأ وشواذه

يجب تطبيق مبدأ حرية البحار بمجمله على البحار عموماً . على أن هناك شواذ لا بد من مراعاتها وهي :

﴿ اولاً ﴾ البحور الداخلية . أي الواقعة في داخل القارات . وهي نوعان : البحور المتصلة بغيرها كالبحر الاسود مثلاً والبحور غير المتصلة بغيرها كبحر قزوين والبحر الميت . فاما بحور النوع الاول فيسري عليها مبدأ حرية البحار (وللبحر الاسود حكم خاص لا محل لذكره هنا) وأما بحور النوع الثاني فليست حرة وأنما هي بمنزلة بحيرات داخلة في أملاك الدولة التي تملك شواطئها كالبحر الميت مثلاً . واذا كانت تلك الشواطئ ملكا لدولتين أو اكثر كبحر قزوين فانها تتمتع به فيما بينها على السواء من حيث حرية الملاحة والصيد ولا تستطيع احداها قبول سفن اجنبية فيه بدون موافقة الاخرى

﴿ ثانياً ﴾ المياه الساحلية . أي ذلك القسم من البحر المتصل بالشاطئ . فان لكل دولة حق السيادة على المياه المحاذية لشواطئها الى مسافة معلومة . ولكن هذه السيادة ليست مطلقة كما هي على اليابسة . فان الدولة لا تستطيع منع السفن الاجنبية من دخول مياهها عند الاقتضاء وانما القصد حماية الدولة لنفسها ومنع التهريب منها واليها . ولها الحق ايضاً بان تحرم الصيد في تلك المياه على غير ابناء رعيتها وأن تفتش السفن التجارية في جماركها وأن تمنع الدول الاجنبية في زمن الحرب من اتيان أي عمل عدائي في مياهها

أما امتداد تلك المنطقة فقد اختلف باختلاف العصور . وذلك لان قوة المدافع زادت زيادة عظيمة وبعُد مرماها فاتسعت المنطقة التي تستطيع حمايتها بالفعل . والمسافة المحتفظ بها اليوم تقدر بثلاثة اميال بحرية (والميل البحري ١٨٥٢ متراً) أي اكثر من ٥ كيلومترات ونصف كيلومتر

﴿ ثالثاً ﴾ الموانئ والمرافئ . فللدولة السيادة المطلقة عليها كما على سائر مدنها وجهاتها . انما نظراً « لحق الاتجار » المعترف به بين الدول لا يجوز حرمان السفن الاجنبية من دخول الموانئ التجارية . أما الموانئ الحربية فللدولة الحق في تحريم دخولها اذا كانت سلامتها تقتضي ذلك

﴿ رابعاً ﴾ الخلجان. فانها تدخل تحت سيطرة الدولة المالكة لشواطئها متى كان في استطاعتها أن تحميها بالفعل أي اذا كان مدى مدافعها يشملها با كملها. أما اذا كانت الخلجان منفرجة فان سيادة الدولة تنتهي عند حد منطقة مياهها الساحلية

﴿ خامساً ﴾ المضايق الصناعية أي الترع البحرية. وهي التي تصل بين بحرين فانها متى كانت محفورة في ارض دولة واحدة اي انها حرّة تصبح تحت سلطتها . أما المضايق الطبيعية فتدخل تحت حكم حرية البحار (وللدردنيل والبوسفور حكم خاص ومسئلتهما مرتبطة بمسئلة البحر الاسود) . على ان الترع البحرية قد تصبح ذات صفة دولية عامة بتنازل الدولة المالكة لارضها عن حق السيادة المطلقة عليها . كما هو الحال مع قنال السويس

ما يريده الالمان بحرية البحار

ذكر الدكتور ويلسون في رسالته الى مجلس الامة الاميركية عن هذا الموضوع ما يأتي :

ان الشرط الثاني من شروط الصلح في العالم كله « أن تعطى الحرية المطلقة لسير السفن في البحار خارجاً عن مياه السواحل . سواء كان ذلك في ايام السلم او في ايام الحرب . ويستثنى من ذلك البحار التي يقفل بعضها أو تقفل جميعاً بقرار من الدول لتنفيذ اتفاق بينها »

هذا هو نص الدكتور ويلسون واليك رد الكونت هرتلنغ على هذا القول :

« ان الدكتور ويلسون يطلب حرية البحار وهذا الطلب هو من أهم مطالب المانيا بل هو أول تلك المطالب لانا نطلب حرية الاتجار بالبحار سواء كان في ايام السلم أو في ايام الحرب فلا خلاف اذن بيننا على هذا الوجه . وكل ما في الامر ان كلام الدكتور ويلسون مبهم غامض وبعد من الفضول ولا ينزل منزلة الاعتبار

والمهم أن ترفع اليد عن المواقع البحرية المعززة المحصنة في طريق السفن والبواخر كالمواقع التي تملكها انكلترا في جبل طارق ومالطة وعدن وهونغ كونغ وجزر فالكلند وسواها »

وقال الكونت كزرنين مستشار الامبراطورية النمساوية :

« أما كلام الدكتور ويلسون في حرية البحار فانه يتفق مع افكار الجميع وآرائهم واغراضهم واني أقر الدكتور ويلسون على كل اقواله في هذا الموضوع »

فريدريك الثالث

والد غليوم الثاني

هو فريدريك الثالث ابن غليوم الاول امبراطور المانيا الذي انتصر على فرنسا انتصاره الشهير سنة ١٨٧٠ وهو ثاني امبراطور تبوأ العرش الالماني (بعد اعلان الامبراطورية). ولكن لم يقدر له أن يحكم اكثر من ثلاثة اشهر فوافته منيته قبل اوانها ومات بداء السرطان بعد أن قاسى من الالام أشدها. هذا مجمل سيرته ولا شك في ان



فريدريك الثالث

القارئ يود أن يلم باكثر من ذلك نظراً للدور الخطير الذي يلعبه الآن ابنه غليوم الثاني وأن يقف على آراء ذلك الامبراطور وامياله حتى يستطيع أن يقابل بين الوالد والولد

وُلد فريدريك في ١٨ اكتوبر سنة ١٨٣١ وقضى شبابه في الجندية مثل سائر آل هوهنزلرن فسكن الثكنات تمرن فيها وتدرب على الفنون الحربية مما جعله اهلاً لقيادة الجيوش . وكان حاد الذهن حر الافكار لا يطيق الانقياد لغير رأيه . وقد خلفت الثورة الفرنسية التي حدثت في سنة ١٨٤٨ اثراً حسناً في نفسه فحببت اليه الاستقلال بالرأي والصراحة في القول . واكبر دليل على ذلك انه تزوج ابنة الملكة فيكتوريا رغم معارضة اقربائه ورجال البلاط . ثم انه حالما تبوأ العرش سعى في التملص من

سلطة مستشاريه ووزرائه ومن حوله ليستقل في الحكم . وكثيراً ما شكا بسمارك من عناده وعنفه

وكان فريدريك غيوراً على مصلحة بلاده حريصاً على نجاحها وتقدمها . وهو في مقدمة الذين عملوا لتأليف الاتحاد الجرماني وتوطيد دعائمه

وقد كان شديد الاعجاب بنابوليون الثالث وبفرنسا . غير انه كان يرى كغيره من البروسيين ان الحرب مع فرنسا أمر لا بد منه وان مجد آل هوهنزلرن لن يتم من غير مس جيرانهم . ولذلك لم يهمل وسيلة من وسائل الاستعداد والتأهب . فلما نشبت الحرب سنة ١٨٧٠ سلم اليه اركان الحرب قيادة أحد الجيوش الثلاثة التي غزت فرنسا . فقام بوظيفته خير قيام . ومما امتاز به فريدريك على سائر زملائه القواد انه كان ينهي جنوده عن ارتكاب الفظائع والمنكرات ويأمرهم باللين والرأفة مع الاهلين كما تثبت ذلك مذكراته التي نشرت بعد موته ، بخلاف ما كان في الحرب الحاضرة من صنوف السلب والنهب والارهاب التي ارتكبها الالمان

ولم يكن فريدريك أقل رغبة من بسمارك أو غليوم الاول في الانتصار . وقد اشترك في المفاوضات التي انتهت بتسمية والده « امبراطوراً » . الا انه لم يفرح بهذا اللقب لذاته بل أراد ان يكون اسماً لمسمى حقيقي وان ينال امبراطور المانيا ما كان لامبراطرة الرومان من النفوذ والسلطة المطلقة

وقد جاء في مذكراته في تاريخ ١٨ يناير سنة ١٨٧١ ما يأتي :

« ينبغي للملك وخلفائه ان يجعلوا الامبراطورية المجددة حقيقة بهذا الاسم . . . ان الآمال التي طالما تغنى بها أسلافنا وأحلام الشعراء الالمان قد تحققت . . . اذ قامت الامبراطورية الرومانية ثانية بعد تبديل رأسها وأعضائها . . . »

وكان فريدريك يتهيأ بفروغ صبر للجلوس على عرش آبائه حتى يقوم بالمهمة المقدسة الملقاة على عاتقه . ولكنه لما توفي أبوه كان قد أصيب بداء ليس من بعده شفاء وهو داء السرطان . فعلم انه مقضي عليه وان أيامه باتت معدودة . وبالرغم من ذلك ومما كان يقاسيه من صنوف الالم والعذاب لم يفكر قط في اخلاء العرش لولده أو التنزل له عنه فقد أراد ان يقوم بمهمته لآخر نسمة من حياته

ولما تيقن بسمارك ان أيام الامبراطور أصبحت معدودة جعل يؤجل النظر في المشاكل الى بعد وفاته حتى يتيسر له اذ ذاك ان يحلها على ما يرى . غير انه توفق في هذه الاثناء الى حمل الامبراطور على امضاء قرار مجحف بالالزاسيين ولعله توصل الى ذلك نظراً لضعف سيده وتأثير المرض في قواه العقلية

ومن الامور التي بقيت غامضة تعليل ما كان من جرأة الاستاذ جفكن الذي عهدت اليه مذكرات الامبراطور واقدامه على طبع تلك الاوراق ونشرها من غير استئذان الامبراطور غليوم الثاني . وربما كانت أرملة الامبراطور السابق هي التي حملته سراً على ذلك رغبة منها في تخليد ذكر زوجها

وقد قام بلاط برلين وقعد عندما بلغه هذا الخبر . فاقام بسمارك الدعوى على ناشري هذه المذكرات ولكن المحكمة برأت المتهمين . وقد كتب فريدريك مفكراته هذه وهو لا يزال ولياً للعهد وفيها تفصيل علاقاته مع المستشار وآرائه وامياله من حيث مصير المانيا ونوع الحكومة فيها وقد خالف بسمارك في أمور كثيرة . وقد كان يرى توثيق عرى الاتحاد بين الشعوب الالمانية وتخفيف نفوذ الامراء وسلطتهم لمنفعة الشعب

ومما جاء في مذكراته عن ولده غليوم ما كتبه عند بلوغه الثالثة عشرة من عمره. قال:

« اليوم بلغ ولدي غليوم الثالثة عشرة من عمره . فهل يا ترى يصير ذلك الولد يوماً رجلاً قوياً مخلصاً اميناً بل المانياً صميماً فيحكم من غير تقيد برأي سابق أو زعم باطل »

وجاء بعد ذلك :

« اني لاجزع عندما افكر في الآمال المعلقة بهذ الولد والمسؤولية العظيمة الملقاة علينا في تعيين الوجهة التي نتبعها في تثقيفه »

وبالجملة فان فريدريك وان يكن قد اذكى في ولده روح الغطرسة الالمانية فانه اوصاه ان يكره الحرب ويحترم حقوق الغير ويتذرع بالعدل والحق . فهلاّ اطاع الولد أباه في ذلك وأراح العالم من اثقاله واحزانه

كلمات لارسطو

قال ارسطو : اعلم انه ليس من احد يخلو من عيب ولا من حسنة فلا يمنعك عيب رجل من الاستعانة به فيما لا نقص به فيه ولا يحملنك ما في رجل من الحسنات على الاستعانة به فيما لا معونة عنده عليه

قال : اطلب الغنى الذي لا يفنى والحياة التي لا تتغير والملك الذي لا يزول والبقاء الذي لا يضمحل

اهربوا من اللذات لانها تسترق النفوس الضعيفة

لسان الجاهل مفتاح حتفه

بالتجارب تأدب وبتقلب الايام عظة

ذكاء المرأة

وهل يعادل ذكاء الرجل

نشرنا في الهلال الماضي مقالة عن « أعداء المرأة وما قالوه فيها قديماً وحديثاً » فاختلف وقعها لدى القراء اختلافاً تراوح بين رمينا من جهة بالانخراط في صف اعداء الجنس اللطيف واتهامنا من جهة أخرى بالتملق له ومداهنته وخوف المجاهرة برأينا الصريح . والحقيقة اننا انما قصدنا ايراد تلك الاقوال على سبيل الفكاهة والعلم بالشيء (وناقل الكفر ليس بكافر) لا بقصد ابداء رأينا الخاص أو التلميح اليه ضمناً . وقد عرضت لنا فيما مضى فرص كثيرة لم نحجم فيها عن ابداء رأينا في هذا الموضوع — وفي الاهلة الماضية غير شاهد على صدق قولنا هذا — بل ما عسى ان يكون رأينا ان لم يكن هو رأي سواد المنصفين المفكرين الذين لا يرجون تقدماً صحيحاً دائماً للجنس البشري ما لم يتعاون في سبيله شطرا البشرية معاً فينال كل فريق نصيبه الكامل من الحياة

ولا ريب في ان المرأة ستخرج من الحرب الحاضرة اعظم واقدر مما كانت . فلقد فتحت امامها أبواب كثيرة كانت مغلقة في وجهها فضلاً عن المهن والحرف العديدة التي اتقنتها وتقدمت فيها تقدماً عجيباً . وقد اخذ الكتاب الاجتماعيون يبحثون منذ الان في ما يكون من هذا الامر في المستقبل اذ انهم يتوقعون منافسة شديدة بين الرجال العائدين من ساحات القتال والنساء اللواتي اشتغلن باشغال مختلفة في اثناء الحرب . وقد حدانا ذلك الى النظر في مقدرة الرجل والمرأة والمقابلة بينهما من حيث قواهما العقلية واستعدادهما للعمل معتمدين على ما كتبه العلماء الاوربيون في هذا الموضوع ولا سيما العلامة جان فينو [١]

***

تعود الرجل ان يرى في نبوغ المرأة امراً شاذاً خارقاً للطبيعة . فهو يعد نبوغ الاسكندر ونابوليون وغليليو وباستور واشباههم من الحوادث البسيطة التي لا تستدعي الدهشة في حين ان نبوغ كليوباطرا وجان دارك وكاترينا الثانية وامثالهن هو في نظره من ضروب العجائب وزلات الطبيعة

ومن الغريب ان الجهال والعلماء من الرجال يكادون يتساوون في عدهم المرأة قاصرة في مجال العلم والاختراع على الخصوص. فهي عندهم صاحبة السيادة في عالم المشاعر

(١) Jean Finot : Préjugé et Problème des Sexes

والعواطف فقط أما ما يقتضي انعام الفكر واجهاد العقل فلا طاقة لها به . فالغرض من هذه المقالة إدحاض تلك الدعاوي الكاذبة وبيان مقدرة المرأة الحقيقية في ميدان الفكر والابتداع والاستنباط

على أنه ليس من ينكر ان الرجل اليوم متفوق في الواقع على المرأة في الفنون والعلوم اجمالا . هذه حقيقة راهنة لا سبيل الى تجاهلها . انما ما ينبغي بيانه هو ان ذلك التفوق ليس ناشئاً عن فرق متأصل في قواهما ومواهبهما فما هو الا نتيجة ما تحملته المرأة من الذل والظلم في العصور السالفة مما قيد عقلها وأطفأ نور ذكائها . وسنرى ان مواهب المرأة الكامنة مابرحت تتفجر كلما سنحت لها الفرص وسمحت بذلك حالتها الادبية والاجتماعية

* * *

وقد شهد العالم في السنين الاخيرة ولا سيما بعد نشوب الحرب تطوراً عظيماً في حياة المرأة فلقد دخلت المصانع واحترفت الطب والمحاماة وتوظفت في المصالح والمصارف وقامت بجل الاعمال التي كان يحتازها الرجل . قال المستر لويد جورج في خطبة القاها اخيراً : « لا ادري ماذا كان يحل ببلادنا لما سار رجالنا الى ساحة القتال لو لم تقم نساؤنا باعباء ما أصابهن من العمل في خدمة الوطن . فقد قدمن في سبيل الدفاع عنه خدمة لا تقدر لها قيمة ولولا حذقهن وغيرتهن ولولا جدهن وكدهن في تخفيف اثقال هذه الحرب ومقاسمة رجالنا أتعابهم ومشاقهم لاستحال علينا نحن الرجال ان نخوض غمارها ونسلك سبيل الفوز والظفر فيها »

وبينا هذا الانقلاب الاجتماعي الخطير آخذ مجراه ترى معشر الرجال غافلين عن أدراك معناه متجاهلين عما سيجره على العالم من التبديل والتغيير في نظام المعيشة والاجتماع . بل كأن الرجال يتعللون بان هذا كله عرضي وان المرأة سوف تخلي السبل التي سلكتها وترجع عن الميادين التي غنمتها — وفاتهم ان مجاري الاجتماع وسننه صارمة كالقضاء المبرم ليس بالسهل تحويلها أو التلاعب بها

أجل . ان من مصلحة الرجل ان يدرك ان الطبيعة قد وهبته رفيق سفر مساوياً له وليس مخلوقاً أحط منه ليخضع له ويخدمه · فانه بناء على المبدأ العقلي القائل بان « من استطاع الاكثر استطاع الاقل » لا بد لنا من الحكم بان المرأة - التي بلغت في بعض الاحوال أعلى مراتب الرقي البشري في العلم والاختراع كما في السياسة والادارة والحرب (كما سنرى) — تستطيع القيام بالمهام المعاشية البسيطة التي هي أقل صعوبة وأقرب منالا

وقد دلت المباحث الحديثة في منشأ العلوم والفنون على ان للمرأة قسطاً وافراً من الاختراعات والابتكارات التي كان من شأنها قلب مجرى الاجتماع والحضارة . فمن ذلك

ان التلغراف الهوائي من اختراع امرأة اسمها ادوسا . ومنه ان أول من علم الغزل امرأة الامبراطور الصيني ياو من أهل القرن الرابع والعشرين قبل المسيح . وأول من مارسه عند اليهود امرأة (نحو سنة ١٩٩٧ ق . م .) . كذلك يقال ان الملكة سميراميس اخترعت المركبات المسلحة بالجاز . واخترعت الحربة احدى النساء المعروفات بالامازون واسمها بنتزيله

ويرجح ان فن الرسم من مبتكرات فتاة يونانية اسمها كاليروه رسمت يوماً صورة خطيبها فكان ذلك منشأ الرسم

والارجح أيضاً ان المحراث من اختراعات المرأة . بل ان معظم علماء الانثروبولوجيا (علم الانسان) يرون اليوم انه بينما كان الرجال في العصور الخوالي يقومون بالغزو والصيد كانت النساء يلزمن مآويهن فاستطعن بذلك ان يقمن بمهامهن السلمية وان يخترعن الادوات ويبتكرن الطرق التي كان من شأنها تقدم البشرية

* * *

لقد أقلع المفكرون اليوم عن عدّ التاريخ كأنه تاريخ الرجل فقط وعن درس الحضارة كأنها حضارته وحده . فان جميع العلوم قد جاءت بالبراهين المبينة للقسط الوافر الذي كان للمرأة في رقي الجنس البشري

ويستدل من درس الدور السابق للدور التاريخي ان المرأة كانت البادئة في الزرع والحصد وان يكن الرجل قد عاونها في اقتلاع الاشجار وحرث الارض . ولا يخفى ان اعمال الارض كان الخطوة الكبرى في تقدم البشر . يؤيد ذلك ما يؤخذ من درس طبائع القبائل المتوحشة اليوم وما يستفاد من أخبار الشعوب التي عاشت على البداوة . ويؤيده أيضاً ان الاحتفالات الدينية التي كانت تقام عند معظم الشعوب القديمة لاجل الزراعة انما كان يقوم بها النساء

كذلك استدلوا أيضاً على ان المرأة هي التي صنعت الملابس من الجلود التي كان يأتي بها الرجل . وهي التي بنت المساكن بالاشجار التي كان يسقطها رفيقها . وهي التي غزلت الصوف وعرفت النسج وغسلت الاثواب واستحضرت الطعام وعملت الخبز وصنعت الفخار والمشروبات . ولكل ذلك أدلة يطول بنا ايرادها في هذا المقام

ثم ان المرأة هي التي أقامت الاسواق في القرى للمقايضة والمبادلة وقد كان لها فيها السيادة والاستظهار على الرجل . ولا يزال الحال كذلك عند معظم الشعوب غير المتحضرة . ولا يبرح من الذهن ان الاسواق القروية هي الاساس الذي شيد عليه بناء التجارة العظيم بل هي جرثومة الحياة الاقتصادية

هذه نظرة اجمالية القيناها على منشأ الفنون التي كانت قوام الاجتماع البشري ومنها يرى القارىء مبلغ تأثير المرأة في حياة الرجل والدور الخطير الذي لعبته في تاريخ العمران

* * *

ولننتقل الآن الى ميدان العلوم . فهل للمرأة فيه آثار تستحق الذكر ؟ أجل . انما ينبغي ألا يبرح من الذهن انه قلما كان للمرأة من تربيتها وبيئتها ومهامها البيتية ما يساعدها على ابراز ذاتيتها وتحرير عقلها ونفسها . بل انه لمن دواعي الدهشة أن تستطيع المرأة اتيان ما اتته مع الضغط الذي تحملته . فانك اذا استخرجت نسبة النساء النابغات في العلوم الى مجموع النساء اللواتي اشتغلن بها وجدت تلك النسبة اكثر منها عند الرجال . وهو ما يعزب عن بال الكثيرين . ولا شك انه عند ما يدون التاريخ بانصاف يكشف النقاب عن كثيرات من اهل العبقرية والابتداع

فمن خطر له ان الفلسفة الوضعية Philosophie positive التي كان لها ذلك الاثر العظيم في تاريخ الفكر البشري انما استقاها اوغست كونت ربها وناشرها من تعاليم امرأة وهي صوفيا جرمان العالمة الرياضية الفريدة ؟ ان كونت نفسه اقرلها بهذا الفضل ولكنها مع ذلك نُسيت وأهمل ذكرها حتى عند الذين استفادوا بعلمها ومؤلفاتها الكثيرة

يطول بنا الشرح لو اردنا تعداد اسماء النساء اللواتي نبغن في كل علم من العلوم وانما نقتصر على ايراد اسماء العالمات النابغات في علم واحد منها — نعني علم الفلك — مثالاً لغيره من العلوم :

ذكر بلوطرخس اسم الاميرة اغانيس المصرية وقال انها كانت تتنبأ بالمستقبل مستعينة بحركة الافلاك . وكانت أغلاونيس في تساليا تنبئ بالخسوف والكسوف . ومثلها اسكلابيجني في اثينا . أما هيباثيا فقد تفوقت على جميع علماء عصرها في سعة معارفها وهي اول من صنع رسماً مصفحاً للفلك واول من اخترع الاسطرلاب كما انها ألفت اول كتاب في علم الجبر

وما برح للنساء من ذلك الحين فضل عميم على علم الفلك فقد ظهر منهنَّ غير عالمة في اقطار مختلفة . فمنهنَّ في المانيا ماريا كونيسيا ، ومرغريت كرش ، ومدام رمكر ، ولكل واحدة منهن مؤلفات واكتشافات ذات شأن . ومنهن في فرنسا جان دومية التي دافعت عن مذهب دوران الارض واثبتته في زمن كان سواد العلماء ينكرونه ، ومدام دوشاتليه صديقة فولتير التي ترجمت كتاب « المبادئ » في الفلسفة الطبيعية لنيوتن وعلقت عليه الحواشي وقد قال عنها فولتير « ان المرأة التي ترجمت نيوتن وشرحته لجديرة

بان تعد رجلاً عظيماً » ، ومدام ليوت ، ومدام لاتوند ، ومدام دوبيري ، ومدام ڤيلارسو ، ومدام كليانس روايه التي ترجمت مؤلفات داروِن . وغيرهن كثيرات

ومن أشهر النساء العالمات كارولين هرشل (١٧٥٠ — ١٨٤٨) التي عاونت اخاها العالم المشهور في اعماله العظيمة ولها فضلاً عن ذلك اكتشافات قامت بها لوحدها منها اكتشاف ٨ مذنبات ولها ايضاً مؤلفات فلكية ذات شأن . ومنهن مدام سومرفيل صاحبة عدة مؤلفات جليلة

ومن فروع علم الفلك فرع حديث اسمه « الاستروفيزيك » يبحث في تركيب الاجرام الفلكية وقد كان مؤسساه السر وبليم هجنز وقرينته فانهما تعاونا على العمل اكثر من نصف قرن

ويجدر ذكر تريزا ومادلين اعنيسي وكاترين سكاربليني من الايتاليات . وصوفيا كوفالفسكي من الروسيات

اقتصرنا في ما تقدم على ذكر العالمات في علم الفلك دون غيره . بل لم نذكر الا النابغات فيه . ولو اردنا تعداد العلوم الاخرى لضاق بنا المجال . وانما نكتفي بالاشارة الى عالمة واحدة لها اكبر فضل في علم الطبيعيات نعني مدام كوري مكتشفة الراديوم مع زوجها . وقد كان ينسب اليه معظم الفضل في حياته ولكن ما أظهرته مدام كوري بعدموته من براعتها وقوة ابتداعها ودقة بحثها قد بهر علماء اوربا جميعاً

***

وقد اشتهر عند العرب غير واحدة بالعلم والادب فضلا عن اشتهار كثيرات في التعقل والحزم والشجاعة والفروسية مما ورد ذكره غير مرة في الهلال . وحسبنا أن نستشهد في هذا المقام بما ورد في رسالة فرنسية نشرها اخيراً صاحب السعادة محمد مجدي باشا (ذكرناها في الهلال الثاني من هذه السنة) عن تراجم ١٩ امرأة مسلمة عالمة في القرن الثامن للهجرة عثر عليها في مخطوط في مكتبة السادات في مجلدين تأليف الشيخ محمد ابن يحيي المقدسي من علماء القرن العاشر للهجرة وهو مختصر تأليف للامام تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ وقد ذكر هذا العالم في مقدمة كتابه اسماء من تلقى عنهم العلم ونال منهم الاجازة بالتعليم وبينهم ١٩ امرأة عالمة

***

واذا انتقلنا الى ميدان الاختراع وجدنا شواهد بينات على اقتدار المرأة فيهذا المضمار ايضاً . ويكفي مراجعة سجلات الاختراعات في الدول الكبرى حتى تستولي الدهشة على الباحث لكثرة ما يجده من ابتكارات النساء

على ان هذه الحركة حديثة العهد فقد كانت همة المرأة تُثبط في معظم الاحيان بل كان يحرم عليها نيل امتياز أو شهادة تخولها حق استثمار مبتكراتها فضلاً عن ان المدارس العالية كانت مقفلة في وجهها

فاول اختراع سجلته امرأة اميركية يرجع الى سنة ١٨٠٩ وهو آلة لنسج القش اخترعتها مدام ماري كايس . وظلت الاختراعات النسائية قليلة الى سنة ١٨٦٠ ولكنها ما برحت تتزايد منذ ذلك الحين حتى انه في معرض اتلنتا باميركا في أواخر القرن التاسع عشر دهش المشاهدون من الآلات والنماذج البديعة التي وضعتها النساء وكانت قد جمعت كلها في مكان واحد

كذلك في فرنسا وغيرها من الدول الاوربية تجد للنساء اختراعات كثيرة مما لا محل للافاضة فيه هنا

وخلاصة القول ان المرأة قد اثبتت مقدرتها في كل مجال حتى في المسائل التي كان يظن انها اكره الامور عندها . فليس بينها وبين الرجل فرق جوهري في الذكاء والمقدرة . ولا ريب في انها متى استعادت حريتها واستقلال فكرها تسير بالانسانية خطوة واسعة نحو الكمال

اقوال في السلم

السلم جوهرة ثمينة في نظري حتى لاود التنزل عن أي شيء للحصول عليها ، اللهمّ ما عدا الحق — م . هنري

للسلم انتصارات لا تقل قيمتها عن قيمة انتصارات الحروب — ملتن

انا نحب السلم ، ولكن ليس باي ثمن . فان هناك سلماً أشد فتكاً في مروءة الشبان من فتك الحرب في اجسامهم . وان السلاسل لشر من الحراب — جرولد

الاستعداد للحرب من خير الوسائل المؤدية الى توطيد السلم — وشنطن

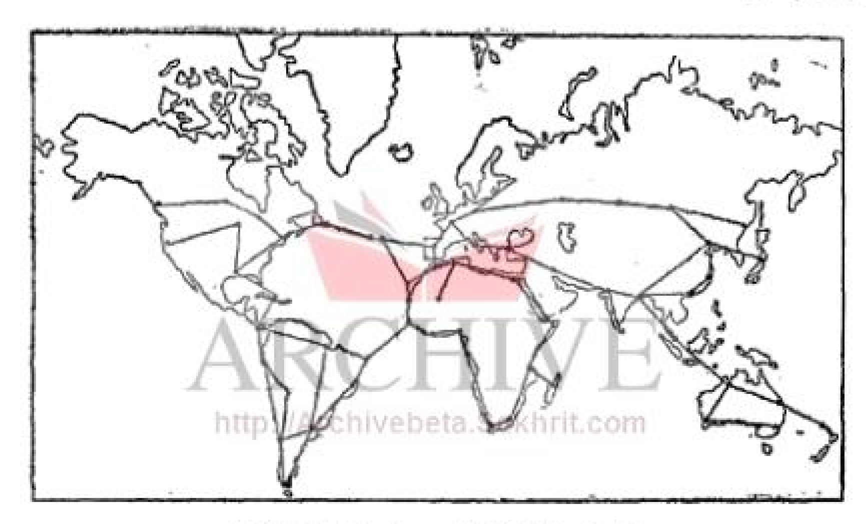
اني نصير السلم . والله يعلم اني احب السلم . ولكن ارجو الا يبلغ بي الجبن مبلغاً يضلني عن التمييز بين الظلم والسلم — كوسوث البطل البولوني

السلم ضرب من ضروب الفتح . . . — شكسبير

الطيران والتجارة

بعد الحرب

ان ما حازه فن الطيران في السنين الاخيرة من التقدم السريع قد لفت انظار اهل البحث من العلماء وجعلهم يدرسون من الآن أوجه استخدام هذا الفن بعد الحرب والاستفادة منه في المهام السلمية . وهم يعلقون عليه آمالا واسعة ويتوقعون ان يصبح واسطة لاحكام الترابط الاقتصادي بين الامم بحيث يكون متمماً لطرق الاتصال البرية والبحرية



الطرق الهوائية المنوي انشاؤها في العالم

وتقدر المدة اللازمة لقطع المسافة بين لندن ونيويورك بيومين . وبين لندن وبغداد يوم ونصف . وبينها وبين مدينة الراس بثلاثة ايام ونصف . وبينها وبين بونس ايرس بيومين وثلاثة ارباع اليوم . وبينها وبين طوكيو بأربعة ايام ونصف . وقس على ذلك

وقد لخصت مجلة « الهندسة » الانكليزية خطاباً في هذا الشأن القاه المستر هولت توماس في جمعية الطيران الملكية البريطانية جاء فيه :

ان المانيا مع اهتمامها العظيم بالحصول على التفوق الحربي في الهواء لم تبرح تنظر في طرق استخدام الطيران لغير المهام الحربية كتوثيق عرى المواصلات بينها وبين حلفائها بل قد تعدت ذلك وأخذت تبحث منذ الان في الاماكن التي يمكنها ان تنشىء فيها محطات للطيارات بعد انتهاء الحرب

فلقد أصبحت آلات الطيارات الحديثة اتم وأوفى بكثير مما كانت عليه قبل الحرب .

واصبح من الميسور اليوم انشاء عدد كبير من الطيارات في وقت قصير . زد على ذلك ان هـذه الحرب ستخلف رجالاً كثيرين مدربين على ادارة الطيارات — كل ذلك كان من شأنه حمل بريطانيـا العظمى وفرنسا على ان يتباحثا في أمر استخدام الطيران للمواصلات التجارية . ومما لاريب فيه انه سيطرأ على الحالة الاقتصادية بعد الحرب تغيير يذكر من جراء استخدام الطيارات للمواصلات . وكما اضطرت الدول في أثناء الحرب الى صنع أنواع مختلفة من الطيارات لكل نوع منها وظيفة خاصة به كالهجوم والدفاع والاستكشاف وارشاد الطيارات وغير ذلك فمن المتوقع كذلك ان تصنع بعد الحرب أنواع مختلفة من الطيارات يكون كل نوع منها مخصصاً لوظيفة معينة كنقل البريد ونقل الركاب وغير ذلك

وقد دلت التجارب التي أجريت حتى الآن على ان معدل ما يكلفه نقل الاحمال في الميل الواحد هو كما يلي :

١٨٠٠	ليبرة (رطل)	١٣ سنت اميركي	أي ٢٦ مليماً
١٠٠٠	»	١٠ »	أي ٢٠ »
٤٥٠	»	٥ »	أي ١٠ مليمات

وعلى هذا المعدل وجدوا ان نقل ٢٥٠٠ ليبرة من باريس الى لندن (والمسافة بينهما ٣٠٠ ميل) يكلف ريالا اميركياً واحداً و١٦ سنتاً اي ما يعادل ٢٣٢ مليماً . والطيارة المعدة لمثل هذا العمل تستدعي من النفقات نحو ١٢٥٠٠ ريال اي ٢٥٠٠ جنيه . والمال اللازم للانفاق على المحطات والمنارات التي ينبغي انشاؤها عند كل عشرة أميال تقدر بنحو ١٢٥ ريالاً في السنة لكل محطة . وستستغرق هذه السفرة الهوائية ساعة واحدة في حين أنها تستغرق اليوم ٧ ساعات براً وبحراً

وهذه الطيارة تستطيع ان تنقل في دفعة واحدة ١٢ راكباً يدفع كل واحد منهم ٢٥ ريالا اي ٥ جنيهات . فاذا استعملت اربع طيارات من هذا النوع وكانت في كل مرة مكتملة عدد الركاب جلبت لاصحابها ربحاً قدره ٢١٥٠٠٠ ريال في السنة . اما اذا اقتصرت الطيارة على نقل ٩ ركاب كل مرة لم يكن ثمت ربح واذا قلوا عن هذا العدد كان هناك خسارة

اما البريد بين باريس ولندن فيمكن نقله بمعدل مليمين للاوقية فاذا حملت كل طيارة ٢٠٠٠ ليبرة كان الربح السنوي على هذا التقدير ٣٠٠٠٠٠ ريال

واذا أنشىء طريق للطيران بين لندن ومرسيليا امكن قطع المسافة بينهما في ثماني ساعات بدلا من ثلاث وعشرين ساعة . والنفقة نحو ١٠ جنيهات . كذلك يمكن النزول في

موسكو أو الاستانة في أقل من عشرين ساعة بعد مغادرة لندن بنفقة نحو ٢٥ جنيهاً على الراكب الواحد وقرش صاغ لاوقية البريد

وقد يتراءى لاول وهلة ان ما يستدعيه انشاء المواصلات الهوائية من النفقات الاولية باهظ جداً . ولكن الامر في الحقيقة ليس كذلك : فان نفقات الطرق الهوائية هي اقل من نفقات أي طريق آخر للمواصلات . فهي لا تعادل اكثر من ٣٠٠٠٠٠ ريال تقريباً لمسافة ١٠٠ ميل بينما مد خط حديدي مفرد على طول هذه المسافة يستدعي وحده ٥٠٠٠٠٠٠ ريال تقريباً

على ان المركبات الهوائية لن تنافس السكك الحديدية والمركبات الاوتوموبيلية في نقل الاحمال الثقيلة كالبضائع والسلع ذات الوزن الثقيل والحجم الضخم وانما تقتصر منافعها على نقل الركاب والبريد وكل ما قل حجمه وعظمت قيمته ولا سيما اذا كان المطلوب نقله بالسرعة

ولا يخفى ان فن الطيران قد بلغ من الاتقان ما يمكن معه الطيران في أي وقت بالرغم من تقلبات الطقس حتى لقد اصبحت الحوادث المكدرة نادرة لا يعتد بها . ثم ان سرعة الطيارات تبلغ ضعف سرعة اسرع القطرات الحديدية . ولا مانع من تجهيز الطيارات في المستقبل بجميع وسائل الراحة المتوفرة في المركبات الارضية والبحرية

كلمات لافلاطون

كان منقوشاً على فص خاتم افلاطون : تحريك الساكن اسهل من تسكين المتحرك

اذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاهرب منه

من لا يواس الاخوان عند دولته خذلوه عند فاقته

قيل لما لا تجتمع الحكمة والمال قال لعز الكمال

غاية الادب أن يستحي المرء من نفسه

الاشرار يتبعون مساوئ الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منه

اطلب في الحياة العلم والمال تحز الرآسة على الناس لان الخاصة تفضلك بما تحسن والعامة تفضلك بما تملك

اذا طابق الكلام نية المتكلم حرك نية السامع

القصيدة العمرية

لشاعر مصر حافظ بك ابراهيم

[الهلال] في أوائل شهر فبراير الماضي وزعت على اهل العلم والادب في مصر دعوة بامضاء احمد بك لطفي السيد مدير دار الكتب السلطانية هذا نصها :

«اتشرف بان ادعو حضرتكم لاستماع قصيدة الشاعر الاجتماعي حافظ بك ابراهيم في سيرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب التي سينشدها بقاعة انفيانرو المعارف بدرب الجماميز في الساعة الرابعة من مساء الجمعة ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦ — ٨ فبراير سنة ١٩١٨ »

وقد كانت الاندية الادبية تتحدث منذ زمن بأمر هذه القصيدة والناس متشوقون الى مطالعتها فلما جاء يوم الاحتفال تقاطر المدعوون الى المكان المعين فتصدر القاعة حضرة صاحب المعالي وزير المعارف يحيط به نفر من اكابر الاعيان والعظماء ثم وقف حافظ والقى قصيدته الماهرة فكان كل بيت منها يلقى بالتصفيق الحاد . وانا ناشرون هنا جانباً من تلك القصيدة والبقية للجزء التالي

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها ... اني الى ساحة الفاروق أزجيها

لاهمَّ هب لي بياناً أستعين به ... على قضاء حقوق نام قاضيها

قد نازعتني نفسي أن أوفيها ... وليس في طوق مثلي أن يوفيها

فمر سريّ المعاني أن يواتيني ... فيها فاني ضعيف الحال واهيها

مقتل عمر

مولى المغيرة لا جادتك غادية ... من رحمة الله ما جادت غواديها

مزقت منه أديماً حشوه همم ... في ذمة الله عاليها وماضيها

طعنت خاصرة الفاروق منتقماً ... من الحنيفة في أبهى دراريها

فاصبحت دولة الاسلام حائرة ... تخشى الفواجع لما مات آسيها

مضى وخلفها كالطود شامخة ... وزان بالعدل والتقوى مغانيها

تنبو المعاول عنها وهي قائمة ... والهادمون كثير في نواحيها

حتى اذا ما تولاها مهدمها ... صاح الزوال بها فاندك عاليها

واهاً على دولة بالامس قد ملأت ... جوانب الشرق رغداً من أياديها

كم ظللتها وحاطتها باجنحة ... عن اعين الدهر قد كانت تواريها

من العناية قد ريشت قوادمها ... ومن صميم التقى ريشت خوافيها

والله ما غالها قدماً وكاد لها ... واجتث دوحتها الا مواليها

لو أنها في صميم العرب قد بقيت ... لما نعاها على الايام ناعيها

يا ليتهم سمعوا ما قاله عمر والروح قد بلغت منه تراقيها
لا تكثروا من مواليكم فان لهم مطامعاً بسمات الضعف تخفيها

اسلام عمر

رأيت في الدين آراء موفقة فانزل الله قرآناً يزكيها
وكنت اول من قرّت بصحبته عين الحنيفة واجتازت امانيها
قد كنت اعدى اعاديها فصرت لها بنعمة الله حصناً من اعاديها
خرجت تبغي أذاها في محمدها وللحنيفة جبار يواليها
فلم تكد تسمع الايات بالغة حتى انكفأتَ تاوي من يناويها
سمعت سورة طه من مرتلها فزلزلت نية قد كنت تنويها
وقلت فيها مقالا لا يطاوله قول المحب الذي قد بات يطريها
ويوم اسلمت عز الحق وارتفعت عن كاهل الدين اثقال يعانيها
وصاح فيه بلال صيحة خشعت لها القلوب ولبت أمر باريها
فانت في زمن المختار منجدها وأنت في زمن الصديق منجيها
كم استراك رسول الله مغتبطاً بحكمة لك عند الرأي يلفيها

عمر وبيعة ابي بكر

وموقف لك بعد المصطفى افترقت فيه الصحابة لما غاب هاديها
بايعت فيه أبا بكر فبايعه على الخلافة قاصيها ودانيها
وأطفأت فتنة لولاك لاستعرت بين القبائل وانسابت أفاعيها
بات النبي مسجى في حظيرته وأنت مستعر الأحشاء داميها
تصيح من قال نفس المصطفى قبضت علوت هامته بالسيف أبريها
أنساك حبك طه انهُ بشرٌ يجري عليه شؤون الكون مجريها
وانه وارد لا بد مورده من المنية لا يعفيه ساقيها
نسيت في حق طه آية نزلت وقد يذكر بالآيات ناسيها
ذهلت يوماً فكانت فتنة عمم وثاب رشدك فانجابت دياجيها
فللسقيفة يوم أنت صاحبه فيه الخلافة قد شيدت أواسيها
مدت لها الاوس كفاً كي تناولها فمدت الخزرج الايدي تباريها
وظن كل فريق أن صاحبهم أولى بها وأتى الشحناء غاويها
حتى انبريت لهم فارتد طامعهم عنها وآخى أبو بكر أواخيها

عمر وعلي

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أنعم بملقيها
حرقت دارك لا أبقي عليك بها ان لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميها
كلاهما في سبيل الحق عزمته لا تنثني أو يكون الحق ثانيها
فاذكرهما وترحم كلما ذكروا أعاظماً ألهوا في الكون تأليها

عمر وجبلة بن الايهم

كم خفت في الله مضعوفاً دعاك به وكم اخفت قوياً ينثني تيها
وفي حديث فتى غسان موعظة لكل ذي نعرة [1] يأبى تناسيها
فما القوي قوياً رغم عزته عند الخصومة والفاروق قاضيها
ولا الضعيف ضعيفاً عند حجته وان تخاصم واليها وراعيها

عمر وابو سفيان

وما أقلت أبا سفيان يوم طوى عنك الهدية معتزاً بمهديها
لم يغن عنه وقد حاسبته حسب ولا معاوية بالشام يجبيها
قيدت منه جليلاً شاب مفرقه في عزة ليس من عز يدانيها
قد نوهوا باسمه في جاهليته وزاده سيد الكونين تنويها
في فتح مكة كانت داره حرماً قد أمن الله بعد البيت غاشيها
وكل ذلك لم يشفع لدى عمر في هفوة لابي سفيان يأتيها
تالله لو فعل الخطاب فعلته لما ترخص فيها أو يجازيها
فلا الحراقة في حق يجاملها ولا القرابة في بطل يحابيها
وتلك قوة نفس لو أراد بها شم الجبال لما قرت رواسيها

عمر وخالد بن الوليد

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت له الفتوح وهل أغنى تواليها
غزا فأبلى وخيل الله قد عقدت باليمن والنصر والبشرى نواصيها
يرمي الاعادي بآراء مسددة وبالفوارس قد سالت مذاكيها
ما واقع الروم الا فر قارحها ولا رمى الفرس الا طاش راميها
ولم يجز بلدة الا سمعت بها الله اكبر تدوي في مناحيها
عشرون ملحمة مرت محجلة من بعد عشر بنان الفتح يحصيها
وخالد في سبيل الله موقدها وخالد في سبيل الله صاليها

---

(١) أصلها نُعَرَة وسكنت لضرورة الوزن

أتاه أمر أبي حفص فقبله | كما يقبل آي الله تاليها
استقبل العزل في ابان سطوته | ومجده مستريح النفس هاديها
فاعجب لسيد مخزوم وفارسها | يوم النزال اذا نادى مناديها
يقوده حبشي في عمامته | ولا تحرك مخزوم عواليها
القى القياد الى الجراح ممتثلاً | وعزة النفس لم تجرح حواشيها
وانضم للجند يمشي تحت رايته | وبالحياة اذا مالت يفديها
وما عرته شكوك في خليفته | ولا ارتضى امرة الجراح تمويها
فخالد كان يدري أن صاحبه | قد وجه النفس نحو الله توجيها
فما يعالج من قول ولا عمل | الا اراد به للناس ترفيها
لذاك اوصى باولاد له عمراً | لما دعاه الى الفردوس داعيها
وما نهى عمر في يوم مصرعه | نساء مخزوم أن تبكي بواكيها
وقيل خالفت يا فاروق صاحبنا | فيه وقد كان أعطى القوس باريها
فقال خفت افتتان المسلمين به | وفتنة النفس أعيت من يداريها
هبوه اخطأ في تأويل مقصده | وأنها سقطة في عين ناعيها
فلن تعيب حصيف الرأي زلته | حتى يعيب سيوف الهند نابيها
تالله لم يتبع في ابن الوليد هوى | ولا شفى غلة في الصدر يطويها
لكنه قد رأى رأياً فاتبعه | عزيمة منه لم تثلم مواضيها
لم يرع في طاعة المولى خؤولته | ولا رعى غيرها فيما ينافيها
وما أصاب ابنه والصوت يأخذه | لديه من رأفة في الحد يبديها
ان الذي برأ الفاروق نزهه | عن النقائص والاغراض تنزيها
فذاك خلق من الفردوس طينته | الله أودع فيها ما ينقيها
لا الكبر يسكنها لا الظلم يصحبها | لا الحقد يطرقها لا الحرص يغويها

عمر وعمرو بن العاص

شاطرت داهية السواس ثروته | ولم تخفه بمصر وهو واليها
وأنت تعرف عمرا في حواضرها | ولست تجهل عمرا في بواديها
لم تنبت الارض كابن العاص داهية | يرمي الخطوب برأي ليس يخطيها
فلم يرغ حيلة فيما أمرت به | وقام عمرو الى الاجمال يزجيها
ولم تقل عاملا منها وقد كثرت | أمواله وفشا في الارض فاشيها

العائلة والمنزل

السل

توقيه ومعالجته

اهتمت الحكومة الامريكية والحكومات الاوربيـة في السنوات الاخيرة بمكافحة مرضين من أشد الامراض فتكاً وانتشاراً وهما السل والسرطان. وقد أضيف اليهما مرض ثالث في اثناء هذه الحرب يتوقع ازدياد فتكه عنـد رجوع الجيوش من ساحات القتال وهو الزهري فقد عنيت بهذا المرض على الخصوص انكلترا والمانيا فعينت حكومتاهما لجاناً طبية وكلت بها البحث في أفضل الطرق التي من شأنها محاربته واستئصال شأفته

وقد ثبت ان أول ما ينبغي الالتفات اليه في محاربة هذه الامراض الفتاكة الثلاثة تعليم العامة ما يتعلق باسبابها ونتائجها وطرق الوقاية منها وما يجب اتخاذه من التدابير عند الاصابة بها الى غير ذلك من الامور التي لا بد فيها من معاونة الافراد للحكومة ، والا فعبثاً كل ما تفعله هذه

أما الوسائل التي من شأنها تعليم العامة فهي القاء المحاضرات العمومية ونشر المقالات في المجلات والجرائد بلغة بسيطة خالية من الالفاظ الفنية وعرض الصور السينماتوغرافية التي تشرح سير الميكروبات ونموها وكيفية دخولها الجسم وفتكها به ووضع الكتب والخرائط والصور في المكاتب العمومية لتعار مجاناً وتقسيم المدن أقساماً يعين لكل قسم منها ممرضة تزور البيوت من تلقاء نفسها وخصوصاً بيوت الفقراء فترشدهم الى الطرق الصحية واذا وجدت في بيت من تلك البيوت مريضاً مشتبهاً في مرضه أعلمت به طبيب القسم وهذا يتولى أمر الاعتناء به . وقد اقترح أخيراً تعليم الاولاد في المدارس ما تفيد معرفته بخصوص هذه الامراض الثلاثة

أما السل فهو شديد الانتشار في كل الاصقاع وخصوصاً ما كان منها كثير السكان حيث يكثر الزحام والحركة والغبار وتقل الوسائل الصحية . وهو — بخلاف ما كان يظن قبلا من انه لا يكثر في البلاد الحارة — منتشر في جميع المناطق على السواء وما لحالة الجو فيه الا تأثير ضئيل وقد تبين ان اكثر من سبع الوفيات في العالم ناشئ عن هذا المرض

والمعروف أن الشعب الاسرائيلي أقل تعرضاً لهذا المرض من غيره والغالب أن سبب ذلك محافظته على القواعد الصحية الدينية وربما كان أهمها اهتمامه بالكشف عن حالة الحيوان قبل ذبحه . ونرى بعكس ذلك الشعوب السوداء اللون فانها شديدة التعرض لهذا المرض وخصوصاً اذا نقلت الى البلاد الاوربية وأقامت فيها . ولا يقتصر هذا المرض على الفتك بالجنس البشري بل نراه منتشراً في العالم الحيواني أيضاً ولا سيما القرود والبقر والخنازير . أما الخيل والغنم والماعز فيندر اصابتها به ولا تصاب به الهررة والكلاب

والسل مسبب عن ميكروب معروف ينقل من المريض الى السليم بواسطة البصاق على الاخص أو بواسطة البراز او اللحوم والالبان البقرية المصابة به . فبصاق المصاب بالسل اذا ألقي في الشارع أو المنزل — كما هو مألوف — لا يلبث أن يجف ويختلط بالغبار فيحمله الهواء ويستنشقه السليم . وعندئذ تبتدئ مهاجمة الميكروب للجسم : فاذا كان الشخص المهاجم ضعيفاً قابلاً للمرض تطرق اليه بسهولة واذا كان قوياً ذا مقاومة شديدة دافعت كريات دمه وجسمه فينتصر على الميكروب ويقتله أو يتركه مكانه وهو عاجز عن ايذائه . وقد يحدث كثيراً أن يتطرق الميكروب الى الجسم ثم تشتد قوة المريض المقاومة بتحسن معيشته وازدياد قوته فيتغلب على المرض ويشفى منه

ولا ينتقل السل من الوالدين الى نسلهم بطريق الوراثة كما كان يظن قبلا . فابن المسلول لا يولد مسلولاً بل كل ما هنالك أنه قد يكون ضعيفاً معرضاً للعدوى أكثر من غيره . واذا نقل عند ولادته من الوسط الذي ربي فيه وقلل من الاختلاط بذويه ومن مس أثاث بيتهم المشبع بميكروبات بصاقهم وعاش عيشة صحية فهو والحالة هذه ينمو وليس ما يمنع صيرورته قوياً ذا صحة جيدة طول حياته . وسأذكر هنا أهم الوسائل التي من شأنها محاربة هذا المرض والوقاية منه ثم معالجة المريض لنفسه

الوقاية

أول احتياط يتخذ لهذا الغرض عزل المريض بارساله الى مصح . وبذلك يستفيد المريض والمجموع . الا ان هذا الامر غير ميسور لكل انسان وخصوصاً في هذه البلاد التي يحزننا فيها ان الحكومة لم تهتم ببناء مصح متسع يكفي لايواء جميع المصابين بالسل ومعالجتهم بمقتضى الشروط الصحية الحديثة مما يضطر المريض الى أن يعالج نفسه في منزله . ويجب أن يتعلم المريض اولاً أن لا يبصق الا في اناء يكون فيه محلول قاتل للميكروبات كمحلول الفينيك او الليزول وأن يحمل معه عند ما يخرج من منزله مبصقة

صغيرة خاصة بذلك . وهي مركبة من علبة معدنية داخلها ظرف من الورق أو خلافه فكلما اراد أن يبصق فتح العلبة وبصق في الظرف وعند عودته الى المنزل يخرج هذا الظرف من العلبة ويلقيه في النار ويضع ظرفاً آخر نظيفاً مكانه . ويجب أن يُقنع المريض باهمية هذا العمل وضرورته لمنع الاذى عن غيره . وقد عرفت فاضلا انكليزياً مريضاً بالسل كان يحمل في جيبه هذه المبصقة وكان يستعملها حتى عند خروجه للنزهة بعيداً عن المدينة خوفاً من أن يضر غيره مع ان الارض هناك معرضة لفعل الشمس والهواء المطهرين ويا حبذا لو كان كل مصاب بالسل يمثل هذا الضمير الحي

أما الغرفة التي يقيم فيها المريض فلا يجوز أن يسكنها أحد معه ويجب أن تكون معرضة للشمس والهواء بفتح نوافذها ليلاً ونهاراً حتى في أشد ايام الشتاء برداً وأن تكون غاية في بساطة الاثاث حتى لا يجد الميكروب مستقراً له فيها ويجب خصوصاً الاستغناء عما لا يمكن غسله بسهولة من المفروشات كالستائر والابسطة والسجاجيد . ولا بأس من استخدام قطعة من السجاد تعرض للهواء والشمس كل يوم . وليلاحظ القارئ أننا لا نقصد بالبصاق البلغم فقط أو (التفة) بل ان الكحة كثيراً ما تخرج معها نتفاً صغيرة من البصاق

ويجب أن يمنع المسلول من تقبيل أي شخص كان . وعلى ذكر التقبيل أرى انه يجدر بنا الاقلاع عن هذه العادة الكثيرة الشيوع بين السيدات وقت الزيارات بل اني لا اجد لها مسوغاً بين افراد الاسرة الواحدة الا في احوال استثنائية . فان التقبيل عدا عن انه لا يدل على شدة الحب او عدمه فانه واسطة لنقل امراض كثيرة غير السل قد يكون الانسان مصابا بها على غير علم منه . ومن ذلك امراض الاسنان واللثة والحنجرة الخ . ويحسن بالكنائس المسيحية أن تقلع عن طريقة المناولة (أي الاشتراك) بملعقة واحدة وكأس واحدة عند تناول العشاء الرباني اذ يجب استعمال ملعقة وكأس لكل شخص كما هو الجاري في اكثر كنائس الولايات المتحدة

ويجب ايضاً الاقلاع عن كثرة التسليم بالايدي . اذ يندر ان نجد شخصاً لا يضع اصابعه في انفه أو فمه مراراً كل يوم

اما اللبن الذي نشربه فيجب غليه مدة لا تقل عن عشر دقائق وعلى الحكومات والبلديات ان تهتم بمراقبة موارد الالبان ومراقبة اللحوم بواسطة اطبائها البيطريين مراقبة شديدة وان تبيد ما كان مريضاً من الماشية وخصوصاً البقر المصاب بالسل . ويضاف الى هذه الطرق التي ذكرتها آنفاً القيام بجميع الشروط والوسائل الصحية العمومية التي تفيد للوقاية من كل الامراض

معالجة المصاب لنفسه

أول ماينبغي عمله في معالجة المسلول هو ان نفهمه حقيقة امره وان نقنعه بان مرضه قابل للشفاء وأن الكثيرين شفوا منه . وقد يستغرب القارىء هذا القول وربما استنكره بعض الاطباء ولكن المشاهدات والاختبارات قد دلت على ان المريض بالسل اذا عرف مرضه واقتنع بامكان شفائه اهتم بامر صحته كثيراً وزالت عنه الكآبة التي تعتريه في أول الامر بل ان اعتقاده بالشفاء يزيدكلما رأى صحته في تحسن . وأما المسلول الذي يكتم عنه حقيقة مرضه كما هي العادة بيننا ويترك بين الشك واليقين فتراه دائماً مضطرباً خائفاً وخصوصاً مما يراه من حركات أهل بيته الخفية ومعاملتهم له . فبينا يقولون له ان ليس به مرض خطر اذا بهم من الجهة الاخرى يتجنبون مجالسته والاختلاط به والاكل معه واستعمال أوانيه وما شاكل ذلك مما يجعله حائراً في أمر نفسه فيقع غالباً من جراء ذلك في حالة عصبية نوراستينية علاوة على مرضه . وقد صدق من قال « وقوع البلاء ولا انتظاره »

وقد عرفت مسلولين كثيرين عارفين بحقيقة مرضهم مقتنعين بامكان شفائهم وهم فرحون ملتفتون الى تحسين صحتهم . هؤلاء تراهم في حالة راحة واطمئنان لا تجدها عند الفئة الاخرى التي يكتم عنها حقيقة أمرها

متى عرفنا المريض حقيقة مرضه علينا ان ننصحه بالذهاب حالاً الى أحد المصحات العمومية في أوربا أو غيرها حيث يمكث سنة أو سنتين حسبما تقتضي الحالة ويكون هناك تحت اشراف أطباء اختصاصيين في هذا المرض أو ان يذهب الى بلاد جبلية مثل جبل لبنان ويستأجر له بيتاً مستوفياً للشروط الصحية والاوفق ان يسكن في خيمة في احدى غابات الصنوبر ويقيم فيها ليل نهار ويأكل كثيراً من المأكولات المغذية كاللحم وخصوصاً ماكان منه نيئاً والبيض واللبن وان يكثر من الراحة البدنيـة بان يأتي القليل جداً من الرياضة وربما اقتضى الامر أحياناً ان يلزم فراشه ليل نهار حسب اشارة الطبيب . ومن الغلط الذي يقع فيـه البعض اعتقادهم ان مجرد ذهابهم الى جبل لبنان مثلا للاستشفاء كاف لشفائهم فتراهم يسهرون ويكثرون من شرب الخمور والتدخين ولا ينظمون معيشتهم وهذه كلها من الامور التي تضيع فائدة وجودهم في الجبل

أما انتخاب الجهة التي يقيم فيها المريض في الجبل فتختلف باختلاف مزاجه ودرجة مرضه وعليه ان ينتقل من مكان الى آخر حتى يجد الجهة الموافقة له وهذه غالباً يعرفها بنفسه اذ يشعر فيها بان صحته تتحسن وانه يأكل جيداً ويهضم وينام جيداً

أما اذا اقتضى الامر معالجة المريض في منزله فعليه ان يخصص لنفسه غرفة واسعة مستوفية الشروط الصحية كما وضحنا واذا امكن وضع سريره في (فيرانده) أو فوق سطح منزله مع اتخاذ بعض الاحتياطات كان ذلك أوفق مع ملاحظة أن يكون المصاب جيد الغطاء عند النوم وان يكثر من النوم ليلا ونهاراً ويكثر من اكل اللحم والبيض واللبن بقدر ما يمكن وان يأكل أيضاً سمكا وطيوراً وزبدة ومواد دهنية

وقد شاع كثيراً شرب زيت السمك النقي وهو ذو فائدة حقيقية في معالجة هذا المرض. واستعماله يكون باخذ ملعقتين كبيرتين منه كل يوم في اول الامر واذا حصل من ذلك عسر في المعدة أو اسهال وجب الاقلاع عن شربه مدة ثم العودة الى استعماله ثم يزاد المقدار تدريجياً

ومن كانت معدته لا تتحمل هذا الزيت مطلقاً يمكنه الاستعاضة عنه بسردين العلب والسمك وسمك الكافياري (المقدد) والزبدة والاغذية الدهنية

أما ما هنالك من العقاقير والمصل والفكسين وخلافها من الادوية القديمة والحديثة فليس من غرض هذه المقالة بل يتوقف على الطبيب المعالج اذ لكل حالة من أحوال المرض عقاقير توافقها ولا توافق غيرها من الاحوال . وكل ما أريده الآن وأختم به مقالتي هذه ان السل من الامراض القابلة للشفاء والتي شفي منها المئات والالوف وخصوصاً في ايامنا هذه اذ اوتقت طرق معالجته واصبح الطبيب بفضل الاكتشافات والوسائل الحديثة أقدر من ذي قبل على تشخيصه في أول امره وعلى هذا يتوقف معظم النجاح في المعالجة

الدكتور ميشيل سمعان

فوائد طبية

للحارث بن كلدة

من أراد البقاء ــ ولا بقاء ــ فليجود الغذاء . وليأكل على نقاء . وليشرب على ظمأ . وليقل من شرب الماء . ويتمدد بعد الغداء . ويتمشى بعد العشاء . ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء . ودخول الحمام على البطنة من شر الداء. ودخلة الى الحمام في الصيف خير من عشر في الشتاء

اذا تغدى أحدكم فلينم على اثر غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة

دع الدواء ما احتمل بدنك الداء

المناظرة والمراسلة

مجمع صور النيل

عنوان جميل لمسمى لا وجود له ولولا عدمه ما شعرنا بافتقارنا الشديد اليه ولا تعشقناه ، و « جمال الحياة بالاحلام » . وكما شئنا ان نوهم أنفسنا باننا سابقون للزمن في أمنيتنا أنكر ذلك المعروف المشاهد . تأمل مثلاً في تاريخ التصوير بانكلترا (التي تربطنا بها روابط سياسية تحتم علينا لو كنا عقلاء أن ندرس أسباب سيادتها ورفعتها وان نتشبه بمصلحيها كيفما استطعنا) تجد ان « المجمع الوطني للتصوير » The National Gallery قد اسس في لندن سنة ١٨٢٤ أي منذ زهاء قرن تقريباً ، وكان عدد صوره ٣٨ ، وقيمتها المالية ٥٧٠٠٠ من الجنيهات ، ذلك هو ما يقوله التاريخ الصادق ، فاذا التفتنا الى حالنا في سنة ١٩١٨ لا يسعنا الا الاسف الشديد على تأخرنا الادبي المتناهي الذي يضرب به السياح الاجانب المثل في كتبهم وجرائد بلادهم والذي يخجل المتعلمين منا أنفسهم التحدث به !! فنحن لا نملك في القطر كله سوى مدرسة واحدة لجميع الفنون الجميلة .. !! ، مع ان الزمن قد حان لوجود جملة كليات لكل فن من هذه الفنون .... والقطر باسره خالٍ من شبه معرض واحد للصور الزيتية مثلاً ، يكون قريناً لدار الكتب السلطانية التي هي جديرة كذلك بان تتعدد مثيلاتها في عواصم القطر !! عبثاً ان ينتظر من احد الموسرين القيام بهذا الواجب الوطني المحتم بداهة على الحكومة صاحبة الوصاية على الامة ما دام يقال ان الامة قاصرة ، وما دام الحكام قد عودوها حتى الآن الاتكال عليهم ولا تزال حقوقها النيابية مقيدة . كل منصف لا بد ان يوافق على هذا الرأي المستقل ، ولا يعدّ من الخسارة وقف مبلغ كاف من المال (وكثيراً ما ينفق مثله على بناء جسر) للبدء بهذا العمل القومي الجليل الذي يعد من التهاون الفاضح تأجيله . على الحكومة ان تبدأ بالعمل وتستثير همة الشعب وعندها يكون النجاح مكفولاً . يعوزنا فوراً دار فخيمة تليق بان تكون معرضاً جميلاً للصور المصرية الزيتية والمائية ، وعلى محبي التصوير حينئذٍ ان يساعدوا ارباب الحلّ والعقد في جمع كل ما يمكن جمعه من هذه الصور القديمة والحديثة مما يستحق الصيانة أما لنفاستها الفنية أو لقيمتها التاريخية فهذا واجب وطني لا تقدر نتيجته بثمن ، أقلها احياء الفن الجليل في ديارنا المتعطشة له ورفع منزلتنا الادبية في عيون الامم الاخرى ، فكرامة الشعوب مقرونة

الان بدرجات علومها وآدابها لا بصنائعها وتجاراتها وحدها وان كان كل ذلك ثمرة العلم . ولا بتاريخها العتيق مهما كان مجيداً . فالفخر بسير الاجداد « دعوى من العراض الطوال » على حد قول الشاعر ، وفخر كل امة بسيرتها الحاضرة وباعمالها العظيمة وحسن حالها . فيحق لنا نحن الناظرين الى المستقبل بعين ملؤها الامل أن نوجه امانينا الى صاحب العظمة السلطان فؤاد الاول الذي يتحدث الشعب بسمو عرفانه وآدابه وغيرته الوطنية ، ولعل هذا العام زف الينا بشرى تأسيس هذا المجمع الحيوي كما طرت قلوبنا في العام الماضي لتكون « المجمع اللغوي » بعاصمة القطر ، فكلاهما من ألزم اللوازم لنهضتنا الادبية التي نفخ فيها روحاً جديدة ساكن الجنان العاطر الذكر السلطان حسين الاول أحسن الله جزاءه

لندن أحمد العامة

تسمية العلوم بالعربية

حضرة محرر الهلال

في مقدمة الصعوبات — وما أكثرها — التي يلقاها المترجم من اللغات الاوربية الى اللغة العربيـة تسمية العلوم. فقد انقسم الكتاب الى فريقين : فريق يستخدم التسمية العربية مع ما بها من التطويل الذي يجعلها أشبه بتحديد للعلم منها باسم له ، وفريق يفضل الاسم الاوربي لاختصاره . فالبعض يقولون علم النفس وعلم الانسان وعلم وظائف الاعضاء وعلم طبقات الارض الخ. في حين ان الآخرين يقولون بسيكولوجيا وانثروبولوجيا وفيسيولوجيا وجيولوجيا الخ . وقد خطر لي اتباع طريقة متوسطة بين هاتين الطريقتين تكون عربية الاشتقاق مع محافظتها على الاختصار المطلوب في التسمية وذلك استعمال صيغة جمع المؤنث السالم على هذا النسق : السياسيات ، النفسانيات ، الاديات، الاقتصاديات ، الاجتماعيات ، الاخلاقيات ، بدلا من علم السياسة وعلم النفس الخ .

ومما يقرب الى الذهن هذه الطريقة هو ان الانكليز والاميركيين أخذوا منذ زمن قريب يستعملون صيغة الجمع في تسمية العلوم فهم يقولون الان Physics بدلا من Natural philosophy و Economics بدلا من Political Economy و Ethics بدلا من Moral philosophy و Politics بدلا من Political Science وقس على ذلك

ويا حبذا لو عني المجمع العلمي بهذه المسئلة وانها لجديرة بعنايته . واني على كل حال ارجو من حضرات الادباء ان يبينوا آراءهم في هذا الشأن فبالمباحثة تتجلى الحقيقة والسلام

مصر مترجم

اختصار الاحرف العربية

حضرة محرر الهلال

هل من مانع يمنع اختصار الاحرف العربية واشكالها (علامات حركاتها) بالترتيب الآتي حتى يسهل طبعها بالشكل ويمكن الاستفادة من نشرها وهي صحيحة خصوصاً اذا حدث من وراء هذا الاختصار وفر في الورق وربح ادبي وافر لا تذكر بجانبهما الخسارة المادية التي تصيب المطابع من جراء تغيير قوالب الاحرف واذا نشر هذا المختصر تدريجاً في المكاتب والمدارس ثم عمم في الصحف والمجلات والكتب وهاك الترتيب :

اولا — ترفع النقط عن الاحرف المنقوطة وتعطى اشكالا من اشكالها المختلفة المتعددة الموجودة في انواع الخط العربي الثلاثة (الثلث والنسخ والرقعة) تميزها عن الاحرف غير المنقوطة المشابهة لها

ثانياً — تتبع طريقة الطبع الافرنجية فيطبع في الكلمة الواحدة رؤوس الاحرف أو اسنانها فقط التي تميز بها بعضها بجانب بعض متلاصقة تقريباً ويفصل بعض الكلمات عن بعضه بمسافات قصيرة . اعني يقتصر في الطباعة على استعمال قوالب من نوع واحد هو النوع المستعمل الان في طبع احرف اول الكلمات ونستغني عن قوالب الاحرف في وسط الكلمات وآخرها

ثالثاً — تجعل النقط حركات فتجعل الفتحة نقطة أعلى الحرف والكسرة نقطة أسفله والضمة قوس صغير كقوس الثلاث النقط الرقعة المستعملة الآن أو كذيل الضمة الحالية . فتكون الفتحتان نقطتين أعلى الحرف والكسرتان نقطتين أسفله والضمتان قوسين متلاقيين بشكل رأس الحربة . ثم تحذف علامة السكون لان السكون عدم الحركة ولانه يمكن تمييز الحرف الساكن بدون علامة وهو بجانب الاحرف المتحركة بعلاماتها . ولا تحرك الاحرف الممدودة بأحرف المد لانها محركة من الاصل بأحرف المد هذه وأخيراً تجعل الشدة شرطة صغيرة تحت الحرف مباشرة لتكون كظله ترمي الى وجود حرف من جنسه معه

محمد منير رفعت

مدرس بكلية غوردون

الخرطوم

﴿الهلال﴾ ليس من مانع نظري دون انجاز هذا الاقتراح وانما المانع عملي اذ لا يكفي أن يكون المشروع معقولا ليؤخذ به بل يجب النظر في ما يحدثه من الاضطراب والمقابلة بين الفائدة المرتجاة منه من جهة والصعاب والمشاق التي ينبغي تذليلها لتحقيقه من جهة أخرى. فاذا نظرنا الى اقتراحكم بهذا النظر وجدناه صعب التحقيق ان لم يكن متعذراً

ترجمة « الانقلاب العثماني »

حضرة محرر الهلال

قد فاتكم عند ما ذكرتم مؤلفات المرحوم مؤسس الهلال الى اللغات الاجنبية أن تذكروا ترجمتنا لرواية الانقلاب العثماني التي ترجمناها في وقتها وأرسلناها لتطبع في ادارة مجلة « النيفا » التي تمنعت عن طبعها بامر المراقبة الروسية قبل الثورة الاخيرة لانها تحتوي كثيراً عن اسرار الانقلاب وقوانين جمعية الاتحاد والترقي السرية . أما وقد جرى الانقلاب العجيب في روسيا ففي اول فرصة سنتولى طبعها لان المانع قد زال

ورستر . الولايات المتحدة شكري سويدان

الى عبد الرحمن شكري

أبداً يرافق شعرك الانشاد ونشوق فتنته النهى فيعاد
أسست مملكة يصون جلالها المازني أخوك والعقاد
ولسوف يحترم الزمان مآلها وتسير خلف لوائها الاحفاد
دين بعثت له ولو علمت به من قبل لاحتفلت به الاجداد
والشعر ديوان العظائم كلها والى العظائم كلنا ينقاد
والشعر مفتاح العواطف والنهى قامت عليه حضارة وبلاد
والشعر مرآة الحياة باسرها وهو الحياة نصيبها الاخلاد
هذي حقيقة ما نظمت وما به الا الحقيقة ميزة ومراد
والحق انجم من تخيل حالم وقفٌ عليه جنانك الوقاد
فاصدع بوحيك هادياً لمفاخر وابذل فكنزك ما اليه نفاد

نادي مستشفى سانت جورج احمد زكي ابوشادي
بلندن طبيب

لغات اوربا

مناطقها وحدودها

في مقدمة العبارات التي ابرزتها الحرب وتناقلتها الالسن والاقلام عبارة ما برح يعظم شأنها في الآونة الاخيرة ويزيد تداولها حتى اصبحت تتردد في كل خطبة يلقيها اقطاب السياسة الاوربية وهي عبارة « مبدأ الجنسيات » او « مبدأ القوميات » أو ما يؤدي المراد بها من العبارات « كحقوق الشعوب ضعيفةً أو قوية » و « حق كل شعب في تعيين مصيره » ونحو ذلك

على انه ليس بالسهل تحديد تلك العبارات وبيان المقصود منها تماماً . واول الصعوبات في هذا السبيل تعريف الشعب . فما هو الشعب ومم يتكوّن ؟ واي الجماعات يجوز ان يطلق عليها هذا الاسم ؟ واي الروابط يجب ان تعتمد في ذلك ؟ الدين أو اللغة أو الجنس أو العادات والتقاليد أو غير ذلك ؟

قلنا في مقالة « حقوق الشعوب » المنشورة في الجزء الثالث من هذه السنة ان لجميع هذه العوامل دخلاً في كيان الشعوب . ولكن الرابطة الحقيقية التي بها يتكون الشعب هي رابطة معنوية ، هي التوافق في الاميال والمشارب والنزعات ، هي صلة غير محسوسة تجمع الافراد فلا يتنزلون عنها ولا يهنأ لهم عيش بدونها

على انه لا ريب مع ذلك في ان رابطة اللغة هي من أقوى الروابط التي تربط البشر بعضهم ببعض . ولذا فدرس مناطق اللغات وحدودها ذو شأن كبير ولا سيما من الوجهة السياسية اذ ان حدود الشعوب كثيراً ما تنطبق على حدود اللغات . قلنا « كثيراً » ولم نقل دائماً لان بعض الشعوب شديدة الائتلاف بالرغم من اختلاف لغات اهلها كبلجيكا وسويسرا . كما ان اقواماً تتكلم اللغة الواحدة قد تتفرق شعوباً مختلفة كاميركا وانكلترا مثلاً . وقد اعتمدنا في مقالنا هذا على أوثق المصادر ولا يخفى ان موضوعاً كالذي نحن بصدده عرضة للمناقشة والمنازعة ومن الصعب التوفيق فيه بين الفرق والاحزاب ولا سيما لان بعض الجهات تستعمل لغات مختلفة

وقد نشرنا في صدر هذا الهلال خريطة وافية في هذا الشأن يستطيع القارىء بالامعان فيها أن يدرك منطقة كل لغة من اللغات الاوربية ويتبين المواضع التي تختلف فيها الحدود السياسية عن الحدود اللغوية وهاك تفصيلات أضافية تعين على فهم ذلك :

١ الحدود الفرنسية الفلمنكية — لا يخفى ان اهل البلجيك يستعملون لغتين : اللغة

الفرنسية في القسم الشمالي واللغة الفلمنكية (الجرمانية الاصل) في القسم الجنوبي على ان اللغة الفرنسية هي في الحقيقة اللغة الوطنية ولذا قد انتشرت دون الاخرى في مستعمرة الكونغو البلجيكية

٢ الحدود الفرنسية الالمانية — ما برحت بلاد الالزاس واللورين منذ قديم الزمن ميداناً يتنازعه اللاتين والجرمان . على أن مقاطعة اللورين هي بحسب موقعها الجغرافي فرنسية بلا ريب (ولا يخفى ان جانباً منها بقي في يد الفرنسيين بعد حرب سنة ١٨٧٠ والجانب الآخر استولى عليه الالمان) وكثير من اهاليها يتكلمون الفرنسية الا ان هذه اللغة تخف تدريجياً مع الاقتراب من نهر الرين . أما الالزاس فقد زاد انتشار اللغة الفرنسية فيها بعد الثورة الفرنسية حتى انه في معاهدة فرنكفورت أثر حرب السبعين اضطرت الحكومة الالمانية ان تمنع تلك اللغة في الكنائس والمدارس والمعاملات التجارية . وقد كانت نتيجة ذلك الاضطهاد ان هاجر كثير من الالزاسيين الى ارض فرنسا جاء منهم مدينة نانسي وحدها ١٥٠٠٠ وبالرغم من مساعي الالمان لا يزال فريق من اهل الالزاس العليا ولا سيما جهات الفوج يتكلمون الفرنسية

ولا يخفى ايضاً أن اللغتين الفرنسية والالمانية تتقاسمان بلاد سويسرا كما يتبين من الخريطة المنشورة في صدر الهلال

٣ الحدود الالمانية الدانمركية — نالت بروسيا أثر حربها مع الدانمارك في سنة ١٨٦٦ مقاطعتي شلسويج وهولستين . على أن المقاطعة الاولى منهما أي مقاطعة شلسويج (وهي اللاصقة بالدانمارك) دانماركية اللغة في الحقيقة . اما الثانية فاللغة الشائعة فيها الالمانية . ويقدر المتكلمون باللغة الدانماركية في هاتين المقاطعتين اليوم ١٥٠٠٠٠ حسب آخر الاحصاءات الالمانية

٤ الحدود الايتالية الالمانية — اللغة الايتالية منتشرة في القسم الجنوبي من سويسرا . وهي ايضاً منتشرة في مقاطعة ترنتينو التي ما برحت ايتالية وان يكن النمسويون قد استولوا عليها منذ زمن بعيد

٥ الحدود الايتالية السلافية — إن معظم المقاطعات النمسوية الكائنة على البحر الادرياتيكي وهي الليريا وكرنيولا واستريا سلافية الاصل وليس فيها من المتكلمين بالالمانية الا طائفة من الموظفين والتجار . على أن القسم الملاصق لايتاليا ولا سيما جهات غورزيا وتريستا وبولا وبعض مدن الشواطىء ايتالية اللغة

٦ الحدود الفنلندية — الفنلنديون من حيث الجنس مغوليو الاصل ولغتهم قريبة من اللغة التركية وهم يقطنون القسم الشمالي الغربي من روسيا من حدود أسوج الى

خليج ريغا . وقد كانت فنلندا فيما مضى ملكاً لاسوج فاعطتها لروسيا سنة ١٨٠٨ واللغة الفنلندية منتشرة فيها كلها الا قسماً من شواطئها حيث تسود اللغة الاسوجية

٧ الحدود البولونية — كما ان اللغة الفنلندية متوسطة بين الاسوجية والروسية كذلك البولونية متوسطة بين الروسية والالمانية . ولا تزال اللغة البولونية حية يتكلمها نفر كبير من البولونيين في روسيا والمانيا وغاليسيا (بالنمسا) بالرغم من مساعي تلك الحكومات لملاشاتها

٨ الحدود التشيكية والسلوفاكية — التشيك قوم من السلافيين يقطنون بوهيميا وهم محاطون من كل جهة بالالمان الا من الجهة الشرقية حيث يقطن السلوفاك اقرباؤهم في الجنس . ويقدر عددهم بثمانية ملايين وهم محافظون على جنسيتهم ولغتهم رغم مساعي النمسا في تحويلهم الى المان

٩ الحدود المجرية — المجر كثيرو الشبه بالاتراك من حيث اللغة والجنس بل كأنهم الأثر الباقي من نزوح الشعوب الاسيوية في أوربا ويتخلل البلاد المجرية بقع كثيرة يتكلم اهلها الالمانية والرومانية كما ان في وسط ترنسلفانيا الرومانية (جنساً) بقعة . أهلها مجر

١٠ الحدود الرومانية — لا يخفى ان الرومانيين ممتازون عن جميع الشعوب البلقانية بانهم لاتينيو الاصل وهم من سلالة الرومان الذين نزحوا الى تلك الجهات بعد فتح رومة لها في القرن الثاني للميلاد . والرومانيون منتشرون في ترنسلفانيا (التابعة للنمسا) وبسارابيا (التابعة لروسيا) فضلاً عن أهل رومانيا نفسها

١١ الحدود السلوفينية — التشيك هم أكثر الشعوب السلافية تقدماً نحو الغرب والسلوفينيون اكثرهم تقدماً في الجنوب وعددهم أكثر من مليون ويحيط بهم النمسويون اهل اللغة الالمانية شمالا والمتكلمون بالايطالية غرباً والمتكلمون بالصربية شرقاً

١٢ الحدود الصربية — اللغة الصربية منتشرة (فضلاً عن انتشارها في بلاد الصرب ذاتها) في الجبل الاسود ومقاطعات كرواسيا وسلافونيا ودالماسيا والبوسنه والهرسك التابعة الامبراطورية النمسوية المجرية . على ان بين تلك البلاد اختلافات دينية فان قسماً من أهاليها من الكاثوليك وقسما من الارثوذكس وقسما ثالثاً من المسلمين وقد اتخذ الكرواسيون (وهم كاثوليك) حروف الابجدية الغربية في حين ان اخوانهم ظلوا محافظين على حروف الابجدية الروسية . على أنه لا ريب مع تلك الاختلافات في أن جميع المتكلمين باللغة الصربية (١٠ ملايين تقريباً) يطمحون الى الانضمام معاً وتأليف دولة صربية كبرى

١٣ الحدود الالبانية — من الصعب تعيين الحدود الالبانية بالضبط نظراً لتداخل الاجناس في تلك الجهات . ولا يخفى ان البانيا استقلت في سنة ١٩١٣ بمساعي النمسا لمنع السرب من الوصول الى البحر ولكن حياتها كانت وهمية اذ ان اهل الشمال ميالون في الحقيقة الى السرب وأهل الجنوب الى اليونان

١٤ الحدود البلغارية — يتنازع مقدونيا السرب والبلغار واليونان . ومن رأي الكثيرين من علماء اللغات أن لغتها أقرب الى البلغارية منها الى سواها . أما اللغة البلغارية فشائعة في بلغاريا وفي جنوبي رومانيا وفي الجنوب الشرقي من سربيا وفي تركيا الاوربية (ماعدا الشواطىء حيث اليونانية شائعة) . على أن الحدود الفاصلة بينها وبين السربية مبهمة يصعب تعيينها

هذه كلمة اجمالية عن حدود اللغات الاوربية والخريطة المنشورة في صدر هذا الهلال تغنينا عن الافاضة في بيان تلك الحدود

الالم اخاء والوسيلة السخاء

خليل مطران

أنشدها في الحفلة التي أقامتها جمعية القديس جاورجيوس الخيرية في مصر في ٩ مارس الماضي وقد عين له في ترتيب الحفلة أن يكون البادئ بالكلام

عفوكم ما تقدمي اقدام   حق مثلي عن مثله الاحجام
جعل القول للضعيف ابتداء   والى القادرين رد الختام
اي شأن كشأن من يختم القول اذا ما تبارت الاحلام
راع نفسي هذا المقام بما استعصى عليها وقد يروع المقام
ما نضوبي لدى أفاضة «فياض»   والفاظه العذاب سجام
واذا اسكرت نهى القوم «مي»   بكلام هل بعدها لي كلام
انما هيأ الدعاة نظاما   ولامر قد اقتضاني النظام
فلاقف للندى بحيث اشاروا   وليصيبوا من نجدتي ما راموا

***

ايها الناعمون في الشرق ما شا   ؤا وفي الغرب اعين لا تنام
اهنأوا ناعمين غاية ما طا   ب نعيم وما زكا انعام

ربعكم وافر الرخاء امين غفلت عن ثغوره الايام
ومن البشر في لياليه لايوشك أن يشبه الظلام الظلام
لا وحق الاخاء ما واقنا العيش كأن الحرب الزبون سلام
انما الناس في الكوارث اهل بينهم من خطوبها ارحام
خير ما توجد الروابط فيهم اذ تكون الروابط الآلام
واذا خص بالرزيئة شعب فلقد عم بالبلاء الانام
نحن نشكو وغيرنا صاحب الشكوى ونهم ما عناه اهتمام
نجعل اللهو للاداء اداة لطفت أو فكل لهو حرام
خلق أدّب النفوس عليه أولياء الهداية الاعلام

❁❁❁

منهم الفارس الذي طعن التنين والرمح عابس بسام
حيّ جاورجيوس فهو التقي الخضر وهو المجاهد المقدام
من قبادوقيا تطوع لله وأعلامها له اعلام
غير مستصغر له مهنة الجند على انه الامير الهمام
صال ما صال ظافراً بعداه وعداه الشرور والآثام
ان تزر من معاهد الفضل داراً في ذراها شعاره يستام
قل سلام عليك من دار بر بوركت باسمه عليه السلام

❁❁❁

أيها السيدات والسادة الامجاد دامت لهم علاهم وداموا
هكذا تسعف الايامى ويعنى باليتامى وتبرأ الاسقام
هكذا تمنح الحلوم علوماً ويربى للفضل نشء كرام
هكذا المحصنات بيض الايادي محسنات كما يحب التمام
ناسجات أو موشيات عطايا هن سراً واللابس النمام
سلمت تلك من بنان بها الاثراء أثرى وأعدم الاعدام
وعفا الله عنكم ووقاكم في بنيكم ومالكم أن تضاموا
وجزى كل منة آل «لطف الله» ما أخصب الربوع غمام

خليل مطران

ميكلانجلو

بقلم الآنسة مي

يوم الاربعاء ٦ مارس

أنزعُ في هذا الصباح ورقةً من يوميتي كالمعتاد فاجد تاريخاً واسم مكان واسم رجل يا له من رجل عظيم ، ميكلانجلو ! ميكلانجلو بوناروتي وُلد في ٦ مارس عام ١٤٧٥ في كابرزي من أعمال ايتاليا . يخيل اليَّ أن المسافة تطوى وأن الازمنة تتجمع وتنضم حتى تصبح جسم رجل أتقن اربعاً من الفنون الكبرى [١] فنثر نبوغه على ما كان سابقاً من الاجيال وما كان لاحقاً . فكأني أراه الان امام مكتبه يقرض الشعر عاشقاً ، وينقش الرسوم مبدعاً . يمس الحجر الصلد فيلين الحجر طائعاً ، ويلمس المرمر البارد فيتحرك المرمر ممتلئاً من روح الفن الساحرة

❊ ❊ ❊

لم يظهر حتى اليوم الا ثلاث مدارس [٢] كبرى للفن ، هي مدارس أثينا وفلورنسا والبندقية . فمدرسة أثينا كانت غايتها اظهار جمال الجسم الانساني فأتت باعظم التماثيل وكان اتقانها المتناهي أس عظمتها الفنية . أما المدرسة الفلورنتينية فكانت غايتها التعبير عن الانفعال النفسي في حركات الجسم ، ووضع الاعضاء ، وملامح الوجه ، وكيفية الجلوس والوقوف . وقد تفوقت في ادراك غرضها تفوقاً لا يبارى . وأما مدرسة البندقية فكانت غايتها اتقان فعل الالوان والاظلال على جميع الاشياء وعلى الجسم الانساني بنوع خاص ، فجاءت أعمالها آيات للمبدعين

يبتدئ تاريخ الفن الحديث مع سقوط عبادة الاوثان فيمتد طور انحطاطه الى

---

(١) الفنون الكبرى خمسة وهي : الشعر ، والحفر ، والرسم ، وهندسة البناء ، والموسيقى ، وقد اتقن منها ميكلانجلو الاربعة الاولى

(٢) المدرسة (école) هي الرأي الشائع في طائفة معينة من العلماء او الفلاسفة أو الفنيين أو الشعراء أو اللغويين حتى ان الفرنجة عند كتابتهم عن العرب يعبرون عن مذهب البصريين والكوفيين في النحو بالمدرسة البصرية أو الكوفية

زمن الاحياء او الانبعاث (Renaissance) [1]. منذ ايام كومودس [2] وديوكليسيانس [3] تغير فن النحت تغيراً تاماً ، فبعد ان كان متمتعاً بالاتقان المتناهي في المدنية الاغريقية اللاتينية أمسى ضئيلاً ، حائراً ، كله عيوب ونقائص . فتماثيل القياصرة في ذلك العهد تدل على ارتباك في يد الفني وانحطاط في أساليب الفن . في مثل ذلك يصل الفن الى طوره البيزنطي . والفن البيزنطي مزيج من الفن الاغريقي اللاتيني تتغلب عليه خصائص شرقية ، وقد اتسم بطابعه الخاص في القرن السادس بعد الميلاد وأظهر أثر من آثاره هو معبد آجيا صوفيا المشيد في القسطنطينية من ٥٣٢ الى ٥٣٧ . ومن مميزاته الخطوط المنحنية ، والقبب الواسعة ، والزخرفة بالحجارة الملونة المحلاة بالذهب ، وتخريم الافاريز الدقيقة الصنعة . وقد انتشر الفن البيزنطي في القرون الوسطى انتشاراً كبيراً خصوصاً في الشرق

كثرت يومئذ صور العذراء وتماثيل المسيح غير أنها تدل جميعاً على السقم اكثر منها على الصحة ، كأن النوع الانساني عليل يشكو فقراً في الدم وضعفاً في القلب . بيد ان الفن أخذ بالتحسن قليلا قليلا بدنوه من الانبعاث كأن الصحة عادت اليه بالتدريج ، فظل مستشفياً مدة قرن تقريباً . فلما انتشر نور الانبعاث في العلوم والفنون عادت مخيلة الفنين الى استيحاء آيات المدنية القديمة ، ونسخ جمال التماثيل الاغريقية واللاتينية ، ورجعت الاهات الميثولوجية من منفاها المجهول فوجدت في ايتاليا خير موطن وأطيب مستقر

***

تتغير انواع العبقرية بتنوع احتياجات العصور . في جيل تنمو عاطفة الكمال الاخلاقي ، وفي آخر تروج النظريات الفلسفية او الاكتشافات العلمية ، وآناً يقدر اتقان الرسم والنحت وآونة يؤثر قرض الشعر وتنميق الانشاء . وقد يفوق يوماً جميع الفنون فن إيقاد الحروب وتدريب الجيوش ، الى غير ذلك من ضروب المقدرة البشرية . أما في قرن الانبعاث الذي خلف ظلام القرون الوسطى ، فقد تسابقت جميع القوى

(١) الاحياء أو الانبعاث هو الحركة الفنية والادبية والعلمية الكبرى التي وجدت في أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وكانت قائمة من وجوه كثيرة على نسخ المدنيات القديمة

(٢) قيصر روماني ملك من سنة ١٨٠ الى سنة ١٩٢ بعد الميلاد ، وهو ابن ماركس اوريليوس . اشتهر بجوره وصرامته وقد مات تسمماً وخنقاً في آن واحد

(٣) قيصر روماني ملك في عام ٢٨٤ الى عام ٣٠٥ وقد اضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً حتى دعي عصره « عصر الشهداء » . الا انه مل اتعاب الملك في شيخوخته فتنازل عن العرش وعاش عيشة الخلاء البسيطة

الانسانية في ميدان الجهاد لان الميدان كان مترامي الاطراف لا يرى المتأمل له حدوداً . فتناول البشر فيه فروع الفكر والعلم والعمل جميعاً . تجدد يومئذ درس القوانين والشرائع ، وعاد رونق المذاهب الفلسفية على تعددها ، وتوافرت الاكتشافات العلمية ، وانفتح باب النقد بعد الاصلاح اللوثري (Reformation) ، فكانت اوسع موجة من تلك الحركة الكبرى في عالم الفن بايتاليا وطن الانبعاث الاول

لقد كثرت حملات القوط في القرون الوسطى على جميع انحاء اوربا ولم تسلم ايتاليا من شرهم بل قاست من بطشهم أمر العذاب . وكان القوم اذا اجتاحوا مملكة أنزلوا فيها عاداتهم وبثوا في أرجائها لغتهم وفنونهم . فانتشرت الهندسة القوطية في اوربا الا انها لم تدخل ايتاليا الا بعد جهد جهيد ، ولم تؤخذ هنالك على علاتها بل اقتبس منها بعض مظاهرها ليس غير . واذا وُجد كنيستان فيها من الطرز القوطي الصرف فهما عمل مهندسين غير ايطاليين . ذلك لان الفكر الايتالي مدرسي (classique) من طبعه أي انه لاتيني يشبه فكر قدماء الاغريق وقدماء الرومان دون غيرهم من الشعوب . لذلك كانت ايتاليا في القرن الخامس عشر اكثر ثروة وعلماً وادباً من الممالك الاوربية الاخرى ، وما اشتعلت فيها شرارة الانبعاث حتى لمست جميع الافكار ، وكثر عدد النوابغ الذين سار ذكرهم في الخافقين وأحيت عبقريتهم دولة العلم والفن والادب

عندئذ أصبح الجسد جميلا تحت يد الفنين يتخلله من الاناقة والرقة شيء غير قليل . هذا في البندقية . أما في فلورنسا فنجد تلك المدرسة الزاهرة (وزعيمها ميكلانجلو) التي تعد بين أعضائها الكثيرين أسماء شهيرة كليوناردو دي فينشي ، ورافائيلو ، ودوناتلّو ، واندريا دل سارتو ، والاخ بارتولوميو وغيرهم من الذين أوجدوا أجمل شكل ينسخ عنه الفن الحديث . ففي تلك الاعضاء القوية من تماثيلهم ورسومهم ، وفي تلك العضلات البارزة والاجسام الكبيرة ، والصحة النضرة ، لا نرى شيئاً من التعب والكد والانحلال البادي في الآثار الفنية السابقة . بل ان الرأس منها ، والوجه ، وجميع الاعضاء تدل عند رافائيلو على اللطف والعذوبة وطمأنينة النفس . وترسم عند ليوناردو دي فينشي سمو الاخلاق ودقة الفكر وحدة الذكاء . وتمثل عند ميكلانجلو القوة والعزم ، والشجاعة وعلو الارادة والهمة . وعند تماثيل هذا الجبار تستحضر وجوه الابطال من البشر المتقدمين يوم كانت العذارى تجلس آمنات عند ضفة الانهار وعيونهن الكبيرات يرجعن صورة السماء للمرة الاولى ، فيهبط المحاربون من أعالي الجبال ليختنقوا الاسود في أحضانهم . فاذا كانت أثينا هي الوطن الاول للفن ، وكانت شجرته مخيمة تحت سمائها الصافي ، فان أمتن دوحة من تلك الشجرة أورقت في فلورنسا ، وكان

ميكلانجلو أجمل طائر يغرّد بين الوريقات المصفقات طرباً

***

عاش ميكلانجلو قرناً تقريباً . وبدأ ولوعه بالرسم منذ حداثته فدخل يتعلم عند رسام يدعى جيرلنداجو . ولما فتح لورانزو دي مديتشي [١] مدرسة للنحت في قصره سأل جيرلنداجو أن يبعث اليـه ببعض تلاميذه ، فارسل هذا ثلاثة منهم المدعو ميكلانجلو . دخل ميكلانجلو حدائق سان ماركو ، وهو الفتى المختار لايجاد الفن الحديث ، فاخذته هزة الاعجاب ازاء التماثيل الاغريقية التي جمعها هنالك آل مديتشي ، وصمم على درس النحت . افتتح درسـه بنسخ أحد التماثيل القائمة في الحديقة وقد اتقن النسخ اتقاناً لا اتقان بعده . فسرّ بذلك « العظيم » فدعاه الى مائدته وعين له راتباً شهرياً . ولـكن لم يلبث أن قضى لورانزو . فعاد الفنيّ الى منزل والده يعمل لنفسه ، وشهرته تتسع مع زيادة اتقانه لفنه . ثم استقدمه البابا يوليوس الثاني الى روما لتشييد مدفنه ، الا انهما اختلفا بعـد ان بدأ ميكلانجلو بتكييف المرمر على التماثيل الاثنين والاربعين المختارة لتزين المدفن . فهرب الى فلورنسا حيث لقي من يدعوه الى القسطنطينية ليقيم بينها وبين بيرا جسراً عظيماً . غير انه عاد واتفق مع البابا فتابع العمل في تماثيل ذلك المدفن الذي بوشر به في سنة ١٥٠٥ ولم ينته الا في سنة ١٥٤٥

ولما توفي يوليوس الثاني ، عهد خلفه ليون العاشر الى ميكلانجلو اتمام بناء كنيسة آل مديتشي في فلورنسا وحفر مدافنهم الشهيرة ، وقد اكثر في خلال اتمام هذه المشروعات العمومية من التماثيل والرسوم الخصوصية وكلها من فاخر الاعمال الفنية

كان ميكلانجلو قوي البنية ، عصبي المزاج ، يأكل قليلا وينام قليلا ويعيش عيشة الفقراء على ما لديه من واسع الثروة . كان يسيء الظن في كل شيء لشدة ما لقي من آلام أوجدها له الحاسدون . أحب العزلة ، صديقة المفكرين ، حباً جماً ، فعلمته الهدوء والسكينة ، وأعطته القوة ، ووهبته ادراك جمال الفن وقداسة العمل . ولم يستوقف نظره وقلبه طول حياته الا بسمة امرأة واحدة أحبته حتى الموت ، وهي فيتوريا كولونّا، مركيزة بسكارى

لما اجتمعا للمرة الاولى في روما كانت المركيزة أرملة في الخامسة والثلاثين من سنيها وكان هو في الستين من عمره ، فتبادلا حباً طاهراً قدسياً القى على حياة كل منهما رونقاً لا يكون مصدره الا لذة العاطفة ، وكانت تلك المرأة النفس الوحيدة التي سكب فيها

---

(١) Médicis اسم أسرة شهيرة ملكت في فلورنسا ، ولورانزو هذا احد اعضائها الحاكمين وقد لقب بالعظيم (Il Magnifico) لانه كان كريماً منشطاً للفنون والاداب

قلبه الكبير . فتراسلا نثراً ونظماً لانها كانت عاملة شاعرة مثله ، وظلت صداقتهما نامية حتى وافى فيتوريا الحمام فكان موتها اوجع احزانه واكبرها . لكنه لم ينسها طول حياته حية في قصائده وفي مجموعة رسائله

نعم ، اذا تليت بعض اياته القائلة : « قوة الوجه الجميل تدفعني الى السماء . . . » ذُكرت فيتوريا كولونّا التي رسم العاشق وجهها بيده المرتعشة وجداً ، وتحتمت المقابلة بين ميكلانجلو ودانتي الشاعر العاشق بياتريتشي ، لان الرجلين كانا مدركين لكل ما في الحياة من الفواجع وفي العالم من الاسرار . لكن بينا دانتي يدخل الى نفسه امام جور الاشياء وينسى ثقل المادة باغتساله في موجات الروح ، فان ميكلانجلو يظل معذباً بحنينه الى جمال الصور فلم يرتو عطشه هذا طول حياته . اول الرجلين منتصر قاهر ، وثانيهما مجاهد متألم . ميكلانجلو هو الشاعر المحلل لاوجاع النفس الممزقة بين تنازع المبادىء المتناقضة والميول المتنافرة ، فلا نسمع في صوته رنين الظفر ، بل هو هامس ابداً بغصة الكروب وثقل الهموم . واذا لطفت لهجته كثيراً كان مبتهلاً مستغيثاً . هو ارادة في حالة التكون . تريد أن تكون قوية ثابتة لكنها لا تكون في الواقع الا مجاهدة أبداً ، فلا تفوز الا بتراكم شكوكها على جدران الادراك البشري . وربما كان ذلك ينبوع عبقرية ميكلانجلو العظيم كرجل وكفني جميعاً . هو عظيم دائماً سواء حفر التماثيل أو نقش الافاريز ، أو شاد قبة سان بترو في روما ، او أقام مدافن الباباوات والملوك ، او توجع من حسد منافسيه برامانتي ورافائيلو او نظم حبه شعراً لفيتوريا كولونّا . ليس الحب عند ميكلانجلو اغتباطاً بل هو انفعال وعذاب ، وما الألم الا تشنجاً ، وما النفور الا كرهاً وبغضاً ، لانه لم يقف في شيء ، حتى ولا في نبوغه ، عند حد الاعتدال . لذلك كان وسيظل على كر الدهور واحداً من كبار مصارعي القلب والفكر البشري

مي

من اقوال ارسطو

قيل له لمَ حفظت الحكماء المال فقال لئلا يقيموا انفسهم بحيث لا يستحقونه من المقام

شرف الانسان على جميع الحيوان بالنطق والعقل فان سكت ولم يفهم عاد بهيماً

واعاد على تلميذ له مسألة فقال له أفهمت قال التلميذ نعم قال لا اظنك فهمت لاني لا أرى آثار الفهم عليك قال وكيف ذلك قال لا اراك مسروراً

الليل

للدكتور نقولا فياض

ألقاها في خلال خطبة شائقة موضوعها « الالم » في حفلة جمعية القديس جاورجيوس الخيرية بمصر في ٩ مارس الماضي . وما هذه القصيدة الا زهرة من باقة

يا فحمة الليل كم أضرمت بي نارا   وهجت تحت رماد القلب اسرارا
وكم وضعت على عيني ستار دُجى   وما رفعت لعين الفكر استارا
هل انتِ يا ظلمات الكون شاعرة   بحر انفاس صب فيك قد حارا
ان كنت للراحة الكبرى خلقت فكم   أرحتِ عيناً وكم أتعبت أفكارا
الموت أقرب شيء شبهوك به   لو ان للموت اقبالا وادبارا
وذا جبينك لا خط يجعده   وكم طويت به ناساً واعمارا
تنهدات الورى ما تصنعين بها   قولي وهل تحفظين السر ادهارا
وما تقولُ لك الاحلام طائرة   من الجفون مع النوم الذي طارا
واين تخفين نور السابحات على   متن الفضاء اذا ما نورها غارا
تغور في بحرك الداجي وتطلع أم   تطوي الى الشاطئ المجهول ابحارا ؟

* * *

يا ليل يا ليل كم ناداك من طرب   صوت المغني فما حركت أوتارا
ليل المحبين هل هذي عيونهم   ماتوا فأطلعتها في الليل أقمارا ؟
وهل تُطل على الآلام بعدهم   أم ترسل النورَ للاحباب تذكارا

* * *

تزحزحي يا غيوم الافق وانقشعي   وارسلي ياعيون الليل انوارا
بل فاحمليني على اشباه اجنحة   حتى أرى غير دار البؤس لي دارا
اودع القطعة اللحم التي اسرت   روحي وأصبح في الآفاق سيارا
فلا أرى للدمَ فوق الارض مندفقاً   والبغض يضرم النار والعارا

الدكتور نقولا فياض

الخدع الحربية

الجائز منها والممنوع

للحيل في الحروب شأن لا يقل عن شأن الاعمال والخطط الحربية . والقصد منها اما مباغتة العدو أو تضليله أو خدعه أو اضعاف قوته المعنوية . وقد تفلح الحيل حيث لا تفيد القوة المسلحة

تبيح القوانين الدولية استخدام الحيل والخدع في الحروب بل انها تعدها وسائل مشروعة لا تخل بالشرف العسكري في شيء بشرط أن لا يصحبها غدر او خيانة . فلا يعد من الحيل المشروعة مثلاً الحنث باليمين ، أو مبادرة العدو باعمال ووسائل يتعذر عليه درؤها مهما تيقظ لذلك ، أو خرق حرمة عهود أخذت اثناء الحرب ، أو مخالفة نصوص القوانين الدولية الحاضرة الخ . . .

الحيل السياسية

لا تقتصر الحيل على الحرب بل تتعداها الى السياسة . ويكفي دليلا على ذلك ما كان في حرب السبعين التي نشبت بين المانيا وفرنسا . فان تلك الحرب نشبت اثر اذاعة اهانة ملفقة وجهت الى سفير فرنسا . وهذا الحادث مشهور في التاريخ السياسي يعرف « ببرقية إمس » . وقد لفق ذلك الخبر البرنس بسمارك بالاتفاق مع وزير حربية المانيا وقائد جيشها العام فتسرع مجلس نواب فرنسا وقتئذ في اعلان الحرب قبل أن ينتظر تقرير السفير بهذا الشأن . وقد عدت هذه الحيلة مفخرة من مفاخر البرنس بسمارك وما هي في الحقيقة الا وصمة عار ستظل لاصقة به وباسمه دليلا على ما أتاه من الغدر والايقاع مما لا يجوز عده من الحيل المشروعة

ولكن هناك حيلاً جائزة في عالم السياسة نذكر منها ما حدث قبيل اغارة الالمان والنمسويين على سربيا فان الالمان كانوا يستخدمون بريد سفارتهم في رومانيا لتهريب بعض المواد والمهمات الحربية التي تحتاج اليها تركيا . وكثيراً ما لجأت حكومة رومانيا الى تفتيش هذا البريد نظراً لكبر حجمه الذي كان يحمل على الشك بما يحويه

ومن التدابير ما يرمي الى اثارة الحروب الاهلية في البلاد المعادية أو المحايدة وايقاع الارتباك والخلل في حياتها الاقتصادية لمنعها من تجهيز الذخائر والمهمات الحربية . فهل هذه التدابير مشروعة ؟ كلا . لانها ليست في الحقيقة الا دسائس ومؤامرات لا يمكن

التسليم بصلاحها وجواز استعمالها . وقد اتهم الدكتور ويلسون رئيس الولايات المتحدة الحكومة الالمانية عند اعلانه الحرب عليها بأنها سعت كثيراً بواسطة سفرائها في اميركا لاثارة الخواطر ودس الدسائس وبذر روح العداء نحو الحكومة الاميركية

ولا يبرح من البال ان المانيا قامت بمثل هذه المساعي في ارلندا فكادت تنجح لولا حزم الحكومة البريطانية . وتوفقت ايضاً في بلاد روسيا الى استمالة بعض ذوي السلطة وابتياع ذممهم رغبة منها في عقد صلح منفرد كما دلت الحوادث الاخيرة على ذلك . على أنه يجوز للدولة المحاربة أن تنتهز فرصة الاضطرابات والثورات في بلاد العدو للانتفاع بما يساعدها على تحقيق آمالها من الحرب

الاخبار الكاذبة

كثيراً ما يستخدم المحارب وسائل لنشر الاخبار الكاذبة في البلاد المعادية املا باضعاف همم اهاليها ولا سيما في البلاد المحتلة أو المحاصرة أو في المستعمرات النائية البعيدة عن أخبار الدولة التي تنتمي اليها . وقد أجمع الكتاب والمؤرخون السياسيون على أن هذه الطرق منافية للذمة والشرف وان لم تضاد القوانين الدولية مباشرة . وانا نرى أمثلة منها في الحرب الحاضرة يعمد اليها الالمان للايقاع بأعدائهم . فكم من مرة طبعوا نسخاً مزورة من الجرائد الفرنسية ولا سيما الماتان والجورنال ووزعوها في البلاد الفرنسية التي يحتلونها أو في جهات بلجيكا وملأوا هذه الجرائد باخبار كاذبة خدمة لاغراضهم وطمعاً في التأثير في الاهالي واضعاف هممهم

أما الاخبار والاشاعات التي ينشرها المحارب بواسطة جواسيسه في بلاد الاعداء لاجل اضعاف القوة المعنوية واثارة القلاقل وغيرها فجائزة وانما تستطيع الحكومات درء اضرارها واحباطها بسهولة اذا كان بوليسها متيقظاً ساهراً

الحيل في الحرب الاقتصادية

للحيل في الحرب الاقتصادية مجال واسع فالدولة المحصورة من البحر أو من البر لها ان تستخدم كل وسيلة ممكنة لاختراق دائرة الحصار واستيراد المؤن والذخائر بطريق التهريب أو خلافه وهذه الحيل جائزة الا اذا كان رائدها الغدر أو الخيانة

ومن هذه الحيل استخدام الرايات المحايدة لمجاوزة المناطق المحصورة حيث تكثر بواخر التفتيش والمراقبة . ومنها اخفاء المواد والمهمات الحربية المهربة تحت مظهر البضائع التجارية العادية أو تصديرها بشكل طرود البوستة المعتادة أو الطرود التي قضى اتفاق الهاي بعدم مسها كبريد السفارات وغيره

الحيل في الحرب البحرية

للمتحاربين ان يبتكروا من الحيل ما يوافق أغراضهم بشرط ان لايجاوزوا الحدود التي قررتها القوانين الدولية في هذا الشأن وهاك أهم هذه الحدود :

أولا لا يجوز للبوارج الحربية ان تحارب بدون ان ترفع علم الدولة التي تنتمي اليها وليس لها ان ترفع علماً غير هذا العلم في اثناء القتال

ثانياً لا يجوز رفع راية الصليب الاحمر أو الهلال الاحمر على السفن الحربية للتخلص من السفن المعادية

ثالثاً لا يجوز تحويل السفن التجارية في عرض البحار الى بوارج حربية (على ان المانيا لم تعبأ بهذا التحريم وكثيراً ما سلحت بواخرها التجارية عند تركها الموانئ الالمانية أو البلدان المحايدة)

رابعاً لا يجوز اطلاق النار على السفن التي ترفع راية التسليم (ولكن المانيا لم تحترم هذا القرار ايضاً اذ كثيراً ما صوبت غواصاتها قنابلها وطوربيلها على البواخر الآمنة الراغبة في التسليم)

وأما الحيل التي تعمد اليها السفن بان تتظاهر بالتسليم للبوارج المعادية حتى يتيسر لها انتهاز الفرصة وتصويب مدافعها تجاه نحوها أو بان تبدي علامات الاستغاثة المصطلح عليها طمعاً بمهاجمة العدو متى اتى لنجدتها فلا يختلف اثنان في أنها من ضروب الغدر التي يمجها الشرف وتنكرها القوانين البحرية الدولية

على انه يجوز للمحارب خدع عدوه باقامة الاشارات والرايات والانوار الخاصة ببواخره على الشاطئ ولاسيما في الليل أو اجراء أي عمل أو مظاهرة من شأنها التغرير بعدوه وحمله على الاعتقاد بوجود بواخر معادية في أمكنة هي في الحقيقة محفوفة بالاخطار وملأى بالصخور واكوام الرمل حتى اذا اتجه نحوها وقع في الفخ المنصوب له

ولكن هل يجوز للسفينة الحربية ان ترفع علم الدولة المعادية ؟ قد تؤدي هذه الحيلة الى نتائج هائلة ووخيمة ولكن ذلك لايمنع اعتبارها جائزة بشرط ان ترفع هذه الباخرة رايتها الحقيقية عند بدء القتال وتبدي انوارها واشاراتها الخاصة

الحيل في الحرب الهوائية

أهم هذه الحيل ان تتنكر الطيارة فتتخذ لون طيارة معادية وشكلها لخدع العدو وذلك من الحيل المسموح بها بشرط أن لا يعقبه عمل عدائي كاطلاق القنابل أو القائها على بلاد الاعداء والطيارة في حالة التنكر

الا ان المانيا لم تعر هذه القاعدة التفاتاً في حوادث عديدة ففي ٢٢ مايو سنة ١٩١٥

طارت احدى طياراتها فوق باريس وهي متنكرة بشكل طيارة فرنسية والقت القنابل عليها وهي في حالة التنكر

أما الحيل التي ينتحلها الطيارون للتخلص من أعدائهم أو للايقاع بهم بطريقة شريفة وفي معارك قانونية فكثيرة وهي في الحقيقة روح الحرب في الهواء ولا يمكن العدول عنها

الحيل في الحرب الارضية

تلعب الخدع هنا الدور الاول . ولذا سعت القوانين الدولية لتحديدها وتقييدها وتحريم أساليب الغدر التي قد تصحبها

وأهم الامور المحرمة الحنث باليمين ، والمبادأة بالعدوان بعد الاتفاق على هدنة ، واطلاق النار بعد التسليم ، وتظاهر الجنود الجرحى بالموت أو بخطورة جراحهم للايقاع بالعدو الذي يأتي للاعتناء بهم . كذلك لا يجوز ان توضع على المهمات الحربية العلامات المتفق على عدم التعرض لها كراية الصليب الاحمر التي توضع احياناً على قاطرات تنقل الذخائر والجنود أو ترفع على استحكامات حربية حملا على الاعتقاد بانها مستشفيات عسكرية ، وارسال الجواسيس بصفة مندوبين لاجراء المفاوضات بين الفريقين المتحاربين وهم في الحقيقة مرسلون للتجسس والاستطلاع ، واستخدام الجنود لرايات العدو وملابسه (وهو ما قد اكثر الالمان من عمله) الى غير ذلك

ومن الامور المحللة أيضاً والتي يؤاخذ عليها الالمان كثيراً تقليد اجراس الاعداء واصواته وعلاماته المصطلح عليها واوامره العسكرية ناهيك بما هو ادهى وافظع من ذلك نعني وضع أسرى العدو ورهائنه في الخطوط الامامية عرضة لنيران مواطنيهم

ومما تحلله القوانين الدولية اضرام النار في الابنية وغيرها من ممتلكات العدو وهدمها وفتح السدود وتخريب الطرق الحديدية الخ . بشرط ان تكون هذه الاعمال لازمة لنجاح الخطط الحربية . أما القيام بها للتلذذ بالاضرار والتخريب لا غير فمخالف لقوانين الحرب

***

بيّنا فيما تقدم مجال الحيل الحربية وذكرنا مجمل القيود التي تتقيد بها حتى تعد جائزة . غير انه يتعذر وضع حد لهذه الحيل فان مجال التفنن فيها واسع ومطلق لمهارة الجنود وقوادهم ولا سيما في هذه الحرب التي أرتنا من طرق الخداع الغريبة ما لم يخطر في بال

وخلاصة القول ان القوانين الدولية والمؤلفين السياسيين قد اتفقوا على اجازة الحيل في الحروب ما دامت خالية من شوائب الغدر وأساليب الخيانة

لبنان

احواله الجغرافية والتاريخية والاقتصادية

بقلم صاحب السعادة اوغست اديب باشا [١]

ايها المواطنون الكرام

لقد جئناكم اليوم موفدين من جمعية الاتحاد اللبناني في مصر نحمل اليكم تحيات اخوانكم ومواطنيكم وكل منهم كان يود لو كان معنا في هذا الاجتماع الجميل . فتحيتنا لكم وعواطفنا التي نزفها اليكم انما هي صادرة عن صدور المئات من مواطنيكم في العاصمة الذين يشتركون معنا في العواطف والمبدأ . فان للبنانيين النازلين في الاسكندرية منزلة سامية في قلوبنا ونحن نعلق عليهم الآمال الكبار في تأييد نهضتنا القومية ومطالبنا الوطنية . ولقد كنا نعلل النفس منذ أمد بعيد بزيارتكم لتوثيق عرى الاخاء الوطني بيننا وبينكم لذلك لبينا دعوتكم عن طيبة خاطر وجئنا نحييكم تحية الاخوان للاخوان

أما بعد التحية فهل لنا من حديث نطارحكم اياه سوى حديث لبنان العزيز وكل منكم يحن اليه ويرجو له الفرج القريب الذي سوف يتم بتحقيق ما نرجوه له من الخير والفلاح. فانا محدثكم عن ذلك الوطن العزيز وبعض شؤونه الجغرافية والتاريخية والاقتصادية بقدر ما يسمح به نطاق هذه المحاضرة

وقد أجيء في ما أقوله بالشيء الكثير مما لا يجهله الكثيرون من الحاضرين الكرام ولكن من أحب شيئاً يحب ان يكثر من ذكره وان يزداد معرفة به وكلنا يحب لبنان حباً صادقاً فيجب أن تعدل معرفتنا به محبتنا له . ولما كانت هذه المحبة جمة وجب ان تكون تلك المعرفة تامة . فهيوا بنا ندرس أحوال بلادنا أو اذا شئتم نستعيد معاً درسها لعلنا نستزيد من وراء هذا البحث رسوخاً في الوطنية وتفانياً في الخدمة العمومية

لبناننا الرفيع الذُرَى في وسط سوريا يشتق اسمه الابيض من بياض الثلوج على أعاليه . وتمتد سلسلته على ساحل البحر المتوسط من وادي النهر الكبير في الشمال الى مصب الليطاني الذي يتخذ في أسفل مجراه اسم نهر القاسمية . غير ان فروع لبنان تتصل في الجنوب الى حيفا والسكة الحديدية التي توصل هذه المدينة بدمشق وهذه الفروع

---

(١) هي محاضرة القاها صاحب السعادة اوغست اديب باشا رئيس الاتحاد اللبناني بمصر في الحفلة التي اقامها الاتحاد اللبناني في جران اوتل بالاسكندرية في ٣ مارس سنة ١٩١٨

تكاد تغطي كل بلاد الجليل . وسفح لبنان الغربي يحدر انحداراً خفيفاً الى البحر الذي تفصله عنه سهول فينيقيا . ويختلف عرض ذلك الفاصل متراوحاً من بضعة أمتار الى ستة وعشرين كيلومتراً وفي بعض جهاته يحدر لبنان من قم روابيه انحداراً حاداً حتى يتوارى في لجة البحر . ذلك منظره من الجهة الغربية أما السفح الشرقي فانه يهبط هبوطاً سريعاً نحو سهل البقاع جنوباً وسهل بعلبك شمالا وكلا السهلين يفصل لبنان عن شطره المسمى بالجبل الشرقي (أو انطي لبنان) ومن كلا السهلين يتكون منبسط مستطيل يرتفع في الطرف الجنوبي ٦٠٠ متر ويبلغ هذا الارتفاع عند مدينة بعلبك ١٢٠٠ متر ثم يعود الى الانخفاض في اتجاهه شمالا . وفي رأي بعض العلماء ان سلسلتي لبنان والجبل الشرقي كانتا سلسلة واحدة في العصر الذي تقدم التاريخ فزلزلت الارض وانخفض ما بين الجبلين فتكوَّن السهل الذي بينهما

وطول سلسلة جبل لبنان ١٦٥ كيلومتراً وعرضها في الجهة الشمالية نحو ٤٠ كيلومتراً ولكن هذا العرض يضيق كلما اتجه الجبل جنوباً حتى لا يزيد متوسطه على ٣٠ كيلومتراً

اما اذا أخذنا لبنان بجملته اي لبنان والجبل الشرقي (انطي لبنان) فيكون متوسط عرضه ٧٠ كيلومتراً . ومساحة لبنان الحالي تكاد لا تبلغ الاربعة آلاف كيلومتر مربع ولا يتجاوز عدد سكانه ٤٤٠٠٠٠ نفس . وكلكم يعرف الظروف الخاصة التي قصرت مساحته الى هذا الحد ساعة ان مجموع الاراضي المكونة من جبال لبنان لا ينقص عن ثلاثة اضعاف هذه المساحة اي ١٢٠٠٠ كيلومتر وعدد سكانها يتجاوز ثلاثة ارباع المليون كما يتضح لكم من الرسم الجغرافي المأخوذ من الخريطة التي وضعتها هيأة اركان الحرب للحملة الفرنسوية في سنة ١٨٦٠

أما منظر لبنان فانه يبدو لعين الناظر اليه من البحر قنناً عالية شاهقة جرداء تتخللها أودية عميقة تتسرب في جوفها الانهر والغدران . وتتجلى على صفحته واسفاحه القرى البيضاء كما تبدو على تلك الصفحة نكت الخضرة تعلوها الوان التوت الفاتحة أو لون الزيتون الغامق واشجار الاحراج ولكن الشواطئ وما داناها من المنحدرات ابهى منظراً واجمل رواء ففيها تتعانق البساتين الخضلة والحدائق والجناين والاغراس والنباتات فترتاح اليها عين الناظر وتقر بها دون تلك القنن العالية الجرداء

وهيكل لبنان مكون من صخور كلسية بيضاء صلبة يبرز من جوانبها الصخر الرملي وكلما اتجهنا شمالا ازدادت قننه علواً وارتفاعاً واهمها من الجنوب إلى الشمال « تومات نيحا » وعلوها عن سطح البحر ١٨٠٠ متراً وكانت في العهد القديم هدًى للبحارة والنوتية القاصدين ميناء صيدا ثم جبل الباروك وعلوه ٢٠٠٠ متر فجبل الكنيسة وعلوه

٢٠٣٢ متراً فجبل صنين وعلوه ٢٦٠٨ فجبل المنيطرة وعلوه ٢٩١١ فظهر القضيب وعلوه ٣٠٦٣ وجبال فم الميزاب والمكمل التي لا تقل ارتفاعاً عن ظهر القضيب

وعلى سفح ظهر القضيب وعلى علو ١٩٢٥ متراً غابة الارز الشهيرة وفيها ٤٠٠ شجرة وهي من بقايا غابات الارز التي كانت تغطي جبال لبنان وتضرب الامثال بها في التوراة والاسفار القديمة . وفي تلك الغابة أرزتان يبلغ قطر الواحدة ١٤ متراً ونصف متر بعلو ٢٥ متراً وعمرها نحو ثلاثة آلاف سنة وقد كان الارز ولا يزال رمزاً الى القدم والانفة والصبر على عاديات الزمان . وبين جبل الباروك وجبل الكنيسة تنفسح هضاب ظهر البيدر وعلوها ١٥٤٢ متراً وفيها تمر طريق العربات وخطوط السكك الحديدية بين بيروت ودمشق

أما الجبل الشرقي أو أنطي لبنان فاعلى قنته جبل الشقيف وعلوه ٢٠٧٥ متراً وجبل الشيخ وأعلى قنة فيه تبلغ ٢٨٦٠ متراً

أنهر لبنان

أما مجاري المياه في لبنان فهي على الاكثر جداول تنبع في الاعالي فتهبط منحدرة انحداراً سريعاً لقصر مجراها من المنبع الى المصب وفي الشتاء تغصّ الاودية بالمياه الغزيرة الحاملة التراب الذي تجرفه اليها الامطار من جوانب الجبل فتلقي ما تحمله عند مصبانها . واذا ما حل الصيف يتشقق بعض تلك المجاري ويظل في البعض الآخر مسارب خفيفة ضئيلة يستمدمنها أصحاب الاملاك الواقعة على ضفتي الوادي ماء الري لاراضيهم واملاكهم . وليس في لبنان نهر او جدول يصلح لسير المراكب على ان نهر الليطاني هو دون سائر الانهار اللبنانية طويل المدى غزير الماء اذ يبلغ مجراه المتعرّج حوالي ١٨٠ كيلومتراً من منبعه في المنحنى الشرقي من جبل المكمل الى مصبه على مسافة ٨ كيلومترات من صور شمالاً فيروي في طريقه شطراً من سهل بعلبك ثم يجري الى بقاع العزيز فيجتازه من طرفه الشمالي الى طرفه الجنوبي ثم يتجه غرباً دفعة واحدة فيصب بالبحر

ومن أنهر لبنان التي تستحق الذكر النهر الاوليّ الذي يصب على نحو ٥ كيلومترات شمالي صيدا (صيدون الفينيقية) ونهر الدامور ونهر بيروت ونهر الكلب وكان يسمى ليكوس عند الاقدمين وهو من اشهر الانهر في تاريخ الغزوات والحروب في العهد القديم رغم قصر مجراه وقلة مائه . ثم نهر ابراهيم (آدونيس) الذي كان يجله الفينيقيون ويقدسونه وهو ينبع من مغارة افقا الشهيرة ويصب في البحر على ستة كيلومترات الى الجنوب من مدينة جبيل (بيبلوس القديمة)

ثم نهر قاديشا وهو ينبع من تحت ارز لبنان الشهير ويجري في وادي عميق تعلو جانبيه حافتان من الصخور يبلغ علوها احياناً نحو ٥٠٠ متر وفيهما مغاور واسعة كان يعتزل فيها النساك والزهاد وبنيت فيها الاديرة . ثم النهر الكبير الذي ينتهي الى واديه اخر اطراف السلسلة اللبنانية من الجهة الشمالية اي جبل عكار

وهناك أنهر تتصل بمسارب مياه جبل لبنان وهي : نهر العاصي (اورونت) الذي يجري من المنحدرات الغربية للجبل الشرقي (انطي لبنان) على مقربة من شمالي بعلبك. ويصب في البحر الابيض المتوسط بعد ان يمر بمدينة انطاكية وطول مجرى هذا النهر ٤٠٠ كيلو متر تقريباً

ثم نهر الاردن الذي تنبع ينابيعه الثلاثة من الجانب الغربي من جبل الشيخ وهذا النهر بعد اجتيازه بحيرة الحوله وبحيرة طبرية يصب في البحر الميت الواقع على مستوى ٣٩٤ متراً تحت سطح البحر الابيض

أما العيون والينابيع فهي اكثر من أن تحصى وقد اشتهرت كلها بطيب منهلها وصفاء موردها وعذوبة مائها الذي يجري في الابدان صحة وعافية . ويا طول شوقنا الى تلك المناهل العذبة !

أما جوّ لبنان فلا يقل جودة عن مياهه فانه يهب فيه هواء عليل بليل نقي منعش ولا يرتفع ميزان الحرارة في سواحله واعاليه حتى ٧٠٠ أو ٨٠٠ متر إلى اعلى من الدرجة ٣٤ او ٣٥ بميزان سنتغراد ولا يهبط الى ما تحت الصفر بهذا الميزان الا نادراً . على انه كلما ارتقينا في الجبل فوق هذا العلو ازداد البرد . وترتدي جوانب الجبل في فصل الشتاء حلة بيضاء لا نكتة فيها . الا ان اعلى قممه لا تبلغ من الارتفاع ما يقتضيه ناموس الطبيعة ليكون الثلج عليها دائماً ولكنه يظل على بعض جوانب تلك القمم من الثلج ما يدوم طول الصيف لانه يبقى في المنعطفات والخيران بعيداً عن حرارة الشمس

والمطر في لبنان يغزر في الخريف والشتاء فيغذي العيون والينابيع التي تجري من كل جانب وجهة فتحبس مياهها لري التوت والخضر والبقول والجنائن . ومتوسط كمية المطر التي تهطل في لبنان في السنة نحو متر

أما الصيف فان السماء فيه تصفو من كل كدورة ويندر جداً ان تهب عاصفة أو تمر سحابة أو تهطل قطرة . الا انه على بعض العلو يخيم الضباب صباحاً ومساء في مدة من السنة على بعض الهضاب المطلة على البحر . ويكثر الندى ليلاً فينعش النبات مما أصابه نهاراً من حرارة الشمس

والهواء الشمالي في فصل الشتاء شديد القر . واذا ما هب الهواء صيفاً من جانب

البحر برد الجو ولكنه ينثر الرطوبة . وقد يهب الهواء أحياناً من الصحراء أياماً متوالية فيكون لافحاً ويحمل الغبار الرفيع

الاصطياف في لبنان

واذا كان لبنان على ما ذكرنا من اعتدال الهواء وعذوبة الماء فلا عجب ان يؤمه المصطافون ألوفاً من مدن السواحل ومن القطر المصري فيصرفون أحرّ أشهر الصيف في متوسطه وأعاليه . وقد أنشئت الفنادق وبنيت في جهاته محلات الاصطياف التي تشرف على مناظر بهجة رائقة فيرتمي النظر من جهة الى عقود السواحل والى الحدائق والبساتين وغابات الزيتون والتوت والكروم الخ . ومن جهة أخرى الى الاودية الغائرة في بطون الجبال أو المنفرجات الجميلة والوهاد والهضاب والحزون والجزور والوعر حيث ترتفع جدران من الصخور تلقي الروعة في النفوس والهيبة من جلال الطبيعة حتى أطلق بحق على جبال لبنان اسم سويسرا الشرق وأما في الشتاء فان خليج جونيه مثلا يضارع باعتدال جوه وهوائه ومناخه أجمل مشاتي اوربا كخليج نابولي وساحل مدينة نيس في فرنسا

الزراعة

أرض لبنان لا تصلح للزراعة الا قليلا فمنحدراته مجردة من تربتها التي تجرفها مياه الامطار في الجداول والغدران والاودية والانهار . فتعرّي تلك الامطار الصخور . ومن المياه الجارفة تربة الجبل تكوّنت سهول بعلبك والبقاع والسهول الممتدة على الساحل الذي تقوم به مدن بيروت وطرابلس وصيدا

ان الفلاح اللبناني يعاني اكبر الصعاب في تفتيت الصخور وتحطيم الحجارة فيعمل منها الحافات والمقاصل والشعاب وينقل اليها الاتربة أحياناً من مكان بعيد سحيق ثم يزرع في تلك الشعاب التوت والزيتون والكرم والتين وغيرها من الاشجار المثمرة . والناظر الى منحدرات الجبل يرى ان هذه الشعاب يعلو بعضها بعضاً من قاع الوادي حتى قمة الجبل وهي لعمري خير شاهد على جلد اللبناني وصبره وأناته وجده في ان يكره الطبيعة العقيمة على ان تعطيه رزقه

ويزرع اللبناني ما عدا القمح والشعير والذرة والحبوب التي لا تكفيه حاصلاتها نباتات أخرى وأهمها تبعاً لدخلها التوت والزيتون والكرمة والدخان . ويلي ذلك الجوز والتين والبرتقال والليمون . على ان التوت الابيض هو الاكثر انتشاراً وزرعاً وورقه الناعم الكثيف هو غذاء دود الحرير في شهر ابريل . ثم يورق التوت ثانية في شهر اكتوبر (تشرين) فينزع علفاً للمواشي أو يخزن يابساً لعلفها شتاء

أما الزيتون فهو كثير في لبنان يؤلف في بعض الجهات غابات كثيفة . واذا كان نموه بطيئاً فهو يعمّر مئات من السنين . وطعم الزيتون اللبناني لذيذ شهيّ والاهلون يأكلون منه كميات وفيرة ويعصرون منه زيتاً طيباً وقد كان بالامكان ان يكون هذا الزيت اكثر رواقاً وألذ طعماً لو اتبعت في عصره وتكريره الطرق الحديثة . والزيت «الشامي» والمقصود به الزيت اللبناني كثير الرواج في أسواق مصر

أما الكروم فانها تزرع عادة على جوانب الروابي المعرضة لنور الشمس بعد تنظيمها شعاباً والكروم كثيرة الانتشار في الجبل تثمر عنباً لذيذ الطعم ويصنع منه الزبيب الناشف والنبيذ والخل والعرق والدبس . ومن منكم يجهل شهرة عرق زحلة والزوق وخمر سبعل وشتورا وبكفيا

ولقد كان الدخان اللبناني يعد من اجود اصناف الدخان وكان يدخنه كثير من اهل سوريا ويصدره التجار الى مصر ولما شاع استعمال سجاير الريجي العثماني انحطت زراعة الدخان اللبناني ولكن هذه الزراعة استعادت بعض قواها في السنين الاخيرة ونجحت نجاحاً يؤمل لها بمستقبل حسن

غابات لبنان

كان لبنان في العهد القديم مغطى بالغابات والاحراج تجوبها وتختبئ فيها الاسود والنمورة وانواع الوحوش المفترسة وكان الصيادون يصطادون فيها بقرة الوحش ورجح المؤرخون وجود الفيل ايضاً وكان اكثر الشجر شجر الارز ويليه السنديان والصنوبر والعفص والسرو الخ . وكان الاشوريون والبابليون والمصريون والاسرائيليون يأخذون من هذه الغابات ما يلزمهم من أخشابها لبناء معابدهم وقصورهم . ولما كان سكان البلاد قليلين كانوا يعيشون من قطع تلك الغابات وكلما زاد عدد الاهالي عرّوا الارض منها ليعدوها لزرع القمح والكرمة والزيتون وقطعوا كثيراً من الاشجار لبناء السفن الحربية والتجارية وصهر الحديد في معادنه وصنع الكلس . ولما أدخلت تربية دود الحرير في لبنان توارت أشجار الغابات لتحل محلها نصبات التوت لزيادة دخلها وضاعف استئصال الغابات ترك الماعز يرعى النبت الصغير قبل ان يعلو ويقوى وزاد في شر هذه الآفة اهمال الاهالي الذين لم يعتنوا بان يغرسوا أو يربوا الاشجار عوضاً عما اقتلعوه او تلف وهكذا تحول لبنان الذي كان يبدو لعين الناظر متجلبباً حلته الخضراء الى آكام جرداء وصخور ناتئة وروابي قاحلة . على انه رغم هذه العوامل لم يمح أثرها من قممه واسفاحه فلا تزال فيه ما عدا غابة الارز الشهيرة ثلاث غابات اخرى اقل منها شهرة وان تكن اكثر اتساعاً

وغابات السنديان والصنوبر وبعض احراج الشربين . ولو عني بامر تحريج الجبل لنتج من ذلك تلطيف الهواء وحفظ التربة وخزن المياه ولجنت البلاد فائدة مادية كبرى

الصناعة في لبنان

أمَّا الصناعة فضعيفة في ذلك الجبل فان اكثر اللبنانيين ينصرفون الى تربية القز ولكنهم لا يربون القز في مرابي كما يفعلون في اوربا بل يربونه في مساكنهم او في «أخصاص» خاصة ولحلّ الشرانق معامل في انحاء الجبل وسواحله يرى المار والطائف بعضها امام المدن والقرى او في الاودية والسهول يشتغل فيها كثير من الصناع بنات ورجال . واكثر خيوط الحرير تصدر وقليل منه يحاك في البلاد على انوال تدار بالارجل لنسج اقمشة حريرية مرقمة أو ذات لون واحد وكذلك لنسج القماش المعروف بالديما وبلدة الزوق مشهورة بانسجتها وكفافيها الحريرية المقصبة بخيوط الذهب والفضة . وعلى مقربة من طرابلس تصنع البلس وفي بيروت تصنع انواع المصوغات والاثاث على اختلاف انواعها وفي بيت شباب وبيروت وصيدا تصنع آنية الفخار كالاباريق والبراني والخوابي والكيزان والسقارق والدوارق والمعاجن والصحون والقدور . وامتازت في بيت شباب أسرة نفاع في صب الاجراس والصنوج وصنع النواقيس ولهم يد بارعة وحذق في صناعات اخرى وفي بيروت وطرابلس مصابن وبين طرابلس وجبيل يصطادون الاسفنج وفي موانئ الساحل يبنون المراكب الشراعية والزوارق للتجارة والصيد

أما معادن الفحم فليست غنية في لبنان فالفحم الحجري لا أثر له الا ما كان من نوعه قليل النضوج (اللينييت) ولو ان معادنه وصلت بالساحل بخطوط حديدية او بطريق عربات ممهدة لكان له بعض الدخل والمنفعة مع توفر شروط الاستثمار بالطرق الحديثة . وعثروا في بعض الجهات على آثار للحمّر وفي لبنان كثير من معادن الحديد اخصها في اواسطه وفي جنوبه وقد كان القدماء يستخرجون هذا المعدن بصهر تربته بخشب الغابات فما كان يستخرجونه كان من النوع الجيد . أما الآن فانهم عدلوا عن ذلك لقلة الوقود . أما المعادن الاخرى فانها نادرة في لبنان وحجر البناء وفير فهو في الجبال من الابيض الصلب مكاسره زجاجية لونه ذو بياض باهت اذا وقعت عليه الشمس طويلا اكسبته شقرة ذهبية . أما على السواحل والهضاب الواقعة بجوارها فاكثر الحجر رملي اصفر اللون اذا خرج من محجره سهل نقته وكلما تعرض للريح زاد صلابة وفي الشمال مقالع رخام اذا صقلت جملت وقد بدأوا بالاتيان بحجارة البناء الى مصر حيث يندر وجودها

(لها بقية)

تحول الحركة

في العوالم الجمادية والحيوية والاجتماعية

٣ — الحركة الدورية وتحول القوة في العالم الكيماوي

الاثير المتموج — اذا كانت الحركة أيان حدثت لا بد أن تكون دورية لتعدد القوات المسببة لها كما علمت فالاثير المالىء الفضاء (وهو الوسيط الذي ينتقل به النور والحرارة من جرم الى جرم) لا بد ان يكون في حركة دورية دائمة أيضاً. لان الاجرام السماوية العائمة فيه متحركة هذه الحركة جملة وافراداً وكلياً وجزئياً (أي انها كلها متحركة بالمساوقة ولكل فرد منها حركة مستقلة وللاجزاء التي يتركب الفرد منها حركات أخرى مستقلة). ولما كان الاثير الطف جداً من المواد المحسوسة وبالتالي اكثر مرونة من الطف الغازات المادية كانت حركته الدورية موجية كموجية الهواء ولكنها أسرع جداً. ولهذا يمكنك ان تسميها حركة اهتزازية اذا شئت. على ان حركة الجوهر الفرد الاثيري اهتزازية طبعاً

وهو معلوم ان الحركات الصادرة من الاجرام كجرم الشمس مثلا تختلف بين حرارة ونور وكهرباء ومغنطيسية. فامواج هذه الحركات تختلف ايضاً سعة وسرعة باختلاف محركاتها كما ان امواج الهواء تختلف سعة وسرعة باختلاف الاوتار المهتزة كما علمت. ولما كان النور مجموعة عدة اشعة مختلفة الالوان لاختلاف العناصر الشمسية التي يصدر منها ولكل اشعة لون زاوية انعكاس وزاوية انكسار في الموشور كانت أشعة النور هذه المختلفة الالوان مختلفة الامواج الاثيرية أيضاً

فالاثير الذي هو اوقيانوس اللانهاية متلاطم الامواج على الدوام

الجواهر الفردة والدقائق المهتزة

وهو معلوم ايضاً ان المادة المحسوسة التي تتألف منها هذه الاجرام العائمة في هذا الاوقيانوس الاثيري مؤلفة كلها من دقائق كمية لا تقع تحت الحواس وانما يحكم بها حكماً بناء على الاختبارات العلمية الكيماوية. والدقائق مؤلفة من جواهر فردة تختلف في معظم انواع الدقائق وهي المركبات وتتماثل في القليل من انواعها كما في المواد البسيطة. وقد رجح لاهل العلم بناء على عدة ظواهر طبيعية ان تلك الدقائق غير متلاصقة بل يوجد بينها فراغ لامكان ان يتخللها دقائق مختلفة عنها في احوال معينة ولامكان ضغطها في

احوال أخرى . وليس ذلك فقط بل ان الجواهر الفردة التي تتألف منها الدقيقة الواحدة غير متلاصقة بل يوجد بينها فراغ لامكان ان يتحد معها جوهر آخر أو اكثر من غير ان يزيد حجمها ولأدلة أخرى لا محل لبيانها هنا

ولما كانت جواهر الاثير ادق جداً بما لا يقاس من جواهر المواد المحسوسة كانت تلك تخلل هذه بلا شك كما يتخلل الماء الرمال . واذا كانت جواهر الاثير مهتزة على الدوام افراداً وجملة فلماذا لا تكون الجواهر الفردة المادية كذلك وهي غائصة في بحر الاثير المتحرك على الدوام ؟ لذلك خمّن اهل العلم اهتزازات الجواهر الفردة

وهو معلوم ان الجواهر الفردة مختلفة الثقل من جوهر الهيدروجين اخفها الى جوهر الاورانيوم اثقلها فلا يمكن والحالة هذه ان تكون اهتزازاتها متماثلة بل الراجح ان تختلف اهتزازاتها سعة وسرعة بحسب اختلاف اوزانها فاخفها ابطأها اهتزازاً واوسعها مدى في لاهتزاز واثقلها اسرعها واقصرها مدى . وذلك حسب سنة اهتزاز الوتر اذا شئت المقايسة

ما هي الالفة الكيمية ؟

يسمي الكيماويون قابلية عنصر للاتحاد مع عنصر آخر وتركب مادة جديدة منهما « الفة كيمية » بين جوهريهما الفردين . ومعلوم كيماوياً ان هذه الالفة الكيمية قوية أو ضعيفة حسب طبيعة العناصر المؤتلفة . فالعنصر الواحد يكون أقوى الفة لعنصر آخر منه لعنصر ثالث . مثال ذلك ان الفضة اشد الفة للكلور منها للنيتروجين . فاذا كانت مؤتلفة مع هذا (بشكل نترات الفضة) وادنيت منها اي مركب كلوري ككلور الصوديوم مثلا تركت النيتروجين (نترات) واخذت الكلور حالا . فتفاوت هذه الالفة الكيمية بين جواهر العناصر هو سبب تركب المواد العديدة منها وتحويل مركب الى آخر

ولكن ما هي الالفة الكيماوية ؟ ولماذا يتحد هذا الجوهر مع ذاك لا مع ذاك . ولماذا يترك هذا الجوهر هذاك ويتحد مع هذا ؟ هاك نظرية تعليله :

قلنا ان لكل نوع من انواع الجواهر الفردة (اي لجوهر كل عنصر) سرعة خاصة في الاهتزاز . فاذا كان جوهران يهتزان في سرعة واحدة فلا بد ان يتحدا في الاهتزاز . اي انهما يتساوقان في موجة واحدة ويهتزان معاً كأنهما جسم واحد . وبالطبع لا يهتزان بسرعة واحدة الا اذا كانا من نوع واحد وحينئذ لا يكون ثمت تركب كيماوي بل تكون الدقيقة المؤلفة منهما بسيطة كالجوهر الفرد . ولكن اذا كانت اهتزازات الجوهر « ك » مثلاً مضاعف اهتزازات الجوهر « ه » فتساوقهما ممكن ايضاً لان كل هزتين من « ك » تتفقان مع هزة من « ه » . (فمثلهما مثل الانغام فان وتر « دو » الجواب يهتز مضاعف وتر « دو » القرار ولذلك تؤثر موجات ذاك

على هذا وتهزّهُ معه كما علمت) . واذا كانت اهتزازات الجوهر « ك » ثلاثة اضعاف اهتزازات الجوهر « ن » فتساوقهما ممكن ايضاً لان كل ٣ هزات من « ك » تتفق مع هزة من « ن » . ولكن لاقل تأمل نجد ان تساوق « ك » مع « ه » اشد امكاناً من تساوق « ن » مع « ه » لانه كلما اهتز « ه » ٣ هزات اهتزّ « ن » هزتين

وحاصل القول ان معنى الالفة الكيمية هو تساوق الجواهر الفردة في الاهتزاز . فالجوهر الامكن تساوقاً اشد الفة والعكس بالعكس طبقاً لسنة الوتر والرقاص . والنتيجة التي تتوخاها من ذلك هي أن التفاعل الكيماوي متوقف ومترتب على حركة الجواهر الاهتزازية التي هي ضرب من ضروب الحركة الدورية

تأثير الموجات الاثيرية في اهتزازات الجواهر الفردة

فيما يتقدم نظرنا الى حركة الجوهر الفرد وحدها وقطعنا النظر عن حركة الوسط الذي يتحرك الجوهر فيه ونعني بها حركة المائع الاثيري المتخلل بين الجواهر الفردة . فحركة الاثير هذه ذات تأثير على اهتزازات هذه الجواهر . فقد علمت ان الاثير يتموّج تموجات مختلفة الطول والسرعة بفعل اشعة النور والحرارة الخ . فاذا كانت بعض المركبات الكيماوية الممتزجة موجودة تحت فعل النور او الحرارة كان في وسع أنواع الموجات الاثيرية (النورانية أو الحرارية الخ) ان يغير معدل اهتزازات نوع من انواع الجواهر الفردة فيضعف الالفة بين جوهرين الفتهما قوية ويقويها بين جوهرين الفتهما ضعيفة . وبعبارة أخرى ان نوعاً من الموجات الاثيرية يؤثر في اهتزازات نوع من الجواهر الفردة فيبعده من جنب جوهر آخر متحد به ويقربه الى جنب جوهر آخر . ولكن كيف ؟

الاثير ألطف جداً من المواد المحسوسة وبالطبع جوهره الفرد أصغر جداً من جوهر المادة الفرد [1] فكيف يؤثر ذاك في هذا ويجعله يوفق حركته مع حركته ؟

بالطبع ليس جوهر واحد فقط من الاثير يفعل في جوهر واحد من المادة بل ان موجة أثيرية برمتها مشتملة على عدد عديد من الجواهر الاثيرية تفعل ذلك في الجوهر المادي. فهب ان بين نوع من الموجات الاثيرية وبين اهتزازات جوهر مادي مطابقة ممكنة . فتى جعلت الموجات الاثيرية تصدم ذلك الجوهر صدمات متتالية لا عداد لها تحول حركته الاهتزازية تدريجاً من حركة معارضة الى حركة مطابقة لتلك الموجات فتتساوق اهتزازاته مع تلك الموجات وتخالف اهتزازات الجوهر الذي كان يتساوق معه قبلاً .

(١) وربما كانت الجواهر الاثيرية الفردة انواعاً مختلفة أيضاً كاختلاف أنواع عناصر المادة المحسوسة . وهذا الفرض يسهل تعليل اختلاف الموجات الاثيرية في السرعة والمدى

وبالطبع يطاوع تلك الموجات الاثيرية وينتقل معها من ذلك الحيز الذي كان فيه مع ذلك الجوهر الآخرحتى اذا كان بالقرب منه جوهر ثالث موافق له في الاهتزاز يدخل معه في حيزه ويتساوقان . ولا يخفى ان هذا الثالث لا يوافقه في الاهتزاز الا اذا كان مطاوعاً للموجات الاثيرية التي ساقت الجوهر الاول اليه (اي اذا كان مؤالفاً له إلفة كيمية)

***

لاحظ أمرين جوهريين : الاول كما أن للدقيقة الكيماوية (المؤلفة من جوهرين أو اكثر) قواماً خاصاً (أو طبيعة خاصة) يختلف عن قوام كل من الجواهر الفردة التي تتألف الدقيقة منها — لها أيضاً حركة اهتزازية خاصة بطبيعتها جملة تختلف عن اهتزازات جواهرها . أما الجواهر فتبقى في معدل اهتزازاتها الاصلية ولا تخضع الا للانفعالات المتبادلة بينها . فتمثل حركة الدقيقة بالخلاف مع حركات جواهرها كمثل حركة النظام الشمسي جملة في الفضاء بالخلاف مع حركات الاجرام التي يتألف منها هذا النظام بالنسبة بعضها الى بعض والى الشمس

الثاني كما ان الموجة الاثيرية مهما كان نوعها تهز جوهراً فرداً هزات تتفق معها هكذا الجوهر الفرد نفسه ينشىء في الاثير موجات كالموجات التي هزته

بهذه النظرية يمكن تعليل ما اكتشفه بنسون وكيرشوف من ان بخار بعض المواد يمتص انواعاً خاصة من الموجات الاثيرية النورانية . وكذلك يمكن تعليل ما اكتشفه تندل من أن الغازات تمتص الحرارة . فان كلا الامتصاصين يدلان على ان لجواهر كل مادة معدلا من الاهتزازات يتفق مع نوع من الموجات الاثيرية ذات طول خاص

تأثير موجات النور الاثيرية في المركبات الكيماوية

اليك ما نص عليه سبنسر بهذا الصدد : « اذا كان الامر كذلك (كما تقدم) ففي وسعنا ان نفهم كيف ان أشعة الشمس تسبب حل بعض المركبات الكيماوية

« اذا كان جوهرا دقيقة ثنائية (أي دقيقة مؤلفة من جوهرين مختلفين فقط) تحت فعل تموجات أثيرية نورانية بحيث ان أحدهما يعجل في الاهتزاز دون الاخر فهو واضح انه ينشأ ميل في الدقيقة الى انفصال أحد جوهريها عن الآخر — وهذا الميل قد يفضي الى هذه النتيجة أو لا يفضي اليها بحسب ضعف أو قوة الالفة بين الجوهرين وبحسب وجود جوهر أجنبي له الفة لاحدهما أو عدم وجوده

« وقد لاحظ الدكتور درابر ان المركبات المعدنية التي جواهرها الفردة ثقيلة كالفضة والذهب والزئبق والرصاص انما هي أشد تأثراً بالنور من المركبات المعدنية التي جواهرها الفردة ضعيفة كالبوتاسيوم والصوديوم

« والتعليل الادق لذلك هو ان المركبات الاكثر تأثراً من النور هي المركبات التي بين جواهرها الفردة بونٌ واسع في الوزن والارجح ان بين جواهرها بوناً في الاهتزازات أيضاً

« ولما كانت بعض المركبات الكيماوية تحل أو تتكيف تحت فعل أقسام السبكتروم [1] المختلفة كان لا بد من وجود نسبة بين انواع التموجات الاثيرية واهتزازات الدقائق . أي انه لا بد من وجود المطابقة بين معدل تلك التموجات ومعدل هذه الاهتزازات التي تهزها بعض جواهر الدقائق »

تأثير موجات الحرارة الاثيرية في المركبات الكيماوية

قال سبنسر : « وأبلغ تحقيق لهذه النظرية انما هو فيما نراه من فعل الحل الكيماوي الناجم عن فعل التموجات الاثيرية الطويلة أي تموجات الحرارة . فاذا أنعمنا النظر في سلسلة المركبات الكيماوية الثنائية نرى ان العناصر المتباعدة في وزنها كالهيدروجين والذهب مثلاً لا تأتلف مطلقاً وان ائتلفت فبصعوبة كلية . ذلك لان اهتزازاتها غير متماثلة فلا تطبق الائتلاف في أي درجة من الحرارة . واذا نظرنا الى المعادن المتأكسدة (أي المتحدة مع الاوكسيجين) نرى ان المعدن (أو العنصر) الذي جوهره أقرب وزناً لجوهر الاوكسيجين لا ينفصل عن الاوكسيجين حتى ولو وجد معه جوهر آخر ذو الفة قوية للاوكسيجين . وأما العناصر التي تبعد جواهرها وزناً عن الاوكسيجين فيمكن ان ينقل الاوكسيجين منها الى الكربون بفعل الحرارة الشديدة . والحرارة التي تبعد بالوزن عن الاوكسيجين بعداً شاسعاً يمكن فصل الاوكسيجين عنها بحرارة أقل

« أفلا ترى مطابقة شديدة بين سلب الكربون للاوكسجين بفعل الحرارة (أي الموجات الاثيرية الطويلة) من المعادن المؤكسدة وبين سلب الهيدروجين للكربون من الحامض الكربوني بفعل النور (أي الموجات الاثيرية القصيرة) ؟ . هذا اذا لاحظنا في هذه المطابقة النسبات التي بين الجواهر الفردة في الحالتين » . انتهى

والنتيجة التي نتوخاها من كل ما تقدم ان العامل الاساسي في تركيب الجواهر الفردة الكيماوي وفي حل المركبات الكيماوية انما هو الحركة الدورية في ضربين : الضرب الاول حركات الجواهر المادية الاهتزازية ونسبها بعضها الى بعض . والضرب الثاني الموجات الاثيرية المختلفة الانواع التي تتلاعب باهتزازات الجواهر المادية فتحول مركباتها

(١) أي ألوان اشعة الطيف الشمسي . فان لكل شعاع لون معدل اهتزاز خاص يختلف عن سواه كما علمت

من صورة الى صورة . فالعمل الكيماوي كله اذاً قائم على الحركة الدورية طبقاً لسنة المحاكاة

عمل الموجات الاثيرية في انماء الاجسام العضوية الحيوية

اذا كانت الحركة الدورية هي العامل الاساسي في الاعمال الكيماوية فلا بدع ان تكون العامل الاساسي أيضاً في نمو الاجسام العضوية الحيوية ما دام هذا النمو عملا كيماوياً . واليك ما قاله سبنسر بهذا الصدد : —

« هذه النظرية (السابقة الذكر) تساعدنا في تعليل كيفية التغيرات (الكيماوية) التي يحدثها النور في النبات (التغيرات التي تحدث في حالة نموه) . بين المواد التي يتألف منها النبات اختلاف بيِّن في سهولة الحركة (بعضها غازي وبعضها مائع وبعضها جامد) . والارجح ان بين دقائقها اختلافاً في معدل الاهتزاز . كل عنصر مركب مع واحد من العناصر الاخرى . وكل هذه العناصر موجودة مع عدة مواد مركبة تراكيب مختلفة وهي تدخل فيها وعلى استعداد ان تتركب معها تركباً جديداً . بعض انواع الموجات الاثيرية تقع عليها وهي في هذا الترتيب وتحدث انفصال بعض الجواهر الفردة وتركب الباقي على صورة جديدة . ولا يخفى ان نتيجة الانفصال هي ان الاهتزازات التي بين الجواهر المختلفة كما كانت مرتبة قبلاً تصبح غير متكافئة كما كانت متكافئة اولاً وبالتالي يتزعزع قوام المجموع ويصبح للجواهر الباقية ألفة جديدة (حتى لجواهر اخرى اجنبية عنها مجاورة لها) فتترتب الدقيقة ترتيباً جديداً غير ترتيبها السابق . وهذا الترتيب الجديد وان كان اقل رسوخاً مما كان عليه قبلاً فهو راسخ لدى الامواج الاثيرية التي سببت انفصال احدى الجواهر

« ولا سبيل لتصور هذا التغير الا على الكيفية التالية : — المطلوب ان الجوهر المتحد مع جوهر آخر لالفة شديدة بينهما يُنقل من هذا الجوهر الى جوهر ثالث مع ضعف الالفة بينهما . فكيف يمكن ذلك ؟ ان هذا النقل يستلزم حركة . وهذه الحركة تتيسر بواسطة امواج الوسط الاثيري الذي توجد فيه الجواهر . ولكن لا موجة واحدة من هذا الوسط الاثيري تستطيع ان تحدث في الجوهر المطلوب نقله الحركة المطلوبة ولا سيما لان الجوهر المادي في حركة خاصة مستمرة . فالحركة المطلوبة يمكن الحصول عليها بتكرار الموجات الاثيرية المتتابعة . ولا خوف من ان الموجة الواحدة تنفي تأثير الاخرى لان كل موجة تصدم الجوهر حالما يتم الجوهر الهزة التي احدثتها الصدمات السابقة . يعني ان الموجات الاثيرية يجب ان تتطابق مع هزات الجوهر التي يتعين معدل سرعتها من فعل عاملين هما سرعته الاصلية المستمرة والقوات الجديدة العاملة فيه على التوالي .

ويجب ايضاً ان معدل اهتزازات الجوهر الآخر المطلوب فصله عن سواه يختلف عن معدل اهتزازات الجوهر الآخر المتحد به . لانه ما دام الاثنان يهتزان متساوقين فلا تستطيع الموجات الاثيرية فصلهما . واخيراً يجب ان تتجمع صدمات الموجات الاثيرية المتتابعة حتى تصبح اهتزازات الجوهر متسعة اتساعاً كافياً لاضعاف اتحاد الجواهر المتحدة وفي الوقت نفسه يفصل احدها ويقربه من جواهر اخرى لكي يتحد بها . بهذه الكيفية وحدها تستطيع قوة الموجات الاثيرية ان تحدث هذا الانتقال

« زد على ذلك انه بينما نحن نستطيع بهذا التعليل ان ندرك كيف يعمل النور في احداث التغيرات في دقائق النبات نستطيع ايضاً أن نتصور الطريقة التي بها تخزن هذه الحركة المتواردة الينا من الشمس باسلوب غير محسوس بحيث أنها تظهر بعدئذ محسوسة (باحراق النبات مثلاً) . فبتجمع الصدمات التي لا نهاية لها اخذت جواهر المادة تهتز . ومقدار الحركة الذي يناله كل جوهر يحدث انتقاله الى مقام متزعزع غير متوازن بحيث يمكن بعدئذ فصله منه سريعاً . ومتى انفصل هكذا عن مكانه — وسائر الجواهر رفاقه تتزعزع مثله أو تتزعزع تزعزعاً مختلفاً عنه — تنشأ كل الحركة التي اثرت فيه قبلاً (أي ان الحركة التي ذهبت في سبيل جعله مهتزاً تعود فتصدر منه مقداراً بمقدار)

« ندع التخمين جانباً فالذي يهمنا أن نلاحظه هو ان النور عامل مهم في تغيير الدقائق الكيمية في العالم العضوي الحيوي (النبات) فليس من الضروري أن نتحقق كيف يحدث النور التركيب والحل بل الضروري أن نعلم أنه يفعل ذلك . فالكلوروفل الذي يمنح النبات لونه الاخضر لا يظهر في البراعم بل يظهر بعد تفتح البراعم وتعرضها لنور الشمس . ونوّر الزهر لا يتلوّن الا متى تفتحت الزهرة وتعرضت لنور الشمس. كذلك يحدث في ظاهر بدن الحيوان تغيرات مختلفة تدل على أنها حدثت بفعل نور الشمس » انتهى

والذي يهمنا من قول سبنسر: اولا ان الموجات الاثيرية لا تقتصر على كونها العامل الاساسي في العمل الكيماوي فقط بل هي عامل اساسي في العمل الحيوي ايضا . ثانياً ان هذه الحركة الدورية هي العامل الوحيد في تحويل قدر من القوة العمومية المبثوثة في الكون من حرارة ونور الى قوة حيوية في النبات فالحيوان بحيث ان هذه القوة الحيوية ترتد في احوال اُخرى الى حرارة ونور والى حركة ميكانيكية ايضاً

اهتزازات الخمائر

ورب معترض يقول ان في الجسم الحيوي عوامل اخرى غير التموجات الاثيرية المختلفة تعمل عملاً كيماوياً في الجسم كالخمائر Enzyms ونحوها مما يحول مادة الى مادة كالبتيلين والبيسين اللذين يحولان مواد الطعام الى مادة لبنية من غير أن يتغيرا أو يفقدا

شيئاً من مقدارهما . فان مجرد وجودهما وحده مع المواد المتحولة كاف لذلك التحويل

نقول : نعم ان هذه الخمائر تعمل عملاً كيماوياً عجيباً ولكن لا بد من حدوث الحركات الاهتزازية في هذا العمل . فاولاً ان التغير الكيماوي الذي يحدث لا بد ان يتم باهتزازات الجواهر الفردة كما تقدم . حتى ان الخمير نفسه لم يتكون في الخليات التي كونته الا بهذه الاهتزازات . وثانياً ان الخمير نفسه يقوم بوظيفة العامل الكيماوي الاجنبي الوسيط باهتزازه شخصياً بحيث يؤثر على اهتزازات الدقائق المتحولة . واليك ما قاله الدكتور جون جراي مكندريك في كتابه مبادئ الفيسيولوجيا :

« يخمن ان الخمير يعمل عمل الوسيط . أي ان مجرد وجود مادة (اجنبيَّة) كاف لاحداث العمل الكيماوي . أجل انه يتعذر تصور ان مجرد وجود مادة كاف لاحداث العمل الكيماوي ولكن هذا هو الواقع ولا مناص من التسليم به . وفي العالم الجمادي عمل كيماوي مماثل له فان مزيجاً من الاوكسيجين والهيدروجين يلتهب اذا لامس البلاتين الاسود . فالبلاتين لم يتغير فيه شيء ومع ذلك كان واسطة لاتحاد الاوكسيجين مع الهيدروجين . فاذا كان الامر كذلك فلنا ان نتصور ان للخمير نوعاً من الاهتزاز يؤثر في اهتزاز الدقائق القابلة للاختمار فيحولها من مادة الى مادة كما ان اهتزاز شوكة الدوزان الموسيقي يؤثر في الوتر المجاوب له من غير أن يعزف هذا الوتر »

فترى انه كلما تعذر تعليل عمل أو حادث نلجئ الى افتراض الحركة الدورية لتعليله

الحركة المغنطيسية والكهربائية

بقيت صورتان من صور الحركة لا يحسن الانتقال درجة أخرى في هذا البحث الدقيق من غير الالماع اليهما . وهما المغنطيسية والكهربائية اللتان لم تزل ماهيتهما موضوعاً للبحث والافتراض والتخمين . فقيل انهما حركة خاصة في دقائق المادة وجواهرها . وقيل أيضاً بل كل منهما مادة غير محسوسة مستقلة عن المادة المحسوسة ومتخللة فيها . وأي القولين لا يمكن تعليله وتعليل انطباقه على ظواهر الكهربائيـة والمغنطيسية الا بافتراض ان حركة كل منهما اهتزازية خاصة . فبحسب القول الاول هي حركة اهتزازية للدقائق المـادية تختلف عن حركتها الاهتزازية الكيماوية . وبحسب القول الثاني هي حركة اهتزازية في جواهر المـادة الكهربائية والمغنطيسية نفسها

انتقال النبضات الكهربائية في التلغراف اللاسلكي تؤيد لنا ان الكهربائية حركة اهتزازية في دقائق المادة المحسوسة وتموجية في الاثير

وبالطبع للموجات الاثيرية الكهربائية معدل خاص في السرعة والطول بحيث لا تلتبس بامواج النور والحرارة

نقولا الحداد

الصحافة الخفية

في البلجيك

في ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٤ احتل الالمان بروكسل عاصمة البلجيك وكان اول عمل قاموا به مصادرة الصحف البلجيكية واستبدالها بمنشورات رسمية تعلق على جدران المنازل . ولا تسل عما تضمنته تلك المنشورات من الاخبار الملفقة . فمن امثال ذلك ما ورد في نشرة ١١ سبتمبر سنة ١٩١٤ عن حوادث الاسبوع فقد جاء فيها أن النمساويين اخلوا مدينة لمبرج غير المحصنة (!) بدون قتال لاسباب عسكرية وشفقة على الانسانية (كذا) . وان اسطولاً المانياً أسر ١٥ سفينة من سفن الصيد الانكليزية . ولم تذكر كلمة واحدة في تلك النشرة عن معركة المارن !

على أن البلجيكيين لم يعلقوا ادنى اهتمام على تلك المنشورات . فلما أدرك ذلك الالمان تدبروا للامر فاصدروا جرائد عليها مسحة بلجيكية وما هي في الواقع الاصحف موعز بنشرها . أما الجرائد البلجيكية التي امتنع محرروها عن الخضوع المراقبة الالمانية فقد سجن اصحابها . ومن اغرب ما حدث في هذه الاثناء — وهو دليل ساطع على روح الامة البلجيكية — انه في يوم ٢٥ يونيه سنة ١٩١٥ طلب احد المحامين من محكمة بروكسل نشر حكم في احدى الجرائد البلجيكية فاجابه القضاة البلجيكيون « أنه لا يوجد في بلجيكا جريدة حرية بان تدعى بلجيكية »

وبالرغم من الاخطار العظيمة والمصاعب الجمة ما برحت الجرائد الانكليزية والفرنسية تجد لها منفذاً الى البلاد البلجيكية . وقدكان الاهلون يشترونها باثمان باهظة (تراوح سعر التيمس بين ٥ فرنكات و ٢٠٠ فرنك وسعر الجرائد الفرنسية بين فرنكين و٣ فرنكات) ثم ينقلون المقالات الهامة فيها بواسطة الآلة الكاتبة ويوزعونها سراً على الاهالي بشكل نشرات يومية او أسبوعية . وقد تعددت هذه النشرات وانتشرت سريعاً بين الخاصة والعامة

على ان البلجيكيين لم يقتصروا على نشر محتويات الجرائد المحالفة بل أنهم اصدروا رغم المراقبة الشديدة عدة جرائد للتنديد بالحكم الالماني واستثارة الاهلين نخص منها بالذكر جريدة « بلجيكا الحرة »

صدر من هذه الجريدة في ظرف سنتين اكثر من مئة عدد بالرغم من الاحتياطات الجمة التي اتخذها الالمان لمنع صدورها والقبض على أصحابها وقرائها . فقد بثت السلطة

الالمانية عيونها في انحاء البلاد للاهتداء اليها ولكن من غير جدوى . ذلك لانه ليس لطبعها مستقر بل هي تنتقل دوماً على أوتوموبيل . فاذا طبع عدد منها تقاسم نسخه بعض المخلصين لها وكل منهم مكلف توزيع جانب منها بين اصدقائه ومعارفه وهؤلاء ايضاً مكلفون مثل ذلك وهكذا . وقد بلغ حنق الالمان مبلغاً عظيماً من جراء ذلك وجعلوا لمن يكتشف أمر الجريدة المذكورة مكافأة زادوا قدرها من خمسة آلاف فرنك الى خمسة وسبعين الفاً . ولكن ذلك لم يجدهم نفعاً فازداد سخطهم وقاموا بتفتيش المكاتب والمخازن والمنازل واصبح رجال البوليس يقبضون على كل شخص يحمل اوراقاً أو متاعاً. كل هذا والبلجيكيون يطربون للدور الذي يمثله اصحاب تلك الجريدة الجريئة العجيبة

وبالرغم من مراقبة حاكم بلجيكا وسهر أعوانه كانت الاعداد تصله منتظمة بواسطة يد خفية تضعها على مكتبه أثر صدورها . وقد كان الاهالي يساعدون تلك الجريدة قدر استطاعتهم . ومن الذين آزروها قسيسان وهما الاب فريست والاب دوبار وقد قبض عليهما وحكم على الاول بغرامة أربعة آلاف مارك وعلى الثاني بالسجن ١٢ سنة مع التشغيل (لانه اتهم بالمساعدة في التحرير)

وقد ورد في أحد اعدادها مقالة بشكل خطاب موجه الى الحاكم الالماني فحواه : « عبثاً تحاول قتل « بلجيكا الحرة » ! فلن تصل يدك اليها . فهي كتلك الاطياف المنبعثة من قبور موتانا الذين ذبحهم مواطنوك في لوفان وناميين ودينان ، تلك الاطياف التي تتعقبك اين ذهبت ، أو بالحري هي صرخة من صدور الامهات والارامل والايتام الذين يندبون ويبكون . وسيعلو هذا الصراخ ويزيد كل يوم ولن يخمد حتى يطرد جيشكم الى آخر جندي من هذه البلاد التي اغتصبتموها ودستم حقوقها »

وكثيراً ما كان بعضهم يعلق الجريدة على ظهر جندي الماني فيطوف في الشارع وهو لايدري بما على ظهره بين طرب البلجيكيين وحنق الجرمان

هكذا يقاوم البلجيكيون البواسل اعداءهم الالمانيين . يقاومونهم مقاومة لا تعرف الخوف والجبن غير مبالين بالعقوبات التي تنزل بهم . وهم لا يزالون يصدرون جرائدهم يكذبون فيها منشورات الالمان واخبارها المختلقة ويسجلون عليهم فظائعهم . وقد راجت هذه الجرائد في البلاد رواجاً عظيماً حتى ان الاهالي يتخاطفونها . ولا غرابة في ذلك فانها بمثابة ماء عذب يروون به افئدتهم المتعطشة . بل انها تولد في قلوبهم القوة اللازمة لنبذ النفوذ الالماني ومحاربته . ويتبين لك تأثير الجرائد المذكورة في نفوس البلجيكيين من الاعمال التي يأتونها والنخوة التي يقابلون بها تهديد اعدائهم . ومن امثلة ذلك ان الالمان ارادوا ان يستخدموا بعض العمال البلجيكيين فرفضوا مفضلين السجن والجوع والموت

على خدمة الالمانيين اعداء وطنهم

ومما جاء في عدد من اعداد « بلجيكا الحرة » ان حاكم بروكسل العسكري منع البلجيكيين من الاحتفال بالعيد الوطني في ٢١ يوليو سنة ١٩١٦ وعاقب من يخالف الامر بالسجن لمدة ستة اشهر أو بغرامة قدرها ٢٠٠٠٠ مارك . فكان جواب البلجيكيين على ذلك ان ارتدوا يوم العيد ملابسهم الرسمية وتزينوا بشعائر المملكة البلجيكية وساروا في الشوارع جماعات ووحداناً بكل سكون وخشوع . وحدث في الكنيسة التي كان يصلي فيها الكردينال مرسيه أن عزفت الموسيقى بالالحان الوطنية فهتف احد الحضور باعلى صوته « ليعش الملك » فما كان من الجمع الا ان هاج وماج كالبحر الزاخر وملأ الفضاء باصوات كالرعد ظلت تردد عدة دقائق « ليعش الملك »

وقد عاقب الحاكم الالماني مخالفة البلجيكيين لاوامره بغرامة مليون مارك افترضها على بروكسل

كلمات لافلاطون

قال رجل جاهل لافلاطون : كيف قدرت على كثرة ما تعلمت ؟ فقال : لاني افنيت من الزيت بمقدار ما افنيته انت من الشراب

اذا خاطبت من هو اعلم منك فجرد له المعاني ولا تتكلف باطالة اللفظ ولا تحسينه

واذا خاطبت من هو دونك في المعرفة فابسط كلامك ليلحق في اواخره ما اعجزه في اوائله

الحلم لا ينسب الا لمن قدر على السطوة والزهد لا ينسب الا لمن ترك بعد القدرة

لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه شراً وانت لا تدري

من مدحك بما ليس فيك من الفضائل وهو راض عنك ذمك بما ليس فيك من الرذائل وهو ساخط عليك

ليكن خوفك من تدبيرك على عدوك اكثر من خوفك من تدبير عدوك عليك

اذا صادقت رجلا وجب ان تكون صديق صديقه وليس يجب عليك ان تكون عدو عدوه

قيل لافلاطون : لم صار الرجل يقتني مالا وهو شيخ ؟ قال : لان يموت الانسان فيخلف مالا لاعدائه خير له من ان يحتاج الى اصدقائه

ليس ينبغي على الرجل ان يشغل قلبه بما ذهب منه ولكن يعتني بحفظ ما بقي عليه

القصيدة العمرية

لشاعر مصر حافظ بك ابراهيم

(تتمة ماجاء في الجزء الماضي)

عمر وولده عبد الله

وما وقى ابنك عبد الله أينقه ... لما اطلعت عليها في مراعيها
رأيتها في حماه وهي سارحة ... مثل القصور قد اهتزت أعاليها
فقلت ماكان عبد الله يشبعها ... لو لم يكن ولدي أو كان يرويها
قد استعان بجاهي في تجارته ... وبات باسم أبي حفص ينميها
ردوا النياق لبيت الله ان له ... حق الزيادة فيها قبل شاريها
وهذه خطة لله واضعها ... ردت حقوقاً فأغنت مستحقيها
ما الاشتراكية المنشود جانبها ... بين الورى غير معنى من معانيها
فان نكن نحن أهليها ومنبتها ... فانهم عرفوها قبل أهليها

عمر ونصر بن حجاج

جنى الجمال على نصر فغربه ... عن المدينة تبكيه ويبكيها
وكم رمت قسمات الحسن صاحبها ... وأتعبت قصبات السبق حاويها
وزهرة الروض لولا حسن رونقها ... لما استطاعت عليها كف جانيها
كانت له لمة فينانة عجب ... على جبين خليق أن يحليها
وكان أنى مشى مالت عقائلها ... شوقاً اليه وكاد الحسن يصبيها
هتفن تحت الليالي باسمه شغفاً ... وللحسان تمن في لياليها
جززت لمته لما أتيت به ... ففاق عاطلها من الحسن حاليها
فصحت فيه تحول عن مدينتهم ... فانها فتنة أخشى تماديها
وفتنة الحسن ان هبت نوافحها ... كفتنة الحرب ان هبت سوافيها

عمر ورسول كسرى

وراع صاحب كسرى ان رأى عمراً ... بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس ان لها ... سوراً من الجند والاحراس تحميها
رآه مستغرقاً في نومه فرأى ... فيه الجلالة في أعلى مجاليها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ... ببردة كاد طول العهد يبليها

فهان في عينه ماكان يكبره ... من الاكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلا ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت نوم قرير العين هانيها

عمر والشورى

يا رافعاً راية الشورى وحارسها ... جزاك ربك خيراً عن محبيها
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها ... وللمنية آلام تقاسيها
لم أنس أمرك للمقداد يحمله ... الى الجماعة أنذاراً وتنبيها
أن ظل بعد ثلاث رأيها شعباً ... فجرد السيف واضرب في هواديها
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها ... طعم المنية مراً عن مراميها
دري عميد بني الشورى بموضعها ... فعاش ما عاش يبنيها ويعليها
وما استبد برأي في حكومته ... ان الحكومة تغري مستبديها
رأيُ الجماعة لا تشقى البلاد به ... رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

مثال من زهده

يا من صدفت عن الدنيا وزينتها ... فلم يغرك من دنياك مغريها
ماذا رأيت بباب الشام حين رأوا ... ان يلبسوك من الأثواب زاهيها
وير كبوك على البرذون تقدمه ... خيل مطهمة تحلو مرائيها
مشى فهملج مختالا براكبه ... وفي البراذين ما تزهى بعاليها
فصحت يا قوم كاد الزهو يقتلني ... وداخلني حال لست أدريها
وكاد يصبو الى دنيا كمو عمر ... ويرتضي بيع باقيه بفانيها
ردوا ركابي فلا أبغي بها بدلا ... ردوا ثيابي فحسبي اليوم باليها

مثال من رحمته

ومن رآه أمام القدر منبطحاً ... والنار تأخذ منه وهو يذكيها
وقد تخلل في أثناء لحيته ... منها الدخان وفوه غاب في فيها
رأى هناك أمير المؤمنين على ... حال يراع لعمر الله رائيها
يستقبل النار خوف النار في غده ... والعين من خشية سالت مآقيها

مثال من تقشفه وورعه

ان جاع في شدة قوم شركتهمو ... في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته ... في الزهد منزلة سبحان موليها
فمن يباري أبا حفص وسيرته ... أو من يحاول للفاروق تشبيها

يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها · من أين لي ثمن الحلوى فاشريها
لا تمتطي شهوات النفس جامحة · فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها
وهل يفي بيت مال المسلمين بما · توحي اليك اذا طاوعت موحيها
قالت لك الله اني لست أرزأه · مالا لحاجة نفس كنت أبغيها
لكن أجنب شيئاً من وظيفتنا · في كل يوم على حال أسويها
حتى اذا ما ملكنا ما يكافئها · شريتها ثم اني لا أثنيها
قال اذهبي واعلمي ان كنت جاهلة · ان القناعة تغني نفس كاسيها
وأقبلت بعد خمس وهي حاملة · دريهمات لتقضي من تشهيها
فقال نبهت مني غافلاً فدعي · هذي الدراهم اذ لا حق لي فيها
ويلي على عمر يرضى بموفية · على الكفاف وينهي مستزيديها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به · أولى فقومي لبيت المال رديها
كذاك أخلاقه كانت وما عهدت · بعد النبوة أخلاق تحاكيها

مثال من هيبته

في الجاهلية والاسلام هيبته · تثني الخطوب فلا تعدو عواديها
في طي شدته أسرار مرحمة · للعالمين ولكن ليس يفشيها
وبين جنبيه في أوفى صرامته · فؤاد والدة ترعى ذراريها
أغنت عن الصارم المصقول درته · فكم أخافت غوي النفس عاتيها
كانت له كعصى موسى لصاحبها · لا ينزل البطل مجتازاً بواديها
أخاف حتى الذراري في ملاعبها · وراع حتى الغواني في ملاهيها
أريت تلك التي لله قد نذرت · أنشودة لرسول الله تهديها
قالت نذرت لئن عاد النبي لنا · من غزوة لعلى دُفي أغنيها
ويممت حضرة الهادي وقد ملأت · أنوار طلعته ارجاء ناديها
واستأذنت ومشت بالدف واندفعت · تشجي بالحانها ما شاء مشجيها
والمصطفى وابو بكر بجانبه · لا ينكران عليها من اغانيها
حتى اذا لاح عن بعد لها عمر · خارت قواها وكاد الخوف يرديها
وخبأت دفها في ثوبها فرقا · منه وودت لو أن الارض تزويها
قد كان حلم رسول الله يؤنسها · فجاء بطش أبا حفص يخشيها
فقال مهبط وحي الله مبتسماً · وفي ابتسامته معنى يواسيها
قد فر شيطانها لما رأى عمرا · ان الشياطين تخشى بأس مخزيها

مثال من رجوعه الى الحق

وفتية ولعوا بالراح فانتبذوا | لهم مكاناً وجدوا في تعاطيها
ظهرت حائطهم لما علمت بهم | والليل معتكر الارجاء ساجيها
حتى تبينتهم والخمر قد أخذت | تعلو ذؤابة ساقيها وحاسيها
سفهت رأيهمو فيها فما لبثوا | ان أوسعوك على ما جئت تسفيها
ورمت تفقيههم في دينهم فاذا | بالشرب قد برعوا الفاروق تفقيها
قالوا مكانك قد جئنا بواحدة | وجئتنا بثلاث لا تباليها
فأت البيوت من الابواب يا عمر | فقد يزن من الحيطان آتيها
واستأذن الناس ان تغشى بيوتهم | ولا تلم بدار أو تحييها
ولا تجسس فهذي الآي قد نزلت | بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم | لما رأيت كتاب الله يمليها
وما أنفت وان كانوا على حرج | من أن يحجك بالآيات عاصيها

عمر وشجرة الرضوان

وسرحة في سماء السرح قد رفعت | ببيعة المصطفى من رأسها تيها
أزلتها حين غالوا في الطواف بها | وكان تطوافهم للدين تشويها

الخاتمة

هذي مناقبه في عهد دولته | للشاهدين وللاعقاب أحكيها
في كل واحدة منهن نابلة | من الطبائع تغذو نفس واعيها
لعل في العالم الشرقي نابتة | تجلو لحاضرها مرآة ماضيها
حتى ترى بعض ما شادت أوائلها | من الصروح وما عاناه بانيها
وحسبها أن ترى ما كان من عمر | حتى ينبه منها عين غافيها

من حكم العرب

﴿ التواضع ﴾ قالت الحكماء : كل نعمة يحسد عليها الا التواضع

قال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك في شرفك اكبر من شرفك

قال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وانصف عن قوة الحديث

﴿ الرفق ﴾ قالت الحكماء : يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف ألا ترى ان الماء على لينه يقطع الحجر على شدته

اقطاب الدهور — ٥

او مقدمة الانقلاب الاجتماعي العظيم

[الهلال] ننشر اليوم خطبتي باكون الانكليزي وكنت الالماني وقد نشرنا فيما مضى خطب كونفوشيوس وزرادشت وابن سيناء وافلاطون واوغسطينوس

خطبة باكون

الحالة الاقتصادية

امتاز علماء الانكليز في درس المسألة الاقتصادية . فلندن هي كعبة المالية في العالم . وفي لندن مجتمع العصب المالي الحساس الذي تنتقل اليه التأثيرات السياسية والعسكرية بسرعة البرق من أقاصي المعمور

وقد اختلط الانكليز بامم الارض جمعاء بواسطة الاستعمار والبحرية والتبشير . فوقفوا على أسرار الحياة الفردية والقومية في كل الدنيا . فهم أقدر الناس على خوض عباب الاقتصاد ولذا وقف باكون الفيلسوف الانكليزي خطيباً في الاقطاب في موضوع الاقتصاد وما اليه في المجتمع الانساني

فاراهم صورة حطاب يقطع شجرة خارج أسوار الجنة والى جانبه راع : قعد الراعي مع أخيه الحطاب الى الطعام وبسطا ما معهما على العشب الاخضر وجعلا يأكلان ويتحدثان — وموضوع أحاديثهما الطيور والزهور والوحوش الخ . ومرّ بهما صياد فقعد الى جانبهما وشاركهما في صيده . فكانوا جمعية جميلة بسيطة هنيئة

ثم رفع باكون هذه الصورة وأبرز صورة ثانية وفيها رجل وزوجته في بيت بسيط يحيط بهما خمسة أولاد أكبرهم في سن العاشرة وأصغرهم في المهد . فكان الاولاد يلعبون ويصيحون مسرورين . وكان الوالدان يعملان في تحصيل القوت والكسوة لاولادهما آناء الليل وأطراف النهار . فكان الرجل يستحث امرأته على الجد في العمل وهي تعتذر بضعفها وبكاء طفلها . وكان الرجل يزجرها وأحياناً يضربها وهي راضية بالهون لانها كانت قد تعودته . على ان ذلك لم يذهب بدون تأثير في نفسها وفي أخلاق الاولاد . كان قلبها يتمزق في أيام الاعياد والاحتفالات حين يظهر الجيران والمعارف بملابسهم ومفاخرهم وتلك المرأة وبنوها أذلاء حقيرون . ولم تعرف لها من تلك الازمة مخرجاً . وكثيراً ما حدثتها النفس بعمل شيء الا انها لم تكن تصلح له وعلاوة على ذلك كانت

تخشى سكين زوجها . وقد أرهبها ما عرفته عن يقين من انه كان قد ذبح أخته ودفنها سراً لسكونها كانت خطيبها على انفراد ردف الغسق. فرأت زوجته انها اذا سلكت طريق الفحشاء رغبة في تحسين حالته المالية كانت العاقبة وبالاً عليها وعلى أولادها . فرضيت بالفقر على ركوب مركب خشن يودي بحياتها وسعادة صغارها . ولما مرض أحد أولادها لم تتمكن من استدعاء طبيب له لضيق ذات يدها . فمات الولد . ولم تقدر ان تعمل له جنازة حافلة كما عملت جارتها لفتاتها يوم ماتت . فكان حسدها لجارتها ومرارة نفسها شرعاً في الحياة وفي الموت . . .

ثم أورد باكون صورة ثالثة رأى الاقطاب فيها بيتاً فخماً فرش بالديباج والرياش . وفيه الاسرة والطنافس والمرايا وآلات الموسيقي والخدم الخ . فكان الناظر يتوقع ان يرى السعادة مخيمة في أنحائه . على ان الحال كانت على عكس ذلك . اذ ظهر رب البيت عابساً مقطباً يفرك رأسه بيديه ويمشي يميناً ويساراً كأن قد أصابه مسٌ من الجنون. واذ أطال المكث منفرداً وصار الوقت الساعة ١٢ ١/٢ ليلاً دخلت اليه زوجته فلم يكترث لها . على انه بعد قليل اعتذر لها عن سهوه وكان في حديثه كالمجنون . فاخبرها بأزمته المالية وخوفه على شرفه وانتزاع ثقة الناس به . وحكايته انه خسر في تجارته خسارة لا يمكن تعويضها الا بدوس قواعد الاستقامة والشرف وهو منزه عن ذلك . وزاد عليه انه قد يفتضح امره فيما لو عمل فتصبح أواخره شراً من أوائله

فنظرت اليه زوجته شزراً وصاحت به « اذاً لا يمكنك دفع « الدوطة » لابنتي ؟ ولا يمكنك عمل وليمة فاخرة لها كما عملت جارتنا لابنها ؟ » . فساء الرجل عدم شعور زوجته معه وعدم تقديرها الهول الذي أمام العائلة . فكان هو على أحر من الجمر . وكانت أوتار قلبه تتقطع وخلايا جسمه تنحلّ وقوته الحيوية تخمد

فذهبت الزوجة الى خبائها وهي ترغي وتزبد . ثم رآها الاقطاب في الصباح وهي في قميص النوم وراء مكتب زوجها تقلب جثته الهامدة . . . . فقد مات جزعاً قبل الصباح

وغب الفحص الطبي قرر الطبيب أنه قد مات بداء السكتة القلبية . وللحال حجز البنك دفاتره ولدى الفحص تبين انه مفلس . فباع البنك ارزاقه بالمزايدة وتركت العائلة لمراحم الاقدار . . . .

فظهر للحضور في تلك الصور تلبك الهيئة الاجتماعية وعلة شقائها وأن المال لم يخفف مرائر الحياة بل زادها . ولم يضمن سلامة أصحابه بل عرضهم لمخاطر جسام

ففهم الاقطاب أن حال الاغنياء في المجتمع ليست مأمونة ولا هي أفضل من حال الفقراء المعوزين وان الشقاء عم الجميع على السواء

وبعدها رأى الاقطاب صورة كبار الماليين في لندن . وكان هؤلاء قد قبضوا على أزمة المال في كل الدنيا وعند كل منهم تلفونات عديدة . ولكل منهم دائرة كتاب وأمناء ومستشارون . فكانت أسلاك البرق تنقل اليهم الاخبار التجارية من كل الدنيا وكانوا بكلمة واحدة يحلون ويعقدون

وهكذا جعل باكون المشاهد تمر امام الاقطاب مبينة احوال المجتمع الاقتصادية على توالي الازمان

وفي الختام صرخ باكون في الحضور : أرأيتم ثقل وطأة المال على الناس . أرأيتم ترطم الهيئة الاجتماعية في سيرها . وتقيدها بالقيود الذهبية . أرأيتم عدم راحة الاغنياء وعدم رضا الفقراء . أرأيتم ان المسألة المالية ـ مسألة المسائل ـ أصبحت في الطور الاجتماعي الحاضر مشكلة يعسر حلها . ولماذا ؟ . لعدم الانصاف وعدم الانتظام وعدم الاكتفاء . لانه في حال الاجتماع البشري الحاضر تسود الفوضى . والجميع عبيد أذلاء أغنياء وفقراء . وأسعد الناس من لم يدخل في سلك المدنية وهم أولئك الرجال الذين ظهروا في الصورة الاولى وهم « الراعي والفلاح والصياد »

قال باكون : فعلينا أن ننقذ الناس من عبودية المال ومن مخاوف الفقر ومن مرائر الحسد ومن ذل الحاجة ومن الضيقة والشقة اللتين تحيقان بهم

خطبة كنت

في لزوم الانقلاب الاجتماعي

فعقبه على منبر الخطابة كنت الالماني . وموضوعه لزوم الانقلاب الاجتماعي . فلم يعرض هذا صوراً ولا مرائي بل أجال نظاره بالحضور وقال :

لو فقد الناس ما ورثوه من أسلافهم من العوائد والتقاليد . ومن الشرائع والقوانين . ومن العقائد والمذاهب ـ او بعبارة أخرى لو حكموا العقل وحده في ملابساتهم لارتاحوا ولأراحوا

أما والتقليد حكم متحكم . والنقد غافل متوار فالشقاء مخيم على الافراد والجماعات . وما دام الخلف يقدس عادات السلف ويعتصم بها ولا يسأل « لماذا » فلا خير يرجى لبني الانسان

هذه الدنيا باجمعها تشكو المتاعب الجسام . وهذه الدنيا باجمعها تحرص على تقاليدها . وتلك التقاليد هي علة هذه المتاعب والنكبات . كل الناس عديمو الراحة وكلهم يعلمون ان

النظام الحاضر علة تعبهم . وكلهم يقدسون هذا النظام وهذه الشرائع . واكثرهم يبث الشكوى همساً مما يقدسه علانية

فالى أين ايها الجنس الشقي ؟ اذا كانت تقاليدك نافعة فما علة هذا الشقاء ؟

واذا كنت قد جربتها آلافاً من السنين فعادت عليك بالوبال فلماذا لا تغيرها ؟

لقد رأينا ايها الاخوان رأي العين ان الانسان عبد عاداته وعقائده

ولقد علمنا أن كل شرائع البشرية مدنية وروحية ناقصة وغير مستقيمة لانها لم تضمن سعادة الناس ولا راحتهم

ولقد رأيتم كيف مرّ العلماء والانبياء والفلاسفة على السامري الجريح الذي فتكت به براثن التقاليد والخرافات والاوهام — براثن الشرائع القديمة الهمجية التي يقدسها الحكام والقسوس والنساء — مرّ العلم والدين والفلسفة على ذلك السامري — الانسان الشقي — وتركوه في وهدة سقوطه لم يمد أحد اليه يداً

فماذا نعمل . أنترك الانسان في هلاكه ؟ فلماذا اجتمعنا اذاً ؟ . أنساير الناس في ضلالهم ونصف لهم العلاجات التي يختارونها ؟ فلسنا اذاً أطباء البشرية بل نحن دجالون ومحتالون وجبناء وأدنياء وغير نافعين اذا كذبنا على الناس ومشينا وراءهم . فاذا كنا قواداً فعلينا أن نسير أمام الانسانية . علينا ان نبين فساد نظرياتهم وبطلان عقائدهم وعوائدهم . ونريهم سبيل النجاة مما ألم بهم . وان ذلك لا يكون الا بنزع التقاليد وتحرير العقول من صولة الاوهام . وتطهير الحياة الفردية والاجتماعية من شريعة الاثرة والدفاع عن الحقوق — كما يزعمون . علينا ان نري الانسان ان أولئك المشترعين قد خدعوه لانهم كبلوه بوصايا — أوامر ونواهي — زعموا انهم انزلوها من لدن الالهة وهي في الحقيقة علة شقاء البشرية لانها أهاجت الشهوات واكثرت الجرائم . فاما ان الالهة فاسدة واما أن أولئك المشترعين كاذبون . فالشرائع المقدسة هي التي يكون لها في ذاتها قوة نزع الفساد واستئصال المتاعب

يجب أن يكون البشر بشراً ويعيشون لهذه الدنيا . ولا يجوز ان تتداخل شرائع السموات بامور البشر . كما انه لا يجوز ان تسن في الارض شرائع للسماء

يجب أن يأكل الانسان ليعيش — فلا دخل في الاكل للاديان

يجب أن يلبس الانسان وقاية لحياته — فلا دخل في الملابس للدين

يجب أن يسكن الانسان البيوت حسب حاجاته الصحية — لا حسب أحكام الدين

ويجب أن يعرف الانثى حسب أحكام الطب لا حسب أحكام اللاهوت

فما مدخل الدين في كل هذه المسائل ؟

اذا كان الدين حقيقياً ومن عند الآلهة فيجب ان يستأصل مرائر القلوب ، ومرائر رجال الدين أولا ـ ان ينزع من نفوسهم المحاسد

الحكومات يجب ان تكون لخدمة الشعوب لا الشعوب لخدمة الحكومات

الملك خادم الامة لا ربها

العامل سيد البلاد لا عبدها . الفلاح والصانع أعلى طبقات البشر قدراً واعتباراً

ويجب أن تسن الامة شرائعها بذاتها لذاتها بناء على اختباراتها وحسب حاجاتها الجغرافية والتاريخية فلا يجب ان تسيطر بلاد أو زمان على سائر الامصار والاعصار . لان ما يناسب عصراً لا يناسب غيره . وما يصلح في بلد لا يصلح في سواه

فتقييد الناس بشريعة سنت في العصور الخوالي وفي أحوال همجية قديمة هو قتل للناس وتحقير للانسانية

القانون خادم انيس للفرد لا شيطان مخيف يهدد الفرد على الدوام ويسلبه سعادته

نظام الضرائب . نظام الجندية . نظام الزواج . نظام الملك . نظام التجارة . نظام الانتخاب . نظام الابنية . نظام الاستعمار . القانون الدولي . كلها ضلال في ضلال ووهم في وهم . فيلزم نقض كل هذه القوانين بدون أدنى شفقة ولا احتساب كما يقوض البناء القديم المتداعي حرصاً على سلامة ساكنيه . ويلزم استبدالها بما هو افضل وأنفع . لقد جرب العالم هذه الامور ألوفاً من السنين . فأية فائدة جنى منها ؟

أفلم تكن متاعبه تزيد بزيادة هذه النظامات ؟

ما سبب الحروب ؟ وما علة المجاعات ؟ وما داعي الاحزان المبرحة والكوارث الثقال كالفقر واليأس ؟ أليست النظامات الاجتماعية الضعيفة العاجزة الفاسدة . فعلى الانسان اليوم أن يتحفز للوثبة التي لا بد منها ويجتاز عالم التقليد والموت الى عالم الاصلاح والحياة . هذا هو عملنا ولا غير

فيا ايها الاقطاب . أنتم نبراس الانسانية وعقدة فخارها . وعنوان سعادتها ودعاة هداها . فقدسوا موقفكم واحرصوا على ان تكونوا أمناء ولا تشتركوا مع السلف في خيانة الهيئة . ان الالهة العليا لا يمكن ان تقدس الخائنين

قال ذلك بحماسة وصرخة وقعد وهو ينتفخ ويلهث كأنه كان يحمل حملاً ثقيلا فنصت الجميع . وساد المجتمع السكون التام برهة من الزمن

حنا خباز

بعد الموت . ماذا ؟

معلومات عن العالم الآخر انبأت بها الارواح المستحضرة

ماذا يحلّ بالانسان بعد الموت ؟ وكيف يتم انتقاله من هذا العالم الى العالم الآتي ؟ وبمَ يحس ويفكر عندئذٍ ؟ تلك امور تصبو الى معرفتها كل نفس بشرية ولطالما أعمل المفكرون عقولهم توصلاً الى اختراق ذلك الحاجز المنيع القائم بين هذا العالم والعالم الآخر. ولكنهم ما برحوا يعودون خائبين . فلا تزال الانسانية بعيدة عن الحل المطلوب

على أن بين العلماء والمفكرين فئة ما برح يتزايد عددها في هذا الجيل — ولا سيما بعد نشوب الحرب الحاضرة — تعتقد بامكان المخابرة مع الارواح . وقد تألفت في الدول الاوربية جميات كثيرة للبحث في هذه المواضيع وانشئت صحف ومجلات شتى للغرض نفسه . واشهر الجميات التي عُنيت بالمباحث النفسانية الغامضة « جمعية المباحث النفسانية » الانكليزية فان أعضاءها من اكابر العلماء والمفكرين

لسنا نريد بذلك أن مناجاة الارواح قد اصبحت من الامور العلمية المقررة . كلا وانما يجدر بالعاقل اليوم أن يقف ازاء هذا الموضوع وقفة المترقب المتيقظ مع الاعتقاد بانه ليس في ذلك ما يضاد العلم . فلا خوف البتة على مقررات العلم أن تنقضها تلك المباحث ولكنها قد تكشف قوى طبيعية جديدة لانعرفها . ولا يبرح من الذهن أن العلم الحاضر ناقص وقابل للنمو . وأي عالم لايقر بوجود قوى نجهلها ؟

وفي مقدمة الذين اعتنقوا المذهب الروحاني حديثاً المسر أرثر كونان دويل الكاتب الانكليزي الشهير . وقد نشر في مجلة « متروبوليتان » لشهر يناير مقالة وصف فيها العالم الآخر حسب ما انبأت به الارواح التي استحضرت وهو ما يتوق الى معرفته كل انسان . واليك خلاصة ما قاله في هذا الشأن مرتباً في بنود . ويجد القارىء ترجمة كلامه بالذات بين الاقواس :

١ الموت امر سهل : « اتفق جميع الراحلين عن هذا العالم في أن مفارقة الحياة هي في آن واحد امر سهل وعديم الالم وانه يعقبها شعور عظيم بالراحة والانبساط »

٢ يتخذ الانسان جسماً آخر : « يجد الانسان نفسه (اثر موته) ذا جسم روحاني مماثل كل المماثلة لجسمه الارضي ما عدا الامراض والاسقام فلا يبقى لها أثر . ويظل هذا الجسم الجديد واقفاً أو سابحاً بقرب الجسم القديم وهو شاعر بوجوده وبوجود الاشخاص المحيطين به »

٣ يتعذر مفاوضة الاصدقاء : « ولكنه لا يلبث أن يجد أنه بالرغم من مساعيه لمفاوضة الاشخاص الذين يراهم يتعذر على صوته ولمسه الاثيريين أن يتركا أدنى أثر في الاجسام البشرية التي لم تجهز باعضاء حساسة لالتقاط تلك التأثيرات اللطيفة »

٤ يجد حوله أصدقاء جديدين : « ثم يتنبه في الحال لوجود أشخاص في الغرفة غير الاحياء الذين كانوا فيها ولا يلبث أن يرى بين تلك الاشخاص — التي تبدو له مجسمة كالاحياء — أوجهاً ألفها فيجد يده تهز وشفاهه تقبل من أولئك الذين أحبهم ثم فقدهم اثناء حياته الارضية . عندئذ يرحل برفقتهم — وبمساعدة ذات أشد استنارة من هؤلاء واقفة في انتظار ذلك القادم — الى مقر حياته الجديدة مخترقاً كل ما يعترضه من حواجز مادية »

٥ ينام الروح قليلا : « وقبل الدخول في حياته الجديدة يقضي الروح فترة من الزمن نائماً . وهذه الفترة تتراوح بين هنيهة لا تكاد تذكر في بعض الاحوال وأسابيع وشهور في أحوال أخرى »

٦ ثم يستيقظ الروح ثانية في حالة ضعف : « وعند ما يستفيق الروح يكون ضعيفاً كما يكون الطفل ضعيفاً عند ولادته الارضية . على أن القوة لا تلبث ان تعود اليه وتبدأ الحياة الجديدة . وهنا يجدر البحث في أمر الجنة وجهنم »

٧ جهنم غيرموجودة : « يجوز لي أن أقول بعدم وجود جهنم بعدالموت ، كما أنها منذ زمن بعيد لم تعد موجودة في مخيلة كل انسان مفكر »

٨ المعيشة لذيذة هناك : « اتفق جميع المخبرين بما في العالم الآتي على لذة أحوال المعيشة فيه وهم متفقون ايضاً على أن كل روح يقترب من شبهه وأن جميع المتحابين والمشتركين في المصالح يتحدون وأن تلك الحياة ممتلئة باللذات والمسرات وأن أهلها لا يرضون قط العودة الى الارض »

٩ مراتب الارواح : « واتفق الجميع ايضاً على أن تلك المعيشة تستغرق مدة محدودة تنتقل الارواح بعدها الى مراتب أخرى أسمى منها . ولكن يظهر أن وسائل الاتصال بين تلك المراتب أوفر منها بيننا وبين عالم الارواح . ثم أن أهل المراتب السفلى لا يستطيعون الصعود ولكن أهل المراتب العليا يستطيعون الهبوط متى يشاؤون »

١٠ الحياة الآتية حياة عقلية في المقام الاول : « ان الحياة الآتية كثيرة الشبه بارقى مظاهر الحياة على هذه الارض . فانها حياة عقلية في المقام الاول كما أن الحياة الدنيا هي في الغالب حياة جسدية . فلا اهتمام بمسائل الطعام والمال والالم الخ . مما يخص

الجسد . أما الموسيقى والفنون والمعارف العقلية والروحية فانها تزداد قيمة وانتشاراً »

١١ لا يزال ثمت مجال للحياء والتواضع : « لاهل العالم الآتي ملابس — كما يتوقع — اذ ليس ما يحمل على هجر الحياء والضعة في ذواتنا الجديدة . وهذه الذوات هي صور شديدة الشبه بالذوات الارضية في أفضل أحوال نموها . فان الصغار ينمون ويكبرون في حين أن المسنين يرجعون القهقرى حتى يكون الجميع في السن المعتدلة »

١٢ استمرار الحياة المنزلية والوطنية والاجتماعية : « بما ان كل روح يميل الى شبهه فالمتوقع أن تعيش الارواح في جماعات متوافقة . كذلك الذكر يجد زوجته الحقيقية. ثم ان الشعوب تبقى متميزة ولكن اللغات لا تكون مانعاً دون الاتصال بينها اذ يصبح الفكر اللغة الوحيدة التي يتفاهم بواسطتها الجميع »

* * *

هذه خلاصة ما جاء في مقالة السر أرثر كونان دويل المتقدم ذكرها . ولا بد أن يعجب القارىء من استرسال ذلك الكاتب الشهير في وصف دقائق المعيشة في العالم الآخر . وهو ما انتقده عليه بعض الجرائد والمجلات . ومع ذلك فلا بأس من الاطلاع على تلك الاراء من باب الفكاهة والعلم بالشيء

النقد

خذها على العلات لا شعر صانع ... ولكن كما يملي عليَّ فؤادي

يرى النقد فيها كل ما لا يريده ... وابصر فيها ما حييت مرادي

همومي وآلامي بها قد رسمتها ... ونور مني فيها يضيء سوادي

سيبقى على مر القرون لهيبها ... مضيئاً ويفنى في الهواء رمادي

اذا هي أرضتني فاهون بألسن ... تصول واقلام عليّ حداد

فغني طيور النفس للنفس واصدحي ... فما تعدل الدنيا مدب قراد

كما يتغنى بلبل الفجر شاقه ... ازاهر في اغصانهن نواد

لنفسي لا للناس انبطت مشرعاً ... واوردت آمالي وهن صواد

فمن شاء أن يروي بشعري ظمأه ... فللناس مائي ان رضوه وزادي

لنفسي لا للناس غنت بلابلي ... وصاح بالحان العزاء فؤادي

فان هو لم تطربهمو نغماته ... فهل حرك الغريد قلب جماد

عبد اللطيف النشار

تقسيم العلوم وترتيبها

عند الافرنج والعرب

نريد بتقسيم العلوم ترتيبها على نمط نظامي وفقاً لارتباط منطقي بينها بحيث يتبين مقام كل علم ونسبته الى سائر العلوم

ما فتئ المفكرون منذ نشأت العلوم وتميزت بعضها من بعض وهم يسعون في حصرها وترتيبها على نظام عقلي يبين للناظر في لمحة مجال كل علم من العلوم وما بينها من العلاقات والروابط حتى تجلي له وحدتها الحقيقية مع تعددها وتنوعها . على أنه لم يستقر رأي العلماء حتى اليوم على اعتماد تقسيم نهائي وان يكن ثمت تقاسيم مختلفة . فلا تزال الآراء متضاربة في هذا الباب لان الذين اقدموا على تقسيم العلوم لم يعتمدوا في تقاسيمهم اعتباراً واحداً رتبوها بموجبه بل جرى كل في تقسيمه حسب ما ارتآه له من العلاقات وما اختاره من الروابط

وغرضنا من هذه المقالة ايراد التقاسيم التاريخية الشهيرة التي حازت انتشاراً في معاهد العلم والادب عند الافرنج والعرب فنفصلها ونوضحها جهد استطاعتنا مبينين اوجه الصحة والخطأ فيها

لمحة تاريخية

لقد كثرت العلوم في هذا العصر وتميزت بعضها من بعض بالتخصص المتواصل الذي بلغ غايته حتى ان العالم الواحد أصبح يصرف حياته في حل مسألة فرعية دقيقة . وقد كان الامر بخلاف ذلك عند الاقدمين اذ كانت المعارف البشرية ممازجة لحداثة عهدها تدخل جميعاً تحت كلمة حكمة Sagesse . فكان حكيم القوم كاهنهم وعالمهم وفيلسوفهم في آن واحد . وبقي الامر على هذه الصورة الى زمن فيثاغورس الفيلسوف الشهير فرأى أن في كلمة حكمة ادعاء غير مستحسن فاستبدلها بكلمة Philosophie أي حب الحكمة وتعريبها فلسفة

فمن ذلك الحين ظلت العلوم على اختلاف مواضيعها متداخلة بلا انتظام تعرف جميعاً باسم الفلسفة حتى أيام أرسطو اذ اخذت تنفصل رويداً رويداً عن ذلك المجموع المختلط فتخصص كل علم بموضوع خاص جرى فيه على أسلوب خاص . وبعبارة أخرى فقد تفرعت العلوم البشرية من الفلسفة القديمة بالتخصص المتواصل كما تتفرع

الاغصان من الجذع متخذة وجهات مختلفة . وأول العلوم التي انفصلت عن المجموع الرياضيات . ثم الطبيعيات وقد تميزت عن الفلسفة في أوائل القرن السابع عشر عن يد غليليو وديكارت وبسكال وغيرهم . ثم الكيمياء الحديثة في القرن الثامن عشر . ثم سائر العلوم المستحدثة كعلوم الحياة والنفس والاجتماع وغيرها (١)

طريقتان لتقسيم العلوم

أشرنا فيما تقدم الى ان الذين تصدوا لتقسيم العلوم وترتيبها جروا على أساليب مختلفة باختلاف ما اعتبروه بينها من العلاقات والروابط . على انه يمكن ارجاع هذه التقاسيم على اختلافها الى نوعين أساسيين . فان من اراد ترتيب العلوم لا بد له أن يعتمد بادىء ذي بدء واحداً من هذه الاعتبارين الاساسيين :

فاما ان يقسمها باعتبار العاقل أي حسب القوى العاقلة التي تدرك تلك العلوم وتحيط بها ـ Classfication subjective

او باعتبار المعقولات والمحسوسات أي حسب ما يدخل في حيز العقل البشري من الصور بقطع النظر عن العقل المدرك لها ـ Classification objective

والاعتبار الثاني أصح من الاول وأتم لان تعيين القوى العاقلة وتخصيص كل قوة بنوع من العلوم امر صعب من الوجهة العلمية بل أنه مما يتعذر الاتفاق عليه

التقاسيم الشهيرة عند الافرنج

١ — التقاسيم التي باعتبار العاقل

تقسيم ارسطو

اول من قسم العلوم على ماهو مشهور أرسطو الفيلسوف اليوناني الشهير فقد أحاط بجميع العلوم المعروفة في عصره وقسمها باعتبار غاية العاقل منها الى ثلاثة أقسام :

١ ـ العلوم النظرية التي غايتها المعرفة المجردة بلا ادنى فائدة عملية وهي :
الطبيعيات (أو الفلسفة الطبيعية)
الرياضيات
علم ما وراء الطبيعة (Métaphysique)

٢ ـ العلوم العملية التي غايتها هدايتنا وارشادنا الى المفيد النافع وهي :
علم الاخلاق والسلوك (Ethique, Morale)

---

(١) طرق القدماء معظم هذه المباحث ولكن بصورة مبهمة وعلى اسلوب نظري بعيد عن الاسلوب العلمي الحديث المبني على المشاهدة والتجربة

علم الاقتصاد
علم السياسة
٣ ــ العلوم الشعرية التي ترمي الى احداث عمل أو اثر خارج عنا وهي :
الشعر
الخطابة والبيان (Rhétorique)
المنطق والجدل (Dialectique)

وينتقد على هذا التقسيم ، مع اعتبار حالة العلوم في عهد ارسطو ، بان لا ذكر فيه لعلم التاريخ الذي كان معروفاً وقتئذٍ . ثم ان الفصل على هذا الشكل بين النظر والعمل ليس بالامر الطبيعي اذ انه ليس بين ما سماه ارسطو علوماً عملية علم لم يشيد على اساس نظري كما انه ليس بين ما سماه علوماً نظرية علم ليس له اثر عملي

تقسيم باكون

قسم باكون (Bacon) الفيلسوف الانكليزي (وهو من اهل القرن الثامن عشر) العلوم باعتبار القوى النفسية الثلاث التي بها ندرك الامور والصور وهي : الذكاء والذاكرة والخيال . فنسب الى كل قوة من هذه القوى نوعاً من العلوم على هذا الترتيب :

١ ــ الذاكرة . وعليها يقف التاريخ وهو اما { تاريخ طبيعي / أو تاريخ مدني }

٢ ــ الخيال . ومجاله الشعر على انواعه من { قصصي (Nararratif) / وتمثيلي (Dramatique) / ورمزي (Parabolique) }

٣ ــ الذكاء . وبه تدرك الماهيات . وعليه قامت الفلسفة وهي اما ان ترمي الى :
معرفة الله ــ علم اللاهوت
أو الكون ــ { علم ما وراء الطبيعة / علم الطبيعة . / الميكانيكيات }
أو الانسان ــ { درسه اجمالا / « من حيث جسمه / « « نفسه / « « علاقته بالمجموع }

الا ان هذا التقسيم ، مع ما ناله من الشهرة ، مبني على اساس فاسد ينقضه العلم الحديث . فمن المقرر الثابت اليوم ان القوى النفسية على انواعها هي واحدة في الحقيقة تعمل معاً في اكتساب العلوم والمعارف وتتعاون جميعاً لهذا الغرض . فلا يجوز الفصل بينها على ذلك النحو وتخصيص احداها بعلم دون الآخر . فالقول بان التاريخ يختص

بالذاكرة والشعر بالخيال والفلسفة بالذكاء مما يتعذر التسليم به مع العلم بان العاقل واحد وقواه النفسية واحدة

٢ — التقاسيم التي باعتبار المعقولات

تقسيم اوغست كونت

لاوغست كونت الفيلسوف الاجتماعي الشهير صاحب الفلسفة الوضعية تقسيم للعلوم ربما كان افضل تقسيم ظهر حتى اليوم . وحسبه هذا التقسيم كافياً لتخليد ذكره

بنى كونت تقسيمه على اعتبار لم يحفل به من سبقه من العلماء نعني صفة « البساطة والتركيب » . فالعلوم تتفاوت في البساطة والتركيب بتفاوت بساطة وتركيب ما تنظر فيه من المواضيع . فالعلوم الرياضية ابسط العلوم لانها تنظر في ابسط الامور وهي الاعداد والابعاد ، تليها العلوم الطبيعية التي تبحث في صفات الاجسام الجامدة واحكامها . ثم العلوم الحيوية التي تبحث في الاجسام الحية واحكامها . ثم العلوم الاجتماعية التي تبحث في الاجتماع واحكامه . فالاجسام الجامدة تفرض وجود المقاييس، والاجسام الحية تفرض وجود الاجسام الجامدة مع اضافة الحياة اليها ، والاجتماع يفرض وجود افراد حية مرتبطة بروابط اجتماعية

قلنا ان كونت وضع في مقدمة تقسيمه العلوم المتناهية في البساطة ثم الاقل بساطة فالاقل وقد وجد ان هذا التقسيم عدا عن كونه سهلا قريباً الى العقل فهو ايضاً يوافق تدرج العلوم وتسلسلها من الوجهة التاريخية . فان اقدم العلوم الرياضيات وهي في الواقع ابسطها واحدث العلوم الاجتماعيات وهي اكثرها تركيباً . واليك تقسيمه

١ الرياضيات : الحساب . الهندسة . الميكانيكيات
٢ علم الفلك
٣ الطبيعيات : علم جاذبية الارض . الحرارة . الاصوات . البصريات . الكهرباء
٤ الكيمياء
٥ علم الحياة
٦ علم الاجتماع

والتاريخ يشهد بان كلاً من هذه العلوم لم ينشأ ويتميز الا بعد نضوج العلوم التي تقدمته . فكانت العلوم السابقة وسيلة للاحقة . خذ مثلا الكيمياء فانها لم تنشأ في الحقيقة الا بعد نمو الرياضيات والطبيعيات . ولكونها اكثر تركيباً منهما لم يكن لها غنى عن الاستعانة بمبادئهما المقررة وقد استطاعت بمعونة تلك المبادىء أن تتوصل الى استنتاجات جديدة خاصة

بها . ونشأ بعد الكيمياء علوم اخرى اكثر تركيباً منها وهي العلوم التي تبحث في الحياة على اختلاف مظاهرها وقد استمدت هذه العلوم على جميع ما قررته العلوم السابقة وعدته بمنزلة حقائق راهنة استعانت بها في حل مسائلها الخاصة . وقس على ذلك

ومن فوائد هذا التقسيم ايضاً أنه يرشدنا الى خير الطرق لتدريس العلوم اذ يدلنا على النظام الذي يحسن اتباعه في تثقيف العقول بحيث يبدأ المتعلم بالبسيط من العلوم ويتدرج شيئاً فشيئاً حتى يلم باكثرها تركيباً على النسق الذي تدرجت به البشرية في تثقفها

على أن هذا التقسيم وان يكن افضل من غيره فهو لا يخلو من عيوب ونقائص يجدر الاشارة اليها :

اولاً لا ذكر فيه لعلم النفس (البسيكولوجيا) وكان يجدر بكونت ان يضع هذا العلم في جدوله بين علم الحياة وعلم الاجتماع لانه مستقل عنهما ومتوسط بينهما في التركيب. غير أن كونت عد الانسان حيواناً اجتماعياً لا غير : فعلم الحياة يدرسه من حيث هو حيوان وعلم الاجتماع يدرسه من حيث هو اجتماعي

ثانياً من الصعب أن تدرك علاقة علم الفلك بما يتبعه من العلوم وان نرى ضرورته للعلوم التالية له

تقسيم سبنسر

لسبنسر الفيلسوف الانكليزي الشهير تقسيم لا بأس من ايراده في جملة التقاسيم الشهيرة فانه قسم العلوم الى ثلاثة اقسام باعتبار نوع المعقولات التي تنظر فيها كما يأتي :

١ العلوم النظرية (abstraite) وهي تنظر في العلاقات التي بين الكائنات وبين الظواهر بقطع النظر عن الكائنات والظواهر نفسها . مثل علم المنطق والرياضيات

٢ العلوم النظرية الحسية (abstraite-concrète) وهي تنظر في الظواهر نفسها بقطع النظر عن الاشياء والكائنات التي تحدث لها تلك الظواهر . مثل الطبيعيات والكيمياء والميكانيكيات

٣ العلوم الحسية (concrète) وهي تنظر في الكائنات فقط . مثل علم الفلك وعلم طبقات الارض وعلم الحياة وعلم النفس والاجتماع

ويجدر بنا أن نشير هنا الى أن هذا التقسيم مستمد من فلسفة سبنسر التي لا محل للافاضة فيها هنا

تقسيم العلوم عند العرب

لم يفكر العرب في تقسيم العلوم وترتيبها على أساس منطقي الا بعد نضوجها وتعددها أي بعد ان ترجموا كتب العلم عن الاعاجم وأضافوها الى العلوم التي عرفوها في الجاهلية والعلوم التي أحدثها الاسلام . فاصبحت اذ ذاك في حاجة الى الحصر والتعريف . وأول

من عني من العرب بتقسيم العلوم والتعريف باغراضها أبو نصر الفارابي الفيلسوف العربي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ فقد الف كتاباً في هذا الموضوع سماه « احصاء العلوم والتعريف باغراضها » وهو أشبه بقاموس علمي على شكل موسوعات العلوم منه بتقسيم منطقي جامع

تقسيم ابن سينا

وأشهر تقسيم للعلوم عند العرب هو بلا ريب تقسيم الرئيس الفيلسوف ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ فقد أقتبسه الافرنج في القرون الوسطى واعتمدوا عليه زمناً طويلاً وقد أورده في رسالة له في تقاسيم الحكمة والعلوم . فقسم العلوم الى نظرية وعملية :

فالقسم النظري هو الذي الغاية منه حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الانسان ويكون المقصود انما حصول رأي فقط . وأما القسم العملي فليس المقصود منه حصول رأي فقط بل حصول رأي لاجل عمل . فغاية النظري هو الحق وغاية العملي هو الخير

وقسم ابن سينا الحكمة النظرية الى ثلاثة أقسام . قال ذلك لان الامور التي يبحث فيها: اما ان يكون وجودها وحدودها متعلقان بالمادة الجسمانية والحركة مثل أجرام الفلك والعناصر — وهو العلم الاسفل

واما ان تكون أموراً وجودها متعلق بالمادة والحركة وحدودها غير متعلقة بهما مثل التربيع والتدوير ومثل العدد وخواصه فانك تفهم الكرة من غير ان تحتاج في تفهيمها أنها من خشب أو ذهب ولا تفهم مثلاً الانسان الا وتحتاج الى فهم ان صورته من لحم وعظم — وهو العلم الاوسط

واما ان تكون أموراً لا وجودها ولا حدودها مفتقرين الى المادة والحركة — وهو العلم الاعلى

وقسم الحكمة العملية الى ما يختص بشخص واحد أو اكثر . وما هو غير خاص بشخص واحد اما ان يكون خاصاً باجتماع منزلي أو باجتماع مدني . ويمكن حصر تقسيمه في الجدول الآتي :

- العلوم النظرية
  - العلم الاعلى — وهو الطبيعي
  - « الاوسط — وهو الرياضي
  - « الاسفل — وهو الالهي
- العلوم العملية
  - خاص بشخص واحد — علم الاخلاق
  - غير خاص بشخص واحد
    - خاص باجتماع منزلي — علم تدبير المنزل
    - خاص باجتماع مدني — السياسيات والاجتماعيات

وقد اعتبر ابن سينا في تقسيمه كما ترى مراتب الموجودات التي تنظر فيها العلوم

ونسبتها بعضها الى بعض . فميز العلم الاعلى والعلم الاوسط والعلم الأسفل . وقد أعجب الفلاسفة المدرسيون بهذا التقسيم وفضلوه على كل ما لديهم من التقاسيم فنقلوه الى لغاتهم مما يدل على أهميته . وهو يفضل كثيراً من التقاسيم التي جاءت بعده كتقسيم باكون الفيلسوف الانكليزي مثلا وغيره

تقسيم طاشكبرى زاده

وفي مقدمة كتاب كشف الظنون تقاسيم شهيرة لكبار كتاب العرب وأصحاب الموسوعات اخترنا منها افضلها وأتمها وهو تقسيم لطاشكبري زاده (من أهل بر الاناضول) المتوفى سنة ٩٦٨ هـ وهو أكبر مؤلف انسكلوبيذي عربي . وقد ذكر هذا التقسيم في مقدمة كتابه « مفتاح السعادة » أو موسوعات العلوم ودرس فيه ارتباط العلوم درساً فلسفياً جميلا مبيناً كيف تفرعت بعضها عن بعض في شكل المشجر . فابتدأ باوضع العلوم وهي في اصطلاحه التي تنظر في موجودات مجازية غير حقيقية الى أرفعها أي التي تنظر في موجودات حقيقية . وقد فضل صاحب كشف الظنون تقسيمه هذا على سائر التقاسيم التي أوردها . فنقتصر على ذكره مكتفين بالاشارة الى التقاسيم الاخرى

قال للاشياء وجود في أربع مراتب :

في الكتابة . في العبارة . في الاذهان . في الاعيان

وكل سابق وسيلة للاحق : لان الخط دال على الالفاظ . وهذه على ما في الاذهان. وهذا على ما في الاعيان . فالوجود العيني هو الوجود الاصل الحقيقي . وفي الوجود الذهني اختلاف في كونه حقيقياً أو مجازياً . أما الاولان (الكتابة واللفظ) فمجازيان قطعاً

فالعلوم المتعلقة في الثلاثة الاقسام الاولى (الكتابة والعبارة والاذهان) آلية البتة أي ليست مقصودة لذاتها . وأما ما هو متعلق بالرابع (الاعيان) فهو اما آلي (عملي) أي لا يقصد به حصول نفسه بل غيره أو غير آلي (نظري) يقصد به حصول نفسه . ثم ان كلا منهما اما ان يبحث فيه من حيث انه مأخوذ من الشرع فهو العلم الشرعي أو من حيث انه مقتضى العقل فقط فهو العلم الحكمي

ويمكن حصر تقسيمه في الجدول الآتي :

١ ــ الكتابة (آلي) : العلوم الخطية ذكر منها ٩ كعلم ادوات الخط وعلم قوانين الخط الخ

٢ ــ العبارة (آلي) : ذكر ٤٤ علماً أهمها : الصرف . النحو . المعاني . البيان . البديع . العروض . القوافي . قرض الشعر . الانشاء . المحاضرة

٣ ــ الاذهان (آلي) ذكر خمسة علوم هي : علم المنطق . علم آداب الدرس. علم النظر . علم الجدل . علم الخلاف

٤ــ الاعيان
- العلم الشرعي
  - النظري (غير آلي) : كعلم القراءة . علم رواية الحديث . علم تفسير الحديث . علم الكلام . علم الفقه
  - العملي (آلي) : ذكر العلوم المتعلقة بالتصفية التي هي ثمرة العقل
- العلم الحكمي
  - النظري (غير آلي)
    - العلم الالهي : علم النفس . علم معرفة المعاد . علم امارات النبوة . علم مقالات الفرق
    - الطبيعي : علم الطب . النبات . الحيوان . الفراسة . الكيمياء . احكام النجوم . السحر والطلسمات
    - الرياضي : علم العدد . الهندسة . الهيئة . الموسيقى
  - العملي (آلي)
    - علم الاخلاق (للفرد)
    - علم تدبير المنزل (للاجتماع المنزلي)
    - علم السياسة (للاجتماع المدني)

فترى مما تقدم ان طاشكبري زاده اطلع على تقسيم ابن سينا واخذ عنه وقد أعتبر إن للعلوم سبعة أصول تفرعت منها سائر العلوم كما تتفرع الاغصان من الجذوع . وقد زادت العلوم في أحصائه على ٣٠٠ علم والاصول السبعة هي :

١ العلوم الخطية
٢ « المتعلقة بالالفاظ
٣ « الباحثة عما في الاذهان من المعقولات الثانية
٤ « الشرعية النظرية
٥ « الشرعية العملية
٦ « الحكمية النظرية
٧ « الحكمية العملية

وهذا التقسيم كما ترى مبني على أساس علمي وفيه بعض الشبه لتقسيم كونت الشهير اذ اعتبر كلاهما مراتب الموجودات التي تنظر فيها العلوم من حيث أن السابق منها وسيلة للاحق . غير انه بينما هذا الاعتبار هو الاساس الوحيد الذي اعتمده طاشكبري زاده فان كونت اعتمد اولاً على صفة البساطة او التركيب التي تنتج عنها ذلك الاعتبار

تقسيم ابن خلدون

وهناك تقسيم ورد في مقدمة ابن خلدون لا بأس من ذكره مع ذكر

قسم ابن خلدون العلوم الى صنفين :

الاول : صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره والمراد بهذا الصنف جميع العلوم الحكمية والفلسفية التي يمكن الانسان ان يقف عليها بطبيعة فكره ويهتدي الى موضوعاتها بمداركه البشرية

الثاني : صنف نقلي يأخذه عمن وضعه ويدخل في هـذا الصنف العلوم الدينيـة والشرعية وكلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول

فنرى من ذلك أن الصنف الاول يحوي ما يراد بكلمة « علم » اليوم مع حصر المعنى وقد قسم ابن خلدون علوم الفلسفة والحكمة الداخلة في هـذا الصنف الى أربعة أقسام كما يلي :

١ علم المنطق
٢ العلم الطبيعي
٣ العلم الالهي (أو ما وراء الطبيعة)
٤ علم المقادير ويشتمل على أربعة علوم: علم الهندسة، علم الارتماطيق، علم الموسيقى، علم الهيئة

***

يتبين للقارىء عند مراجعة التقاسيم السابقة ان المفكرين الذين تصدوا لتقسيم العلوم لم يريدوا « بالعلم » شيئاً واحداً . ولا ريب ان كلمة « علم » هي من الـكلمات المبهمة التي تقلبت في ادوار كثيرة . بل انه ليس من السهل تحديدها الآن ونحن نري العلوم تزداد عدداً بالتفرع المستمر. فما كان فرعاً من علم بالامس اصبح علماً قائماً بذاته اليوم

على أن الاقدمين اطلقوا كلمة علم على كل مجموع من المعارف والفنون. فتوسعوا في معناها حتى عدوا من العلوم علم الخط والقراءة ونحو ذلك مما لا يعد علماً اليوم بحصر المعنى. فقد خصص العلماء الحديثون (ولا سيما بعد أوغست كونت) كلمة علم بالمعارف التي يتوصل اليها الانسان بالمشاهدة والتجربة وهما اساس الطريقة العلمية الحديثة

ش . ن .

المعادن والحرب

بحث اقتصادي

الحرب الحاضرة هي حرب ذخائر قبل كل شيء فالدول تستنفد اليوم من المعادن كميات هائلة في صنع ذخائرها ومهماتها تبلغ أضعاف الكميات التي كانت تستنفدها في الاحوال العادية . ويكفي دليلا على شأن الذخيرة ما حدث لروسيا وما كان من تغلب الالمان عليها رغم تفوقها بالرجال . ولذلك فن أهم المباحث الاقتصادية في هذا الوقت النظر في موارد كل من الفريقين المتحاربين من حيث ثروته المعدنية ومقدرته على مواصلة الحرب بالذخائر والمعدات

وسنرى فيما يلي مقدار ما يتيسر لكل من الفريقين الحصول عليه من المعادن مع المقابلة بين الحاصل والهالك في كل من الدول المتحاربة قبل الحرب وفي أثنائها . والجدول المنشور في الصفحة التالية يبين ما كانت تنتجه الدول قبل الحرب وما كانت تستنفده . ونريد « بالانتاج » في هذا المقام كل ما تجهزه الدولة من المعدن سواء استخرج من مناجمها أو اعتملته مصانعها بعد استيراده خاماً

ويتضح من هذا الجدول ايضاً ان الولايات المتحدة هي اكثر الدول انتاجاً للمعادن وأغناها من هذا القبيل . فهي الدولة الوحيدة التي تسد بنفسها حاجتها من جميع المعادن في حين انه ليس بين الدول الاخرى دولة تستغني عن جلب بعض المعادن التي تلزمها من الخارج

وقد كانت انكلترا وفرنسا قبل الحرب تستوردان الزنك من البلجيك واسبانيا. ولم تكن الولايات المتحدة اذ ذاك تنتج ما يزيد عن حاجتها بخلاف الرصاص فقد كان يفيض عنها بمقدار كبير فتقتنيه منها انكلترا وفرنسا فضلا عن اقتنائهما لكل ما كان تيسر لهما اقتناؤه من هذا المعدن من اسبانيا واستراليا

اما دولتا الوسط فقد كان مايستخرجانه من الزنك يكفي حاجتهما بخلاف الالومينيوم فقد كانتا تضطران الى استيراده من الخارج في حين ان انكلترا وفرنسا كانتا تصدران منه ما يزيد على حاجتهما

ولو فرضنا ان استنفاد المعادن ظل اليوم على ما كان قبل الحرب وان الحدود باقية على حالتها وقتئذ لكانت ميزانية الدول من حيث ثروتها المعدنية كما يأتي :

(انظر صفحة ٥٩٨)

الحاصل

المعادن	في العالم	فرنسا	بريطانيا	بلجيكا	روسيا	ايطاليا	اسبانيا	الولايات المتحدة	المانيا	النمسا
فولاذ	٦٥٠٠٠٠٠٠	٤٤٠٤٠٠٠	٦٤٦٢٠٠٠	٣١٩٣٠٠٠	٣٧٦٠٠٨٠			٢٩٧٤٥٠٠٠	١٥٠٠٩٠٠٠	٢٧٨٥٠٠٠
نحاس	١٠٠٠٧٠٠٠	١٣٢٠٠٠	٤١١٠٠		٤٤٣٠٠	١٦٠٠	٢٣٦٠٠	٥٥٧٣٠٠	٥٢٠٠٠	٥٢٠٠٠
رصاص	١١٨٦٧٠٠	٢٨٠٠٠	٣٠٥٠٠	٥٠٨٠٠		٢١٧٠٠	٢٠٣٦٠٠	٣٩٣١٠٠	١٨١٠٠٠	٢٤٠٠٠
زنك	٩٩٤٠٠٠	٤١٠٠٠	٦٥١٩٠	٢١٧٩٣٠	١٢٠٠٠	—	٣٧٢٨٠	٣٤٦٦٧٤	٢٨٩٨٧٠	٢٣٩٢٠
زئبق	٤١٧١				٤٠٠	٨٨٨	١٤٩٠	٦٨٨		٨٥٥
الومنيوم	٦١١٠٠	١٣٠٠٠	٧٥٠٠				٨٠٠	١٨٣٠٠	١٢٠٠٠	١٢٠٠٠

الهالك

المعادن	في العالم	فرنسا	بريطانيا	بلجيكا	روسيا	ايطاليا	اسبانيا	الولايات المتحدة	المانيا	النمسا
نحاس		١٠٣٦٠٠	١٤٠٣٠٠		٤٠٢٠٠	٣١٢٠٠		٣٥١٠٠٠	٢٥٩٣٠٠	٣٧٢٠٠
رصاص		١٠٧٦٠٠	١٩١٤٠٠					٤٠١٣٠٠	٣٥٩٠٠٠	٣٥٩٠٠٠
زنك		٨٢٠٠٠	١٨٥٢٠٠	٦٧٧٠٠	٢٩٠٠٠			٣١٢٤٠٠	٢٢٥٨٠٠	٤٦٩٠٠
الوميئيوم		٦٠٠٠	٤٠٠٠			١٠٠٠		٢٨٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠

	ما تضطر الى استيراده	ما تستغني عنه
الحلفاء (فرنسا وانكلترا وروسيا) وبلجيكا	من النحاس ٢٢٥١٠٠ طن « الزنك ٢٥١٠ « « الرصاص ٢٠٩٦٠٠ «	من الالومينوم ١٠٣٠٠
دولتا الوسط (المانيا والنمسا)	من النحاس ٢٤٤٠٠ « من الرصاص ٥٤٠٠٠ « الالومنيوم ١٦٠٠٠	من الزنك ٤١٠٩٠

نشبت الحرب وثروة الدول المعدنية على هذا الشكل فاحتل الالمان البلجيك وشمالي فرنسا ثم افتتحوا بولونيا فاستفادوا من المناجم الغنية في تلك البلاد . غير أن تفوق الحلفاء البحري ضمن لهم طريق البحار ومكنهم من الاستعانة بموارد العالم في حين ان الالمان اضطروا الى الاكتفاء بمواردهم الطبيعية وموارد البلاد التي احتلوها

وسنذكر فيما يلي كلمة وجيزة عن كل من المعادن ذات الشأن من الوجهة الحربيـة وما تقلب فيـه من الاطوار . وأهمها الحديد (وانواعه) والنحاس والرصاص والزنك

الحديد

ان الحديد وتوابعه كالحديد المسبوك (الظهر) (fonte) والفولاذ على انواعه [١] هو اكثر المعادن دخولاً في المعدات الحربية من مدافع وذخائر واستحكامات وغيرها . وقد امتازت الحرب الحاضرة بعظم ما تستنفده من الذخائر فقد كانوا يقدرون ما يلزم من الرصاص لقتل الجندي الواحد بما يعادل وزنه . أما اليوم فان معدل ما يستهلك من الحديد لهذا الغرض يقدر بالاطنان . وستصبح بعض الاماكن التي كثر فيها القتال بمثابة مناجم يمكن استخراج ما فيها من المعادن التي قذفت بها الآلات الحربية

اذا نظرنا الى فرنسا وبحثنا عن أهم مناجم الحديد فيها وجدنا بعضها اليوم في قبضة الالمان .

(١) قلما يستعمل الحديد نقياً فالادوات الحديدية المستعملة يدخلها مواد أخرى أهمها الكربون فاذا كانت كمية الكربون لا تزيد عن ٢٤٢ في المئة سمي فولاذاً واذا زادت عن ذلك سمي مسبوكاً (او ظهراً)

ومما يجدر بنا الاشارة اليه انه — مع وفرة ما تستخرجه دولتا الوسط من الحديد والفحم — ينقصهما مواد أخرى لا غنى عنها في صنع أنواع الفولاذ كالمنجنيز فانه يدخل في تركيب الفولاذ بنسبة ١٠ في الالف فعلى ذلك يكون ما يلزم المانيا من هذا المعدن ١٣٠٠٠٠ طن سنوياً . وهذه الكمية عشرة اضعاف ما تستخرجه مناجمها ومهما تكن الكمية المخزونة عندها منه فلا بد أن تنفد يوماً

النحاس

هو بعد الحديد وتوابعه أكثر المعادن استعمالاً في المعدات الحربية مما يستلزم استهلاك مقادير عظيمة منه . وقد قدروا ما يستهلك سنوياً من النحاس في سبيل الحرب بنحو ٥٠٠٠٠٠ طن اي ما يقرب من نصف محصول العالم كله . وقد كان الفريقان المتحاربان في زمن السلم يحتاجان على السواء الى استيراده من الخارج بكمية تتراوح بين ٢٢٥٠٠٠ و ٢٥٠٠٠٠ طن لكل فريق

فحالما نشبت الحرب رأت المانيا انها محصورة من كل جهة وموارد الخارج مقطوعة عنها فاضطرت أن تكتفي بمواردها الطبيعية مع موارد حلفائها والبلاد التي احتلتها ولكن كل ذلك لم يكن ليكفي حاجتها

فاخذت تحتال في تهريبه اليها عن طريق الدول المحايدة فبذلت في اقتنائه أثماناً باهظة . وقد اضطرت الى تجميع الاواني المنزلية والاوائل المختلفة المصنوعة من النحاس واجتهدت قدر استطاعتها لاستبدال هذا المعدن في صنع البرونز والنحاس الاصفر laiton بمعادن أخرى كالحديد والالومينيوم وغيرها

اما موقف الحلفاء فعلى خلاف ذلك بفضل تفوقهم البحري . فانه حالما نشبت الحرب اقتنى الانكليز كل ما تيسر لهم شراؤه من النحاس الموجود وقتئذ وهو نحو ٢٠٠٠٠ طن . ثم ان سفنهم الحربية كانت تفتش السفن التجارية وتضع يدها على كل ما تحمله من النحاس

ثم اشترت الحكومة الانكليزية كميات كبيرة من اميركا فلم تدخل سنة ١٩١٥ حتى كان الموجود من هذا المعدن تحت تصرف الحلفاء ٣٦٣٠٠ طن . زد على ذلك ان الولايات المتحدة أخذت تضاعف مجهودها في استخراج النحاس الامر الذي يضمن للحلفاء وارداً مستديماً

الرصاص

للرصاص اهمية كبيرة في الحرب الحاضرة فبه تحشى القذائف الانكليزية والالمانية . وقد كان الحلفاء يستجلبون ٠٠٠ ٢٠٠ طن في السنة قبل الحرب فضلاً عن محصولهم أما دولتا الوسط فكانتا تستجلبان ٠٠٠ ٥٤ طن . فلما نشبت الحرب اضطر الالمان الى الاكتفاء بمواردهم وموارد حلفائهم (كان محصول المانيا ١٨١٠٠٠طن سنة ١٩١٣) ولسد حاجتهم من هذا المعدن جعلوا يبحثون عن الرصاص القديم المستعمل في المباني ومجاري المياه . وهذه المقادير لا يستهان بها اذ يمكن استعمالها والانتفاع بها . أما الحلفاء فقد تمكنوا بفضل ما استجلبوه وما يستجلبونه من الولايات المتحدة واسبانيا من سد حاجتهم . وشأنهم في ذلك كشأنهم في النحاس

الزنك

لقد تقلبت اسعار الزنك من نشوب الحرب الى اليوم على شكل غريب فبعد ان كان سعر كل مئة كيلوغرام ٥٨ فرنكاً أصبح ضعفي ذلك في اواخر سنة ١٩١٤ ثم ثلاثة اضعافه في ابريل سنة ١٩١٥ الى ان بلغ ٣٠٥ فرنكات في مارس سنة ١٩١٦ أي اكثر من خمسة اضعاف القيمة الاصلية . الا انه اخذ بعد ذلك في التناقص بفضل محصول الولايات المتحدة فهبط الى ٢٠٠ فرنك

. وقد انتشرت صناعة الزنك في اميركا ونمت حتى أصبحت الولايات المتحدة تستخرج سنوياً ٠٠٠ ٥٠٠ ٩ طن وذلك ثلاثة اضعاف حاجتها فهي تصدر ثلثي هذا القدر الى الحلفاء

المعادن الاخرى

ذكرنا فيما تقدم أهم المعادن ذات الشأن من الوجهة الحربية وهي الحديد والنحاس والرصاص والزنك . على ان هناك معادن أخرى لها دخل من وجوه مختلفة في تسيير الحرب نذكر منها : النيكل والأنمد والقصدير والالومينيوم والزئبق والفضة والذهب . ويطول بنا الشرح لو أردنا التكلم بالتفصيل عن كل منها وانما يمكننا ان نقول اجمالاً ان موارد الحلفاء تفوق موارد الالمان وحلفائهم ولا سيما بعد دخول الولايات المتحدة في الحرب . فقد نشطت مصانعها نشاطاً عظيماً حتى تضاعف محصول بعض المعادن فيها بين مرتين وثلاث مرات وأربع مرات

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بأحرف أو بكلمة عند النشر

الجمعيات في الاسلام

﴿ مصر ﴾ محمد كامل الغمراوي

هل حدث في عصر من العصور الاسلامية ان الفت جمعيات علمية أو أدبية وهل كان عند المسلمين جميات ونواد للعلم كما نرى في عصرنا الحاضر ؟

﴿ الهلال ﴾ كان عند المسلمين على اختلاف العصور والدول جميات ونواد مختلفة الاغراض والضروب بين علمية وادبية وسياسية وسرية ولا سيما ما كان يقصد منها رفع شأن الادب فهو قديم في تاريخهم نشأ مما كان معروفاً عندهم من قبيل النوادي ومجالس الادب واسواقها في الجاهلية وصدر الاسلام

وفي أبان التمدن الاسلامي نشأت الجمعيات وأزهرت فألفوا الجمعيات السرية للابحاث العلمية الممنوعة في نظر اهل الدولة كجمعية « أخوان الصفا » في الدولة العباسية وما نسج على منوالها في المملكة الاسلامية . ومنها الجمعيات الادبية والرياضية كجمعية الفتوة التي كان يرأسها أحد الخلفاء العباسيين . ومنها ايضاً الجمعيات السياسية التي كانت تشبه الاشتراكية أو الفوضوية كالخوارج وطائفة الحشاشين او الاسماعيلية ونحوها ممن كانوا ينقمون على اهل السيادة ويسعون في خلعهم او قتلهم بالمكائد أو الفتك. وكانت جمعياتهم مؤسسة على نظم دقيقة وربط متينة . وكان عندهم جمعيات انسانية واخوية تشبه الجمعية الماسونية ، ولا يبعد أنه كان لها فروع في الشرق الاسلامي ، وذكر ابن بطوطة في رحلته جمعية سماها الاخية الفتيان لها فروع في جميع البلاد التركمانية وغيرها في كل بلد ومدينة . ناهيك بالجمعيات التي هي من قبيل الطرق الصوفية ونحوها من الجمعيات الدينية . ومن يمعن النظر في التاريخ الاسلامي ويتتبع بدقة ما كتبه مؤرخو العرب يرى غير ذلك كثيراً من الجمعيات الشبيهة بجمعياتنا الحديثة التي نشأت في هذا العصر واقتبسناها عن التمدن الغربي ولا جديد تحت الشمس

آمين

﴿ مصر ﴾ وديع سعيد بوزارة الحربية

ما أصل لفظة آمين التي تختم بها الصلوات والدعوات ؟ وهل هي عربية ام غير ذلك وان كانت عربية فلماذا تترجم كما هي في بعض اللغات مع انها ليست اسم علم أو سواه ؟

﴿ الهلال ﴾ آمين كلمة عربية مشتقة من أمَّنَ أي صدّق وهي تقال في أثر الدعاء . فهي عربية ومن اصل عربي الا انه قيل انها اعجمية لان فاعيل ليس من اوزانهم كقابيل وهابيل . لكن المحقق عند ائمة اللغة ان هذا مردود اذ لم يعهد لنا اسم فعل غير عربي وندرة وزنه لا تقتضي ذلك والا لزم كون الاوزان النادرة كلها كذلك ، ولهذا الكلام تفصيل واف في كتب اللغة ومعجماتها كلسان العرب والمخصص وغيرهما

وبالاجمال هي كلمة عربية وبعبارة أخرى سامية بحتة فليست بآرية ولا طورانية الا انها نقلت الى هذه اللغات بمعناها ولفظها كما نقل كثير من الكلمات السامية والعربية الى اللغات الافرنجية والشرقية

اسم بريطانيا العظمى

﴿ سنترال فولز . رود ايلند . اميركا ﴾ حبيب غبريل

لماذا سميت الجزيرة الكبرى من الجزائر الانكليزية بريطانيا العظمى وما هو تاريخ تسميتها بهذا الاسم ؟

﴿ الهلال ﴾ كان اسم بريطانيا معروفاً في اليونانية والرومانية وكان يكتب بهذه الاخيرة Britannia ولا شك اليوم في ان هذه التسمية مأخوذة عن اسم قلتي (أي منسوب الى القلتيين وهم أقدم الشعوب التي سكنت تلك البلاد) ولا تزال صورة هذا الاسم بالضبط موضوعاً للخلاف بين علماء اللغة . أما تسميتها بالعظمى فلتمييزها من مقاطعة بريطانيا الفرنسية التي سميت بريطانيا الصغرى Britannia Minor أثر مهاجرة أهل بريطانيا اليها في القرنين الخامس والسادس للمسيح

وجود السيد المسيح

﴿ اوبوني . بوليفيا ﴾ يوسف الجار

طالعت في بعض الجرائد العربيـة التي تصدر بالبرازيل ان بعض العلماء يعتقدون

أن السيد المسيح لم يوجد ولم يصلب فهل لهذه الدعوى نصيب من الصحة ؟

﴿ الهلال ﴾ ادعى هذه الدعوى غير واحد ولكن الادلة التاريخية كلها متفقة على ان وجود المسيح وصلبه من الامور التاريخية الثابتة بقدر ما يستطيع التاريخ اثبات حوادثه

نسبة النساء الى الرجال

﴿ فيلادلفيا . الولايات المتحدة ﴾ ك . س . د .

حدث جدال بين رجلين عن اي الجنسين يفوق الآخر عدداً الرجال أو النساء فاستقر الرأي على استفتائكم في هذا الموضوع للفصل فيه

﴿ الهلال ﴾ ان عدد النساء يربو على عدد الرجال في معظم البلاد الا في القارة الاميركية . فلكل الف امرأة يوجد في انكلترا ٩٣٧ رجلا (في مقاطعة انكلترا نفسها لا البلاد الانكليزية كلها) حسب آخر الاحصاءات وفي فرنسا ٩٦٧ وفي المانيا ٩٧٤ وفي سويسرا ٩٧٠ وفي ايتاليا ٩٩٠ وفي النمسا ٩٩٥ وفي بلاد المجر ٩٩١ وفي روسيا ٩٨٩ — على ان عدد المواليد الذكور يزيد اجمالا على عدد المواليد الاناث بمعدل ١٠٦٣ ذكراً لالف انثى

اما البلاد الاميركية فعدد الرجال فيها يزيد على عدد النساء وأهم اسباب ذلك المهاجرة اذ ان اكثر المهاجرين من الرجال فهم في الولايات المتحدة بمعدل ١٠٦ لكل مئة امرأة

النساء في المجالس النيابية

﴿ ومنه ﴾ سيجلس النساء قريباً في مجلس النواب الاميركي فارجو ان تفيدوني عما اذا كان لهذا الحادث شبيه في التاريخ؟

﴿ الهلال ﴾ ان يكون هذا اول حادث من نوعه . فقد كان في زمن هليوجابالس الامبراطور الروماني (٢١٨ — ٢٢٢) مجلس مؤلف باكمله من النساء ترأسهن والدته وقد كانت من وظائف هذا المجلس اصدار القرارات المتعلقة بالآداب الاجتماعية كآداب اللباس والطعام والزيارة ونحو ذلك . ولعل انكلترا شاهدت ما هو اقرب الى المتوقع حصوله في الولايات المتحدة فقد كان للنساء الانكليزيات في اوائل عهد الانجلو سكسون اصوات في المجلس الوطني المسمى ويتناجيموت Witenagemot وكانت النساء تمضي القرارات مع الرجال بل انه في زمن هنري الثالث وادوارد الاول كان للنساء مقاعد في البرلمان الانكليزي ولم تتلاش هذه العادة حتى زمن ادوارد الثالث

ولايات البرازيل المتحدة

ماضيها وحاضرها

قطعت البرازيل علاقاتها السياسية مع المانيا ثم شهرت عليها الحرب ثم شرعت تساعد الحلفاء مساعدة فعلية فكانت هذه الخطوات بمنزلة حاث للناس على معرفة تلك البلاد الواسعة والوقوف على ماضيها وحاضرها . فرأينا ان نصدر هذا الهلال بمقالة تبين للقراء شيئاً من تاريخها واحوالها الاجتماعية والاقتصادية

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان في البرازيل جالية سورية كبيرة لها مقام رفيع بين الجاليات المختلفة وبين اعضائها افراد نالوا احسن المراكز من الوجهتين الادبية والمادية . وللسوريين هناك جمعيات مختلفة وجرائد ومجلات كثيرة

***

مساحة البرازيل تزيد كثيراً عن مساحة سائر اقطار اميركا الجنوبية فانها تبلغ نحو ٨٣٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع (أي اكثر من مساحة الولايات المتحدة الاميركية فانها تبلغ ٧٨٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع واكثر من مساحة استراليا كلها وهي ٧٦٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع) وتبلغ أقصى المسافات فيها ٤٢٠٠ كيلومتر من الشمال الى الجنوب و٤١٠٠ من الشرق الى الغرب . وطول شواطئها وحدها ٦٦٠٠ كيلومتر . وانهرها من اعظم انهر العالم وفي مقدمتها نهر الامازون فان الجانب الاكبر منه يجري في ارض البرازيل (أي ٣٢٠٥ من ٦٢٠٠ كيلومتر)

والبرازيل مؤلفة من ٢١ ولاية متحدة على شكل الولايات المتحدة في اميركا الشمالية . ولذا فان اسمها الرسمي « ولايات البرازيل المتحدة » . وبعض تلك الولايات عظيمة الاتساع فان ولاية امازوناس وحدها تزيد مساحتها على ١٩٠٠٠٠٠ كيلومتر أي ثلاثة أضعاف ونصف مساحة فرنسا

والبرازيل محاذية لجميع دول اميركا الجنوبية ومستعمراتها لتوسطها بينها ما عدا الاكوادور والشيلي . وقد نشأ عن هذا الجوار فيما مضى منازعات كثيرة ولكنها سويت كلها الآن

***

وطئ البورتغاليون أرض البرازيل في سنة ١٥٠٠ وأنشأوا عند طرفها الشرقي مستعمرة زراعية وجعلوا عاصمتهم مدينة سان سلفادور دي باهيا (وتسمى باهيا فقط) واستجلبوا اليها زنوجاً لزراعة قصب السكر والتبغ على الخصوص

على إن المستعمرين لم يجسروا في أول أمرهم على الابتعاد كثيراً عن الشواطئ والتوغل في داخل البلاد . ولكنهم لما استقر أمرهم في مستعمرتهم أخذوا يستكشفون الداخلية . بدأوا بتلك الرحلات منذ أوائل القرن السابع عشر فكانوا يجتمعون عصابات مسلحة ويهاجمون سكان تلك الجهات الاصليين فيأسرون الرجال ليستعبدوهم ويستخدموهم في مزارعهم . على ان بعض الفطنين من افراد تلك العصابات استقروا في الداخلية لما وجدوه فيها من الخيرات الطبيعية فتكاثر عددهم شيئاً فشيئاً وامتزجوا بالوطنيين وتزوجوا نساءهم فنشأ من ذلك التزاوج نسل قوي نشيط . كأن البورتغاليين نفخوا روحاً فتية في تلك القبائل ومنوا عنها الهرم والاضمحلال

وفي أوائل القرن الثامن عشر تضاعف نزوح المهاجرين الى البرازيل ولا سيما اثر استكشاف مناجم الذهب والاحجار الثمينة . ولما شعرت الحكومة بان مركز المستعمرة تحول من الشمال الى الجنوب اتخذت مدينة ريو دي جانيرو عاصمة لها بدلا من مدينة باهيا (سنة ١٧٦٣)

وكانت الحكومة البورتغالية تعامل الاهلين بقساوة وتفرض عليهم ضرائب ورسومات مختلفة حتى ملَّ الاهالي وأخذوا يحدثون بخلع النير البورتغالي ولا سيما اثر عاصفة الحرية التي هبت على العالم من البلاد الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر . وقام في هذه الاثناء بين سكان البرازيل نفر من الادباء والشعراء وأهل الفنون الجميلة كانوا في مقدمة الساعين للاستقلال . ففي سنة ١٧٨٩ أي سنة الاستيلاء على الباستيل في فرنسا طالب جماعة من هؤلاء باعلان الجمهورية ولكن لم يكن لديهم القوة الكافية لدعم دعواهم فقهروا وكان رئيسهم ضابطاً يدعى جوزه داسيلفا كزافيه وله رفيقان وهما الشاعر جونزاجا والنحات اليجادينو . أما الاول فقد شنق سنة ١٧٩٢ وأما رفيقاه فنفيا . ولكن أهل البرازيل اليوم يعدون أولئك الثلاثة أبطالاً وطنيين وقد أقاموا تمثالاً لجوزه داسيلفا كزافيه في مكان شنقه . على انه مع الفشل الذي اصابهم فقد وطد البرازيليون مكانتهم من ذلك الحين وأفهموا حكامهم انهم لا يحملون جوراً ولا عسفاً

وفي أوائل القرن التاسع عشر حدث في البورتغال حادث خطير كان له أعظم تأثير في حياة البرازيل . وهو ان جيوش نابوليون الاول احتلت البورتغال (من سنة ١٨٠٧ الى ١٨١٣) فاضطر الملك حنا السادس وحاشيته وأعوانه ومعظم الاشراف ان يلجأوا

الى البرازيل فنزلوا جميعاً (وعددهم نحو ٨٠٠٠) في أسطول مؤلف من ١٦ سفينة حربية فضلاً عن السفن التجارية. فرست السفن في باهيا أولاً ثم في ريو دي جانيرو (مارس سنة ١٨٠٨). وقد أصبحت ريو بذلك عاصمة البورتغال بدلا من لشبونه. ولما جلت جيوش نابوليون عن البورتغال لم يشأ الملك العودة الى بلاده فظل في البرازيل وكان له فيها بلاط عامر فانشأ المدارس الطبية والبنوك واكاديمية ملكية واستمال اليه نفراً من رجال الفن الفرنسيين فاقاموا في سنة ١٨٠٩ أول معرض للتصوير والنحت أقيم في اميركا الجنوبية

على ان الملك لم يلبث ان عاد الى موطنه ومقر ملكه. فلم تشأ البرازيل ان تعود ثانية الى مصاف المستعمرات بعد ما نالته من المكانة والعظمة. فسمت نفسها «امبراطورية» ونصبت عليها بدرو الاول ابن ملك البورتغال امبراطوراً (اكتوبر سنة ١٨٢٢) وفي سنة ١٨٢٤ منح الامبراطور رعيته دستوراً ولكنه لقي مقاومة كبيرة من الحزب القائل باستقلال الولايات عن السلطة المركزية. وقد اضطر الى الاعتراف باستقلال ولاية اوروغواي واعتزل الملك سنة ١٨٣١

فارتقى العرش بعده ابنه بدرو الثاني ولم يكن عمره اذ ذاك الا ست سنوات. وهو الامبراطور الثاني والاخير على البرازيل. وقد دام حكمه من سنة ١٨٣١ أي من سنة اعتزال والده العرش الى سنة ١٨٨٩ وهي سنة اعلان الجمهورية. وقد كان بدرو الثاني محباً للعلم والعلماء متشرباً المبادئ الحديثة وفي أيامه سنت قوانين اصلاحية كثيرة ولكنه ما برح يقاوم الحركة التي رمت الى استقلال الولايات في شؤونها. وقد اتحد مع الارجنتين والاوروغواي في حرب الخمس السنوات ضد الباراغواي. وتمكن بمساعدة وزيره ريو برانكا من تحرير العبيد تحريراً تدريجياً (من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٨٨)

ولكن اعداء بدرو الثاني تمكنوا من ابعاده عن العرش بطريقة سلمية وأعلنوا الجمهورية في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٩ ومنحوها دستوراً يشابه دستور الولايات المتحدة في اميركا الشمالية. وقد كان اعلان الدستور في ٢٤ فبراير سنة ١٨٩١. واتخذت الجمهورية الجديدة شعاراً لها هاتين الكلمتين المأخوذتين عن أوغست كونت الفيلسوف الفرنسي وهما «النظام والرقي»

وخلاصة الدستور البرازيلي ان على رأس الحكومة رئيساً بيده السلطة التنفيذية ينتخب لاربع سنوات ولا يجوز اعادة انتخابه بعد انقضاء مدته. وله نفوذ واسع واختصاصات كثيرة وهو وحده يختار وزراءه كما انه هو المسؤول امام المجلسين النيابيين

وقد أنشئت في البرازيل محكمة عليا تشبه المحكمة العليا في الولايات المتحدة وظيفتها تسوية ما يقع من الخلاف بين الولايات بعضها مع بعض أو مع السلطة المركزية أو مع الدول الاجنبية وتمتع كل ولاية باستقلال اداري واسع

وقد تخلل السنوات الاولى للجمهورية اضطرابات داخلية — شأن عصور الانتقال من نظام الى نظام — مما ادى الى ابطاء تقدم تلك البلاد من الوجهة الاقتصادية . ولكن الرؤساء الاخيرين تمكنوا بحسن تدبيرهم وسهرهم على مصلحة الرعية من التوفيق بقدر المستطاع بين الاحزاب المختلفة وتسيير البلاد بخطى واسعة في سبيل تحقيق الشعار الذي اتخذته لها وهو « النظام والرقي »

***

يقدر عدد سكان البرازيل حسب أصح التقادير بنيف وعشرين مليوناً . والارجح ان الهنود الاصليين لم يكونوا كثيري العدد عند ما جاء البورتغاليون تلك البلاد . وقد امتزجت قبائل كثيرة من أولئك الهنود وعلى الاخص الراقية منها بالبورتغاليين بعد ان قاومتهم زمناً . ولكن بعض القبائل المنحطة لجأت الى التوغل في الداخلية . وقد كان تعمير تلك البلاد بطيئاً في اول الامر الى حين اكتشاف المناجم في سنة ١٨٦٠ . ففي سنة ١٥٨٥ لم يكن في البرازيل الا ٢٥٠٠٠ من البيض نصفهم تقريباً في مدينة باهيا وحدها . وفي سنة ١٧٠٠ كانت مدينة ريو دي جانيرو لا تزال قرية حقيرة عدد سكانها ٢٥٠٠ نفس وفيها ٦٠٠ جندي . وحسب احصاء سنة ١٨١٩ كان عدد سكان البرازيل ٣٦١٧٠٠٠ . فاصبحوا ٩٩٣٠٠٠٠ سنة ١٨٧٢ و ١٧٥٠٠٠٠٠ سنة ١٩٠٠

وقد كثر المهاجرون الى البرازيل ولاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وفدوا اليها اولاً من أوربا المتوسطة ثم من اوربا الجنوبية والشرقية ثم من البلاد العثمانية وخصوصاً سوريا . على ان هذه العناصر المختلفة لا تلبث فيها زمناً طويلاً حتى تمتزج باهلها وتتعلم لغتهم (البورتغالية) وتتطبع بطباعهم وتتخذ عاداتهم — بل كأن أولئك القادمين يسكبون بقالب واحد اشترك في صنعه البورتغاليون والهنود معاً فيخرجون متشربين صفات واحدة تغلب فيها الروح اللاتينية

ونجد في البرازيل أمثلة من جميع الطبقات الاجتماعية ، من خاصتها وهم من ارقى البشر ولا يقلون في شيء عن ارفع الجماعات الاوربية في ميدان الحضارة والتقدم الى القبائل الهندية التي تضارع قبائل المتوحشين في اواسط أفريقيا . ولعل الصفة المميزة للبرازيل هي « التنوع » . فان جهاتها تختلف اختلافاً بيناً في الحاصلات والمعيشة والرقي فتجد في

مدنها جميع مظاهر الحضارة الحديثة كما انك تجد في داخليتها جهات لا تزال في منتهى الخشونة الطبيعية . ونظراً لهذا التنوع فامام حكومة البرازيل مشاكل كثيرة مختلفة يفرض عليها حلها

واذا نظرنا الى الثروة الطبيعية المتوفرة في البرازيل والى تنوع حاصلاتها ومزروعاتها تيقنا أن لتلك البلاد مستقبلا باهراً يجعلها بين دول العالم الكبرى . وهي اليوم صاحبة القول الفصل في أسواق البن والكاوتشوك . وقد قدر مجموع معاملاتها التجارية في سنة ١٩١١ بنحو ٣٠٠٠ مليون فرنك منها ١٦٧٢ مليوناً للصادرات وأهمها البن الذي يصدر منه بأكثر من ١٠٠٠ مليون ثم الكاوتشوك فشاي يعرف بشاي الباراغواي أو شاي اليسوعيين (maté) فالكاكاو فالقطن فالجلود فالتبغ فالسكر . أما الواردات فعظمها من المصنوعات وبينها أيضاً مواد غذائية كالدقيق من الارجنتين واميركا الشمالية والنبيذ من اوربا وغير ذلك

وتجارة البرازيل الخارجية في تقدم متواصل مع تقدمها العام في جميع دوائر الحياة الاجتماعية . ويبلغ طول السكك الحديدية فيها اكثر من ٢٣٠٠٠ كيلو متر . وكان عدد المهاجرين اليها ١١٣٦١٦ في سنة ١٩١١

من ادارة الهلال

نتقدم الى كل قارىء ان يطالع هذه الكلمات بامعان

ان مواظبة الهلال على صدوره في هذه الاوقات الحرجة وفي حين توقفت كثير من المجلات الاوربية عن الصدور فضلاً عن العربية لخير دليل على تقديرنا لواجبنا نحو القراء ورغبتنا في خدمتهم خدمة صادقة لقاء اقبالهم على الهلال ومناصرتهم له

على اننا نود ان يعلم القراء ان ارتفاع ثمن الورق (الى اكثر من عشرة أضعاف ماكان) وزيادة سائر النفقات فضلاً عن اقفال باب سوريا في سبيل الهلال — كل هذه الاسباب تجعلنا نشدد في الاقتصاد والتدقيق وحجز المجلة عن كل متأخر . وان الزيادة الطفيفة التي زدناها على قيمة الاشتراك لا تذكر بجانب ازدياد النفقة

فنتقدم الى القراء ان يتذكروا ذلك وان يعاونونا على مقاومة الصعوبات التي تعترضنا بتسديد قيمة اشتراكهم من غير تأجيل

لبنان

احواله الجغرافية والتاريخية والاقتصادية

بقلم صاحب السعادة اوغست أديب باشا [1]

اعمال النقل والمواصلات

أعمال النقل في لبنان محصورة بخط حديدي مفرد ضيق يبلغ طوله ١٤٧ كيلو متراً بين بيروت ودمشق وجزؤه الذي يجتاز لبنان ذو أسنان على مسافة ٣٢ كيلومتراً . ويتصل هذا الخط في رياق بالخط الممتد منها الى حلب وطوله ٣٣٢ كيلو متراً . وبين طرابلس وحمص خط آخر حديث البناء طوله نحو مائة كيلو متر . وعلى الساحل بين بيروت ونهر المعاملتين خط للترامواي البخاري طوله ١٩ كيلو متراً . وفي لبنان كثير من طرق المركبات والعربات تخترقه من كل جانب ولكن هذه الشبكة من الطرقات لا تزال غير وافية بالمواصلات

التجارة

تكاد بيروت تحتكر جميع تجارة البلاد الخارجية مع لبنان وسوريا . تنزل فيها المراكب العديدة جميع أنواع السلع والبضائع فتصدر منها الى مدن الساحل والداخلية . وتعود منها تلك البواخر مشحونة بحاصلات الاراضي ومصنوعات البلاد . أما حركة ثغري طرابلس وصيدا فهي أقل أهمية . ولا تنتاب البواخر المواني اللبنانية الاخرى فلا تطرقها الا المراكب الشراعية التي ترود السواحل من الاسكندرية الى جزر الارخبيل

وبين لبنان والبلاد المجاورة له معاملات عديدة بالمتاجر كفلسطين وسوريا الوسطى وبلاد حمص وحما الخ . وأهم الواردات على جبل لبنان الاقمشة والاثاث والالات والساعات والجواهر والمصوغات والحدايد والالعاب والاوراق والدفاتر والعقاقير والروائح والافاويه وانواع شتى من المأكولات والمشروبات والوقود المعدنية وسواها . وأما الصادرات فالحرير المحلول وزيت الزيتون والدخان والنبيذ والعرق والبرتقال والليمون والعنب والزبيب والصوف والاسفنج والجلود والصابون الخ . ولسوء الحظ

(١) تتمة المحاضرة التي القاها صاحب السعادة اوغست اديب باشا رئيس الاتحاد اللبناني بمصر في الحفلة التي أقامها الاتحاد اللبناني في جراند اوتل بالاسكندرية في ٣ مارس سنة ١٩١٨

لا تكافأ صادرات لبنان ووارداته في مصلحته فالواردات اليه من الخارج تزيد كثيراً على الصادرات منه . فقد كانت الاموال الواردة من اللبنانيين المهاجرين والاموال التي ينفقها المصطافون والسياح في البلاد هي التي توازن بين كفتي ميزان الحياة الاقتصادية

تاريخ لبنان

وقبل التاريخ الميلادي بنحو ٢٥ قرناً كان الفينيقيون منتشرين على الساحل الشرقي من البحر المتوسط من جزيرة « رواد » شمالا الى نهر النعماني الذي يصب في البحر على مسافة كيلومتر ونصف من عكا جنوباً . وقد توغلوا أيضاً في الجبال المجاورة لهم ثم جاءت أمم أخرى استوطنت تلك الاراضي بعد ان أخضعتها لسلطانها . ولجأ الى جبال لبنان المنيعة كثير من الفارين بل أمم وشعوب كاملة هرباً من السيف والعبودية والاضطهاد فمازجت تلك الطوائف المختلفة مع السكان الاصليين . ومن هذا الامتزاج تسلسل سكان لبنان الحاليون وسكان السواحل المحيطة به . فتاريخ اللبنانيين القديم هو اذاً تاريخ الشعب الفينيقي المجيد الذي أسس مدن صيدا وجبيل وصور وبيروت ونشر الحروف الهجائية اذا لم يكن هو الذي ابتدعها وملأ من متاجره جوانب آسيا الغربية وسواحل حوض البحر المتوسط وأنشأ مستعمرات عديدة أشهرها « قرطاجة » التي نالت شهرة واسعة في حروبها مع رومية . وقد برع الفينيقيون في جوب البحار براعتهم في مزاولة التجارة فلم يحجموا عن تجاوز أعمدة « هركيل » المعروفة اليوم بجبل طارق والاندفاع في بحر الظلمات أي الاوقيانوس الاطلانطيكي فنزلوا على سواحل اسبانيا الغربية وانتابوا الجزر البريطانية وأحكموا صلاتهم التجارية من جهة ثانية ببلاد الهند عن طريق البحر الاحمر وطافوا حول افريقيا عن طريق رأس الرجا الصالح . وكان لهم في الصناعة القدح المعلَّى فكانوا يستخرجون اللون الارجواني من عصير المحار ويحذقون في نسج الاقمشة الصوفية والقطنية وتلوينها . واكتشفوا سرّ استخراج المعادن وشغلها وصنعوا الزجاج والجواهر والحلي والزين . وكانت غابات لبنان الكثيفة تمدهم بالاخشاب اللازمة لبناء أساطيلهم المالئة البحار

وكانت مدنهم الفينيقية مؤلفة إما ممالك وإما جمهوريات مستقلة بعضها عن بعض ولكل منها مجلس شورى . على أنها كانت تؤلف بينها هيئة متحدة تتعاون على الدفاع عن حريتها ومنافعها المشتركة . وظلت صيدا وهي من أقدم المدن الفينيقية دهراً طويلا في طليعة تلك البلاد المتحدة . على أن مدينة صور التي قيل أن صيدا انشأتها أخذت منها السيادة واحتفظت بها الى يوم فقدت استقلالها . أما المجلس العام الفينيقي فكان

ينعقد في طرابلس . وتحملت فينيقيا مدى دهور طويلة سيادة المصريين فالاشوريين فالكلدانيين فالفرس ولما تغلب الاسكندر على دارا ملك الفرس وفتح بلاده في آخر الثلث الاول من القرن الرابع ق . م . حاصر مدينة صور التي أبت أن تفتح له أبوابها ولم يتمكن من فتحها الا بعد حصار شهير دام سبعة أشهر ثم خضعت المدن الفينيقية للسلوقيين فالالاجيين وهما سلالتا قائدين من قواد الاسكندر نشأت الاولى منهما في بلاد الشام والثانية في مصر ثم ضمت تلك المدن الى الدولة الرومانية في القرن الاول قبل المسيح . ولما انشطرت السلطنة الرومانية سنة ٣٩٥ كانت فينيقيا مع سوريا وسائر المشرق من نصيب بوزنطيا التي صارت مدينة القسطنطينية

وفتح العرب سوريا في الثلث الاول من القرن السابع وأخضعوا السواحل الفينيقية لسلطانهم . أما اللبنانيون الذين كانوا قد جمعوا شملهم قبل ذلك العهد وامتنعوا في جبالهم جماعات مستقلة فانهم وقفوا بوجه الفتح العربي بل كثيراً ما اغاروا على البلاد التي كان يحتلها العرب ولم يعترفوا بسلطة الخلفاء الا سنة ٦٨٥ . على أنهم ظلوا محتفظين باستقلالهم الداخلي القديم العهد واستمر أمراؤهم يحكمونهم على حكم شرائعهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة

وعند غروب شمس القرن العاشر تمكن الخلفاء الفاطميون اصحاب مصر من بسط سلطتهم على سوريا ولكن مدة سيادتهم لم تتجاوز قرناً واحداً فان البلاد سقطت بيد الاتراك السلجوقيين بين سنة ١٠٧٥ وسنة ١٠٨٥ . وبعد ذلك التاريخ ببضع سنوات حدثت تلك الحركة الدينية التي هزت أوربا من أقصاها الى اقصاها وحولت الى الشرق تلك الحملات العسكرية التي سموها بالحروب الصليبية . فبعد أن استولى الصليبيون على انطاكية سنة ١٠٩٨ وعلى أورشليم سنة ١٠٩٩ أخضعوا فلسطين والشطر الاكبر من سوريا . وقد حارب سكان جبل لبنان الى جانبهم وقدموا لهم ما يلزم من الادلاء وآلات الحرب . ولم يتمتع الصليبيون بفتوحاتهم بالراحة والهناء فان الحرب ظلت سجالا بينهم وبين سلاطين مصر وأمراء سوريا المسلمين وكانت تتخللها فترات من السكون قصيرة . ولم تمنع الحملات التي جردتها الممالك الاوربية في خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر من سقوط البلاد التي كان يحتلها الافرنج في يد المسلمين . وفي سنة ١١٨٧ دخل صلاح الدين سلطان مصر والشام الشهير مدينة أورشليم ثم توالى سقوط المدن الواحدة بعد الاخرى ولم يبق بيد الافرنج الا بعض القلاع الحصينة . وآخر حصن للافرنج في بلاد الشام كانت عكا التي استولى عليها الملك الاشرف خليل بن قلاوون سلطان مصر سنة ١٢٩١ وبعد سقوط عكا فتحت باقي المدن ابوابها لهذا الفاتح . وفر كثيرون من

الافرنج لاجئين الى جبل لبنان حيث امتزجوا بالاهلين وتناسلوا

وظلت سوريا تحت سيادة سلاطين مصر مدة تزيد على القرنين . وفي سنة ١٥١٦ فتحها سليم الاول سلطان الاتراك العثمانيين وضمها الى سلطته وكان لبنان في ذلك العهد منقسماً الى إمارات صغيرة مستقلة الواحدة عن الثانية . فثبت السلطان سليم تلك الامارات في استقلالها وميزاتها التي كانت ما انفكت تتمتع بها منذ أقدم العصور ورضيت تلك الامارات مقابل ذلك بسيادته وبدفع جزية طفيفة . وفي اواخر القرن السادس عشر تم تأليف الوحدة اللبنانية على عهد الامير فخر الدين الثاني من سلالة آل معن . وكانت سلطة ذلك الامير تمتد من نابلس جنوباً الى قرب انطاكية شمالاً والى ابواب دمشق شرقاً . ولما اندثرت سلالة المعنيين سنة ١٦٩٧ انتخب اشراف لبنان أميراً من الاسرة الشهابية فجعلوه على رأس الحكومة وظل الحكم بيد الشهابيين حتى سنة ١٨٤١ . وكان أشهر الامراء الشهابيين الامير بشير الذي دام حكمه مدة تزيد على نصف قرن أي من سنة ١٧٨٨ الى سنة ١٨٤٠ . وعلى أثر الاضطرابات التي حدثت في لبنان بدسائس رجال الترك الناقمين على امتيازاته شطر لبنان الى اقليمين وُلي كل واحد منهما أمير لبناني . وتجددت الفتن سنة ١٨٤٥ . على أن يد الاتراك لم تتوصل الى تحريك فريق كبير من الاهالي ضد الفريق الثاني الا سنة ١٨٦٠ فعم الخراب والحريق والنهب والسلب والقتل اواسط الجبل وجنوبه وامتدت هذه الحركة الى لبنان الشرقي والى دمشق نفسها فقلقت أوربا لهذه الحوادث الشنعاء ووكلت الى فرنسا مهمة اعادة الامن الى نصابه في سوريا فارسلت اليها حملة عسكرية

وفي الوقت نفسه كان مندوبو الدول العظمى بالاتفاق مع الحكومة العثمانية يعدون نظاماً أساسياً عُدل سنة ١٨٦٤ فكان بمثابة تثبيت لاستقلال الجبل الاداري بضمانة الدول . ولكن هذا النظام لم يجعل للبنان حدوده الطبيعية فقد جعل تلك الحدود من طرابلس شمالا الى بضعة كيلومترات من صيدا جنوباً وتحده شرقاً سهول بعلبك والبقاع وغرباً البحر المتوسط ونزعت منه بيروت وطرابلس وصيدا

أما الحكام الثمانية الذين تولوا على جبل لبنان من سنة ١٨٦١ فقد جاء تعيينهم من الباب العالي بموافقة الدول العظمى طبقاً للاتفاقات الدولية وقد انتخبوا من الطوائف المسيحية الغريبة عن لبنان وأن كان النظام لا يقضي على الاطلاق بعدم انتخاب حاكم وطني . ولم يتركوا أثراً يذكر في ترقية البلاد لا من الوجهة المادية ولا من الوجهة الادبية . واذا استثنينا بضع مئات من الكيلومترات من طرق العربات أنشئت بضرب رسوم خاصة على الاهالي فان هؤلاء الحكام لم يأتوا عملاً يساعد على ترقية الزراعة

او الصناعة أو التجارة أو على تجديد الاحراج القديمة التي كانت تكسو قمم الجبل ومنحدراته ولا على حبس مياه الأنهر والجداول التي يذهب ماؤها هدراً في البحر بلا جدوى ولا على تحسين أساليب الزراعة وادخال مزروعات جديدة ولا على تجفيف المستنقعات والقيام بالتحوطات التي تقتضيها الصحة العمومية . وكل ما بدا من ضروب التقدم والنجاح يرجع الفضل فيه الى عمل الافراد من الاهالي الذين اضطروا في أمور كثيرة أن يناهضوا جمود الحكومة بل مقاومتها

العلم منتشر كثيراً في لبنان انما الفضل في نشره يعود الى الكليات والمدارس والمعاهد العلمية المختلفة التي أنشأتها وأنفقت عليها الطوائف والرهبنات الاجنبية والوطنية او بعض الافراد . فليس للحكومة في لبنان كله مدرسة واحدة تتعهدها أو تنفق عليها . والبعض من أولئك الحكام كانوا يذكرون انهم موظفون اتراك وان مستقبلهم معاق على رضى الباب العالي فكانوا يضحون بمصالح لبنان المعهودة اليهم خدمتها في سبيل ارضاء تركيا وكانوا بذلك يغالون حتى بانتقاض أحكام النظام الذي وضعته الدول وضمنته . واذا كان هؤلاء الحكام لم يعاونوا على ترقية لبنان مادياً وأدبياً فالذنب كله لا يقع عليهم فان النظام قيد الميزانية تقييداً ضيقاً . فالايرادات لم تكن كافية كما انه كان ينقصها المرونة اللازمة لتكيف وتصير وافية بالحاجات الجديدة . فكما كانت تلك الايرادات عند وضع النظام ظلت اليوم . على ان ميزانيات معظم الدول قد زادت أربعة أضعاف ما كانت عليه في ذلك العهد . ولقد كانت موارد حكومة لبنان تكفي حاجاتها لو لم يكن ذلك الجبل قد حرم من حقه الطبيعي بايرادات بريده وتلغرافه وخصوصاً من حقه بالرسوم الجمركية على البضائع الواردة اليه والصادرة منه . فان هذه الايرادات تدفع الى خزينة الحكومة العثمانية

ومنذ وقوف تركيا في صف دول اوربا الوسطى ضد الحلفاء انقطعت الاخبار الصادقة عن ذلك الجبل . وكل ماهو معروف ان سكان لبنان يموتون ويفنون جوعاً ومرضاً وعرياً بالالوف وعشرات الالوف

***

هذه نظرة سريعة القيناها معاً على حالة لبنان الاقتصادية في الماضي وعلى تاريخه منذ العصور القديمة حتى اليوم

ذكرنا ماضينا لتشتد عزيمتنا في حاضرنا المؤلم فلا تضعف ارادتنا ولا تقنط نفوسنا فقد مرّ على لبنان في العصور الخالية نكبات عديدة وحلت به كوارث جمة ولكنه كان يخرج منها دائماً أنضر شباباً وأغزر حياة

بل ذكرنا ماضينا لنُحسِّن مستقبلنا . ذكرنا ذلك الماضي لنعيد الى الفكر مفاخر الاباء والاجداد فنكتسب منها قوة ونشاطاً ونربي العاطفة الوطنية في الصدور . ذكرنا ذلك الماضي لنتلمس مواطن الضعف فينا فنعمل على اصلاح نفوسنا وتقويم ما بنا من الاعوجاج . ولا يبرحنَّ عن بالنا ان مستقبلنا غداً يكون ما نريده اليوم وكلنا يريد ذلك المستقبل زاهراً باهراً حراً . فعلينا اذن بالاتحاد والاخلاص والتجرد في العمل لنقضي حقاً علينا للوطن العزيز

تهنئة

عثرنا على هذه القصيدة الجميلة بين اوراق المرحوم مؤسس الهلال وهي تهنئة له بنيل رتبة المتمايز من نظم المرحوم نقولا رزق الله وقد رأينا ان ننشرها الآن تذكاراً للمادح والممدوح :

لم امتدح أحداً سواك وانما ... هنأت قبلك حافظاً وخليلا
يا سعد نفسي لو اظلُّ مهنئاً ... في كل آونة تمرّ خليلا
او ليتني في كل يوم مادح ... من يستحق بفضله التفضيلا
أمؤرخ العصر اتئد في همة ... تجزى بها من عصرك المأمولا
ان الامير حباك ثاني رتبة ... والعلم خصك قبله بالاولى
لما تسابقتا اليك وجاءتا ... رأتاك عن كلتيهما مشغولا
تعنى بتاريخ العصور واهلها ... وتحقق المعلوم والمجهولا
تستنطق الصحف القديمة سائلا ... عنها وعن أسرارها مسؤولا
تلقي على الشرق الدروس جديدة ... وتصون مجداً كان فيه أثيلا
وتجيء بالقول السديد مؤيداً ... بالحق لا تحريف أو تبديلا
تغضي وتعرض عن مقالة حاسد ... فيبوء عنك بغيظه مخذولا
وكذاك من طلب الحقيقة لم ينل ... من فضله من قال أو ما قيلا
ان انكر النور البصير فانه ... اعمى ومن منه أضل سبيلا
هذا هلالك في البرية مشرق ... وهو الدليل لمن أراد دليلا
وكذاك سائر ما كتبت فانه ... ينفي الضلال ويرشد الضليلا
مهلاً أبا التاريخ لست كشاعر ... يتلو عليك من الثناء فصولا
لكنني أصف الحقيقة ناظماً ... فيجيء وصفي كالثناء جميلا
أنت الفعول لما أقول وما انا ... الا المؤرخ ذلك المفعولا

مصر في ٩ نوفمبر سنة ١٩١٢ ... نقولا رزق الله

تحوّل الحركة

في العوالم الجمادية والحيوية والاجتماعية

٤ — الحركة الدورية في العالم الحيوي

رأينا فيما تقدم ان النور حركة اثيرية تموجية موجاتها قصيرة سريعة وهي ضروب مختلفة في السرعة والمدى كاختلاف الوان الاشعة النورانية . والحرارة حركة اثيرية تموجية ايضاً ولكنها اطول وأبطأ من امواج النور . ورأينا أيضاً ان الدقائق الكيماوية والجواهر الفردة التي تؤلف منها الدقائق هي أيضاً في حركات اهتزازية دائمة مختلفة كاختلاف تركبات تلك واوزان هذه . وان هذه الحركات الاهتزازية هي علة التركيب والحل الكيماويين . ورأينا ايضاً ان التموجات الاثيرية على اختلاف انواعها تعمل عملاً خطير الشأن في تغيير اهتزازات الدقائق والجواهر الامر الذي يفضي الى الحل والتركيب الكيماويين ايضاً . وان كل تغيير في العالم الحيوي من نمو وتقهقر يحدث عن د تلك الاهتزازات والتموجات

انتقال الحركة في المجموع العصبي

﴿ المجموع العصبي ﴾ ننتقل الآن الى العمل الحيوي الذي يعمل في الجسم الحيواني ولا سيما في الحيوانات العليا لنبحث في اسرار حركته

لا يخفى ان جميع الاعضاء والاجهزة العاملة في الجسم من طوعية وغير طوعية لا يمكن ان تقوم بعمل الا باذن العصب وبادارته وتدبيره . فالمجموع العصبي انما هو مصدر الحركة الحيوية في الجسم أو هو القوة المحركة . فحسبنا ان نقصر البحث في حركة الجسم الحيوية على هذا النظام العصبي

مراكز النظام العصبي موجودة في الدماغ والحبل الشوكي . ومن هذه المراكز تتفرع الاعصاب الى سائر اجهزة الجسم كتفرع الاسلاك من مراكز التلفون . وكل خط عصبي يشتمل على سلكين سلك ينقل النبضات الصاعدة من الجهاز الى المركز وسلك ينقل النبضات الصادرة من المركز الى الجهاز . فاذا أصابت يدك وخزاً مثلاً انتقل خبر هذه الوخزة بالسلك الحساس الصاعد الى الدماغ ثم يرد امر من الدماغ بالسلك المحرك للعضل بابعاد يدك عن الواخز . ومن تشريح الاسلاك العصبية ظهر ان السلك العصبي كالسلك الكهربائي مغلف بغلاف يمنع ملامسته بما حوله حرصاً على الحركة

العصبية من الانقلات في طريق غير طريقها كما هو الحال في الكهربائية

﴿ الحركة العصبية ﴾ ولشدة التشابه بين السلك العصبي والسلك الكهربائي وبين الحركة العصبية والحركة الكهربائية حسب بعض الباحثين ان الحركتين حركة واحدة وان لهما سرعة واحدة . ولكن ظهر لباحثين آخرين ان الحركة العصبية أبطأ جداً من الحركة الكهربائية . وقد احصى هلمهوتز وغيره الحركة العصبية فوجدوا انها في الانسان تنتقل بسرعة ١٥٠ قدماً في الثانية وان سرعتها تختلف باختلاف الحيوانات . فهي في الحيوانات الباردة الدم ابطأ . ولذلك رجحوا انها تختلف عن الحركة الكهربائية . وانما ثبت ان الحركة العصبية مصحوبة دائماً بحركة كهربائية ضعيفة لا يشعر بها

بقي أن نفهم كيف تنتقل هذه الحركة في السلك العصبي . فاليك ما قاله الدكتور داڤيد فرامسر هاريس في كتابه « الاعصاب » : —

﴿ اهتزاز دقائق المادة العصبية ﴾ « لا مشاحة في أن النبضة العصبية نوع من الحركة العملية . أي أن شيئاً عاملاً يجب ان يصل الى العضل ويحركه للعمل . وهذ العامل لا بد ان يصدر من المركز العصبي . فالحركة اذاً لا بد ان تنتقل من طرف العصب الواحد الى الطرف الآخر . ولكن هذه الموجة العملية مهما تعمقنا في تحليلها لا بد ان يعنى بها اضطراب دقائق السلك العصبي . فاذاً لا بد من تواصل اضطرابات هذه الدقائق . أو بالأحرى اهتزازها . وهو واضح ان المادة العصبية نفسها لا تنتقل من طرف العصب الى الطرف الآخر أي انه ما من شيء مادي يرحل من مركز العصب ضمن السلك العصبي لكي يصل الى العضل ويحمله على التقلص أو التمدد . ولكن موجة اهتزازية تنتقل بواسطة دقائق السلك العصبي وتصدم العضل فيعمل عمله . ولما كان عندنا أدلة على ان النبضات العصبية مصحوبة بعمل كيماوي وفي الوقت نفسه تنشىء مجرى كهربائياً (أو بعبارة أصح موجات كهربائية) فالاصح ان يقال ان النبضات العصبية انما هي رجة كيماوية طبيعية راحلة من طرف السلك الى طرفه » اه

يمكنك ان تتصور انتقال هذه الحركة العصبية بتشبيهها بارتجاج رخامة خوان تشعر به حين تضع كفك على طرف من الرخامة اذا كان على الطرف الآخر آلة خياطة شاغلة . وانما هو تشبيه وان بعد عن الحقيقة يقرب الى العقل تصور حركة العصب الاهتزازية

وزبدة هذا القول انه لا يمكن تعليل انتقال الحركة العصبية الا بتصورها موجات اهتزازية في دقائق مادة العصب

﴿ الرجفة العصبية ﴾ على ان للسلك العصبي جملة حركة ارتجاجية غير حركة دقائقه الاهتزازية التي تنقل الاحساس والامر بالعمل . وهاك ما نصه عنها الدكتور هاريس المذكور آنفاً : — « ظهر بالادلة المختلفة ان العضلات في حالة ارتجاج دقيق جداً بحيث لا يشعر به باللمس ولا بالنظر . وانما ظهر بالادلة المختلفة ان هذه الحركة الارتجاجية دورية أي انها تتكرر في أدوار متساوية من ١٠ الى ١٢ مرة في الثانية . وقد لاحظ انه حينما تتقلص العضلة (عضلة اليد مثلاً) لرفع ثقل أو لأي عمل آخر مستمر ولو قصيراً فالعضلة ترتجف ارتجافات متوالية على معدل ١٠ الى ١٢ رجفة في الثانية . . . واذا كانت العضلة في حالة ارتجاف دوري على الدوام سواء في حالتي السكون والعمل فالمعنى ان خليات المركز العصبي المتسلطة على تلك العضلة في حالة ارتجاف دوري أيضاً . وكذلك النبضات العصبية تنتقل الى موجات دورية على معدل ١٠ الى ١٢ في الثانية . واذا كانت النبضات العصبية أزيد من هذا المعدل فالعضلة لا ترتجف اكثر منه

« يمكنك أن تسمع ارتجاف العضل اذا أصررت فكيك الواحد على الآخر وانت نائم وأذنك الى المخدة . . . واذا شئت أن تمتحن طاقة العضل على الارتجاج فاضرب باصبعك بسرعة على الخوان أو حرك أصبعك حركة مترددة بسرعة تجد انك تقدر أن تحركه في الثانية من ١٠ الى ١٢ مرة »

وحاصل القول أن الحركة العصبية النازلة من مركز العصب الى عضل أي جهاز أنما هي حركة اهتزازية . فالمركز يهتز فينتقل الاهتزاز موجياً في السلك العصبي الى العضل فيتحرك هذا حركة اهتزازية أيضاً . فلننظر في الحركة العصبية الصاعدة أي في السلك الحساس

انتقال الحركة الى السلك العصبي

﴿ العصب البصري ﴾ خذ حاسة النظر . فهو معلوم اننا ننظر الاشياء بواسطة انعكاس النور عنها . وحيث لا نور فلا ابصار . وقد علمت أن النور انما هو موجات أثيرية مختلفة فما هو الابصار ؟

أن موجات النور الاثيرية تصدم حدقة العين صدمات متوالية حيث تبتدئ أطراف العصب البصري فتفعل فيها اهتزازاً مطابقاً لتلك الموجات وهذا الاهتزاز ينتقل بواسطة السلك العصبي الى مركز البصر في الدماغ فيحدث فيه نفس الاهتزاز

وهو معلوم أيضاً أن النور مؤلف من أشعة مختلفة الالوان تظهر اذا انحل النور في موشور (الى الوانه السبعة) أو يظهر بعضها دون البعض اذا انعكس النور عن جسم يمتص بعض الاشعة ويعكس بعضها . فما معنى اننا نميز بين الالوان ؟

المعنى أن لشعاع كل لون من الوان الطيف الشمسي معدل اهتزاز خاص . وقد ظهر أن اللون الاحمر أقلها اهتزازاً والبنفسجي اكثرها . وهي مرتبة في الطيف المنحل بحسب معدل اهتزازاتها هكذا : احمر . برتقالي . أصفر . أخضر . أزرق . أزرق غامق . بنفسجي . ويرجح أيضاً أن اهتزازات البنفسجي مضاعف اهتزازات الاحمر في وقت واحد . فهي من هذا القبيل تشبه السلم الموسيقية . فاذاً يميز العصب البصري اللون بحسب تأثير الاهتزازات فيه

أن للعصب البصري كفاءة على قبول معدلات هذه الانواع السبعة من الاهتزازات فقط وعلى قبول مجموعها أو مجموع بعضها . وما سواها فلا يقبله . يستدلون على ذلك من أن الوان الطيف الشمسي المنحلة بواسطة الموشور تخللها خطوط مظلمة فيظنون أن هذه الخطوط المظلمة انما هي محل الوان أخرى لا يقبل العصب البصري اهتزازاتها أو لا طاقة له على ذلك . بل يعتقدون أن تحت اللون الاحمر وفوق اللون البنفسجي الواناً أخرى لا تدركها العين لعجز العصب البصري عن قبول اهتزازاتها ومحاكاتها . ومن هذه التي فوق اللون البنفسجي أشعة رونتجن التي لا تؤثر في حدقة العين . ولكن يستدل على وجودها باسلوب خاص

فاذاً كل ما ينقل الى مخيلتنا عن طريق العصب البصري ينقل بحالة حركة اهتزازية . ونحن نميز بين الاشياء لاختلاف معدل الاهتزاز . والحيوانات تختلف في تنوع هذا التمييز لاختلاف قابلية عصبها البصري لانواع الاهتزازات . فبعضها تميز بعض الالوان دون البعض . وبعضها تميز بعض الاشياء دون البعض . حتى ان البشر يختلفون بعض الاختلاف في ذلك فبعضهم أدق تمييزاً من البعض . ويمكن تمرين العصب البصري بحيث تقوى فيه قوة التمييز هذه

﴿ العصب السمعي ﴾ ترى في حاسة السمع مثل الاسلوب الذي رأيته في حاسة البصر فاننا نميز الاصوات بحسب اختلاف ارتجاجاتها في الهواء ونميز الانغام لتفاوت اهتزاز الاجسام المنغمة . وقد ظهر ان أحط نغم موسيقي يمكن أن يسمعه الانسان سمعاً موسيقياً هو ما كان عدد اهتزازاته في الدقيقة ٣٣ وأعلى نغم ٣٠٠٠٠ اهتزازة . وما سوى ذلك لا يكون موسيقياً . أي أنه في وسع الانسان ان يسمع نحو ١١ سلماً موسيقية

ومعنى ذلك ان الاصوات تنتقل من الجسم الصائت بشكل حركة ارتجاجية فيه فينقلها الهواء بشكل أمواج تقرع طبلة الاذن قرعاً مطابقاً لها . والعصب السمعي المنبث في الطبلة يهتز اهتزازاً مطابقاً لتلك الرجات وينتقل به الى المركز السمعي فيهتز هذا نفس الاهتزاز او الاهتزاز المطابق لاهتزاز العصب المنبث في الطبلة

على هـذا النحو تنتقل الاحساسات الشمية والذوقية واللمسية واحساس الحرارة واحساس المقاومة وكل احساس آخر الى المراكز الدماغيـة حيث قد تهيأت تلك المراكز بالعمـل الوراثي السائر مع ارتقاء الحي لقبول تلك الاهتزازات ومحاكاتها بكل تدقيق

﴿ اختصاص الاهتزازات العصبية ﴾ ولا يخفى انه يجب ان يكون لـكل نوع من هذه الحركات الاهتزازية العصبية من أحساسية واردة وأمرية صادرة معدل خاص من السرعة والمدى بحيث تميز بعضها عن بعض . وبالطبع كل نوع من العصب مختص بمعدل من معدلات الاهتزاز حتى اذا طرأ عليـه طارئ يهزه غير مألوف له ولو أصابه في غير مبتدأ العصب أحدث فيـه اهتزازاته التي تعودها وتوارثها جيلا بعـد جيل . مثال ذلك اذا أصاب الـكوع ضربة شديدة حيث يمر عصب الاصبع انتقل الى الدماغ احساس ألم الاصبع ولو خفيفاً فضلا عن ألم الـكوع . وهو معروف فسيولوجياً ان الاعصاب المجاورة لمكان متألم في الجسم تنقل الى الدماغ احساس ألم الاعضاء المجاورة التي ليست متألمة حقيقة . وذلك لان الرجة العصبية أصابتها بحكم الجوار . واذا أصيبت العين بلطمة ومض نور في مخيلة الملطوم بالرغم من اغماض العينين . وذلك لان العصب البصري ارتج رجته المعتادة وهي تمثل الحركة النورانيـة في المركز الدماغي . وكذلك اذا أصيبت الاذن بصدمة عنيفة سمع المصدوم طنيناً موسيقياً لان العصب السمعي ارتج رجته المعتادة وهي تمثل الحركة الصوتية

فمن ذلك تفهم ان المدركات التي تنقل الى مراكز أدمغتنا العقلية انما هي حركات اهتزازية في أعصابنا . وفي تلك المراكز تميز بعضها عن بعض بمعدل الاهتزازات ومداها كما تميز الحرارة عن النور وكلاهما عن الـكهرباء بمعدل الاهتزازات الاثيرية أيضاً

حركة المراكز الدماغية

بعد هذا البيان لا تقدر ان نعلل الافعال أو بالاحرى الحركات العقلية كلها الا بكونها حركات اهتزازية في خليات المراكز العقلية الدماغية . وهذه الحركات مختلفة باختلاف تلك الافعال . وكل مركز من تلك المراكز قد تهيأ للقيام بنوع حركته المختص بها . وهذا هو سر انك ترى في الدماغ مركزاً لـكل قوة من القوى العقلية ومركزاً لـكل حاسة من الحواس وان القوى العقلية الاكثر استعمالاً في الدماغ الواحد اكبر حجماً منها في الدماغ الآخر . واذا لم تكن الافعال العقلية حركات اهتزازية في دقائق المادة الدماغية فماذا يمكن ان تكون؟

واذا كانت الافعال العقلية محصل المدركات المحسوسة التي تطرقت الى الدماغ عن

طريق الحواس — وقد ثبت ان هذه المدركات نتيجة حركات اهتزازية في الاعصاب نجمت عن حركات اهتزازية في المادتين المحسوسة وغير المحسوسة (الاثير) — واذا كانت الحركة لا تنتج الا حركة (أي انها لا تنتج مادة) فهل يمكن ان تكون تلك الافعال العقلية الا حركة اذاً ؟

﴿ مصير الحركة الدماغية ﴾ واذا كنا لا نرى بدًّا من التسليم بان الافعال العقلية انما هي حركات اهتزازية في دقائق المراكز الدماغية تثيرها الحركات الاهتزازية الواردة في الاسلاك العصبية المتأثرة من الحركات الاهتزازية في المادة والاثير فما هو مصير هذه الحركة ؟

رأينا في سنن الحركة في المقالة الاولى ان الحركة لا تتلاشى ولا تنتهي بل هي مستمرة بلا نهاية كاستمرار المادة والمكان والزمان وانما هي تتحول من صورة الى صورة بانتقالها من وسط الى وسط . فالى ماذا تتحول الحركة العقلية ؟ أي الى اية حركة أخرى تأول ؟

لا يخفى ان معظم هذه الافعال العقلية تظهر في كلامنا وفي أفعالنا الشخصية كالتعليم والتدريب والتفنن والاستنباط والبحث والمباحثة الخ . وفي كل هذه الاعمال التي تستلزم إعنات القوى العقلية أو اعمالها تستعمل اعصابنا - تستعمل اعصاب اللسان للكلام واعصاب الاصابع واليد للكتابة والرسم والنقش والتصوير والموسيقى الخ مما لا يحصى من الاعمال الملبية لاوامر قوانا العقلية . فالحركة العقلية تخزن في المراكز الدماغية (كما تخزن الحرارة في النبات) لتصرف عند اللزوم عن يد الاسلاك العصبية لاجراء هذه الاعمال الفنية وغيرها مما يستلزم جهداً عقلياً . فاذاً تعود الحركة العقلية بصفة موجات اهتزازية في الاسلاك العصبية كما دخلت الى المراكز الدماغية بهذه الصفة

على ان هناك ضرباً من الافعال العقلية لا يصدر توًّا في افعالنا الظاهرة بل يصدر أثره في اقوالنا وفي تعبيراتنا الكلامية أو الكتابية وهو تأملاتنا العقلية التي تشترك فيها كل قوانا العقلية . فاين تذهب هذه التأملات . نحن نشعر بعد الفراغ منها كانها ذهبت اضغاث احلام . بل نقول مجازاً أنها ذهبت في الهواء

﴿ انتقال الحركة العصبية في الاثير ﴾ والحقيقة انها ذهبت في الاثير فعلا لا مجازاً . ان هذا الاثير اللطيف متخلل جميع جواهر المادة ودقائقها ومن الجملة دقائق خلايانا الدماغية . فمتى كنا نفكر نستخدم معظم قوانا العقلية كالذاكرة والمخيلة والمتصورة الخ . وبالطبع تكون جميع مراكز هذه القوات عاملة أي ان دقائقها مهتزة اهتزازات مختلفة الانواع . فاهتزازاتها تفعل في الاثير المتخلل بينها وتحول تموجاته الى

تموجات محاكية لها . ناهيك عن أن أسلاك الاعصاب نفسها تهتز ايضاً اهتزازات تموجية تنتقل من تلك المراكز على الاسلاك العصبية الى اطرافها وتندفع منها في الاثير فتذهب فيه أمواجا محاكية لها ايضاً

والذي يدلك على أن المراكز الدماغية تكون عاملة أي مبدية حركة في حالة التفكير واهتزازاتها متحولة الى اهتزازات الاسلاك العصبية هواننا في اثناء استغراقنا في التفكير نبدي حركات بايدينا وبجلوسنا أو بمشيتنا كاننا نلقي خطاباً . نفعل ذلك على غير انتباه منا لما نفعل . واحياناً نتكلم كاننا نخاطب شخصاً آخر أو نخاطب أنفسنا. فاذاً الحركة الفكرية لا تندفن في الدماغ بل تخرج مع أسلاك الاعصاب فضلاً عن التموجات الاثيرية

بقي سبيل آخر تخرج فيه الحركة الفكرية الى الخارج ولا تتلاشى في الدماغ كما نظن . وبيانها : لقد ثبت للفسيولوجيين أن كل حركة في الاسلاك العصبية مصحوبة بمجرى كهربائي حقيقي · فهذه المجاري الكهربائية المتواردة في أسلاك الاعصاب وان كنا لا نشعر بها تتحول من الاعصاب الى أمواج أثيرية ايضاً

المحاكاة الدماغية

﴿ قراءة الافكار ﴾ فاذا صحت هذه النظرية أمكننا أن نعلل بها ما يسمونه انتقال الأفكار من شخص الى شخص على نمط انتقال الامواج الكهربائية في التلغراف اللاسلكي من عدة الى عدة بعيدة عنها . فاذا صح أن الفكر يحدث اهتزازات مختلفة في دقائق الخلايا الدماغية (منها اهتزازات عصبية محضة ومنها اهتزازات كهربائية) وهذه تحدث تموجات أثيرية محاكية لها فلا غرابة في ان هذه التموجات الاثيرية اذا صدمت خلايا دماغ آخر هزت دقائقها هزات محاكية لاهتزازات دقائق مراكز الدماغ التي أصدرتها اولاً

واذا كان ما يحدث أحياناً من توارد الخواطر بين شخصين ولا سيما اذا كانا قريبين الواحد للآخر لا بد له من صلة بين الاثنين فايسر تعليل لهذه الصلة هو ما تقدم بيانه . وهذا التوارد كثير في الناس واحياناً يكون داهشاً وتواتره ينفي المصادفة . واذا كان بعض قراءات الافكار التي يدعيها قراؤها خالية من الغش والشعوذة فهذا أقرب تعليل لها مطابق للعلم . اللهم الا اذا انكشف الغطاء عن سر العالم العقلي أكثر مما هو مكشوف الآن . بل هذا هو أقرب تعليل ايضاً لبعض الاعمال التي تعمل بواسطة التنويم المغنطيسي اذا خلت من الغش

﴿ قلة التوارد ﴾ أجل ان قلة توارد الافكار بين الناس أو بالاحرى قلة انتقالها من شخص الى شخص تضعف قوة هذا التعليل الذي لا سبيل لنا حتى الآن

الى أفضل منه ولهذا تخذ هذه العلة حجة ضده فيقال : اذا كان نقل الفكر من شخص الى شخص ممكناً فلماذا لا يتيسر تفاهم الناس بالتفكير أو على الاقل لماذا لا يتزايد توارد خواطرهم

فالجواب أن لقلة التوارد أسباباً لا تخرج عن حد تعليلنا هذا :

أولاً أنه معلوم في نواميس الطبيعة أن الامواج الهوائية (والاثيرية مثلها) التي تصدر من مركز تذهب عنه بشكل كروي وتضعف كلما بعدت عن المصدر بقدر جذر مكعب بعدها عنه لتوزعها في المحيط الذي تذهب فيه (راجع نواميس أمواج النور والصوت في كتب الطبيعيات). فبالطبع أن الموجة التي تصدر من دماغ مفكر تتوزع قوتها في محيط متسع كلما بعدت عنه. فاذا صدمت في سبيلها دقائق دماغ آخر كانت الصدمة ضعيفة جداً هيهات أن يتنبه لها هذا الدماغ. وأن تنبه تغلبت عليها الافكار الاخرى التي فيه وناقتها . ولهذا نرى ان من يقرأ افكار سواه يضع أصابعه على جبهته لتكون الصلة أقرب والومضات الفكرية أجلى فضلا عن أنه يحصر فكره وتصوره في قبول ما يطرأ عليه من فكر الشخص الآخر

ثانياً ان تأثر فكر الواحد من حركة فكر الآخر تستلزم أن تكون طبيعة افكارهما متقاربة . ولهذا يكثر انتقال الافكار بين الاشخاص الذين نشأوا في وسط واحد وتخلقوا باخلاق متشابهة وتربوا تربية فسيولوجية مماثلة . ويندر جداً بين أشخاص غرباء بعضهم عن بعض ولا صلة بينهم

ثالثاً ان ضعف الصلة بين الافكار كما تقدم شرحه يمكن تلافيه بتمرين الادمغة على التنبه للافكار المنتقلة بحيث تتعود المراكز الدماغيـة الانتباه الى الفكر الطارئ من الخارج والتمييز بينه وبين الفكر المولد من الداخل . ولا ريب ان الذين برعوا بقراءة الافكار مرنوا أنفسهم على ذلك طويلاً . كما انهم حصروا تمرنهم هـذا في استخدام أشخاص معينين تمرنوا معهم في التأثير الفكري عليهم

رابعاً ان توارد الامواج الاثيرية الفكرية من كل صوب واختلاطها يجعلان انتقال أفكار خاصـة بين أ شخاص مخصوصين متعمدين تبادل أفكارهم مشوشاً فلا بدع اذا ندر انتقال فكر من دماغ الى دماغ بين أشخاص لا يتعمدون ذلك

فلهذه الاسباب وسواها لا نستغرب ندرة انتقال الافكار وتواردها بين الناس

ولكن هـذه الاسباب الوجيهة لا تنفي امكان تطور المراكز الدماغية مع الزمان بالمواظبة على التمرن والمزاولة والممارسة بحيث تصبح هذه المراكز شديدة التأثر والتمييز لطوارئ الامواج الفكرية الواردة اليها . على أنه مهما تطورت أدمغة البشر وتطوحت

في رقيها لا ينتفي تفاوت الناس في هـذا التطور بل قد يتزايد البون في تفاوتهم من هذا القبيل

ومهما تطورت المراكز العقلية فلا يمكن أن تتصل بافكار الموتى الا اذا تأيد ان الفكر عمل من أعمال الروح لا من أعمال المادة وثبت علميًا وجود العالم الروحاني المستقل عن العالم المادي

واذا استمر الروحانيون يجثون من جهة والماديون من جهة أخرى فلعلهم يلتقون عند نقطة واحدة يتأيد فيها أن العالم الروحاني ليس الا العالم الاثيري . والله أعلم

نقولا الحداد

من امثال العرب

من ضرب به المثل من الناس

اسخى من حاتم
واشجع من ربيعة بن مكدم
وانكى من قيس بن زهير
واعز من كليب بن وائل
واوفى من السموأل
وازكى من اياس بن ربيعة
واسود من قيس بن عاصم
وامنع من الحرث بن ظالم
وابلغ من سحوان بن وائل
واحكم من الاحنف بن قيس
واصدق من ابي ذر الغفاري
واكذب من مسيلمة الحنفي
واعيي من باقل
وامضى من سليك المقانب
وانعم من خريم الناعم
واحمق من هبنقة

ما تمثلوا به من البهائم

اشجع من أسد
واجبن من الصافر (الصغير من الطير)
وامضى من ليث عفرين
واحذر من غراب
وابصر من عقاب
وازهى من ذباب
واذل من قراد
واسمع من فرس
وانوم من فهد
واعق من ضب
واجبن من صفرد
واضرع من سنور
واسرق من ذبابة
واصبر من عود (المسن من الجمال)
واظلم من حية
واحن من ناب
واعز من بيض الانوق (طير يقال انه يبيض في الهواء)

اقطاب الدهور – ٦

او مقدمة الانقلاب الاجتماعي العظيم

[الهلال] كان كنت آخر الاقطاب الذين تكلموا عن اصلاح البشر ولكن قبيل فض الجلسة رأى الاقطاب ان يلخصوا اقتراحاتهم وهاك تلك الخلاصة :

ختام الجلسة

عقب خطبة كنت انفرد الاقطاب وبحثوا في القضايا التي عرضت عليهم . وغب البحث والتصويت سلموا ما أجمعوا عليه للفيلسوف ديكارت الفرنسوي ليعلنه للبشرية فوقف ديكارت وقال :

أيها الاخوان

لا ريب في شقاء البشرية ولا ريب في استمرار هذا الشقاء . واذا قدر للبشر ازالته فلا يكون ذلك الا تدريجاً . ولا يحصل الا عن طريق الاخلاص والصدق . وقد قسمنا مصائب الناس الى قسمين : مالا مساس له بالدين قطعياً وما له مساس به

ورأينا ان نجزم في اصلاح القسم الاول معجلا

أما القسم الثاني فنؤجل الحكم فيه الى ما بعد الاجتماع الثاني الذي نؤمل فيه حضور زعماء الاديان كعيسى وموسى ومحمد وبوذة وبرهمة وخلافهم

أما الامور التي قررنا اصلاحها وليس لها مساس بالدين على الاطلاق فهي :

١ الحرص على سلامة النوع

٢ الرفق بالصغار

٣ ضبط التربية

٤ نشر المعرفة

٥ نشر الاخاء

٦ الرفق بالعمال

٧ المنافع العمومية

٨ الحكم الذاتي

وسأشرح لكم هذه الامور شرحاً وجيزاً فاقول

(١) الحرص على سلامة النوع

لقد أثبت الفحص الطبي ان ليس كل ذكر ولا كل أنثى يصلح للولد

اجتماع الذكر بالانثى لا بأس فيه . ولكن ان تكون نتيجة ذلك الاجتماع وبالاً على البشرية أمر فيه كل البأس . لانه ليس من الحق ولا من العدل ان يشقى ألوف من الناس للذة وقتية . أعني بذلك ان الازواج الذين فيهم أمراض وراثية تنتقل منهم الى أولادهم ومن أولادهم الى أحفادهم وهلمّ جراً يكون أنتاجهم بلاء على البشرية

فالحرص على سعادة هؤلاء وسعادة البشرية يوجب على الحكومات قاطبة ان تحظر عليهم ان يلدوا . وان يحصر النسل في الاصحاء جسماً وعقلاً . فالمجانين اجمالاً لا يجوز ان يلدوا . وكذا المسلولون والمهسترون وذوو الاورام الخبيثة وأمراض القلب والكبد والمجموع العصبي وتسويس العظام والزهري ونحوها

ويجب الاعتماد على القرار الطبي كل الاعتماد في من يجوزله ان ينسل كما انه يجب ان يكون للطب السلطة التامة في وضع الرسوم لبناء غرف النوم وغرف التدريس والاندية العمومية والكنائس ونحوها . ولا يجوز استعمال غرفة أو ناد الا بعد الفحص الطبي وبقرار رسمي

وترى لجنة الاقطاب ان غرض الطب على الخصوص ليس معالجة الامراض بعد تفشيها بل الحيلولة دون ذلك التفشي لان درهم اعتناء خير من قنطار دواء

(٢) الرفق بالصغار

لقد اثبت الاختبار ان ليس كل زوجة تصلح للامومة

الانثى تلد حسب الطبيعة كالبهائم . ولا مانع من ذلك اذا كانت سليمة البنية . لان الولد عمل لا دخل فيه للعلم والتهذيب والاخلاق . أما تربية المولود فليس عملاً بهيمياً بل هو أمر جلل فيه كل الدخل للعلم والتهذيب والاخلاق

ونعني بذلك انه ينبغي الرفق بالاطفال وتسليمهم الى مربيات خصيصات بهذا الفن درسنه درساً قانونياً في مدارس خاصة به ونلن الشهادات التي تبين أهليتهن . فيستلمن الطفل حال ولادته . ويعنين بارضاعه رضاعاً طبيعياً أو صناعياً حسب حكم الاحوال . ويلاحظن نظافة جسمه وموافقة ثيابه وتهوية غرفة نومه وحفظ درجة حرارتها في القدر اللازم وتنويمه كما يجب ووقايته من الطوارئ

ثم يلاحظن أمر تسنينه . ويعلمنه المشي والتكلم والاكل والحركات الى سن الثالثة

وفي سن الثالثة تستلمه معلمة « حديقة الاطفال » وهي اماكن لتربية الاطفال ــ على الطرق الصحية الحديثة ــ فتعلمه هذه الاشياء العديدة الداخلة في لائحة « حدائق الاطفال » الى سن السابعة

وفي السابعة تستلمه المعلمة فتعلمه القراءة والكتابة والحساب ومبادئ الجغرافيا والهيجين والصناعة الى الثانية عشرة

وفي الثانية عشرة يدخل القسم الابتدائي الى الخامسة عشرة

وفي الخامسة عشرة يختار مهنته ويوجه تهذيبه اليها

ان تهذيب الصغار محسوب في الهيئة الاجتماعية عملاً تافهاً تمارسه كل والدة . واقطاب الدهور يرون أنه اجل الاعمال البشرية واكثرها خطورة . وان اباحة التربية للوالدات الجاهلات القليلات الاختبار الضعيفات المدارك جناية على النسل وعلى الجنس وعلى الاجتماع البشري

ماذا عسى أمية في سن الخامسة عشرة أن تدرك من فلسفة التربية ? ليس الولد وحده مظلوماً بدخوله تحت عنايتها بل هي ايضاً مظلومة لانه وضع على عاتقها حمل تنوء تحته الرواسي

وتجاهر لجنة الاقطاب أن التربية هي دعامة الاجتماع العظمى فاذا صلحت التربية صلحت الارض والسماء والعكس بالعكس

(٣) تقويم التربية

لقد ورث الخلف عن السلف كثيراً من الخرافات والاوهام فلا يجوز لذوي الخرافات والاوهام أن يكونوا هم اقل مداخلة في تهذيب الاحداث . بل يلزم فصل الصغار عن البشرية فصلاً تاماً حرصاً على سلامة افكارهم واقتناعاتهم أن تعبث بها تلك الايدي الخبيثة . فيربون تربية صحية سليمة · يتعلمون كيف يأكلون وكيف يغتسلون وكيف يلعبون وكيف ينامون وكيف يقضون اوقاتهم وكيف يدرسون ويُعلمون الركض والقفز والسباحة وركوب الخيل والدراجات

يعلمون انهم كلهم اخوة ويمرنون على المؤاساة والايثار

يعلمون الزراعة والصناعة والتجارة والسياسة والفلسفة والتأليف والخطابة والنظم والاختراع

ولا يجوز التمييز بينهم بحيث يتعلمون الحسد ويتخلقون بالاخلاق الردية · بل تجب المساواة بينهم في كل شيء · وتعيين جوائز لمن يحافظ على الصدق والنظافة ولمن يؤثر اخاه على نفسه · ولا يجوز قطعياً مجازاة النبيه على براعته في العلم اوحسن الالقاء أو النظم ويجب أن تترك لكل منهم حرية اختيار المهنة التي يتعاطاها في حياته

(٤) نشر المعرفة

يجب أن يكون التعليم اجبارياً للذكور والاناث

ويجب أن يكون في كل قرية وكل مزرعة مكتبة عمومية للمطالعة وأن يعوَّد الصغار والفتيان على المطالعة والتلخيص

وأن يكون في كل قرية وفي كل قسم من المدينة قاعة للخطابة وغرفة قراءة ومطبعة وجريدة . وأن تكون كل هذه الامور مجانية على نفقة الحكومة

ويلزم أن تعنى الحكومة بنشر الكتب والمجلات في لغات البلاد

وأن تنفق على الخطباء والخطيبات في كل المواضيع من زراعية وصناعية وتجارية وسياسية وعلمية وفلسفية وفكاهية

ويلزم أن تؤلف في كل لغة اكاديمية غرضها جمع شوارد اللغة وضبط قواعدها وتهذيب الفاظها وعباراتها وتوليد أو اضافة اسماء وافعال جديدة لها على الدوام

(٥) نشر الاخاء

أول امر تراه لجنة الاقطاب حرياً بالاهتمام هو محاربة الحرب . يلزم استئصال هذا الداء العضال الذي هو من موروثات الهمجية والتوحش

ويجب أن يفهم كل فرد انه أخ لجميع أفراد النوع الانساني وانه عار عليه استعمال القوة في موضع الدليل

بل عار عليه أن لا يحب أخاه

يلزم منع الرشوة والمحاباة . وتقييد الحكام بالقوانين والمراقبة والتفتيش . ويجب تأليف عصابة الامم وتشكيل محكمة دولية

ويجب ان يتعلم الجميع لزوم التساهل وتقديس الفرد منهم حرية الغير الفكرية فيتوقع ان يسمع من أخيه ما يغاير رأيه . ويحترم الفرد الواحد فكرة أخيه ويجتهد في فهم آرائه المغايرة لآرائه هو

ويجب منع القسوة والضرب — حتى في المحاكم

وأن تصلح السجون اصلاحاً تاماً وتحول الى مدارس زاهرة تصلح فيها الاخلاق والشؤون

ويجب الغاء سيطرة فكر على فكر أو مداخلة المرء في حرية أخيه

وتجب مساواة الذكر بالانثى مساواة مطلقة بحيث يكون له ما لها وعليه ما عليها بدون أدنى تفريق

(٦) الرفق بالعمال

للعمال كرامة المؤلف والحاكم والمحامي والطبيب

يجب رفع أجور العمال وتخفيض ساعات العمل وتحسين مساكنهم . وضمان العجزة

والمصابين منهم . والانفاق على المرضى منهم من صندوق التوفير الذي يضع كل عامل فيه جزءاً من دخله

ويلزم ان يضمن لكل عامل راتب يمكنه من الاكل للشبع والكسوة التامة وشراء الكتب والجرائد التي يريدها وحفظ قسم من الدخل في صندوق التوفير . والحصول على الملاهي والالعاب العديدة قصد التسلية والرياضة

(٧) المنافع العمومية

لا يجوز لفرد على الاطلاق ان يملك ما هو من حقوق العموم كالانهار والاطيان والبساتين والمدارس والجرائد والسكك الحديدية والاندية وأسلاك البرق والطيارات والعربات والسيارات والمعامل والمناجم والسفن والمصايد والمغاوص والتلفونات

يجب ان تكون كل هذه الامور خاصة بالمجلس البلدي وليس للافراد فيها الا الاستخدام . ولكن باجور كافية وان يكون الترقي فيها حسب طول المدة والامانة

(٨) الحكم الذاتي

كل بلد تحكم ذاتها بذاتها ، ولكل أمة مجلس نواب يختاره العموم رأساً . وعلى الامة ان تصدق كل القوانين التي يسنها الحكام . وان يختاروا نوابهم وحكامهم ولجان المعامل ومديري المدارس وجمعيات السكك الحديدية ونحوها

هذا ما ترى لجنة الاقطاب لزوم نشره واحلاله محل الاجزاء معجلاً . أما مسائل الزواج والميراث والوقف والملك والمذاهب فتؤجل اعطاء الرأي فيها الى ان يجتمع زعماء الاديان مع الاقطاب اجتماعاً ثانياً . . . وارفض الاجتماع

حنا خباز

من وصية للرئيس ابن سينا أوصى بها بعض أصحابه :

« ليُعلم ان أفضل الحركات الصلاة . وأمثل السكنات الصيام . وأنفع البر الصدقة . وأزكى السر الاحتمال . وأبطل السعي المراآت . ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت الى قيل وقال ومناقشة وجدال وانفعلت بحال من الاحوال . وخير العمل ما صدر عن خالص نية . وخير النية ما ينفرج عن جناب علم . والحكمة أم الفضائل . ومعرفة الله أول الاوائل »

الزواج بعد الحرب

اعقد المشاكل القادمة

ما أكثر المشاكل التي يحتم على الدول حلها بعد الحرب ! فلسوف تشغل المشاكل على أنواعها — من اجتماعية واقتصادية وصناعية وتجارية — عقول المفكرين والمدبرين ورجال السياسة فيرون جميعاً أن متاعب الحرب لم تنته بانتهائها بل أنها تمتد الى زمن بعيد تظل الانسانية في أثنائه مثقلة بالهموم والمتاعب

ولعل مشكلة الزواج هي أعقد المشاكل التي تعرض للبشرية حينئذ فان عدد الشبان الصالحين للزواج ينقص بصورة مستديمة بين قتلى ومشوهين في حين أن عدد الشابات على حاله . ولا يخفى ان نظام الزواج كان يداخله بعض الاختلال من هذا القبيل قبل الحرب فكيف به بعدها ؟ فلئن كان التوازن مختلاً وقتئذ بين طالبي الزواج من الشبان والشابات فانه سيفقد بالمرة عند ما تضع الحرب أوزارها

فهل من علاج لتلك الحالة السيئة ؟ لقد أخذ كثيرون من أهل أوربا يتحدثون بمسألة تعدد الزوجات ولئن كان هذا الامر بعيد التحقيق فان تحدث الناس به دليل على خطورة الحال ونذير باختلال اجتماعي وخيم العواقب

الزواج والحروب السابقة

يتعذر قياس ما يكون بعد هذه الحرب بما كان بعد الحروب الماضية . فالفرق عظيم هائل بين هذه وتلك اذ ليس بين المنازعات التي أنتابت الجنس البشري تطاحن يمكن مقابلته بالمجزرة التي نشاهدها اليوم . على انه يحسن بنا مع ذلك ان ندرس تأثير الحروب السالفة في الزواج . جاء في كتاب الاحصاءات وعلم الاجتماع للاستاذ مايو سميث [١] ما يأتي :

« نظراً لكثرة الشبان الصالحين للزواج الذين يهلكون في الحرب ولما ينتج عنها من الاختلال في أعمال الذين يظلون أحياء فان الحرب تنقص عدد الزيجات . فمن ذلك ان معدل عدد الزيجات في الالف في بروسيا هبط في سنة ١٨٦٦ (أي اثر حربها مع النمسا) من ١٨،٢ الى ١٥،٦ وفي النمسا من ١٥،٥ الى ١٣ . وفي الحرب البروسية الفرنسية هبط المعدل في بروسيا من ١٧،٩ في سنة ١٨٦٩ الى ١٤،٩ في

(١) R. Mayo-Smith : Statistics & Sociology

سنة ١٨٧٠ والى ١٥،٩ سنة ١٨٧١ ولكنه ارتفع في السنتين التاليتين للصلح الى ٢٠،٦ و٢٠،٢ وهو أعلى ما بلغه . أما في فرنسا فقد هبط المعدل في السنوات نفسها من ١٦،٥ الى ١٢،١ و١٤،٤ ثم صعد الى ١٩،٥ و١٧،٧ وهو أعلى ما بلغه في فرنسا أيضاً »

الزواج وهذه الحرب

قال أسقف بتربورو من وعظة له في كاتدرائية سانت بول في لندن : « من مآسي هذه الحرب ان هلاك الشبان بالجملة سيؤدي الى حرمان آلاف الشابات لذة الامومة » . أجل انها لمأساة فظيعة وفظاعتها تزداد كلما طال أمد الحرب فان الجيوش التي تصادمت في أول الحرب كانت تحوي عدداً كبيراً من الجنود المتزوجين . أما الجيوش المؤلفة حديثاً فسوادها من الشبان غير المزوجين . فكأن قوائم الوفيات الحربية لا تنبئ بفقد أهل هذا الجيل فقط بل تتضمن أيضاً فقد أهل الجيل القادم . واذا اعتبرنا الارقام الرسمية التي تنشرها الدول المتحاربة استنتجنا منها أن العالم قد خسر الى الآن ما لا يقل عن خمسة ملايين شاب حرموا لذة الابوة . فتأمل !

لا غرابة مع ذلك اذا قلنا انه لا بد ان يلحق النظام الاجتماعي اضطراب عظيم الشأن من جراء هذه الخسارة .

قال الاسقف المذكور آنفاً : « في مقدمة المسائل الخطيرة التي ستشغل المستقبل ، بل المستقبل القريب ، مسئلة الزواج وما يكون من الرأي العام بشأنه . ومن المتوقع ان يهاجم الاكليروس بشكل لم يسبق له مثيل فقد نضطر الى مقاومة مساع يقوم بها أناس كثيرون لملافاة الحالة الحاضرة »

فمن هم أولئك الذين اشار اليهم الاسقف في خطابه ضمناً ؟ وما هي مساعيهم ؟ لا نظنه يريد بذلك الا ما ينتظر حدوثه من مطالبة المصلحين بتبديل نظام الزواج بعد الحرب . ولكن كيف يكون ذلك الاصلاح المنشود ؟ وما تكون وجهته ؟

في أوربا اليوم فرق مختلفة من الباحثين في هذا الموضوع ذهب كل منها مذهباً مختلفاً عن مذهب الاخر . فمنهم مثلاً من يتنبأون بملاشاة الزواج لسبب استقلال المرأة في وسائل تعيشها وتقدمها العجيب في ميادين الصناعة والتجارة واستغنائها عن مساعدة الرجل من هذا القبيل

على انه بين الفئات المتطرفة قامت فئة المصلحين المعتدلين الذين يتوقعون اصلاح نظام الزواج اصلاحاً تحفظ فيه حقوق كل من الرجل والمرأة من غير الالتجاء الى تعدد الزوجات

من جهة أو تنافر الجنسين وتظاهرهما من الجهة الاخرى

اما ان ذلك الاصلاح قادم فمما لا ريب فيه . بل ان المتأمل في القوانين الاوربية الحديثة يلحظ فيها تطوراً مستديماً نحو تعديل نظام الزواج في صالح المرأة على الخصوص . ولم تكن هذه الحرب الا بمنزلة دافع نشط تلك الحركة وعجل ذلك الانقلاب . والارجح ان يتحول الزواج الى شكل عقد مدني يعقد بين الرجل والمرأة كما يعقد أي عقد من العقود المدنية

أما الذين قالوا ان المرأة سوف تستقل عن الرجل وتهجره لاستغنائها عنه من الوجهة المادية الاقتصادية فان نظرهم قاصر جداً اذ من الجهل التغاضي عن مقام العواطف وعد الحياة مسئلة حسابية . فلسوف تظل المرأة كما كانت على ممر الدهور مخلوقاً حساساً متعطشاً أبداً الى الالفة والوداد

على انه لا بد أن يتخلل ذلك الانقلاب القادم اضطراب يلحق اهل هذا الجيل الذين عليهم اعادة بناء الاجتماع وتوطيد أسسه — شأن كل انتقال من حال الى حال

وسيختلف ذلك الاضطراب باختلاف الامم وعاداتها وتفاوتها في الرقي واستعدادها للاقلاع عما ورثته من العقائد والتقاليد

وطالبات الزواج في المانيا اليوم كثيراً ما يستخدمن الجرائد للاعلان عن انفسهن وترغيب الرجال في تزوجهن . فمن ذلك اعلان ورد في جريدة « فولكسواخت » التي تصدر في برسلو جاء في آخره بعد وصف طالبة الزواج وعمرها وممتلكاتها واحوالها بالاختصار ما يأتي : « يجوز للجنود المشوهين ان يتقدموا ولا مانع للانفصال بعد تجربة ستة أشهر »

هذه نظرة اجمالية القيناها على الحالة المعنوية في اوربا . ولا ريب ان المستقبل يخبئ لنا انقلاباً من اعظم الانقلابات في هذا المضمار . وان غداً لناظره قريب

كلمات لافلاطون

ما معي من فضيلة العلم الا علمي باني لست بعالم

سأله ارسطو بماذا يعرف الحكيم انه قد صار حكيماً قال : اذا لم يكن بما يصيب من الرأي معجباً ولا لما يأتي من الامر متكلفاً ولم يستفزه عند الذم الغضب ولا يدخله عند المدح النخوة

وسئل عن الدنيا قال : اتيت اليها مضطراً وعشت فيها متحيراً وها أنا أخرج منها كارهاً ولم اعلم فيها الا انني لا اعلم

الاعتماد على النفس

بقلم داود بركات رئيس تحرير الاهرام [1]

ان كل أمة وشعب كـكل فرد وشخص بين حالتين نفسيتين التواكل والاعتماد على النفس . فاذا تغلبت الثانيـة على الاولى فبشر ذلك الشعب وبشر الفرد بالفوز والنجاح واذا تغلبت سجية التواكل فانذر من أصيب بهذا الداء القاتل بالفناء والخراب العاجل

القوا نظرة على صفحات الكون المبسوطة أمامكم الآن وانظروا وروا كيف تسيل النفوس على شفار السيوف في سبيل الوطنيـة . وكيف يقدم الناس رجالاً ونساء شيوخاً وأطفالاً أنفسهم وأموالهم في هـذا السبيل وكيف ترتج جوانب الارض وتهتز الافلاك بمطالب الشعوب الصغيرة لتنال حقوقها وحريتها . ثم اسمعوا من بين أصوات المدافع وهزيمها صوت الذين يتولون أمر الامم العظيمة ويكافحون في سبيل المدنية يقولون للامم الصغيرة ونحن منها « رويداً ويأبى الحق الا ان تنالوا ما تطلبون »

ثم انظروا وقابلوا بين من يتكل ويتوكل ومن يجد ويعمل تجلي لكم فضيلة العاملين وحطة المتوكلين الخاملين

داء التواكل والاتكال ان تخور العزيمة وتحط الهمة فيتكل الانسان في قضاء شؤونه وحاجاته على سواه . وان يتكل المجموع على فرد أو على أفراد في قضاء شؤون وطنهم حتى اذا ما توانى هؤلاء أو أهملوا أو زاغوا عن محجة الهدى والصواب أو رأوا من مصلحتهم الخاصة ان يضحوا بالمصلحة العامة في سبيل مصلحتهم ضاعت تلك المصلحة ولا يستفيق الفرد أو الجمهور أحياناً الا للندم ، للندم الذي لا يرد ماضياً ولا يرجع فائتاً ولا ينفع الا من وجهة واحدة وهي الاتعاظ بالماضي لاجتناب الهفوة في المستقبل . ولـكن من الفرص ما لا يعرض سوى مرة واحدة في الحياة فمن نام عنها فقد أضاعها الى الابد

ولا يداوى هذا الداء داء التواكل والاتكال الا بفضيلة الاعتماد على النفس . فهو مصدر النجاح للفرد ومصدر الحياة الطيبة للمجموع . واسمحوا لي ان أورد هنا مثلاً فلاحياً لبنانياً يدل على فضيلة الاعتماد على النفس . والامثال في لغات الامم نتيجة الاختبار حتى تصاغ بقالب الحكمة ومثلنا اللبناني الفلاحي « من حضر خليفة بقرنه

(١) من خطبة شائقة القيت في الحفلة التي أقامتها جمعية الاتحاد اللبناني في جران اوتل بالاسكندرية في ٣ مارس سنة ١٩١٨

ولدت نوم » — يريدون من هذا المثل على بساطته ان من تولى أمره بيده توصل الى المستحيل

أيها المواطنون الكرام . تعالوا نبحث عن داء التواكل في نفوسنا وعن فضيلة الاعتماد على النفس وعما جر علينا الاول من الضرر والثاني من النفع لنقتلع جذور الشر وننمي ونربي في نفوسنا أصول الخير

نبحث عن داء التواكل فلا نجد نفوسنا سليمة منه في شؤوننا العمومية الاجتماعية حتى ضعف اعتمادنا على أنفسنا الى حد الاهمال ووهنت ارادتنا واستقوينا ضعفنا واستضعفنا قوتنا . فبات الاكثرون منا يقولون في كل ملمة وكل مسألة «من نحن ؟ ما هي قوتنا ؟ ماذا نستطيع ان نعمل؟ » وما شاكل ذلك من دلائل الوهن والتواكل واذا رأى هؤلاء الاكثرون من يتقدم للعمل ولوا وجوههم عنه ورشقوه بألسنة حداد وكانوا حرباً عليه مع خصومه حتى يرتد وهو ينشد كئيباً حزيناً :

واخوان تخذتهم دروعاً فكانوها ولكن للاعادي
تخذتهم سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي

ذلك القول وهو عنوان الضعف وخور العزيمة

ولو ان نفوس قائليه تحلت بفضيلة الاعتماد لقال كل واحد منهم بدلاً من « من أنا ؟ » « أنا رجل ككل رجل وقوتي كقوة كل رجل والذي أستطيعه هو ما يستطيعه كل رجل واذا اتحدت مع أخي صرنا اثنين نفعل فعل الاثنين» وهكذا اذا اتحد جميع اللبنانيين يفعلون فعال من يماثلهم عدداً وكانت لهم أسوة بسائر الامم والشعوب وللمكافح في الحياة الامل بالفوز والنجاح وللجبان الفار والقاعد عن الكفاح مصير واحد وهو الهلاك

اذا سلمنا أيها المواطنون الكرام بضعف الفرد عن القيام بجميع شؤونه وبقضاء جميع حاجاته حتى رضي بحالة القاصر الذي يعطي للوصي والقيم سلطاناً عليه واذا سلمنا بالضعف وبالحاجة الى العضد والسند وهذه الحاجة لا ينزه عنها فرد ولا مجموع ولا شعب ولا أمة مهما بلغت من البطش والثروة والقوة والعظمة فهل نسلم لذلك القاصر أو الضعيف بترك القيم والوصي أو العضد والسند أو الصديق والرفيق يتصرف بشؤونه كما يهوى أو يهملها أو يشتغل عنها أو يضحيها أو ما شاكل ذلك من تصاريف الامور ولا نحكم عليه بالبلاهة والعته ؟

رووا ان اعرابياً جاء النبي محمداً فقال له « يا رسول الله ان معي ناقة أريد تركها هنا والذهاب لقضاء حاجة فهل أدعها وشأنها متكلاً على الله في حمايتها ورعايتها» فقال له

النبي « اعقل وتوكل » أي اربطها ثم توكل على الله في حفظها . ونسمع في الانجيل قول المسيح « اطلبوا تعطوا اقرعوا يفتح لكم » وفي مكان آخر من الانجيل « ان لم تعطوا من باب الصداقة فمن باب اللجاجة والالحاح » أي انكم اذا لم تطلبوا لا تعطون واذا لم تقرعوا لا يفتح لكم . ومن حكمة الشعر

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

أفليس هذا كله حثاً بل وصية بالاعتماد على النفس

أو لم يجعل العرب كلمة « وكل » وصفاً لأحط الناس خلقاً ونفساً لانه يكل أمره الى غيره

سمعتم بما حل بجيلنا العزيز من المجاعة والنوائب والفقر والضيق وعلل الناس كثيراً أسباب ما حل باهلنا وبوطننا . ومن العلل الصحيحة أن التواكل والتوكل كانا من الاسباب العديدة لهذه المصائب والشرور اجتماعياً ومادياً وادبياً . فاللبنانيون المتخلفون في ذلك الجيل يتكلون في رزقهم وحياتهم على ابنائهم وازواجهم واهلهم المهاجرين فاهملوا تربية المواشي حتى بارت ارضهم وقل انتفاعهم بها وجمدت أيديهم عن العمل اتكالا على الذين يعملون لهم ويكدون في الخارج . فقد كانت نساء لبنان يزرعن القطن ويغزلنه ويسلكن الحرير ويصنعن الاصباغ من قشور الاشجار والاثمار ويحكن القمصان والشراشف والديما والاثواب وكن يربين الخراف ويسمنها ويخزن القاورمة لحماً للشتاء وكان الرجال يخزنون الغلة ويجمعون الحطب في الصيف ويربون البقر والغنم والماعز والدواب ويزرعون الكروم ويعصرون العنب ويطبخون التين ولا يكادون يحتاجون الى شيء من الخارج الا قليلا . فالمرأة كانت صانعاً ماهراً والفتاة كانت تلميذة تتعلم الطبخ والتفصيل والخياطة والحياكة وصنع السمن والقاورمة وعصر زيت الزيتون وزيت القرقش وصنع القدور الخ . فما كانت تزوج قبل توفر هذه الشروط حتى انهم كانوا يستغنون عن الكبريت بالصوفان . وفي امثالهم « الرجل جلاب والمرأة دولاب » . فلما اتكلوا على الذين هاجروا منهم قعدوا عن ذلك واهملوه الا قليلاً فلما نشبت الحرب في اول زمن الحصول واول المواسم كلها رأينا الناس في فاقة شديدة لان البنوكة توقفت عن دفع التحاويل الواردة من المهاجرين. ثم خرج السماسرة من بيروت يحملون بعض الاموال ويشترون ما يد الناس من تلك التحاويل بابخس الاثمان . كانت حاجة اللبناني تبدو وتظهر قبل نهاية الموسم بشهرين أو بثلاثة أشهر لانه كان يعتمد على نفسه في تحصيل رزقه فباتت هذه الحاجة تبدو في الاشهر الاولى من ظهور الحاصلات والمواسم لانه يتكل على سواه

وما وقع للبنانيين من الوجهة الفردية من جراء التواكل والاتكال وقع لهم من

الوجهة الاجتماعية . لانهم في شؤونهم الاجتماعيـة اتكلوا على سواهم ولم يعتمدوا على أنفسهم فتقهقرت نظاماتهم الاجتماعية تقهقراً كبيراً جداً نعرفه اذا راجعنا حالة لبنان في ٥٠ سنة مرت وانقضت على وضع نظامانه الاخـيرة فبينما كانت نظامات العالم كله تتقدم وتترقى كان نظام الجبل ينحط ويهبط حتى كاد يفضي الى الزوال بدسائس اعداء ذلك النظام

ومن رعى غنماً في ارض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الذئب

أجل ان نظامات لبنان كادت تفضي الى الزوال يوم استفاق فريق من اللبنانيين وأخصهم المهاجرون لا سيما لبنانيي القطر المصري فرفعوا عقيرتهم بالشكوى وطارحوا التواكل والاتكال وطلبوا حقوقهم واستصرخوا الامم الراقية لاغاثتهم فرد لهم بعض تلك الحقوق كما تعرفون وأدرك العاملون في هذا السبيل يومئذ حكمة الشعر القائل

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل

أجل ان العاملين الذين عملوا في هذا السبيل ورأوا نتيجة عملهم بام العين هم الذين يعملون الآن ونصب عيونهم قول فلاحي بلادنا « يقول ربك قم يا عبدي لاقوم معك ولا يقول ربك نم يا عبدي حتى أعمل لك »

واذا ماذكرنا كلمة المهاجرين وهم الذين يعيش لبنانهم منهم وبهم وجب علينا أن نقول أن وصف المهاجرة لا يطلق عليهم اذا أريد به هجر الوطن لانهم لم يهجروه بل خرجوا منه لطلب الرزق فالذين خرجوا من لبنان هم « لبنان » أكثر من الذين مكثوا فيـه لان الباقين فيه عالة على الذين خرجوا منه

وقعت هذه الحرب المشؤومة وأهالي لبنان على حالهم من التواكل والاتكال فلم يزرعوا أرضهم وتوتهم وكل بورة عندهم ليحصدوا غلتهم متكلين على ما يرد عليهم من الخارج وعيونهم متجهة الى البحر الا الفريق القليل فلما لم يرد عليهم المال ولم يرد الرزق ولم يأتهم الخلاص ممن اتكلوا عليهم في انقاذهم عادوا الى أنفسهم ليعملوا ولكنهم عادوا اليها بعـد فوات الفرصة فالذين عملوا منذ الساعة الاولى نجوا ونعموا والذين لم يعملوا عجزوا عن اللحاق بمن اعتمدوا على أنفسهم لان الفرصة فاتت

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

لا اقول هذا لوماً ولـكني اقوله تذكيراً لانفسنا وندباً لحالتنا وتعليلا لمصائبنا فنطرح عنا الاتكال ويقول كل واحد منا في كل ملمة وامر جلل « بيدي لا بيد عمر »

اجل ان للفرد والشعوب الساعة التي هم فيها والحكمة تقول « لا تؤخر الى غدك ما تستطيع ان تفعله في يومك » « واعمل لغدك كانك تعيش ابداً » فان لـكل ظرف

من ظروف الزمان عملاً يكفيه ويملاءه . فاذا أخرت عمل ساعة الى ساعة أخرى ازدحم عليك عمل الساعتين معاً وضاعت فرصة الساعة الاولى وقد لا تعود ولا تكون فرصة أخرى

واذا رجعنا الى تاريخ حياتنا الاجتماعية الفينا أن داء التواكل والاتكال حديث فينا فهو ليس من الامراض المزمنة فلم يقتلع من نفوسنا فضيلة الاعتماد على النفس . فاذا كان هذا الداء قد اصاب بعض قوانا فان القوى الاخرى سليمة منه . فارتماء الفلاح البسيط الساذج منا الى ما وراء البحار والى سائر الاقطار والامصار منتجعاً الرزق طالباً العلا والرفعة عاملاً مجدًّا بين قوم يجهل لغتهم وعوائدهم وشرائعهم وارضهم وجوهم من مزايا الاعتماد على النفس

فيكفي ان تحول هذه الهمة التي لا تعرف الصعاب ولا تعرف الكلال والملل الى الشؤون العمومية حتى تفعل فيها العجائب فعلها العجب العجاب في الشؤون الفردية أو لم يكن آباؤنا واجدادنا على ذلك ؟

أولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

قوم شهد لهم التاريخ انهم ما ذلوا قط لفاتح أو لغاز . وقفوا على قمم تلك الجبال وتسحبوا الى مغاورها والغزاة من حولهم يتدفقون كالبحار الزاخرة وعواصف القوة تعصف عليهم كالصواعق المنقضة فتجتاح الممالك وتثل حولهم العروش ويجف لهول وقعها قلب الكون وهم كجبلهم الراسخ لا يخشون بأساً ولا يحنون لغير الله رأساً فان ماتوا ماتوا كراماً وان عاشوا عاشوا كراماً حتى خلفوا لنا تراثاً مجيداً يحق لنا به أن نقف في مصاف ارقى الامم واعلاها كعباً ولا نخشى اذا ذكر الاستقلال والشمم أن نقول نحن لبنانيون . ولكن هذه الفضيلة بحاجة الى من يستثيرها في الصدور ويوطن عليها النفوس فنحن في حاجة الى دعاة نزهاء يرشدوننا الى خيرنا ويسهرون على مرافقنا ومصالحنا وحقوقنا وما مات حق من ورائه مطالب . قومنا ولا فخر اذكياء مقدامون يكفي أن يرشدوا ليعملوا وأن يقال لهم الصواب ليدركوا وأن يجدوا من يثقون بقوله ليتبعوا من القول أصدقه

* * *

كل شخص بنفسه ناقص والناس اذا اجتمعوا يتم بعضهم بعضاً فيكون منهم هيكل كامل

كم من مرة قال قائلكم : عجباً للافرنج نأخذهم افراداً فنجد كل فرد منهم لا يزيد علماً وفهماً وحكمة ونشاطاً على كل واحد منا ثم نأخذهم مجتمعين فاذا هم أقوياء ونحن ضعفاء فما هو السر في ذلك ؟

ان السر أيها المواطنون الكرام ان حياتهم الاجتماعية صحيحة فكل واحد منهم يتم ما في أخيه الوطني من نقص فيبرزون لعيوننا بصورة الكمال والقوة أما نحن فعلى عكس ذلك فنظهر بمظهر الضعف والخذلان

وأول شروط الحياة الاجتماعية الصحيحة أن يعطي لها كل انسان ما باستطاعته اعطاءه وأن يأخذ منها نصيبه وحقه ومقامه كالشركة المالية فلا يعطى صاحب السهم ما يعطى صاحب السهمين ولا ينكر صاحب المئة حق صاحب الواحد. واذا عدنا الى اقوال الاقتصاديين ذاتهم عرفنا أيها المواطنون الكرام أن ما لا يستطيع الفرد القيام به قامت به الشركات. فالفرد لا يستطيع القيام بمد السكك الحديدية فمدها من عمل الشركات. كذلك شؤون الشعب والجمهور لا يقوم بها الافراد بل الجماعات. فالاحزاب جماعات والمجالس النيابية جماعات أو جمعيات كذلك الجيوش والاساطيل والامة التي لا تؤلف من نفسها جمعية أو جمعيات أو لا تكون جمعية صحيحة فهي أمة ضائعة الحقوق مهانة ذليلة

واكثركم يعرف حكاية ذلك الشيخ الفاني الذي دنت منيته فجمع حوله بنيه يلقي عليهم وصيته وأمرهم بان يأتوه برزمة من العصي فأتوا بها فقال لكل واحد منهم كسر هذه العصي مجتمعة فلم يقو واحد منهم على كسرها ففرقها ودفعها اليهم واحدة واحدة فحطموها فقال لهم الشيخ وصيتي اليكم أن تكونوا مجتمعين متحدين كهذه العصي فلا يقوى عليكم قوي واذا تفرقتم قوي عليكم كل ضعيف

فلنجتمع ولنتحد لنقوى. واذا كنا نحس بالضعف فلا لانا ضعفاء بل لانا متفرقون فلنجتمع على قضاء مصالحنا نحس بالقوة ونعرف قيمتها وفعلها ولنعتمد على نفوسنا في قضاء حاجاتنا فاذا تواكلنا تخاذلنا. ويد الله مع الجماعة

أيها المواطنون الكرام

الناس يعملون ويكدون ويكدحون في الحياة لغرضين الاول مادي والآخر أدبي فهما توافر لهم الغرض الاول لا ينعمون في الحياة اذا لم يتوافر لهم الغرض الثاني. فالانسان قد يلقى حاجاته في كل أرض وكل موطن فتتوافر له الماديات ولكنه لا يلقى الغرض الادبي وهو سيادة نفسه واكتناف الاخوة به والتمتع بحقوق تلك السيادة الا في وطنه كما يتمتع الرجل في بيته وعائلته بعد التعب من أعماله

ولكم أيها المواطنون الكرام بالامة الاسرائيلية خير شاهد وأصدق مثال فهي على عظمتها ونفوذ أبنائها ورقيهم وعلمهم ومالهم وفنونهم في كل مملكة وأمة وشعب ظلوا وقرناً عديدة يحنون الى بقعة من الارض يسندون فيها رؤوسهم الى تربة اسرائيلية

حتى اذا ما أنقذت فلسطين هبوا من جوانب الاكوان يحمدون الله والدول التي وعدتهم بانالتهم أمانيهم ويجودون بالاموال والارواح في هذا السبيل

أما نحن أيها المواطنون الكرام فان لنا تحت الشمس بقعة هي مضرب الامثال بهناء العيش ورخائه وبروح الديموقراطية التي تتوق اليها جميع الشعوب « وهنيئاً لمن له مرقد عنزة في لبنان » ولقد نجهل قيمتها لانا لم نفقدها منذ وجودنا فيها

فلنعرف من حال الشعوب الاخرى قيمة ما نملك فنوحد مجهوداتنا لصونه من كل عبث ولنعتمد على انفسنا في الدفاع عنه بكل ما لدينا من الوسائل خاتماً كلتي هذه بانشودة الشاعر اللبناني :

وطني مهما يطل هذا الفراق فقريباً سوف يتلوه تلاق
ولفجر الحق في الشرق انبثاق يجلي ماحقاً ليل الشكوك

براعة طبيب

يروى عن الرشيد انه ذات يوم تمطت حظيته فرفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها فاخذ الاطباء يعالجونها بالمروخ والادهان ولم ينفع ذلك شيء فقال الرشيد لجعفر وزيره ما العمل مع هذه الصبية قال له جعفر لي طبيب ماهر اسمه جبرئيل هو ابن بختيشوع ندعوه لعل عنده حيلة في علاجها فامر باحضاره فحضر فشرح له الخليفة حال الصبية فقال له جبرئيل ان لم يسخط عليَّ أمير المؤمنين فلها عندي حيلة فقال له وما هي قال تخرج الجارية الى ههنا بحضرة الجميع حتى أعمل ما أريده وتمهّل عليَّ ولا تعجل بالسخط فامر الرشيد باحضار الجارية فخرجت وحين رآها جبرئيل عدا اليها ونكس رأسها ومسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها فانزعجت الجارية ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها وبسطت يديها الى اسفل ومسكت ذيلها فقال جبرئيل قد برئت يا أمير المؤمنين

يلزم ادارة الهلال الاجزاء ١ و٢ و٣ و٦ من هذه السنة (٢٦) .
والسنوات ٢ و٤ و٢١ و٢٤ و٢٥ فمن كان لديه شيء من ذلك وهو في غنى عنه فليرسله الينا بالثمن أو المبادلة

مذكرات عن الاستانة

بقلم الدكتور لويس صابونجي

[الهلال] نشرنا في الجزء الاول من هذه السنة وصفاً لاحتفال عيد الاضحى في الاستانة بقلم الدكتور لويس صابونجي وهو اقدم صحافي عربي حي ومؤدب انجال السلطان عبد الحميد سابقاً . وانا ناشرون اليوم مقتطفات اخرى من مذكراته عن الاستانة ولهذه المذكرات قيمة خاصة لان صاحبها اختلط بذوي الحل والعقد في الاستانة وعرف ما ظهر منهم وما خفي

عادة غريبة في أسرة سلاطين آل عثمان

قد استحكمت عادة غريبة في أسرة سلاطين آل عثمان لا وجود لمثلها في أسرة أي ملك من ملوك أوربا . وذلك أن كلا من والدة السلطان المالك والصدر الاعظم وشيخ الاسلام ووزير الحربية يبتاع فتاة شركسية من أجمل البنات ويقدمها هدية للسلطان في اربعة مواسم أي في عيد الميلاد وعيد الجلوس وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان وفي عيد الاضحى . وعلى هذا النمط ينال السلطان كل سنة من سني ملكه على سبيل الهدية أربع صبايا منتخبات من البنات الجميلات . وعندما تتكاثر الظبي على خديش وتضيق دوائر الحرم السلطاني بالجواري الحسان يهدي السلطان بعضهن الى المقربين من رجال دولته

سوق بيع البنات الشركسيات بالاستانة

كان النخاسون قديماً يقيمون سوق بيع الرقيق في الاستانة وغيرها من مدن السلطنة العثمانية علناً ويعرضون فيها الجواري على المشتري وهن في عراء تام . ولكن بعد ما وقعت الدولة العثمانية على معاهدة الدول الاوربية التي الغت الاتجار بالرقيق وعقدت الدولة البريطانية بواسطة معتمدها السر بارتل فرير معاهدة على ذلك الالغاء مع السيد برغش سلطان زنجبار الاسبق صار النخاسون يقيمون أسواق بيع البنات في منازل خفية . وصار الذين يرغبون في ابتياع الفتيات الشركسيات وغيرهن يقصدون تلك المنازل الخفية لانتخاب الجواري وابتياعهن وهم بعيدون عن الرقباء

الاوصاف الحسنة المطلوبة في الجواري

شيئان كبيران — كبر العينين والردفين

شيئان مستديران — استدارة قحف الرأس والثديين

شيئان ضامران — الخصر والبطن
ثلاثة صغيرة — صغر الفم واليدين والرجلين
ثلاثة صحية — صحة الجسم ومتانة الاسنان وطيب رائحة الفم
وزاد بعضهم على ذلك التصاق الركبتين عند القيام

وصف ردهة العرش العثماني

ردهة العرش العثماني بناء قائم بنفسه في وسط حديقة قصر « طولمه باغجه » وقد سمي هذا القصر بهذا الاسم لان ارضه كانت في الاول قسماً من ضفة البسفور الاوربية التي كانت تغمرها أمواج البحر في فصل الشتاء . ولما أراد السلطان عبد المجيد بناء قصر فخم على ساحل البسفور اختار له هذا الموقع . فردمه البناؤون وملأوه بالحجارة والاتربة وجعلوه حديقة وشيدوا في وسطها هذا الصرح الفخم فسمي سراي « طولمه باغجه » أي صرح الحديقة المتردمة

وقد تفردت ردهة العرش العثماني بين الابنية التي تشيدت على وجه الارض بطرز بنائها وطولها وعرضها وارتفاعها . وتعلوها قبة عظيمة جميلة تبان في شكل عجيب لمن يركب سفينة ويمر بها بحراً . وقد قامت على اثنين واربعين عموداً . ومما زادها حسناً وغرابة قبتها العظيمة فانها قائمة على اعمدة ليست راكزة في صحن الردهة فقد صفها المهندسون صفاً جميلا بلصق جدران الردهة وتركوا الصحن على اتساعه خالياً منبسطاً يسهل الجولان فيه . وليس في قصور ملوك فرنسا بباريس وفرسايل وقصور ملوك الانكليز في مدينة لندن وقرية وندزر وقصور ملوك ايتاليا في مدينتي رومة وطورينو حتى ولا في قصر الفاتيكان نفسه ردهة عرش جمعت بين السعة والعلو وحسن هندسة البناء مثل ردهة العرش العثماني

فارضها مرصوفة بقطع من خشب السنديان الافرنجي وُضعت مصلّبةً وصُقلت صقلاً بديعاً وصبغت بلون يحاكي لون خشب الجوز على طرز « بركه » Parquet . ويوم المعايدة الرسمية يغطي خدام الصرح قسماً من صحن ردهة العرش بطنافس ثمينة يبلغ عرض كل قطعة منها نحو الذراع ونصف الذراع نسجت في المنسج السلطاني الكائن في قرية « هركه » وذلك ليسير عليها المعايدون وقاية من الزلق على خشب ارض الردهة المجلو جلواً شديداً

أما سقف القبة وجميع جدران الردهة من الجهة الداخلية فنقوش بالقلم نقوشاً جميلة بديعة الصنعة . ولهذه الردهة ١٨ كوة (شباكا) يعلو بعضها بعضاً على طبقتين :

ستٌ تشرف على حديقة القصر من وراء العرش منها ثلاث نوافذ كبيرة في الطبقة السفلى وراء العرش وثلاث في الطبقة العليا فوق الرواق . وست نوافذ في الجهة التي عن يسار العرش تشرف ايضاً على الحديقة . ومقابل العرش في الطبقة السفلى نافذتان وباب يفضي الى ساحل البسفور . وفوقها كذلك في الرواق ثلاث نوافذ تشرف على البسفور . وجميعها مصونة بالواح من البلور

وفي الشقة العليا من الردهة أربع شرفات : فالشرفة الاولى التي تقابل العرش يشغلها الذين يعزفون بمعازف الموسيقى السلطانية أثناء حفلة المعايدة . والشرفة الثانية التي عن يمين العرش يشغلها سفراء الدول الاجنبية مع من لاذ بهم من القناصل والاصدقاء والسيدات وغيرهم من المدعوين الذين يأتون لمشاهدة حفلة المعايدة من ذلك العلو الشاهق . ويأمر السلطان الخدم بان يعدوا في ذلك الرواق مائدة مستوفية انواع الحلو والمشروبات المبردة

وصف ثريا العرش العثماني

هذه الثريا من عجائب الدنيا بكبرها وجمالها واتقان صنعتها . وكلها من قطع البلور النقي وكل قطعة منها مثمنة الاوجه بحجم الباهم . وقد تعلقت بسقف قبة الردهة بسلسلة نصفها الاعلى من الفضة ونصفها الاسفل من جنس بلور الثريا . ويبلغ طول هذه الثريا نحو اربعين ذراعاً بقدر ما استطعت قياسه بنظري اذ لا سبيل الى قياسها بالذراع . ومحيط دائرتها الوسطى نحو ثلاثين ذراعاً . وهي مركبة من مناطق عديدة تختلف قطرها باختلاف وضعها العمودي . وقد ركب بعضها فوق بعض بترتيب يناسب كبرها وصغرها . فان قطر دائرتها السفلى يزيد عن الذراع بشيء قليل والدائرة التي فوقها يزيد قطرها درجة عن قطر الدائرة التي تحتها . وكلما ارتفعت الدوائر زاد قطرها بنسبة بعدها وارتفاعها . وهي تكبر تدريجاً حتى يبلغ قطر الدائرة الوسطى منها نحو ثلاثين ذراعاً . ثم تأخذ الدوائر بالانحسار تدريجاً على نسق ما ابتدأت به من اسفل حتى يصبح قطر الدائرة العليا منها نحو ذراع

وفي هذه الثريا من المشاعل ما يزيد عن الفي مشعل لايقاد نور الغاز الهدروجيني . وعلى رأس كل مشعل هنة من البلور بشكل قبعة من البلور المنقوش لتمنع نفوذ الغاز من انابيبه قبل الاشتعال وبعد الاطفاء . ويبلغ ثقل هذه الثريا البديعة ٨٥٠٠ أقة (الاقة ٤٠٠ درهم) . وكانت هذه الثريا قد صنعت في اوربا ثم ارسلت الى الاستانة قطعاً مفككة . وأتى بها رجل من صناع معملها ليعيد تركيبها ويعلقها في قبة الردهة . ولبث

يشتغل في تركيب قطعها نحو سنتين وهو يتقاضى من الدولة العثمانية ثلاثين ليرة عثمانية في الشهر

وما عدا هذه الثريا العجيبة يوجد في أربع زوايا ردهة العرش أربع منائر من الفضة الخالصة يبلغ ارتفاع كل منارة نحو ٨ أذرع . وقاعدة كل منارة مسدسة الاضلاع ويبلغ سمك وجهتها نحو شبر . ومحيط قاعدة كل منارة نحو ست أذرع وعلى رأس كل منارة عشرون مشعلا لايقاد نور الغاز الهدروجيني أو للشموع وعلى رأس كل مشعل هنة في شكل قبة من البلور المنقوش

ثم في كل زاوية من أربع زوايا هذه الردهة منارة من جنس بلور الثريا الكبيرة التي سبق البيان عنها . وحول أطراف مشاعلها سجف من قطع البلور المثمنة الاوجه وكلها قد استوفت شروط حسن الصنعة والجمال

وصف العرش العثماني

العرش العثماني أريكة مستطيلة الشكل يبلغ طولها نحو الذراعين ونصف الذراع . وارتفاع مسند هذا العرش عن الارض نحو ثلاث أذرع من وراء ومن الامام نحو الذراع . وهو من الخشب ومصفح من الداخل والخارج بصفائح من الذهب الابريز بصناعة دقيقة حتى أن من نظر اليه حسبه للوهلة الاولى قطعة واحدة من الذهب . وعلى وجه الصفائح نقوش جميلة . وسمك جدار العرش نحو ثلاث عقد . وعلى مقعده فرش حشوه ريش طائر النعام وغطاؤه قماش من الحرير الاحمر المزركش باسلاك الذهب . وليس على هذا العرش غطاء معقود في شكل قبة على طرز عروش ملوك اوربا . وقد نصب هذا العرش في صدر الردهة على بعد نحو ست أذرع من جدارها . وأمامه تحت موطئ القدمين طنفسة من الحرير المطرزة باسلاك الذهب تطريزاً جميلا

وكان هذا العرش في الزمان الغابر لاحد مماليك مصر من أسرة الغوري . غنمه السلطان سليم الغازي عندما حارب قنصوه ملك مصر وفتح الديار المصرية سنة ١٥١٧ للميلاد

شركات الاحتكار الهائلة

في اميركا

لئن علمتنا الجغرافيا ان القارة الاميركية خالية من الرؤوس المتوجة فان فيها ملوكا لا ينقصهم من مميزات الملك الا الاسم . اولئك هم اصحاب شركات الاحتكار الكبرى فانهم في الحقيقة ملوك في نفوذهم وثروتهم وسطوتهم . فكل شركة من تلك الشركات بمنزلة مملكة عظيمة واسعة

في كل العصور قام افراد يحتكرون بعض الاصناف لرفع اثمانها . ولكن الحكومات ما برحت تقاوم أولئك المحتكرين وتعرقل مساعيهم بطرق مختلفة . وقد سنت معظم الدول المتمدنة قوانين لملافاة الاحتكار ومنع التجار من الاستبداد بالجمهور . على ان اميركا — وهي أحدث البلاد في مضمار الحضارة — لم تتخذ حيطتها لهذا الامر الا اخيراً . ولذا نشأ فيها شركات احتكار هائلة كما سنرى

وشركات الاحتكار انواع : فقد يكون الاحتكار ناشئاً عن اتفاق وقتي بين صانعي صنف معين أو بائعيه لرفع سعره فقط . وهذا الاتفاق يسمى عند الانكليز والاميركين corner ويقابله عند الالمان الاتفاقات الوقتية المسماة ring . على ان الشركات الاحتكارية الجديرة بهذا الاسم ترجع الى نوعين اصليين :

(الاول) الشركات المسماة كارتل Cartel وهي كثيرة الانتشار في المانيا (وعند الاميركين شركات شبيهة بها تسمى Pool) وهي عبارة عن اتفاقات لسنين محدودة بين جميع صانعي صنف معلوم يقصد منها تخفيف المنافسة بينهم أو الغاؤها بالمرة . ولتنفيذ هذه الاتفاقات تعين لجنة لمراقبة السوق وتحديد الاسعار ومجازاة مخالفي الشروط المتفق عليها .

أما الطرق التي تلجأ اليها هذه الشركات لمنع التنافس بين الاعضاء المنتمين اليها فهي :

١ تعيين مناطق خاصة لكل عضو لا يجوز لغيره تصريف بضائعه فيها

٢ تعيين كمية من البضاعة لا يؤذن للعضو أن يصنع اكثر منها

٣ تحديد سعر للبيع يجب على جميع الاعضاء المحافظة عليه

٤ الغاء البيع المباشر بين المصانع وعملائها وتكليف لجنة « الكارتل » نفسها ذلك البيع بالنيابة عن جميع الاعضاء

(الثاني) الشركات المسماة ترست trust وهي معروفة على الخصوص في اميركا وقد مرت في دورين :

كانت في الدور الاول تتكون بادغام شركات مختلفة بعضها ببعض وتوحيدها Consolidation أي ان جميع الشركات أو المعامل التي تعمل عملاً معيناً كانت تتحد فيما بينها وتؤلف شركة واحدة . وقد كان هذا الاتحاد يتم عادة اثر حرب عوان يشهرها الراغبون في تأليف « الترست » على مناظريهم . مثال ذلك أن الشركة التي تريد احتكار صنف معلوم كانت تخصص مبلغاً عظيماً من المال لمنافسة جميع الشركات المشتغلة به فتبيع ذلك الصنف بخسارة لزمن معين حتى تضطر مناظراتها الى التسليم فتدغمها بها ثم ترفع السعر

اما الدور الثاني فيختلف عن الدور الاول بان تأليف « الترست » لا يؤدي فيه الى ملاشاة جميع الشركات والاستعاضة عنها بشركة واحدة فان كل شركة تبقى حافظة لكيانها واسمها بل تكون في الظاهر مستقلة تمام الاستقلال عن سواها . وما « الترست » في هذه الحال الا شركة جديدة تقتني الجانب الاكبر من اسهم تلك الشركات فيكون لها القول الفصل في شؤونها . فهو احتكار في الواقع ان لم يكن في الظاهر . والقصد من ذلك ملافاة القوانين التي سنتها الحكومة الاميركية لمقاومة الترست Anti- trust laws وتسمى هذه الشركات Holding trusts

***

ويجدر بنا الآن ان نلقي نظرة على أهم هذه الشركات فنقول :

نذكر أولاً شركة « ترست البترول » المعروفة باسم Standard Oil Co. فقد تألفت في سنة ١٨٧٢ من ٣٩ شركة ثم الغت ١٩ شركة منها فبقي ٢٠ شركة فقط . ولهذه الشركة الاحتكارية العظيمة سكك حديدية خاصة ومواسير تنقل البترول من المعامل الى المواني حيث يفرغ في سفن تحمله الى الخارج . ومعلوم ان للمستر ركفلر المثري الشهير اليد الطولى في تأسيسها وادارتها (تقدر ثروة المستر ركفلر بنحو ٣ مليارات فرنك) . وقد نجحت هذه الشركة نجاحاً عظيماً ويكفي دليلا على ذلك أن أرباحها من سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩٠٧ بلغت نحو ٢٠ ملياراً من الفرنكات لرأس مال ٥٠٠ مليون فرنك فتأمل ! ولعل السبب الاول في تلك المكاسب العظيمة ان الحكومة لم تكن قد سنت القوانين التي من شأنها مقاومة الشركات الاحتكارية

وفي سنة ١٩٠١ شرع في تأليف « ترست الفولاذ » المسمى United States Steel Corporation وهو بلا ريب أعظم شركة صناعية في العالم أجمع فقد جمع هذا « الترست » في أول أمره عشر شركات مجموع رأس مالها ٤ مليارات من الفرنكات فزيد المبلغ الى ٦ مليارات عند اتحادها معاً . وقد كانت بعض الشركات

الداخلة في هذا « الترست » قوية عظيمة كشركة كرنجي المسماة Carnegie Steel Co. المؤسسة في بتسبرغ سنة ١٨٦٠ فان هذه الشركة عند ما انضمت الى « ترست الفولاذ » كانت تجمع وحدها عدة مصانع بعد ان أدغمتها معاً . أما صاحب اليد الطولى في مشروع احتياز الفولاذ فهو المستر شارل شواب (الذي عينته الحكومة الاميركية حديثاً في مركز خطير) وقد اتسع مجال هذه الشركة اتساعاً عظيماً فما برحت تضيف اليها شركة بعد شركة حتى أصبحت اليوم مصلحة قوية عظيمة تملك عدداً كبيراً من المناجم والمصانع والسكك الحديدية . على انه مع نجاح هذه الشركة لم تكسب مكاسب كبيرة كمكاسب شركة البترول فان ربحها لم يزد في سنة ١٩٠٧ على ٨٠٠ مليون فرنك مع ان مجموع ممتلكاتها كانت تقدر وقتئذ باكثر من ١٠ مليارات فرنك

ونذكر اخيراً « ترست الاوقيانوس » الذي انتهى بفشل عظيم مع أن مؤسسه رجل من أقدر الماليين نعني به المستر بيربونت مورغان واليك تفصيل ذلك : في ٤ فبراير سنة ١٩٠٢ تعاقدت ثلاث من شركات الملاحة الاميركية مع شركتين انكليزيتين فكان مجموع السفن الداخلة في هذا الاتفاق ١٣٦ سفينة حمولها نحو مليون طن ثم باعت هذه الشركات أسهمها الى المستر مورغان وشركائه فألف منها « الشركة التجارية البحرية الدولية » International Mercantile Marine Co. التي أطلق عليها اسم « ترست الاوقيانوس » ورأس مالها ٦٠٠ مليون فرنك أضيف اليها ٢٥٠ مليون فرنك من السندات . ثم اتفقت مع الشركتين الالمانيتين المشهورتين وهما نوردتشر لويد وهامبرغ أميركا لمنع التزاحم بين الفريقين وبعبارة أخرى فان الفريقين الفا « كارتل » على النمط الذي ذكرناه فيما تقدم . على أن هذه الشركة لم تسيطر مع ذلك الا على ثلاثة اخماس السفن التي تقطع الاوقيانوس . وقد لقيت من الشركات الاخرى مزاحمة عظيمة ولا سيما شركة كونارد الانكليزية التي نالت مساعدة الحكومة الانكليزية في هذا الباب ولذا لم يلبث « ترست الاوقيانوس » طويلاً حتى هبطت اسهمه هبوطاً عظيماً

***

هذه أمثلة لشركات الاحتكار العظيمة التي نشأت في تلك البلاد العجيبة ولا يسعنا في هذا المقام اطالة الشرح عن الشركات الاخرى التي من هذا النوع انما نقول ان الحكومة الاميركية أخذت تراقب اعمال تلك الشركات وتمنع استبدادها بالجمهور . ومع ذلك فان عدد الشركات الاحتكارية الذي لم يزد في سنة ١٩١٠ على عشرين شركة اصبح اليوم نحو ٤٥٠ شركة

الصم يسمعون بعيونهم

احدث الطرق لتربية فاقدي السمع

ان تربية فاقدي بعض الحواس من المسائل التي عني بدرسها كثيرون من العلماء ولا سيما في العصر الاخير فقد فتحت معاهد ومدارس مختلفة للعناية بامرهم وتخفيف الحيف الذي نالهم من الطبيعة حتى يتاح لهم أن يتمتعوا بعض الشيء بلذات هذا العالم او على الاقل حتى لا يشعروا بوطأة الحياة ولا يكونوا عالة على غيرهم

ولا بد لبلوغ هذا الغرض من التوصل الى الاستعاضة عن الحواس المفقودة بالحواس الباقية . وقد توصلوا الى نتائج غريبة في هذا المضمار . وليس ادل على صحة ذلك مما تم لهلن كلر الاميركية فان قصتها اشبه شيء باعجوبة واليك خلاصتها :

وُلدت هلن كلر Helen Keller في الولايات المتحدة في ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٠ ولم تكد تجاوز السنة ونصف السنة من عمرها حتى أصيبت بفقد بصرها وسمعها ونطقها . فظلت على ذلك الى السابعة من عمرها وقد قطع الامل من تحسين حالها ومن تعليمها وتهذيبها . ولكن حياتها اتخذت وجهة جديدة من ذلك الحين حتى اصبحت اليوم بفضل المساعي التي بذلت في سبيل اصلاحها وتثقيفها نابغة في العلوم والفنون وكاتبة من أشهر الكاتبات . وقد تم هذا الانقلاب الغريب بتربية الحاستين الباقيتين لديها وهما اللمس والشم لدرجة متناهية في الدقة . فتمكنت هلن كلر بذلك من بلوغ مرتبة عالية في العلوم قلما بلغتها النساء المكتملات الحواس . فدخلت احدى الجامعات وحصلت على القاب دكتورة في الفلسفة وفي الآداب وفي العلوم مع الامتياز على رفاقها ورفيقاتها . وهي تعرف اللغات القديمة وتجيد من اللغات الحية الانكليزية والفرنسية والالمانية . ولها مؤلفات حازت انتشاراً عظيماً أهمها « قصة حياتي » و « العالم الذي أعيش فيه » فضلاً عن مقالات عديدة نشرت في الجرائد والمجلات الاميركية . ثم انها لم تكتف بما حصلت عليه بل اخذت تسعى ايضاً في ايقاظ مقدرتها على النطق وتمرين فمها وحنجرتها على اللفظ وقد نجحت بعض النجاح ولو بدأت تسعى في هذا المضمار منذ حداثة سنها لتوصلت الى اكثر مما توصلت اليه

لقد انشئت اخيراً في اوربا واميركا مدارس خاصة لتعليم الصم تستخدم انجع الوسائل التي من شأنها تحسين حالهم وتسهيل امر تفاهمهم فيما بينهم ومع غيرهم . وقد اطلعنا على مقالة منشورة في مجلة اميركية تصف تلك الوسائل فرأينا تلخيصها لقراء الهلال

قال الكاتب : زرت مدرسة في شيكاغو فيها نحو مئة ولد أصم تتراوح سنهم بين الخامسة والخامسة عشرة لم يسمع واحد منهم ادنى صوت منذ ولادته . الا أنه يتعذر على الزائر أن يلحظ ذلك عليهم لانهم تدربوا على فهم كلام من يخاطبهم بمراقبة شفتيه وفمه فبرعوا في ذلك براعة فائقة فضلاً عن ان نطقهم لا يختلف عن نطق أي حدث في سنهم فاذا رأيتهم مع رفاقهم الذين لم يصابوا بفقد سمعهم تعذر عليك أن تميزهم من بينهم لاول وهلة . ولعلك لا تستطيع أن تتبين عاهتهم الا أثر ما تراه من انعامهم النظر في حركات الشفاه وما ذلك الا لأن بصرهم يقوم مقام سمعهم فترى عيونهم متيقظة على الدوام متأهبة لالتقاط أقل اشارة

أما معلمات هؤلاء الاولاد فانهن يكلمنهم كأنهن يكلمن أولاداً عاديين حتى يعودنهم مطالعة الكلام من حركات الشفاه . فانهن اذا اعتمدن على الحركات الجسدية أو على



تعليم النطق للصم : المعلمة تستعين بامثلة من الجبس تبين بواسطتها الحركات اللازمة

الكتابة قللن من تيقظهم وقدرتهم على فهم الحركات الشفوية

وعليهن أيضاً تهذيب لفظ الحدث وتعديل صوته اذ لا يخفى انه لا يستطيع ذلك بنفسه لانه فاقد حاسة السمع . ويتيسر للمعلمة ارشاد التلميذ الى ذلك بوضع يده على حنجرتها وصدرها حتى يحس اهتزاز الصوت وهو خارج من الصدر فيتوصل شيئاً فشيئاً الى تعيين ارتفاع الصوت أو انخفاضه بواسطة اللمس فيعدل صوته بالتدريج بان يضع يده على حنجرته وصدره ويقيس اهتزاز الصوت عنده بالمقابلة مع اهتزازه عند معلمته . وبعبارة أخرى ان غرض المعلمة ان تستعيض عن سمع الولد هنا بلمسه كما أنه يستعيض عنه ببصره عند مطالعة كلام مخاطبيه من حركات شفاههم . ويستغرق تقويم صوت الولد على هذه الصورة دروساً يتعلم في أثنائها التمييز بين النغمات من مجرد اللمس

أما الأحرف التي تلفظ بملء النفس كحرف P مثلاً فان المعلمة ترشد الحدث الى

نطقها بوضع شمعة مضاءة أو ريشة خفيفة أمام فمها اولاً ثم امام فمه حتى اذا لُفظ الحرف تمايل نور الشمعة أو طارت الريشة بقدر قوة دفع الهواء من الفم . وبهذه الطريقة يدرك التلميذ قوة النفس اللازمة للتلفظ بالحرف المطلوب

فمما تقدم نرى ان التلاميذ في تلك المدرسة يتعلمون في آن واحد مطالعة الكلام الملفوظ بامعان النظر في وجه المتكلم وحركة شفتيه ، وتقويم نطقهم وتعديل لفظهم



استعانة المعلمة باليدين لتعليم اللفظ

بواسطة اللمس . أي كأنهم يستعيضون عن سمعهم تارة ببصرهم وطوراً بلمسهم . ومع التمرين المتواصل والعناية الكافية يبلغ الاحداث المصابين بالصمم درجة عالية من الدقة في هذا الباب

ولا حاجة بنا في ختام هذه الكلمة الى ذكر الفوائد الجمة التي يجنيها أولئك الاحداث من تربيتهم على هذه الطريقة فانها تفتح لهم أبواباً كانت مغلقة في وجوههم وتسهل عليهم مهمة العمل والاختلاط مع الناس

تنبيه للمشتركين والمراسلين

ان ادارة الهلال تبذل كل ما في طاقتها لارسال المجلة والمكاتبات في أوقاتها . على أن عرقلة المواصلات في الوقت الحاضر قد تسبب عطلاً أو تأخيراً فنستميح قراءنا ومراسلينا عذراً في هذه الحال

العائلة والمنزل

سياسة الاطفال (١)

وما يجره سوء تدبير الوالدات والمربيات

لقد انتشرت أصول تربية الاطفال بين أهل الطبقة الموسرة حتى انك قلما تجد اليوم نقصاً تؤاخذ عليه الوالدات والمربيات من حيث العناية بصحة الاطفال الجسدية . فقد أدركن على الاجمال فوائد الهواء النقي والرياضة وتنظيم الغذاء والنوم الى غير ذلك من التدابير التي تعد في هذا العصر من المبادىء الاولية . على انه في الغالب لا يزال النقص عظيماً فيما يخص العناية بصحة الاطفال العقلية أي في طرق معاملتهم وسياستهم . والخوف في كثير من الاحيان ليس من اهمال الطفل بل من القلق عليه والاهتمام الزائد به

ان الطفل شديد التأثر من كل ما يراه ويسمعه — بل ان حياته العقلية ليست الا مرآة تعكس ما يجري حوله . فلا ذاتية مستقلة له وانما ذاتيته تتكون من مجموع التأثيرات التي تؤثر في صفحة ذهنه البيضاء . فهو في حالة استهواء مستمر وقابلية مستديمة للانفعال . وطبيعي ان يكون أشد الناس تأثيراً فيه والدته ومربيته

وقلما تتفشى في العائلات البسيطة الحال التي لا تتمادى في العناية بالاطفال والقلق على صحتهم — كالعائلات الكبيرة والعائلات الفقيرة — ضروب الاختلال التي سنأتي على ذكرها في هذه المقالة . فالوالدون المعتدلون الذين لا يتطرفون في التيقظ على أولادهم يجدونهم في الغالب جريئين عاقلين متوازني القوى في حين ان الطفل الذي ينمو في وسط مشبع بالتخوف والاضطراب لا بد ان يستنشق هواء ذلك الجو السام فتتأصل فيه تلك الصفات التي يكتسبها من بيئته ويشب عليها . فقد ثبت ان « كل ما يخشى على الطفل منه يصيبه حتماً »

فاذا قيل امامه انه يأكل جيداً وينام جيداً وانه منتظم حركة الامعاء وانه لا يبكي متى وقع وانه لا يخاف الظلام أو الحيوانات الى غير ذلك فانه لا يخطر له قط أن يشك في انطباق هذه الاوصاف عليه . وما ذلك الا لشدة قابليته للاستهواء كما ذكرنا سابقاً . وبعكس ذلك اذا كان التأثير خلاف ما تقدم أي اذا سمع انه موصوف بالجبن والضعف وقلة

(١) اعتمدنا في جزء كبير من هذا البحث على مقالة منشورة في مجلة براكتيشنر Practitioner الطبية

النوم وغير ذلك فان تلك الصفات لا تلبث أن تتضح في خلقه . اذ ليس للطفل اختبارات شخصية ترشده الى المسلك الذي ينبغي له اتخاذه وانما سلوكه في الغالب نتيجة التأثيرات الواقعة عليه ممن حوله

وتثبيتاً لهذه الحقيقة العلمية نذكر هنا بعض ضروب الاختلال المشاهدة في كثيرين من الاطفال لنرى مبلغ توقفها على طريقة تربيتهم وكيف ان جهل الوالدة للطرق الملائمة تجعل الطفل عرضة لما نخشاه عليه

رفض الطعام

خذ مثلاً رفض الاولاد للطعام . فكثيراً ماتشكو الوالدات من قلة اكل أطفالهن . وتراهن في الغالب يرددن شكواهن أمام أولئك الاطفال ويجبرنهم على الطعام بل أنهن في بعض الاحيان يعاقبنهم اذا لم يأكلوا كثيراً . فمعاملة الوالدة على هذه الصورة تنبه الطفل الى انه لا يأكل بقدر ما يجب عليه . فتثبت هذه الفكرة في ذهنه ولا سيما اذا كان عصبي المزاج . زد على ذلك انه قد ثبت لدى علماء التربية ان في بعض الاطفال نوعاً من العناد يقصدون به اقلاق اهلهم عليهم وحملهم على الاهتمام بامرهم . فالعلاج الوحيد لهذه الحالة هو ان يعكس التأثير ويردد المربون ان الطفل لا يرفض شيئاً وان قابليته في تقدم مستمر وانه يأكل كثيراً وانه ينبغي منعه عن الطعام في بعض الاحيان . والجملة انه يجب الاحجام قطعياً عن الالحاح على الطفل أو ابداء أقل اهتمام لأمر طعامه

رفض النوم

نستطيع ان نقول مثل ذلك أيضاً فيما يخص النوم . فان الصعوبة في هذا الموضوع تنشأ في الغالب عن سوء سياسة الطفل وتنبيهه الى أمر نومه وتكرار هذا الكلام على مسامعه . ولا يخفى انه من الجهل حمل طفل متيقظ على النوم وحضه على ذلك بالالحاح والتشديد . بل ليس من يستطيع ان يجبر نفسه على النوم بقوة ارادته وحدها . ولذا يجب ان يترك الطفل وشأنه من هذا القبيل ولا يجبر على النوم والا فالارجح انه يزداد تنبهاً وقلقاً

الامساك

كذلك ينبغي ألا يلح على الطفل بوجوب التبرز (أي تفريغ الامعاء) كما تفعل بعض المربيات في العائلات الموسرة . فليترك الطفل وشأنه ولا ريب في ان النتيجة تكون حسنة ومرضية

تبليل الفراش

ونذكر أخيراً أمر التبويل في الفراش ولعل ذلك أهم ما يصاب به الاطفال من جراء

سوء تدبير والدائهم ومربياتهم . ففي هذا الموضوع أيضاً يجب السير على نفس الطريقة المتقدمة . الا أنه يجب علاوة عن ذلك ان يحسب حساب شعور الخجل في الطفل فان هذا الشعور ينمو تدريجياً فيه حتى يصبح خجلاً من نفسه ويرغب بكل قواه اصلاح أمره من هذا القبيل . بل ان تلك الفكرة تتضخم في ذهنه حتى تصير بمنزلة وسواس دائم . فاذا نام كانت هذه الفكرة المخيفة ملازمة لمخيلته حتى اذا ما طلع الصباح وجد فرشته مبللة ايضاً ! ولا ريب في ان السبب انما هو تسلط تلك الفكرة عليه بتأثير والدته أو مربيته وخوفه من حدوث ما حدث وخجله الشديد من عمله . وعلى هذه الصورة لا يلبث أن يضيع الطفل سلطته على نفسه وثقته بها

ولعلاج هذه الحالة السيئة يجب على الوالدة أن تعلم أولاً ان هذه العلة قلما تكون ذات اهمية وان معالجتها تقف عليها في المقام الاول . وهناك أدوية كثيرة تستعمل لملافاتها كما انه في بعض الاحيان تجرى عمليات جراحية لهذا الغرض . ولكن هذه الوسائل تساعد على تحسين الحال مساعدة وقتية فقط فانما العلاج الحقيقي هو « التأثير العقلي »

فعلى الوالدة ان تكف أولاً عن اهانة طفلها اذا بلل فراشه بل يجب أن تؤكد له ان هذا الامر طبيعي وان معظم الاطفال يحصل لهم ما حصل له . ومن أعقم الطرق التي تستخدمها بعض الوالدات في هذا الباب ايقاظهن الطفل مرتين أو ثلاث مرات أثناء نومه لكي يقضي حاجته . فان هذه الطريقة تؤدي الى عكس الغرض المطلوب تماماً لانها تحصر أفكار الطفل في حالته السيئة والاصوب تركه وشأنه وعدم الاكتراث لهذا الامر بالمرة

فعلى الوالدات ألا تظهرن اهتماماً لتبليل الفراش أو عدمه . وليس أضر مما يشاهد في بعض الاسر من التهكم على الطفل والاستهزاء به في هذا الشأن فان ذلك يؤدي الى اضطراب حاله جسدياً وعقلياً

اذا عنيت الوالدات والمربيات بتدبير الاطفال وسياستهم وعملن بالارشادات المذكورة في هذه المقالة فلا ريب انهن يقوّمن كثيراً من الاعوجاج في أطفالهن ويشفين معظم الاضطرابات التي تصيبهم من غير الالتجاء الى مساعدة الاطباء

الدكتور ميشيل سمعان

و٠٠٠ ٥٤٠٠٠ جراب و٠٠٠ ٢٣٧٤٤ كلسون و٠٠٠ ٤٨٣٦ رداء (بردبسي)
و٠٠٠ ٢١٧٥٠ زوج من الجزم و٠٠٠ ١١٠٨٨ قبعة

وقس على هذه الارقام ما لزم من القدر والملاعق والسكاكين وغير ذلك مما يطول بنا ذكره . ويقدر عدد الاصناف المختلفة اللازمة لتجهيز الجيش بنحو ٥٠٠٠٠ صنف

﴿ امراض الخيل في الحرب ﴾ لقد فتكت هذه الحرب بالخيل فتكا عظيماً . ولكن بما انه لا غنى للمتحاربين عن خدمها فما برحت الدول تبحث عنها في مواطنها وتقتنيها حتى اصبح عدد الخيل المستعملة اليوم مع الجيوش اكثر مما كان عند بدء الحرب مع الخسارة العظيمة التي منيت بها . ففي فرنسا مثلا يزيد الآن عدد الخيل عنه في اغسطس سنة ١٩١٤ بنحو ٣٠ في المئة . وقد حسبوا أن تعرض الخيل للموت في ساحات القتال يقدر بنحو خمسين في المئة . على ان الخيل التي تنجو لا تستطيع الخدمة مدة طويلة فانها لا تلبث أن تصاب بمرض عصبي يجعلها غير لائقة للخدمة وقد تفشى الاختلال العصبي - وسمه ان شئت نورستنيا أو ملنخوليا - بين الخيل تفشياً عظيماً . وسبب ذلك توافع التأثيرات المزعجة على سمعها وبصرها في ساحات القتال بصورة مستديمة . فترى الفرس التي لا خدش فيها ولا علة ظاهرة مضطربة عاجزة عن تأدية وظيفتها بانتظام . ولذا فالحكومة ترسل تلك الخيل الى مراع بعيدة لتستعيد قواها ونشاطها .

مطبوعات جديدة

نظراً لضيق المقام قد أجلنا الكلام عن بعض الكتب الى الجزء التالي

﴿ تاريخ الاتراك العثمانيين ﴾ هو من الكتب الجديرة بالعناية والدرس التي ظهرت في الاونة الاخيرة . نقله من الانكليزية الاستاذ حسين لبيب مدرس التاريخ بمدرسة القضاء الشرعي . وهو يقع في ثلاثة أجزاء كبيرة الحجم ويحتوي على تاريخ الاتراك منذ ابتداء دولتهم حتى الآن ونظمهم الاجتماعية وحكومتهم وآدابهم ولغتهم وبيان أحوالهم وعاداتهم ووصف استانبول والسراي السلطانية القديمة وما فيها من الحريم والوصائف والجواري والخصيان والتحف والذخائر الخ . كل ذلك باسلوب شيق متين . وهو يمتاز فضلا عن طلاوة عبارته بدقة البحث سواء في درس الموضوعات درساً وافياً او في تعليل الحوادث وتبيان أسبابها ونتائجها . ولا غرو فالمصادر التي استقى منها المؤلف موضوعه ورجع اليها هي من أمهات الكتب . وبالاجمال فهذا الكتاب يشهد بفضل معربه وطول باعه في النقل وحسن ذوقه في الاختيار . وحبذا لو اضيف اليه

من الخرائط والصور والفهارس المطولة ما يتم فائدته . ولعل ذلك لا يفوت ناقله في الطبعة الثانية

﴿ ديوان المصري. الجزء الثالث ﴾ صدر الجزء الثالث من ديوان عبد الحليم حلمي المصري مصدراً برسم صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد . وقد قدمه الشاعر بيده لعظمته يوم تشريفات عيد الميلاد فحاز قبولاً هو جدير به . ومقدمة الديوان تقتصر على هذه الكلمات : « هذا ثالث أجزاء ديواني (وأول شعري) سيقرأه أحد رجلين : رجل يقول أحسن فقل له ان عاش سيزيد ورجل يقول أساء فقل له ان عاش سيحسن والسلام » أما نحن فنقول « أحسن » ونتمنى ان يزيدنا المصري من شعره المتين الشفاف عن روحه . وقد نشرنا في غير هذا المكان أمثلة متفرقة مما جاء في الديوان وحسبنا أنها تقرظ نفسها وناظمها . وثمن النسخة ٢٠ قرشاً

﴿ ديوان الافنان ﴾ هو اسم الديوان السادس من دواوين عبد الرحمن شكري وهو يحاكي سابقيه في جمال المعنى والمبنى ويقر ناظمه في مكانه بين المتقدمين من أهل الناشئة الحديثة في الشعر والادب . وقد صدر هذا الديوان بفصل في ان الشعراء كماليون نقتطف منه القطعة التالية :

« ولو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها ولولا الشعر افتقد جمال الحياة . وكل حي شاعر بمقدار ما يحس الجمال في الاشياء والاخلاق والاعمال التي ينشدها . والعالم عالمان عالم الجمال وعالم القبح وكل منهما ممتزج باخيه منعدم فيه. والشاعر رسول الجمال يسعى في تحقيق عالمه وانما الخير ضرب من الجمال والشر ضرب من القبح والشاعر يعرف أن الشر محتوم ولكنه يعرف أن من الحتم أيضاً الطموح الى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً سواء أعرف أم لم يعرف وهو اذا نبذ عقيدة اقتران الجمال والخير انما ينبذها شوقاً اليها كما يهجر المحب عشيقته من هجرها اياه وانما الحياة أو الحق كالميزان لا يعتدل أعلاه الا اذا استوى جانباه ومن أجل ذلك صار الشاعر يعدل بطموحه وخياله وجمال شعره جانب الذين لا يعرفون فروض الشعر ومنزلته من الحياة كما يعدل كل نقيض نقيضه وهذا أساس الحياة »

﴿ كأس الحكمة ﴾ بقلم محمود رمزي نظيم محرر جريدة « الحال » وهو مجموعة قصائد ومقالات في مواضيع مختلفة تنم عن أدب كاتبها

﴿ حياة بائس ﴾ رواية أدبية غرامية وضعها توفيق مصطفى فهمي الطالب بالمدرسة الاعدادية الثانوية في قالب عربي صحيح ويستدل على موضوعها بالكلمات التي صدرت بها وهي : « ما كل من تراه باسم الثغر نابه الذكر باذخ العز وافر الثروة

سعيداً بل هناك بين قصور علت اكنافها وارتفعت أطرافها أناس قد ملأ البؤس صدورهم وأكل الشقاء قلوبهم فاصبحت الدنيا في أعينهم ككفة الحابل أو أخوص القطاة فوا رحمتاه لهم ووأسفاه عليهم » وهي تقع في اكثر من مئة صفحة وثمنها ٣ قروش

﴿ البول السكري ﴾ هو كتاب طبي لفائدة المصابين بالبول السكري تأليف الدكتور ميخائيل معلوف . وقد جمع فيه المؤلف كما عرف عن ذلك المرض وطرق علاجه بعبارة بسيطة يسهل فهمها على كل قارئ مما جعل ذلك الكتاب ضرورياً للمصابين بهذا المرض وهو كما قال المؤلف في مقدمته متفش كثيراً في القطر المصري . والكتاب مطبوع طبعاً جميلاً وثمنه ٨ قروش

﴿ جريدة فلسطين ﴾ جاءنا العدد الاول من هذه الجريدة التي صدرت حديثاً وهي النسخة العربية للجريدة التي يصدرها الجيش البريطاني في بلاد العدو المحتلة باسم Palestine News . وهي تصدر كل يوم خميس . وثمن النسخة قرش صاغ

﴿ مذكرة عن دار الكتب السلطانية ﴾ هي رسالة في ٨ صفحات تحوي معلومات مفيدة عن دار الكتب السلطانية طبعت لمناسبة تشريف عظمة مولانا السلطان فؤاد لها . وهاك بعض المعلومات التي وردت في تلك الرسالة:

(١) يوجد بدار الكتب ١٩٣٢ مجلداً من المخطوطات منها ١٨٩ مصحفاً ومن هذه المصاحف ٢٧ بخط كوفي على رق غزال

(٢) يوجد بين الكتب العربية ٧٥٤ كتاباً موقوفاً من المرحوم الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي مودعة باسمه بدار الكتب

(٣) ومن بين الكتب الشرقية أيضاً ٣٤٥٨ منها ٢٤٧٣ بالعربي و٦٥٠ بالتركي و٣٣٥ بالفارسي باسم المرحوم مصطفى فاضل باشا . وهذه الكتب الاخيرة اشتراها المغفور له اسماعيل باشا الخديو . وأهداها الى دار الكتب

(٤) يوجد من الصكوك المكتوبة على الجلد ٦ منها ٢ على جلد ضأن و٤ على رق غزال

(٥) ورد الى دار الكتب ١٨٦ من الكتب الخطية في سنة ١٩١٧ أهمها كتاب القانون المسعودي في الفلك لابي الريحان البيروني وتاريخ الاسلام للذهبي

(٦) طبعت دار الكتب على نفقتها منذ سنة ١٨٩٢ ثلاثة عشر كتاباً في خمسة وثلاثين مجلداً ولا يزال الطبع مستمراً الآن في كتاب صبح الاعشى الذي تم منه أحد عشر جزءاً

الجمهورية الاكرانية

وليدة الحرب الاوربية

في الساعة الثانية بعد منتصف الليل من يوم ٩ فبراير الماضي أمضيت أول معاهدة صلح لهذه الحرب . وقد كان ممضوها ممثلي الحكومة الالمانية من جهة وممثلي جمهورية الشعب الاكراني من الجهة الاخرى . وبامضاء تلك المعاهدة زادت الدول الاوربية دولة واستقلت أمة ظلت ٢٦٣ سنة خاضعة للحكم الروسي

على اننا لا نعرف الا القليل عن تلك الجهات بل ان العالم اجمع لم يتعرف بعد ذلك الشعب جيداً مع ان مساحة اكرانيا تزيد على ٨٥٠٠٠٠ كيلومتر مربع أي اكثر من مساحة فرنسا وسكانها يربون على ٣٠٠٠٠٠٠٠ نسمة . ولذا فقد رأينا أن نذكر كلمة وجيزة عن تلك الدولة المستجدة بين دول اوربا

من هم الاكرانيون ؟

الاكرانيون فرع من الجنس السلافي ولكي نوضح مكانتهم في تلك العائلة الكثيرة الاعضاء نقول :

السلافيون ثلاثة أقسام رئيسية :

سلافيو الغرب وهم البولونيون والتشيك والوند

وسلافيو الجنوب وهم السرب والبلغار والكرواسيون الخ

وسلافيو الشرق وهم الروس وينقسمون الى ثلاثة أقسام : الروس الكبار في الشمال والروس الصغار (وهم الاكرانيون) في الجنوب وبينهما الروس البيض

على ان في النمسا (في غاليسيا على الخصوص) اكثر من أربعة ملايين من الروس الصغار وهم يسمون هناك روثينيين (وكلمة روثيني تحريف لكلمة روسي) . كذلك في سيبيريا منهم بين المليون والمليونين . وما عدا ذلك فمعظم الاكرانيين يقطنون جنوبي روسيا حوالي نهر الدنيابر

وفي الخريطة المنشورة في صدر هذا الهلال بيان للجهات الاكرانية الصرفة والجهات التي يداخلها بعض العناصر المختلفة

والاكرانيون وان كانوا أقرباء الروس في الجنس فانهم يختلفون عنهم اختلافاً بيناً في العادات والحضارة وفي اللغة أيضاً . ولهم منزع استقلالي ما برح يتجلى منذ

دخولهم تحت سيطرة روسيا في القرن السابع عشر . فقد كانوا قبلا مستقلين في الواقع ان لم يكن في الاسم بل كانوا متعشقين لحريتهم واستقلالهم

تاريخ اكرانيا

كانت جهات اكرانيا (أي حوض نهر الدنيابر) في القرن السادس عشر قليلة السكان ومعظم قاطنيها من القوزاق

وقد كان نظام القوزاق الاصليين يشبه نظام الفروسية في غربي أوربا في القرون الوسطى . فمبادئهم كانت الطاعة والتدين والعفة والمساواة . ولم يعترفوا بسلطة عليا الا لمجلسهم العام وكان قائدهم الملقب « هتمان » ينتخب باغلبية الاصوات ويعزل من وظيفته اذا أخل بها . أما المجلس فكان يسمى « رادا » وفيه ممثلون لجميع الطبقات وكان يجتمع في أوقات معينة بل كان يجتمع في غير أوقاته المعينة اذا شاء فريق من الاعضاء عزل القائد أو توبيخه لاخلاله بواجبه

وان كان القوزاق في ذلك الحين تابعين اسماً لليثوانيا فقد كانوا في الحقيقة مستقلين وظلوا كذلك الى سنة ١٥٦٩ ففي تلك السنة انضمت ليثوانيا الى بولونيا ودخلت اكرانيا تحت الحكم البولوني . وقد رأت حكومة بولونيا ان تخضع الاكرانيين لسلطتها وتنظم أمورهم وأحوالهم . فقد كثرت القلاقل بين تلك القبائل التي كانت تعيش على البداوة معتمدة في رزقها على الغزو والسلب ، بل كثيراً ما سببت لبولونيا مشاكل دولية من جراء تحرشها باملاك خان القرم وسلطان تركيا

فلاصلاح تلك الحال طلبت الحكومة البولونية ان تسجل أسماء ٦٠٠٠ أسرة اكرانية كي تؤلف منها قوة مسلحة مستديمة تحت رئاسة قائد بولوني لحراسة الحدود وحمايتها من هجمات الاتراك وقررت ان تجعل سائر الاكرانيين بمنزلة الفلاحين البولونيين من جميع الوجوه

ولكن الاكرانيين لم يرضوا بهذا الحكم فالذين اختيروا منهم للحرب لم يقبلوا برئاسة أجنبي غريب عنهم والباقون احتجوا بكل شدة على جعلهم في مرتبة الفلاحين البولونيين وقد كانت حالتهم سيئة للغاية بل كانت أشبه شيء بالاسترقاق . فللتخلص من ذلك الحكم هاجر كثيرون منهم جنوباً متجهين نحو مصب النهر وأسسوا هناك حوالي سنة ١٥٩٠ مستعمرة حربية مستقلة سميت « ستش » لم يعترف اعضاؤها الا بسلطة الرؤساء الذين كانوا ينتخبونهم . وكانوا يعيشون من الصيد والغزو وكانوا دائماً على استعداد لمعاونة اخوانهم الخاضعين لبولونيا كلما قاموا يدافعون عن مصالحهم . وقد

ظل النزاع مستحكماً بين الفريقين نحو نصف قرن

ويقال بالاجمال أن الفوز كان في جانب البولونيين . حتى انه في سنة ١٦٣٨ لاح لهم أنهم قد استظهروا على اهل اكرانيا واستقر اصحاب الاملاك منهم على اراضيها وسعوا جهدهم بمساعدة اليسوعيين في استتباع الاكرانيين للكنيسة الكاثوليكية (والاكرانيون من الارثوذكس) . ولكن هؤلاء لم يلبثوا ان هبوا هبة واحدة بقيادة بطلهم الوطني بغدان شميلنيكي لما رأوا الخطر محدقاً بجيائهم ودينهم وحريتهم

ولكن البولونيين انتصروا في معظم المعارك فاضطر شميلنيكي أن يطلب مساعدة الاجانب فوجه مساعيه الى الاستانة اولاً ثم الى موسكو . فتردد القيصر الكسيس مدة علماً منه بان امداد الاكرانيين يؤدي الى محاربة البولونيين ولكنه بعد مشاورة مجلس وطني قرر اخيراً حماية اكرانيا وكان ذلك في اول سنة ١٦٥٤ وقد وافق مؤتمر القوزاق العام على تلك الحماية بشرط ألا يمس استقلالهم الداخلي . ثم ان الحرب وقعت فعلا بين الروس والبولونيين وقد نتج عن نجاح الروس ان مكنهم من توطيد سلطتهم على الاكرانيين

على أن القوزاق لم يلبثوا ان اظهروا كرههم للحكم الروسي كما اظهروا كرههم للحكم البولوني من قبل وبدت مقاومتهم لكل مشروع يمس حريتهم الداخلية . حتى أن بعض زعمائهم أخذوا يتباحثون في الاتفاق مع بولونيا بدلا من الاتفاق مع روسيا . فلما رأى القيصر ذلك منهم عقد اتفاق اندروسوفو مع بولونيا سنة ١٦٦٧ ومؤداه قسمة الجهة الواقع الخلاف عليها بين الفريقين بحيث يكون مجرى الدنيابر الاوسط حداً بين بولونيا وروسيا

ومن ذلك الحين اندغم تاريخ اكرانيا بتاريخ روسيا وفقد الاكرانيون بالتدريج ماكان لهم من حرية واستقلال

وقد كان فريق كبير من الاكرانيين قبل هذه الحرب يطالبون بالاستقلال الذاتي . وكثيراً ما جاهر بذلك ممثلوهم في مجلس الدوما وكان اعضاء الحزب الاكراني فيه ٤٤ عضواً في دور انعقاده الاول فاصبح ٦٠ في الدور الثاني . على ان الحكومة الروسية شرعت تحاربهم من ذلك الحين فلما انعقد مجلس الدوما في دوره الثالث لم يكن لهم ادنى اثر فيه

على أن روحهم الوطنية ظلت كامنة طول هذا الزمن حتى أتيح لها أن تتجلى فاستغنم الاكرانيون الفوضى الروسية الحاضرة واعلنوا استقلالهم وتم لهم ما حلموا به جيالا طويلة ...

علامَ تشيد عظمة الامم ؟[1]

او اسباب تقدمها وانحطاطها

تتفاوت الشعوب في احوال كثيرة من قوة وضعف ، وغنى وفقر ، وعلم وجهل ، ونشاط وخمول وغير ذلك . ولكن تلك الفروق جميعاً ترجع الى قسمين أساسين وهما :

الفروق المادية : كالتربة والجو والثروة الطبيعية على أنواعها من زراعة ومناجم ومعادن ونحو ذلك

والفروق المعنوية : كالآداب والاخلاق وما ينطوي تحت ذلك من السجايا والطبائع والعادات والقوى المعنوية المختلفة

وقد تضاربت آراء العلماء في نسبتهم رقي الامم الى احد هذين القسمين : ففريق قال بتفوق العوامل المادية والفريق الآخر قال بتفوق العوامل المعنوية . والغرض من هذه المحاضرة أن نبين ان عظمة الامم ولاسيما الامم الحديثة ، ونحن منها ، تتوقف بالاكثر على قوى افرادها المعنوية ، على أخلاقهم وطبائعهم ، على نشاطهم وقدرتهم على العمل والمثابرة فيه

***

لنتصور الانسان في مهد العمران لنرى كيف انتقل من حالته الحيوانية الى ما هو عليه اليوم من المدنية والارتقاء المادي والادبي لعلنا نكتشف سر هذا الانتقال العجيب

المشهد الاول ، زمانه قبل التاريخ . نرى الانسان في تلك الايام جاهلاً ضعيفاً معرضاً للطوارئ الطبيعية من صواعق وامطار وزلازل ، وللحيوانات المفترسة التي كان في عراك دائم معها لا يأمن على حياته منها بين حين وآخر بل بين ساعة وساعة . وكانت لوازمه تنحصر في الضروريات التي لاغنى عنها لكل حيوان : يأكل ما تمنحه أياه الطبيعة أو ما يسلبه من اعدائه وينام في المغاور والكهوف ، فراشه الارض وغطاؤه السماء . ومجمل القول أن انسان تلك الايام كان اقرب الى الحيوان منه الى الانسان فكان يولد ويموت من دون أن يترك اثراً

ولننتقل الآن الى المشهد الثاني ، الى الانسان اليوم ، الى مدينة من المدن . ماذا نرى ؟ نرى ذلك المخلوق الضعيف الذي كان يختبئ في الكهوف ويترصد للحيوانات في

---

(١) من محاضرة لمحرر هذه المجلة

الغابات ليقاتلها وتقاتله ، ذلك الانسان الذي لم يفرق شيء بينه وبين تلك الحيوانات في معيشته وطبائعه ، نراه اليوم سيد الارض ومالكها ، يستخدمها ويتصرف بما فيها من حيوان ونبات وجماد ـ كل ذلك وهو أمين على حياته لا يخشى الطوارئ الطبيعية ولا يعبأ بالحيوانات المفترسة

فكيف حصل هذا الانقلاب العجيب ؟ هل تغير محيط الانسان من تربة وماء وهواء ، أم انقلبت احواله على وجه الارض ؟ كلا فالمحيط هو هو والاحوال هي هي . وانما التغير نفسي داخلي . فانه ما دام الانسان على طبائعه الحيوانية فلا تقدم ولا سعادة بل حياته حياة سائر الحيوانات ، يعيش ثم ينقرض كالنملة والعصفور . ولكنه عند ما عدل عن الاستسلام لمحيطه والخوف من اعدائه وبدأ يشعر أن الاتحاد مع امثاله يزيده قوة وأن الارض تستحث الارادة والعزيمة والنشاط ، عند ما تطالبت نفسه حياة أعلى واسمى من حياته تلك ، عندئذ أخذ يصعد سلم الارتقاء البشري وهناك وضع الحجر الاول في هيكل التقدم الانساني

واذا كانت نظريتنا هذه صحيحة فلا بد أن يثبتها التاريخ فنلتفت اليه اذاً سائلين عن صحتها . وكأني اسمعه يجيب بلا تردد :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان همُ ذهبت اخلاقهم ذهبوا

أجل . ان التاريخ ينبئنا بنهوض الامم النشيطة التي حافظت على الآداب الصحيحة والاخلاق الراقية ويخبرنا بسقوط أعظم دول الارض حالما بدأ سوس الانحطاط الادبي ينخر في عظامها . والامثلة عديدة كلها تؤيد هذا القول . بل ان تاريخ نهوض الامم وانحطاطها انما هو تاريخ نهوض آدابها وانحطاطها . انظروا الى دول اليونان والرومان والعرب ، فقد بلغت اسمى الدرجات وارفع المكانات فاخضعت أمم الارض وامتد سلطانها من المشرقين الى المغربين . فبمَ تم لها ذلك ؟ لم يتم الا بفضل نشاط أهلها وسجاياهم الحميدة . فقد كانت تلك الامم ايام نهضتها مثال العفة والصلاح والهمة والاجتهاد . ولكن أتى يوم لكل منها استسلم فيه الناس لشهواتهم واهملوا واجباتهم ونبذوا الآداب والاخلاق الصحيحة وانصرفوا الى التلذذ بالامور الدنيوية فاخذت دولتهم تضعف وتهرم شيئاً فشيئاً الى أن سقطت وكان سقوطها عظيماً

انظروا الى دولة الرومان واعتبروا الشأو الذي بلغته من المجد والقوة . فانها لم تدع أمة لم تخضعها أو بلداً لم تمتلكها . انظروا الى تلك الامة العظيمة ، أمة القياصرة الجبارين ، كيف تأسست في قرية حقيرة وأخذت تمتد سلطتها شيئاً فشيئاً الى ان أحاطت بالعالم كله ، وكيف بعد ان بلغت أعلى درجات الارتقاء أخذت في الانحطاط الى ان أخضعها

برابرة الشمال . رومية قلب العالم تتغلب عليها أمة خشنة ليست من المدنية في شيء ! ان هذا الامر يدعو الى التأمل . ماذا أصابها حتى سقطت تلك السقطة الهائلة ؟ هل تغيرت أحوالها الطبيعية ؟ هل تسمم هواؤها أم جفت مياهها أم زلزلت الارض زلزالها ؟ كلا ان أرضها وماءها وهواءها لم تتغير في شيء وانما التغير كان في نفوس الرومانيين ، في آدابهم ، في أخلاقهم ، في علاقاتهم الاجتماعية ، اذ ساد الفساد ونبذت الآداب وانغمس الناس في شهواتهم فضعفت الحكومة ثم سقطت . فانما الحكومة مرآة تعكس حالة الشعب فان كان قوياً قويت وان ضعيفاً ضعفت . وكما تكونوا يولى عليكم

ويمكننا ان نقيس على تاريخ رومية تاريخ سائر الامم . ولكن ما لنا وللماضي . لننظر الى يومنا هذا فانه يكفينا مؤونة البحث في التاريخ . لنقابل بين بلاد الانكليز وما بين النهرين مثلاً . شتان بين الاحوال الطبيعية في القطرين . هذه أرض خصبة يخالها المرء خلقت لتكون جنة وتلك قليلة الخصب كثيرة الوعور . فمن أين اذن ذلك البون الشاسع من حيث درجة ارتقائهما ؟ السبب كل السبب ليس الا التفاوت في الاخلاق والآداب والحالة الاجتماعية

ما الذي صعد ببلاد اليابان في السنين الاخيرة حتى صارت في مصاف الامم الكبرى ؟ لم يحدث ثمت تغير في حالة تلك الجزر من أرض وطقس وهواء وماء . ولكن هناك تغيراً أهم من كل ذلك أعني تغير نفوس اليابانيين وتطور أخلاقهم

* * *

ان لكل عصر ولكل مدنية صفات هي عنوان العظمة فيه . فعظمة الشعوب السالفة لم تقم على نفس الاسس التي قامت عليها عظمة الشعوب الحديثة . فقد كان التفوق العقلي والفني في مقدمة عوامل العظمة . أما اليوم فالعظمة انما تقف على الصبر والتيقظ والمثابرة والدقة والتضامن والنظام وغيرها من الصفات التي لم يكن لها المقام الاول فيما مضى

ولعل الفرق الاكبر بين الشعوب الماضية والشعوب الحديثة في هذا الباب هو ان عظمة الاولى كانت تقف على عظمة الحكام في حين ان عظمة الثانية تقف على عظمة المحكومين . كان تاريخ الشعب تاريخ حكامه ومجده مجد ملوكه وأمرائه . أما اليوم فالشعب هو خالق تاريخه وهو وحده يصطنع مجده وعظمته

قال سميلز « تقدم الامم هو مجموع جهد الافراد ونشاطهم واستقامتهم كما ان تقهقرها هو مجموع كسلهم وفسادهم وأنانيتهم »

وقال آخر « تشيد عظمة الامة على نفس الصفات التي تشيد عليها عظمة الافراد »

* * *

للدول آجال كما للافراد . فانها تمر في أدوار تقابل أدوار الحياة من طفولة وشباب وكهولة وهرم . ولها في كل من هـذه الادوار أطماع ومطامح تختلف عنها في غيره . قال باكون « في شباب الامم تحيا الفنون الحربية ، وفي كهولتها العلم ، وفي شيخوختها التجارة والصناعة »

وقد بحث العلماء كثيراً في أسباب تقهقر الامم وانحلالها لعلهم يكتشفون علاجات يمدون بها أجلها المحتوم . فنسبوا هرم الشعوب الى أسباب مختلفة لا يسمح لنا المجال في تفصيلها وانما نقول اجمالاً انها ترجع الى خمسة انواع رئيسية . فمنها :

أسباب جنسية وقومية : كتمازج الاجناس واختلاط الشعوب الراقية بالمنحطة

ومنها أسباب حيوية فسيولوجية : كضعف الوراثة وتناسل الامراض والعاهات

ومنها أسباب اقتصادية : كنضوب موارد الثروة الطبيعيـة والتخلف في مضمار المنافسة التجارية

ومنها أسباب نفسية : كضعف النفوس واستيلاء الخمول عليها والقعود عن العمل وخوف المسؤولية وكثرة التردد

ومنها أسباب اجتماعية : كاضمحلال الروابط التي تربط الافراد فيما بينهم وتزعزع النظامات التي هي أركان الاجتماع

أما أنا فأرى ان الاسباب النفسية والاجتماعية أوجه من سواها فانما يقوم الشعب في الحقيقة بالروابط النفسية التي تربط الافراد وتؤلف بينهم فتجعلهم جسماً واحداً متماسك الاجزاء فلا يتنزلون عن وحدتهم هذه ولا يهنأ لهم عيش بدونها

* * *

اقتصرنا فيما تقدم على بيان قيمة الاخلاق ولكننا لم نوضح مرادنا بهذه الكلمة . فما هي السجايا التي نريدها ؟

نذكر أولاً الارادة والثبات والاعتماد على النفس . فان مقام المرء في الحياة ليس موقوفاً على ما يعرفه بل على ما يريده وما يعمله . وقد قيل ان الشخصيات الضعيفة تخضع للحوادث في حين ان الشخصيات القوية تخضعها وتذللها . وليس التقدم الا مواصلة الجهد كما أن التقهقر مرادف للقعود

ونذكر منها أيضاً المقدرة على التكيف وفقاً لمقتضيات الحال . فان التكيف شرط أساسي للاحياء . فاما ان تتكيف وفقاً للزمان والمكان وأما أن تنحل . والشعب يهرم متى عجز عن التكيف وفقاً لمقتضيات الاحوال المستجدة فيتخلف عن غيره من الشعوب التي عرفت أن تطبق نفسها على تلك الاحوال

ومنها الآداب الاجتماعية أي آداب السلوك والمعاملة . « فليس ما يحمي الامة غير رجالها . وما من حصن للمدن والبلاد أقوى من أخلاق أهلها وفضائلهم» . ونذكر في هذا المقام على الخصوص الحياة البيتية home life فقد قال أحد الفلاسفة « ان الدولة لا تسقط طالما لم تتلاش فيها الحياة البيتية الصالحة »

ومما يذهب عن بال الكثيرين ان الاستقامة ليست جميلة فقط بحد ذاتها بل هي مفيدة أي أنها في مصلحة من يمارسها ، حتى في التجارة بل حتى في السياسة أيضاً

ويجب ألا يبرح من الذهن لحظة واحدة أن سلوك المرء موقوف على خلقه اكثر مما على ذكائه . فينبغي أن تعنى التربية بتقويم الخلق في المقام الاول

ومن الصفات التي لها شأن عظيم في حياة الشعوب الحديثة حب النظام والتعاون والتضامن والصبر واليقظة . ولا حاجة بنا الى الافاضة في كل هذه الصفات فانها تلخص جميعاً بقولنا صحة الخلق ومتانته

* * *

لا حياة للامم بدون الاخلاق . اذ لابد من تسلط قوية الاخلاق منها على ضعيفتها . وكلما صعد الانسان سلم العمران زادت لديه قيمة الاخلاق . فان انسان المستقبل هو النشيط القوي ذو الارادة الصارمة والمبادئ الصحيحة . فقد انقضى زمن كانت السلطة فيه للقوة الجسدية ، وذهب كذلك الزمن الذي كانت السلطة فيه للقوة العقلية ، واتت دول الاخلاق والمبادئ ، دول الرجال الاعفاء الجدين النشيطين العاملين . فكما أن الانسان أعظم ما في العالم كذلك أعظم ما في الانسان الاخلاق الراقية

لا فائدة من بحث كهذا ما لم نستخلص منه درساً لنا ولامتنا : اننا مع سائر العالم على وشك الدخول في عهد انقلابات وتطورات عظيمة الشأن . فاذا شئنا أن نرفع أنفسنا الى مصاف الامم الحية الراقية لم يتسنَّ لنا ذلك الا «بالرجال» . ولا أريد بالرجل ذلك الحيوان المنتصب على قدميه ، بل أعني رجل المبدأ ، رجل الاخلاص لنفسه ولامته

ان حاجتنا لعظيمة الى الاطباء والمهندسين والمزارعين والتجار والصناع وغيرهم ولكن حاجتنا العظمى التي ليس فوقها حاجة انما هي الى « رجال » قبل كل شيء . فقبل أن يكون احدنا رجل مهنة مخصوصة ينبغي أن يكون « رجلاً » في المقام الاول

أجل ان حاجتنا لماسة الى رجال أقوياء ، الى رجال لا يخشون في الحق لومة لائم ولا ترجعهم عنه قوات الارض ، الى رجال ينبذون الاغراض الذاتية والتعصبات الذميمة وينصرفون الى العمل بنشاط واخلاص . بمثل أولئك يعلو شأن أمتنا وبمثل أولئك تحيي وتنتعش وتتقدم

نفقات الحرب

الى ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٧

أصدر أحد مصارف نيويورك الشهيرة رسالة عن نفقات الحرب قدر فيها ما تكبدته الدول المتحاربة منذ شهر أغسطس سنة ١٩١٤ لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٧ بنحو ٢٤٣٥٠ مليون جنيه . وقدرت النفقات الاسبوعية في سنة ١٩١٧ بنحو ٢٠٠ مليون جنيه . وقد حسبوا أن الانكليزي يلحقه من النفقة اجمالا اكثر من سائر المحاربين . واليك جدولاً يبين نفقات كل من الدول المتحاربة في سنة ١٩١٤ (من اغسطس الى ديسمبر) وسنوات ١٩١٥ و١٩١٦ و١٩١٧ . وهي مقدرة بملايين الدولارات (والدولار الاميركي يعادل الريال المصري)

الدول المتحاربة	١٩١٤	١٩١٥	١٩١٦	١٩١٧	المجموع
الولايات المتحدة				٦٧٠٠	٦٧٠٠
انجلترا	٩٠٠	٥٢٥٠	٧٦٠٠	١٢٥٠٠	٢٦٢٥٠
فرنسا	١٦٠٠	٤٦٠٠	٦٦٠٠	٦٨٠٠	١٩٦٠٠
روسيا	١٣٠٠	٤٤٠٠	٥٦٠٠	٦٤٠٠	١٧٧٠٠
ايطاليا		٦٥٠	٢٣٠٠	٢٩٠٠	٥٨٥٠
بلجيكا وسربيا ورومانيا والبرتغال	٦٠٠	١٥٠٠	١٦٥٠	١٧٥٠	٥٥٠٠
الحلفاء	٤٤٠٠	١٦٤٠٠	٢٣٧٥٠	٣٧٠٥٠	٨١٦٠٠
المانيا	٢٢٠٠	٥٤٠٠	٦٨٠٠	٩٣٥٠	٢٣٧٥٠
النمسا وتركيا وبلغاريا	١٣٠٠	٤٤٠٠	٥١٠٠	٥٦٠٠	١٦٤٠٠
الدول الوسطى	٣٥٠٠	٩٨٠٠	١١٩٠٠	١٤٩٥٠	٤٠١٥٠
الدول المتحاربة كلها	٧٩٠٠	٢٦٢٠٠	٣٥٦٥٠	٥٢٠٠٠	١٢١٧٥٠

نفقات الدول المتحاربة مقدرة بملايين الريالات

فتكون نفقات الحرب اليومية على هذا التقدير ٥٢ ٧٠٠ ٠٠٠ ريال في سنة ١٩١٤ و٧١ ٨٠٠ ٠٠٠ ريال في سنة ١٩١٥ و٩٧ ٧٠٠ ٠٠٠ ريال في سنة ١٩١٦ و١٤٢ ٠٠٠ ٠٠٠ ريال في سنة ١٩١٧

هذا ما انفقته الحكومات من المال بقطع النظر عن ضروب الخسارة المختلفة التي تحدثها الحرب من فقد الايادي العاملة وغرق السفن وتدمير المدن مما لا يمكن حصره ومما هو في الحقيقة اضعاف تلك النفقات المالية المحضة

فيرى القارئ مما تقدم ان هـذه الحرب قد فاقت كل ما تقدمها من الحروب ففي الشهر الواحد يتكبد العالم من النفقات ضعفي ما كلفته الحرب الروسية اليابانية التي دامت ١٨ شهراً وفي الاسبوع الواحد يتكبد قـدر ما كلفت حرب الترنسفال كلها وفي ثلاثة اسابيع يتكبد نفقات حرب سـنة ١٨٧٠ التي وقعت بين فرنسا والمانيا من أولها الى آخرها . بل ان جميع الحروب التي نشبت بين الامم منذ أقدم ازمنـة التاريخ الى سنة ١٩١٤ لم تكلف الاجيال الغابرة ما كلفته هـذه الحرب . ثم ان مجموع نفقات الحروب الست العظمى التي حدثت في خلال المئة والخمس والعشرين سنة الماضية يقدر بنحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٥٠٠ ٢١ ريال وهذا المبلغ يستهلك في بضعة اشهر من الحرب الحاضرة

فقد كلفت الحروب النابوليونية كلها	(١٧٩٣ـ١٨١٥)	٠٠٠ ٠٠٠ ٦٢٥٠	ريال
وكلفت حرب القرم	(١٨٥٣ـ١٨٥٦)	٠٠٠ ٠٠٠ ١٧٠٠	«
« الحرب الاهلية الاميركية	(١٨٦١ـ١٨٦٥)	٠٠٠ ٠٠٠ ٨٠٠٠	«
« الحرب البروسية ـ الفرنسية	(١٨٧٠ـ١٨٧١)	٠٠٠ ٠٠٠ ٣٥٠٠	«
« حرب افريقيا الجنوبية	(١٩٠٠ـ١٩٠٢)	٠٠٠ ٠٠٠ ١٢٥٠	«
« الحرب الروسية اليابانية	(١٩٠٤ـ١٩٠٥)	٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥٠٠	«
أما الحرب الحاضرة فقد كلفت الى آخر ديسمبر الماضي		٠٠٠ ٠٠٠ ٧٥٠ ١٢١	«

وقد حسبوا انها في اغسطس القادم أي عند ختام سنتها الرابعة تكون قد كلفت نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٠٠ ١٥٥ ريال

ونفقات هذه الحرب الى ديسمبر الماضي تعادل ثلاثة اضعاف مجموع الديون الاهلية كما كانت قبل نشوب الحرب واربعة اضعاف مجموع المخزون من الاموال في مصارف اميركا وهي اغنى بلاد العالم

أما ما اقرضـته الدول العظمى لحلفائهـا الصغار فقـد أقرضت انكلترا نحو ٥٠٠٠ مليون ريال والولايات المتحدة ٣٠٠٠ مليون ريال والمانيـا ٢٥٠٠ مليون ريال وفرنسا ٨٠٠ مليون ريال

وانكلترا أكثر الدول بذلاً للاموال في سبيل الحرب فان معـدل نفقاتها اليومية يقدر الان بنحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٥ ريال تليها الولايات المتحدة التي أصبح معدل نفقاتها اليومية ٠٠٠ ٤٠٠ ٢٩ ريال ثم المانيا ومعدلها ٠٠٠ ٢٠٠ ٢٧ ريال ثم فرنسا ومعدلها ٠٠٠ ٢٠٠ ٢٠ ريال . على اننا اذا اعتبرنا علاوة على النفقات الحربية المحضة الديون التي تقرضها الدول العظمى لحلفائها كان لاميركا المقام الاول فان مجموع نفقاتها اليومية بما فيها القروض يبلغ ٠٠٠ ٣٦٠ ٤٠ ريال تليها انكلترا ومجموع نفقاتها اليومية

٠٠٠ ٠٠٠ ٣٩ ثم المانيا ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٠ ريال ثم فرنسا ٠٠٠ ٠٠٠ ٢١

ويستنتج مما تقدم ان الامم تنفق على الجندي الواحد في سبيل اكله ولبسه وذخيرته ونقله وغير ذلك ٣ ريالات في اليوم

ونفقات الحلفاء تربو على نفقات الدول الوسطى باكثر من نسبة ٢ الى ١ وهذا الفرق الكبير عائد الى ان للحلفاء أساطيل حربية وتجارية تمخر البحار ناقلة الجنود والمهام والذخائر مما يستدعي نفقات باهظة ثم ان أجور الجنود عند الحلفاء عموماً تفوق أجور الجنود في الدول الوسطى

واذا بحثنا فيما يلحق الفرد الواحد من رعايا الدول المتحاربة من مجموع ما تنفقه في سبيل الحرب وقابلنا ذلك بدخله وجدنا انه بالرغم من ان نفقات الحلفاء تربو على ضعفي نفقات الدول الوسطى فان رعايا الحلفاء أيسر حالاً على وجه عام اذ يلحق الفرد الواحد من رعايا الحلفاء ٥٤ مليماً في اليوم ودخله ٩٦ مليماً بينما يلحق الفرد الواحد من رعايا الدول الوسطى ٦٢ مليماً في اليوم في حين ان دخله ٧٨ مليماً

ذكرى الياسمينية (١)

الى صديقي الدكتور سامي لطف الله

اناجي الياسمين بما اقاسي	فيسمعني ويرثي لي الصموتُ
يزور سرير اوجاعي فتهفو	الى لقياه من طربي النعوتُ
فيا اهلاً ويا سهلاً بضيفٍ	محافله الجوانح لا البيوتُ
أبثّ له الصبابة والتصافي	فيصعد منه لي أرجٌ ثبوتُ
أقبله فماً لفم طويلاً	فيُنعشني وفوق فمي يموتُ
ويا لله من سكري بعطرٍ	وأرواحٍ بها روحي اقوتُ
فلو كُلفتُ ان اقضي حياتي	وليس سواه من إلفٍ رضيتُ
ألا يا اسرتي ان مت يوماً	ضعوه في الضريح معي يبيتُ
ولا يُرعْكم ان شاع امري	و«صبّ الياسمين» غداً دعيتُ
الا ثم اجعلوا ليَ منه ظلاً	علي قبر يحيط به السكوتُ
اذا هزَّتهُ ريح مالَ نحوي	كأني للعناق اليه حيتُ
هنالك في اعتزال الى الموت ابقى	انيس الياسمين كما حييتُ

Le Cannet في ايلول سنة ١٩١٧ — جورج الكندرجي

(١) هي قصيدة للناظم في الياسمين نشرت في العام الماضي في جريدة المستقبل الباريسية

رأي تولستوي

في الاجتماع والدين

على ذكر الانقلاب الروسي

لا اخال من يقرأ مؤلف تولستوي في شرور المجتمع وادوائها الا متمثلاً تولستوي امام الثورة الروسية الحالية التي مزقت أوصال تلك الامة العظيمة كل ممزق بمثال جان جاك روسو ازاء الثورة الفرنسية

يذهب تولستوي في مؤلفه هذا الى ان الشر كل الشر الاجتماعي في الملك الفردي الذي اقامته الحكومات بالقوة وما زالت تدعمه بالقوة . فتولستوي يشكو من الهيئات الحاكمة التي تحكم الافراد جبراً فتساعد الاقوياء على سحق الضعفاء . على انه لا يرى محاربة الشر بالشر ومقاومة الحكومات بالقوة ولا يرجو نفعاً من الثورات ولا يجد الفوضوية ولا يجد في الاشتراكية ذاتها على انواعها دواء ناجعاً للانسانية المتألمة . والواسطة الوحيدة لاصلاح المجتمع في اعتقاده هي ان يعيش الناس بالمحبة أي ان تصلح الافكار والقلوب حتى يمتنع الاقوياء من تلقاء انفسهم عن طلب التبسط في العيش على حساب الضعفاء واليك صورة رمزية صور فيها تولستوي مجتمعنا الحاضر ونظام الملك الفردي سائد فيه قال :

« رأيت كل الجنس البشري كقطيع من الماشية فيه ثيران وبقر وعجول والكل داخل حظيرة يحيطها سياج من اسلاك الحديد وخارج الحظيرة مرعى جميل الخضرة كثير الخصب وأما في الداخل فالكلاء قليل لا يكفي القطيع فكانت المواشي تتناطح بقرونها ويدوس بعضها بعضاً سعياً للحصول على القليل من الكلاء . ورأيت صاحب القطيع فاذا هو رجل حسن الخُلُق محب الخير فلما وقع نظره على حالة المواشي هذه تأثر وفكر فيما عساه ان يعمل لتحسين شأنها فشاد لها سقائف عالية العماد لا ينفك الهواء يتجدد فيها وانشأ لها فيها مصارف للمياه وشدّ الى اطراف قرونها اربطة لكي لا يؤذي بعضها بعضاً وهي تتناطح تنازعاً للبقاء وفتح جانباً في الحظيرة وخصصه للعجزة من الثيران والابقار حتى يتسنى لها في اواخر حياتها أن تأمن على الكلاء من غير اقتتال ولما كانت العجول آخذة في الفناء تموت جوعاً ولا تبلغ اشدها لتصلح للخدمة امر ان يؤتى لها جميعاً في كل صباح بقدر من حليب اللبن لم يكن يشبع ولا واحداً منها لكنه كان يحفظ الرمق لها جميعاً وفي الواقع لم يهمل صاحب القطيع شيئاً مما يحسن

حال مواشيه في ظنه . ولما سألته لماذا لم يقدم على الامر الوحيد المفيد حقيقة وهو تحطيم السياج وترك المواشي تخرج من الحظيرة أجابني : اني اذا فعلت ذلك لا يعود في امكاني ان أحلبها »

ان أظهر خلق في تولستوي الاخلاص فهو يكرس كل قواه لأي أمر يشرع فيه ولا يألو جهداً في تنفيذ مايذهب اليه ولذلك انفصل عن الكنيسة وترك تعاليمها لانه عزى اليها التمسك في المعتقدات والتسليم بالشرور الاجتماعية والسياسية بمجاراتها الحكومات فيها وتعلق بتعاليم المسيح الاصلية التي تحصر في قوله « أحب الله فوق كل شيء وأحب قريبك كنفسك » ووقف عبقريته على نشر هذه التعاليم والتحبيب فيها ووزع أملاكه الواسعة على الفلاحين الروس عملاً بها فكانت حياته محبة واحساناً وتضحية فاكسبه ذلك لقب المسيحي العظيم بالرغم من حرمانه من الكنيسة الارثوذكسية

أما مذهبه الديني فيلخص نقلاً عن مؤلفه المذكور قبل فيما يأتي قال :

« ان الشر الذي يتألم منه الناس ناتج من ان السواد الاعظم منا يعيش خلواً من الامر الوحيد الذي يهدي أعمالنا الى صراط مستقيم ألا وهو الدين . ولكني لست أعني ذلك الدين القائم على الايمان بمعتقدات معينة أو على اتمام طقوس تجلب بها لانفسنا لهواً ساراً أو تعزية أو منبهاً . بل ذلك الدين الذي يقيم رابطة الانسان بالخالق فيعطي كل أعمالنا البشرية متجهاً عاماً أسمى . ذلك الدين الذي بدونه نقف في مستوى الحيوانات أو أدنى

ان هذا الشر الذي يؤدي بالناس الى تهلكة لا مفر منها ظهر بقوة خاصة في وقتنا الحاضر لاننا أضعنا كل رشد في الحياة ووجهنا كل مجهوداتنا للاكتشافات والتحسينات وخصوصاً في دائرة المعارف الفنية فأنمى ذلك فينا سلطة هائلة على قوى الطبيعة ولكن لما لم نكن على هدى في تصرفاتنا فقد استعملنا هذه السلطة في ارضاء أسفل أميالنا واكثرها حيوانية وفي تمزيق بعضنا بعضاً

ليس للانسان خيار الا بين أحد أمرين فاما ان يكون رقيقاً من أحقر وأدنا الارقاء واما ان يكون خادماً لله ومريداً ما يريده الله . ان الناس اذا تجردوا من الدين اما بتركهم اياه أو باعتبارهم ان الدين قائم بتلك الرسوم الظاهرية الشنيعة التي تغلبت على الدين وحلت محله ثم انقادوا بشهواتهم الشخصية فقط والخوف والشرائع البشرية وتأثير بعضهم في بعض لظلوا حيوانات أو أرقاء ولا يتسنى لهم التخلص من هذه الحالة مهما بذلوا من المجهودات الخارجية لان الدين وحده يجعل الانسان حراً

ان الشقاء الذي أصاب العالم المسيحي ناجم من ان الناس أضاعوا الدين في الحالة الحاضرة فان فريقاً وقد تجسم له الخلاف بين الدين الممارس ودرجة الرقي الفكري والعلمي في عصرنا الحاضر قرر ان لا ضرورة على العموم للدين أياً كان فتراهم يعيشون من غير دين ويعلمون أن الدين على الاطلاق لا يرجى منه نفع . وترى غيرهم يتمسكون بذلك الشكل المشوه للدين المسيحي السائد الآن ويعيشون أيضاً من غير دين مجاهرين بتلك الرسوم الظاهرية الفارغة التي لا قبل لها بهدى الناس . ومع ذلك فالدين الذي يوافق مطالبنا العصرية موجود ومعروف لكل الناس وهومستقر في العالم المسيحي كامناً في قلوب الناس . فلكي يظهر هذا الدين باجلى وضوح لجميع الناس ويتقيدوا به تقضي الضرورة أن يفهم الافراد المهذبين قادة الجموع ان الدين ضروري للانسان وان بدونه لا يتيسر للناس ان يعيشوا عيشة حسنة وان ما يسمونه علماً لا يمكنه ان يعيضهم من الدين وان يفهم أولئك الذين بما لهم من السلطة يعضدون تلك المظاهر الدينية القديمة الفارغة ان ما يعضدونه ويعلمونه تحت شكل الدين ليس هو الدين بل هو أعظم عائق في سبيل التدين بالدين الحقيقي الذي نعرفه جميعاً وبه وحده نتمكن من النجاة من بلايانا

أجل ليفهم أولئك الذين ، بعلم منهم أو بغير علم ، يعلمون اعتقادات باطلة سمجة بدلاً من الدين ان كل تلك المعتقدات والاسرار والطقوس التي يعلمونها ويقيمونها ليست عديمة الضرر كما يتصورون بل هي بمنتهى الاساءة لانها تحجب عن الناس تلك الحقيقة الدينية الاساسية المعبرعنها باتمام ارادة الله أي بخدمة الناس والاحسان اليهم . ليفهم أولئك ان تلك القاعدة القائلة بان تعامل الناس كما تريد ان يعاملوك ليست من وصايا الدين المسيحي بل هي كل الدين في الواقع

فلو فهم رجال العلم والزاعمون أنهم مسيحيون ، لو فهم الفريقان وعلموا الناشئة والعامة الجاهلة هذه الحقائق البسيطة الواضحة الضرورية كما يعلمون الان نظرياتهم المعقدة المشوشة الغير الضرورية لفهم جميع الناس على السواء معنى الحياة واعترفوا بواجبات واحدة ناتجة من هذا المعنى »

بولس مصوبع

ما صنعت الحرب بي

معربة عن الانكليزية

عثرت فيما اقرأ على رسالة بعث بها رجل لا يجهل اسمه قراء الانكليزية كافة ورواد بريطانيا العظمى منهم خاصة الى احدى مجلات لندن الشهرية فعربتها لقراء الهلال لا متوخياً في ذلك سبيل الكتاب في هذا البلد عادة من قصر الكتابة والنقل على ما يمكن ان تكون به ثمة فائدة عمومية لكن لما راعني فيها من وصف النفس البشرية وقد باتت فريسة الاحزان تعمل بها الافاعيل

ولقد حرصت جهدي ان انقل الرسالة الى العربية نقل الصادق الامين فان ضاقت بعض التراكيب فروق اللسانين فما أحسب ان أفات من المعنى شيء

وقبل ان ابدأ بالرسالة أرى ان اقدم الكاتب الى الذين يجهلونه من اهل هذا اللسان العربي المبين . هو هري لودر الممثل الهزلي الشهير باعث السرور في صدور الملايين ومحيي موات النفوس المتعبة. قال فيه عاملان ذيف الصحفي المعروف انه مما تعده الامة الانكليزية من وسائل الظفر في حربها هذه فاذا أثخنت بصرعى الحرب جراحهم وامعنت بهم آلامهم اداروا فيما بينهم اسطواناته فيخرج الرجل عليهم بصوته ونكاته غائصاً على مكامن الاحزان من نفوسهم فيبددها وما ان يغادرهم الا وقد استبدلهم من دنياهم التي سئموها دنيا أخرى — حلوة عذبة لو انها تدوم

وهو على كل ذلك صنع يديه ككل نابغ في هـذا العالم بدأ حياته عاملا فقيراً في احد مناجم الفحم ثم ما لبث ان نما به اقتداره وحضور ذهنه وعذوبة صوته الى أن صار محبباً الى كل قلب واستطاع في الثلاثين عاماً التي ظل فيها يغني الناس ويضحكهم ان يكسب لنفسه المزيد مما تشرئب اليه النفوس عادة من مال وجاه غير انه لم يعقب الا ولداً واحداً فكان بديهياً ان يبني عليه الرجل كل آماله في هذه الحياة . فلما ان شب الولد أودت به هذه الحرب فكتب أبوه في موته يقول : [المعرب]

ما صنعت الحرب بي

لقد أنتقلت في السنتين الماضيتين من حالة الابوة المغبوط صاحبها الى وحدة الرجل وقد رزئ في ابنه وكان كل ما رأيته وكل ما سمعته وكل ما ابتليت باحتماله في خلال هذه المدة أشد مما يقوى عليه جلد مخلوق . لذلك ما يرتابني شك في انه لولا فزعي الى الله وقوة يقيني في أن ستعقب هذه الحياة الفانية حياة أخرى خالدة أقول لولا ذلك الفزع وذلك اليقين لما امتدت بي ايامي الى الآن بل لاسلمتني احزاني الى ظلمة القبر من زمان بعيد

من يعلم اني ظللت خمساً وثلاثين عاماً أمام اعين الجمهور قد يحسب اني قد عمرت. على اني لم أتجاوز بعد السابعة والاربعين . في مثل هـذه السن يشعر الرجل كأنما هو قادمٌ على استكمال قواه كأنما قيض له لاول مرة أن يستخدم تجاريبه وخبرته في أن

يفتح لنفسه في هذه الحياة ابواباً جديدة . على ان سنّة الوجود جرت بأن لا يأتي الانسان بالاثر ذي القيمة في هذه الحياة ما لم يكن له في ذلك دافع

والسبب في انني اليوم أرى المستقبل امامي مظلماً اجوف لا غرض لي فيه اني فقدت دافعي ذاك فكأنما حين صرع الالمان ابني في ديسمبر عام ١٩١٥ كأنما هم حين فعلوا ذاك قضوا على آمالي قضاء مبرماً واطفأوا في صدري ما كان متأججاً فيه من أمنية ورجاء اذ ما كنت اشتغل واطوي آلاف الاميال في اسفاري حول الارض لا وانياً يوماً ولا تعباً الا من أجل ابني — من أجل دجون

كان عليّ أعز من الدنيا وما فيها . من يوم ان ولدته أمه الى يوم ان طاح به قضاؤه كان لهنائي سبباً اذا ما اتصل بكل شيء سببه . ما كنت ابداً لاقوى على البعد عنه فكان دائماً ثالث ثلاثتنا بل مؤنس وحشتنا أنّى ذهبنا ، أنا وأمه . ولكم كنت انتهز الفراغ بين مواعيد التمثيل فاسرع الى حيث أرى أمه وكأنما أحاطته بسياج من قلبها تضعه في مرقده لينام فاحظى بقبلة المساء منه وأستشعر الدفء من ذراعيه وقد احاطا بعنقي

ولما أن كبر كنت مديناً له بهنيهات السعادة في حياتي . لكم كان معجباً فخوراً بقدرتي على تسرية الهم عن قلوب الناس وجعلهم بعد ذلك يضحكون . فاشعر نفسي لذلك معنى مساواتها لارفع رأس في البلاد . كان يسرّ الي أموره على مثل ما يفعله الابناء عادةً ويشاورني في كثير مما يقعد الخجل في الشبان عن افشائه لآبائهم فكنا في ذلك كصديقين حميمين اقرب منا الى والد وولد . فلو انهم ، اقول لو انهم ارتضوا وقبلوا في مونة الفداء لكانت نفسي فداءه

بعد ان أتمّ دراسته في كمبردج اظهر لي رغبته في أن يزاول المحاماة حرفة ففرحت لانه لم يشأ أن يقتفي أثري ولو فعل لكان صوته العذب الرقيق كفيلا بنجاحه

لم يكن لي ولأمه أيام كان بكمبردج بعيداً عنا الا ان نقنع برسائله التي ما انقطع عنا واردها والمراسلة على ما يقولون نصف المشاهدة . وما أنسى اليوم انكبابنا على تلك الرسائل وقراءتها المرة بعد المرة حتى ليتلوها الواحد منا والآخر عن ظهر قلبه من غير ما لعثمة ولا اخلال . واذا أقبل الليل دار حوله حديث مسامرتنا ونظرنا الى نفسينا — بلحظ الغيب — وقد أدركتنا الشيخوخة واجدبت بنا الدنيا من كل شيء الا من معنى حنانه وبره

في صيف عام ٩١٤ وافانا دجون باستراليا — حيث كنا . فلم تمض عليه بيننا هناك بضعة أسابيع حتى ثار البركان الذي كان في احشاء الدنيا كيناً فذهب يساعد في اطفائه

لكنه ما عاد . فبقدر ما كان العيش بوجوده حلواً انقلب اليوم لفقده مراً . كانت سلواي في كل ما حملته نفسي طول هذه السنين رغبة لي في ان اكفل له مستقبلا باهراً فاستعذبت لذلك مضض العيش وحمدت للايام مغبتها ولو أتت على الصحة . واليوم افتقدت كل شيء حتى سلواي هذه افتقدتها . أحياناً ينتابني اليأس القاتل فيغشيني حتى لتعمى عيني عن رؤية المستقبل الا اسود حالكاً . فعلام المزيد من العيش ؟ علام المزيد منه ؟

جاءنا خبر نعيه في مستهل عام ١٩١٦ . كنت اذ ذاك مطرحاً على الفراش أستجمع قواي لسهرة مقبلة . واني لكذلك واذا بصوت صارخ ارتعدت منه فرائصي وانتاب القلب فزع والرأس دوار . فانتصبت في فراشي قائماً وأخذت كذي الجنة أردد « لا لا محال ان يقسو الاله لمثل هذا لا محال ان يأخذ ابني محال » . لكن لم تكد عيناي تقع على امرأتي حتى أيقنت . وقفت ببابي وقد انعكس الحزن على عينيها وأمسكت بيدها رسالة ثم خطت تناولني الرسالة وألقت برأسها على صدري باكية من فرط ما غشيها من الألم . تناولت الرسالة وقرأتها . وبعد ان أفقت قليلاً من الجمود الذي استولى عليّ وقتها أهبت بزوجتي « ما نحن صانعون بأنفسنا الآن ؟ ما نحن صانعون بأنفسنا الآن ؟ »

ومضت عليّ بعد ذلك أيام أحرقت فيها دمي احراقاً بالفكر القاتل واليأس المميت وكان من أمري أحياناً — وهو ما أستغفر الله منه — أن شككت في حكمة تقضي بمثل ما كان وتساءلت أين العدل ؟

وهكذا ظللت حيناً حانقاً على قدر يتنزل عن مثل مصيبتي الى ان أتى لي — على مثل ما يهبط الوحي والالهام — ان أفزع الى الله ربي فان عنده السلوى والعوض . ففزعت اليه واطمأنت نفسي لامكان جمع الشمل في حياتنا الموعودة

حبذا لو أستطيع وصف ما كان من تأثير هذا كله وبه استراحت روحي واستقرت

اليوم أنا أنعم في حلم لذيذ — دجون ابني لم يمت أبداً لم يكن من أمره الا انه سافر على مثل ما يقع للانسان عادة . وكل منا أنا وأمه موافيه لا محالة اذا حان الحين . اه

علي سالم

تحوّل الحركة

في العوالم الجمادية والحيوية والاجتماعية

٥ — المحاكاة والتقليد

ان ما علَّلناه من حركة انتقال الافكار عن يد انواع الحركة الدورية من اهتزاز دقائق المجموع العصبي والتموجات الاثيرية ليس الا نظرية تتعذر جداً حتى الآن اقامة البراهين السديدة على صحتها لقلة الظواهر الحسية المؤيدة لها ولضعفها . فلا يمكن التشبث بها كحقائق راهنة . وانما انطباق الظواهر الطبيعية والحيوية على هذه النظرية يسوغ لنا اعتبارها لتسهيل التعليل بها

على ان هناك ضروباً من الحركات المتنقلة التي يشترك فيها العمل العقلي والعمل العصبي والحركتان الاثيرية والمادية جميعاً متمشية على سنة الحركة الدورية وهي الحركات التي تنتقل بصفة المحاكاة والتقليد . وقد رأيت في المقالتين الاولين ان المحاكاة (او المساوقة) سنة من سنن الحركة

﴿ المماشاة ﴾ ألا ترى اثنين متماشيين الاترى خطواتهما متوافقة في وقع واحد ويغلب أن ترى التوافق تاماً : الرجلان اليمنيان تقعان معاً واليسريان معاً ايضاً . ولا يمكن أن ترى تخالفاً في مماشاة الجنود . ولا يخفى ان خطوات القصير اقصر من خطوات الطويل . وبالرغم من تفاوت خطاهما يتماشيان متوافقين بحيث ان الطويل يقصّر خطواته والقصير يطيلها حتى يمكن توافقهما في الخطو . وكثيراً ما يحدث ذلك من غير أن يتعمده الماشيان . فهذا التوافق في المشي يذكرنا بتوافق رقاصي ساعة في الخطران كما علمت . ولاقل تأمل تجد ان سر هذين التوافقين واحد . فكما ان تموّج الهواء بفعل خطران كل من الرقاصين يؤثر في تعديل خطران الآخر بحيث يوفق تموج الهواء بينهما هكذا تفعل تموجات الهواء الناشئة من وقع قدم كل منهما في عصب الآخر السمعي . فحالما يبلغ صوت الوقع الى المركز السمعي في الدماغ يصدر الامر الى القدم أن تتفق مع وقع قدم الشخص الآخر . وما دام الوقعان متنافرين كان في المركز السمعي تنافر بين الاهتزازات الاحساسية والاهتزازات الامرية والاهتزازات المحركة . ولا يرتاح المركز السمعي الا متى تمّ هذا التوافق . فقد يتم بعد خطوتين أو بعد بضع خطوات طبقاً لسنة المحاكاة

﴿ المحاكاة في الغناء ﴾ ولا يقتصر فعل هذه السنة على تعديل الحركتين المتجاورتين بحيث تتوافقان بل كثيراً ما تنشئ الحركة الواحدة حركة مثلها اذا تسنى لها هذا الانشاء . مثال ذلك : اثنان في مكان واحد وكل منهما مستغرق الفكر في عمل . فقد يغني احدهما أغنية عن قصد اوغير قصد منه فلا يلبث الآخر أن يغني معه عن غير قصد ايضاً اذا كانت الاغنية مألوفة . وقد لا ينتبهان الى ذلك الا بعد حين . وسبب ذلك انه لما قرعت موجات الهواء الموسيقية عصب الشخص الآخر السمعي وانتقلت الاهتزازات الموسيقية الى المركز السمعي اثارت ذلك المركز الى اصدار الامر في العصب الصوتي أن يشترك في الغناء من غير مشورة الارادة . فمثلهما مثل الوتر الذي متى عُزف اثار الوتر الآخر المماثل له في درجة النغم أن يهتز ايضاً ويحدث صوتاً كما علمت . ومن هذا القبيل اشتراك الجمع في التصفيق. او في الرقص أو في الجري أو في الاندفاع الى جهة واحدة عند حدوث حادث غريب كحريقة أو مشاجرة

﴿ تقليد الاحداث ﴾ يكثر ذلك حيث تكون الارادة منشغلة في شيء آخر أو ضعيفة السلطة على المراكز الدماغية كما في الاحداث . فالحدث يقتبس كل حركة من حركات اهله بحسب سنة المحاكاة هذه . نلاحظ ذلك جيداً في العائلة التي فيها حدثان او اكثر فان الاصغر يقلد أخاه الاكبر في كل حركة (كما كان هذا يقلد أبويه) تقليداً تاماً . يقلده في كل حركات اللعب . يقلد مشيته ورقصته وهرجه ومرجه ولفظه وضحكه وبكاءه واكله وشربه وكلامه حتى تخاله نسخة له أو طيفه في مرآة . ولا بدع في ذلك ما دامت مراكزه الدماغية فارغة من مخزون المدركات تتلقى الاهتزازات العصبية من الخارج فقط ولم تشرع بعد في الاستقلال بالتفكير والاستنتاج . فهو طبيعي أن كل ما تتلقاه هذه المراكز تبديه وتعيده

فالابن يشابه أبويه واخوته ليس بحكم الوراثة الفسيولوجية فقط بل بحكم سنّة المحاكاة هذه ايضاً . ولا نبالغ اذا قلنا ان لهذه التأثير العظيم . ولا مشاحة في أن الولد الذي يتربى في حضن أناس غير أبويه يكون أقرب في عاداته الى مربيه منه الى والديه اللذين لم يحتضناه صغيراً

وقد يمكنك أن تعرف غلاماً أنه ابن صديقك فلان من مجرد عاداته واخلاقه وكلامه . ومن ذلك تعلم أهمية التدقيق والانتباه في تربية الاحداث

﴿ خضوع الملامح للتأثيرات العصبية ﴾ ثم ان سنة المحاكاة هذه لا تعمل في نسخ الاخلاق والعادات والافعال من الكبار الى الصغار فقط بل يمتد تأثير عملها الى الملامح والسحنات ايضاً . ذلك لان ملامح الانسان تتكيف بحسب تواتر افعال المجموع

العصبي فيها . فاذا تسنى للحدث أن يضحك كثيراً ويبتهج دائماً شب والابتسام خلق فيه لا يكاد يختفي من طلعته حتى ولو في حال غضبه . واذا توابرت عليه في حداثته عوامل الشراسة شب شرس الملامح بحيث لا تمحى كل شراسته في حال بشاشته . ولما كانت السحنة مجموعة الملامح كانت سحنة الانسان نتيجة ما رسمته لها التربية والقدوة

ربما تعذر علينا تحقيق ذلك لاستحالة تحقيقه في الاحداث لان الحداثة لا تجدد وأطوار العمر لا تتكرر . ولكن يمكننا استدلال ذلك من حياة الزوجين . فان الزوجين الغريبي السلالة والوسط يتحاكيان أخلاقاً وعادات على تمادي الزمن حتى متى شاخا تراءيا لك أخوين اكثر منهما زوجين لانهما أصبحا متشابهين كل التشابه ليس في عاداتهما وأخلاقهما فقط بل في سحنتيهما أيضاً . فلا تعجب من ذلك وقد عرفت السبب

﴿ تفاوت المحاكاة بين البشر ﴾ ان المحاكاة بين البشر ممكنة لان طبائعهم الفسيولوجيـة متشابهة كل التشابه في بعض الاحوال ومعظمه في بعضها وأقل في بعض آخر . ولهذا لا ننتظر المحاكاة والتقليد بين الانسان والحيوانات العجماء الا فيما قارب الانسان منها كالقرد لتقارب طبيعتهما الفسيولوجيـة فان في دماغ القرد من المراكز العصبية ما يقبل الموجات الاثيرية التي يحدثها المجموع العصبي في الانسان . وفي مراكزه الدماغية ما يقدر على اصدار مثلها . فلذلك حيث يشتد التشابه تتيسر المحاكاة ويكثر التقليد والعكس بالعكس . فالناس من هـذا القبيل كالاوتار تجاوب كما ماثلت في النغم وتقاربت في معدل الاهتزازات

فالمحاكاة اذاً بين أفراد العائلة أيسر منها بين الجيران والعشراء . وبين هؤلاء أيسر منها بين أفراد الوطن الواحد . وبين هؤلاء أيسر منها بين الامم

وذلك هو سر أنه يتعذر عليك أحياناً ان تفهم أخلاق أجنبي عنك وسر انك تستغرب بعض تصوراته وتستهجن بعض عاداته كانك تشعر بتنافر بينك وبينه كالتنافر الذي بين الاوتار المختلفة الانغام

﴿ الاستحسان والاستهجان في الموسيقى ﴾ من أوضح الامثلة على ذلك تأثير ضروب الموسيقى . فمن المعلوم ان الشرقيين لا يطربون بالموسيقى الاوربيـة والاوربيين لا يطربون بالموسيقى الشرقية . وكثيراً ما تنطمس ألحان الموسيقى الاجنبيـة على السامع فتتراءى له كأنها نغم واحد أو أنغام قليلة (مونوتون) ويستغرب كيف انها تطرب ذويها وتفعل في أنفسهم فعل السحر . ولا غرابة في ذلك اذا كنت تعلم ان اهتزازات دقائق العصب السمعي الموسيقية في سامع الموسيقى الاجنبيـة لا تتفق مع التموجات الموسيقية التي تقرع أذنيه بل ان هذه منافرة لتلك . فمتى أثارت التموجات الهوائية الموسيقية عصبه

السمعي وبلغ الاهتزاز الى دقائق المركز السمعي في الدماغ اضطر هذا المركز ان يهتز اهتزازاً لم يألفه فكأنه يتعمَّله تعملاً والطرب لا يكون بتعمُّل واعنات بل بتوافق الاهتزازات الحادثة للمألوف . على ان تكرر سماع الموسيقى الاجنبية يعوّد ذلك المركز على ان يطاوعها في الاهتزاز فتصبح اهتزازاته الحاكية لها خلقاً فيه

﴿ انطماس غير المألوف في اللفظ ﴾ مثل ذلك يلاحظ في لهجات اللغات فانك اذا سمعت لفظاً أجنبياً عنك لا تميز كل حروفه بل قد لا تفرق بين حرف وحرف كأن يلتبس عليك مثلاً لفظ الباء والفاء في بعض الالفاظ اليونانية فلا تدري أيهما الملفوظ . وترى مثل هذا الالتباس كثيراً في اللغات التي يندر ان تسمعها كاللغات الروسية واليابانية والصينية والهندية حتى يخيل لك انها مؤلفة من حروف قليلة جداً اذ يختفي عن سمعك كثير من أحرف الالفاظ . فتلها مثل الخطوط المظلمة بين ألوان الطيف الشمسي فهي مقام ألوان لا يميزها بصرنا . وكذلك في تلك الالفاظ حروف خفية لا يميزها سمعنا لانه لم يتعودها

ولا يختفي عن سمعنا صوت بعض الحروف فقط بل تختفي عنه أيضاً لهجات المتكلمين . فقد لا تفرق بين لهجتي الانكليزي والاميركي أو بين لهجتي انكليزيين من اقليمين متباعدين وان كنت تفهم لغتهما الا اذا خالطت كلا من الفريقين أو أحدهما طويلا في حين انك تميز تمييزاً بيناً بين لهجتي الشامي والمصري وبين لهجتي المصري البحري والصعيدي . كل ذلك سببه ان لكل لفظة ولكل لهجة اهتزازات صوتية وعصبية خاصة . فما تعودته منها المراكز العصبية وألفته تميزه والعكس بالعكس

﴿ انطماس دقائق الملامح ﴾ مثل ذلك يلاحظ في السحنات والملامح فقد لا تميز بين صيني وصيني أو بين ياباني وياباني فيتراءيان لك متشابهين كل التشابه مع ان الصيني يميز كل فرد عن آخر من بني جنسه كما نميز نحن بين الافراد من بني جنسنا . بل هناك أغرب من ذلك فقد يلتبس عليك أخوان من بني جنسك فلا تدري أيهما فلان اذا رأيته وحده مع ان أهلهما وعشراءهما يميزان بينهما جيداً . ولا تقدر ان تعلل ذلك الا بما تقدم تعليله في الاحوال السمعية

وهناك أمور كثيرة كهذه تدلك على ان سنة المحاكاة تكون شديدة الفاعلية كلما ضاق الوسط الذي تعمل فيه وضعيفة كلما اتسع هذا الوسط وأضعف كلما تباينت الاوساط لتباين طبائع المجموعات العصبية . فانما المحاكاة تكون بين المتماثلات لا بين المتباينات كما علمت ذلك في نواميس الانغام والالوان والجواهر الكيميية الى غير ذلك مما مرّ عليك بيانه

اذا تمادينا في هذا البحث امكننا ان نطبق كل حركة اجتماعية على سنة المحاكاة التي

هي لازمة من لوازم الحركة الدورية . وانما نجمل في البحث ما استطعنا اجماله ونخص الاهم من الحركات الاجتماعية

﴿ الالفة العاطفية ﴾ يقال ان بين فلان وفلان الفة عاطفية Sympathy وان فلاناً ذو الفة عاطفية Sympathetic وفلاناً نافر العاطفة Antipathic وان فلانة وفلاناً الفان الواحد للآخر الى غير ذلك مما يعنى به التوافق أو التنافر بين الاشخاص في الذوق وبعبارة أخرى الحب والنفور . فما هي الالفة ؟ وما هو التنافر ؟

أول ما يخطر لك ان تقوله في تفسيرهما ان الاليفين متشابهان في الذوق وفي المبادئ والاخلاق أو في المزاج أو في المعرفة الى غير ذلك ولهذا يتوافقان في عشرتهما . والمتنافران متخالفان في كل ذلك فلا يتوافقان

كل ذلك صحيح ولكنه كتفسير الماء بالماء تقريباً . وما قولك بان ترى شخصين لم ترهما في حياتك ولم تعرف عنهما شيئاً قط فتقول هذا أليف وذاك نافر أو اني أميل الى هذا دون ذاك . فما معنى ذلك ؟

اذا تعمقت في تفسير الالفة والمنافرة من أي باب طرقته تصل الى المجموع العصبي بل الى المراكز الدماغية التي هي مصدر أخلاقنا ومبادئنا وأمزجتنا الى غير ذلك مما هو أسماء متنوعة لظواهرنا العقلية على اختلاف انواعها . فالشخص الذي هو الف لك هو الذي تحاكي اهتزازات مراكزه الدماغية اهتزازات مراكزك الدماغية في كثير من الامور حتى في أدقها حين تعزف أوتار الاعصاب . وكلما وفرت انواع هذه المحاكاة كثرت الالفة بينكما وكلما قلت قلت

فالشخص الذي لم تعرفه بعد تميل اليه أو تنفر منه من مجرد رؤيتك له لان ملامحه ترجمت لك عن أخلاقه فكأنك عاشرته . وقد تكون مخدوعاً لان الترجمة مزورة فانخداعك لا يضعف قوة التعليل لان بعض الاشخاص كالممثلين مارسوا التزوير في مظاهرهم . فما هو تعليل هذه الترجمة ؟

﴿ الملامح بنات العواطف ﴾ سبق ان قلنا ان جميع عضلات الجسم وأعضائه من اكبرها الى أدقها تحت سلطة الاعصاب العاملة فيها على الدوام بين تقلص وتمدد على صور مختلفة . فاوضاع العضلات ومظاهرها انما هي حاصل ما يفعله المجموع العصبي . ولما كانت الملامح عبارة عن اوضاع العضلات هذه كانت بالطبع ترجماناً عن اعمال المجموع العصبي المتكررة والتي اصبحت عادة ، والاخلاق انما هي حاصل اعمال المراكز الدماغية

فاذا كنت على تمادي اختبارك قد ألفت لكل صنف من الاخلاق لمحة من الملامح فلا يبعد ان يصدق حكمك على مجمل أخلاق شخص من مجرد رؤيتك مجمل ملامحه

فتآلف الناس وتنافرهم انما هو كمجاوبة الاوتار بعضها لبعض. وسنة النوعين واحدة وهي المحاكاة

ولا يخفى ان التبسط في هذا البحث يستلزم التبسط فيه من وجهة علم الفسيولوجيا العقلية . وربما عدت اليه في حين آخر

﴿ شيوع الازياء ﴾ يمشي على سنة المحاكاة ايضاً . ولا يندر أن تستهجن الزي الجديد أو العادة الطارئة أو تستقبحهما في اول الامر ولكن متى طال عهدهما تألفهما ويصبح المستهجن والمستقبح جميلين . فمثل ألفة المراكز الدماغية للازياء والعادات المتجددة كمثل الدقائق الكيماوية التي تفارق بعضها بعضاً لتنضم الى دقائق أخرى بفعل امواج الاثير

وسأعود في فرصة أخرى الى فصل التقليد تبسطاً في تعليل المحاكاة في الحركات الاجتماعية

النقيض

١ — كل نوع حركة مهما تكن - اجتماعية أو حيوية أو جمادية - لا بد أن تكون متحولة من حركات مختلفة عنها في النوع ولا بد أن تتحوّل هي مع غيرها الى حركات أخرى مختلفة عنها في النوع ايضاً . ومهما تقصيت سبب الحركة ومهما تعقبت مصيرها تجدها كذلك ، تجدها متحولة وغير متلاشية

٢ — أن ما يقال له قوة ليس الا حركة سببية لاننا اعتدنا أن نسمي مسبب الحركة قوة . والحقيقة ان سببها مجموعة حركات في صور أخرى . ومهما تقصينا سلسلة الحركات السببية لا نقدر ان نصل الى القوة القصوى بل لا نقدر ان نتصورها بيد اننا لا نقدر ان ننكر وجودها ما دمنا لا نستطيع تصور سبب بلا مسبب

٣ — ان الحركة وهي متحولة من حركات مختلفة لا بد ان تكون دورية اما دائرة أو مترددة . واما سريعة أو بطيئة . فحيثما ترى حركة فابحث عن شكلها الدوري تجده فان لم تجده فاعلم انها جزء من دور لم يتم

٤ — ان كون الحركة دورية هو الوسيلة الوحيدة لتحولها . ولولا دوريتها لاستحال تحولها

٥ — ان دوريتها وتحولها سبب تنوعها وظهورها في صور لا تحصى . فاذا تصورت الحركة بسيطة وفي خط مستقيم امتنع تصورك لها متحولة الى صور مختلفة . وبالتالي استحال عليك ان تتصور هذا العالم موجوداً كما هو

نقولا الحداد

المجمع اللغوي المصري

وتاريخ المجامع وفوائدها في العالم المتمدين

لا نعرف مشروعاً علمياً او موضوعاً ادبياً ظهر في هذا البلد وشغل اذهان الخاصة ورجال العلم والادب وملأ نفوسهم بخطورته وأهميته وجليل شأنه كمشروع المجمع اللغوي الذي أسس من عهد قريب ولم يكد يعلن امره حتى حامت حوله الآراء وعلقت به الآمال وتضاربت في مصيره الاقوال . ولا غرو فانه ليس في الحقيقة بالمشروع الجديد بل هو أمنية الامة باسرها منذ زمن بعيد

لذلك رأينا أن نخصص هذا المقال بتفصيل الكلام على هذا الموضوع الخطير فنبين تاريخ المجامع وأهميتها للامم وغاياتها وفوائدها في تاريخ حياة الامة العلمي وتاريخ نهوضها وتقدمها وما أسدته للشعوب الراقية في العالم المتمدين من الخدم الجليلة . ثم تاريخ فكرة هذا المجمع في مصر وما ينتظر منه من الاعمال الهامة التي نحن في أشد الافتقار اليها وما نراه لازماً لبقائه ونفعه فنقول :

تاريخ المجامع

كلمة « اكاديمي » الافرنجية التي عربت بلفظة مجمع مشتقة من اسم اكاديموس بطل اثينا ، قيل انه ملك حديقة غنـاء كان يجتمع اليها افلاطون وتلاميذه وفيها عدة محال لتقديس الآلهة منها محراب لربة الشعر انشأه هذا الفيلسوف . وقد اطلقت كلمة اكاديميا على اتباع افلاطون ثم توسع معناها فصار يطلق على رجال الادب والعلم وارباب الفنون يجتمعون للبحث في موضوعات عامة نافعة كما كانت مجامع البطالسة في الاسكندرية ومجالس الخلفاء العباسيين والامويين وغيرهم . الا ان بعض هـذه المجامع كانت أشبه بالمدارس منها بالمجامع العلمية . وقد نشأت في ايطاليا وفرنسا في القرنين ١٣ و١٤ مجامع لا تعنى بغير الشعر

أما الحركة التي أدت الى احداث المجامع الحالية في الغرب ليجتمع اليها خاصة أهل العـلم في كل بلد فتنظر في المكتشفات والمخترعات فتقر سليمها وتنبذ سقيمها فترجع الى عهد النهضة التي نشأت في أوربا وعلى الاخص في ايطاليا التي كثرت فيهـا المجامع العلمية . فلم تكن فيها مدينة الا وفيها مجمع واحد على الاقل وربما كان في المدن الكبرى عشرون مجمعاً أو تزيد ، فمن المجامع الايطاليـة التي أشبهت المجمع الفرنسي الحالي

« مجمع كروسكا » ، ولم يكتب البقاء لما عداه من المجامع الايتالية التي نشأت في القرنين ١٦ و١٧ فقلما كانت تدوم تلك المجامع بعد مؤسسيها . وقد حذت فرنسا حذو ايتاليا في مجامعها فكثرت فيها المجامع وثبتت على عكس ما حصل في ايتاليا فقد كانت مجامعها تموت بموت اصحابها ، أما في فرنسا فقد أخذت الحكومة بيدها فانشأ ريشليو المجمع الفرنسي . وانشأ لويس الرابع عشر مجمع الآثار ومجمع العلوم ثم نشأ مجمع الفنون الجميلة

وقد كانت المجامع الفرنسية أعظم المجامع التي نشأت في عواصم أوربا وعليها نسج الناسجون وبمثالها اقتدى المقتدون



ريشليو حامي الاكاديمية الفرنسوية

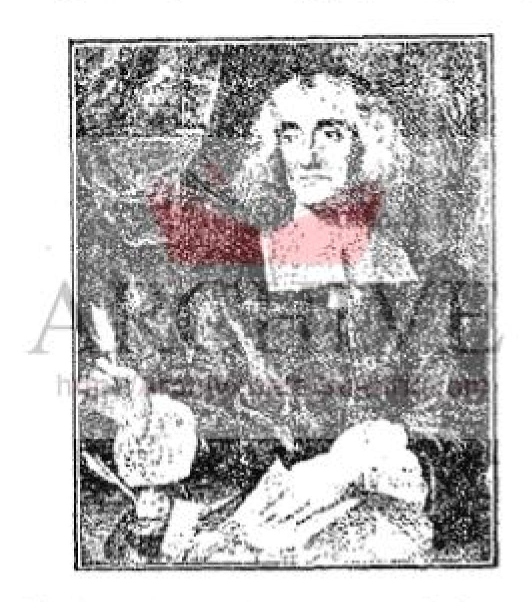
والمجامع كثيرة جداً في هذا العصر يمكن ترتيبها في خمسة أقسام : المجامع العلمية ، والمجامع الادبية واللغوية ، ومجامع الآثار والتاريخ ، ومجامع الطب والجراحة ، ومجامع الفنون الجميلة

وسنقتصر على ذكر ما اختص بينها بموضوع اللغة والادب . وأهمها كلها كما لا يخفى المجمع الفرنسي

ويتبين لنا من هذا الدرس أن المجامع الادبية تختلف قيمة وشأناً باختلاف الامم وقد لا تجد في بعض الدول مجامع أدبية ولغوية تستحق الذكر في حين أن فيها مجامع علمية وفلسفية عظيمة الشأن . وعلى الاجمال يقال أن الشعوب اللاتينية أكثر عناية من سواها بالفن والادب

فرنسا

نشأ المجمع الفرنسي l'Académie française الذي هو مفخر من مفاخر الفرنسيين سنة ١٦٢٩ على يد بضعة اشخاص من رجال الادب منهم شابلان Chapelain وجودو Godeau وجمبو Gombau. وغيرهم فكانوا يجتمعون في منزل كونرار Conrar' أمين سر الملك فيتباحثون في الآداب والاخبار كأنهم في زيارة عادية واذا ألف احدهم كتاباً عرضه على رفاقه عن طيب خاطر فيبدون فيه رأيهم بحرية وصراحة ، وظلوا على ذلك نحو اربع أو خمس سنين وهم يوالون اجتماعاتهم من غير أن يعلم بهم احد حتى اتصل خبرهم بريشليو وقد نمّ على جمعيتهم أحد اصحابه . ولعل هذا الوزير اراد أن



ڤالنتان كونرار الذي كان يجتمع عنده ادباء فرنسا قبل انشاء الاكاديمية

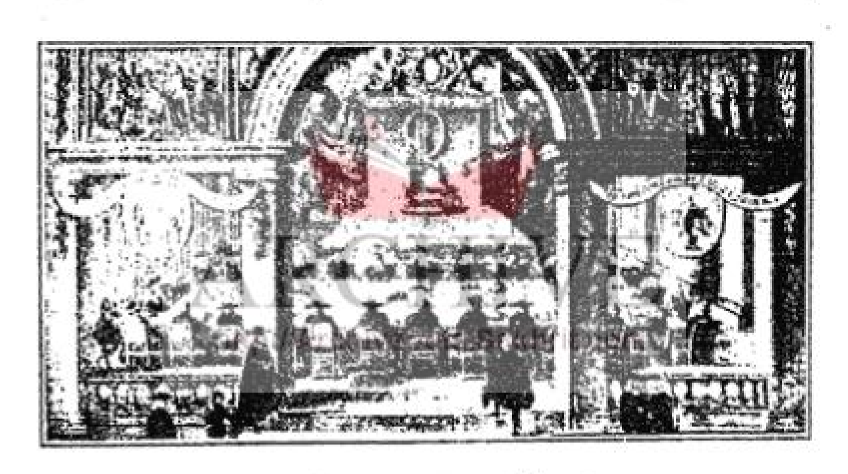
يكون مرجعاً في كل شيء فعرض عليهم أن يجتمعوا اجتماعاً عاماً ويتألفوا جماعة وكان ذلك في اوائل سنة ١٦٣٤ فتردد أولئك المجتمعون اولا ثم اجابوا دعوة ريشليو فدعاهم الى زيادة عددهم فبعد ان كانوا تسعة أصبحوا ثمانية وعشرين ثم تفاوضوا في الشكل الذي يجري عليه المجمع وفي قانونه وعمله وهو تطهير اللغة الفرنسية وتحسينها ، وبذلك أخذ المجمع صورة ديوان رسمي فصارت تنشر محاضر جلساته ومحاضرات اعضائه

على أن الثورة الفرنسية قلبت ــ فيما قلبت ــ كيان المجامع الفرنسية كلها وأصدرت أمراً في سنة ١٧٩٥ بانشاء معهد وطني عام يجمع تلك المجامع كلها وينظمها على أسس جديدة ويوحد قوانينها وأغراضها ويوفق بين أعمالها ومباحثها وقد تكوّن من مجموعها

ما يسمى Institut. وقد قسم الى أربعة أقسام: قسم للطبيعيات والرياضيات، وقسم للغة والادب، وقسم للتاريخ والآثار، وقسم للفنون الجميلة. وكان هناك قسم للعلوم الاخلاقية والسياسية ولكن نابوليون ألغاه. ثم أعيد ثانية سنة ١٨٣٢

فترى من ذلك ان المجمع الفرنسي هو اليوم قسم من الاقسام الخمسة التي يتألف منها المعهد الفرنسي. ولكنه يمتاز عنها جميعاً وله عليها حق الاسبقية والتقدم. وكل من هذه المجامع مستقل عن غيره وانما تشترك كلها في بعض المسائل التي لها صفة عامة كثروتها ومكتبتها وغير ذلك مما قد جعل تحت اشراف لجنة مختلطة من المجامع كلها

والمجمع الفرنسي مؤلف من ٤٠ عضواً ينتخبون من كبار العلماء ويلبثون فيه طول حياتهم وقد لقبوا بالخالدين «اشارة الى أنهم لا يعزلون في حياتهم ولا يموت ذكرهم بمماتهم»، ولكل من أعضائه ١٢٠٠ فرنك في العام غير ما يأخذه العضو في لجنة



اجتماع الاكاديمية الفرنسية في اول عهدها

المعجم؛ وكان العقلاء يشتكون أحياناً من دخول بعض الاعضاء فيه بالشفاعة والوساطة ولكن كانت الاكثرية في الغالب لارباب العلم النافعين، وفخر الانتظام في سلك اعضائه هو مطمح انظار كل عالم وكاتب من نوابغ الفرنسيين. وقد مرَّ على هذا المجمع منذ نشأته أكثر من قرنين ونصف قرن وهو دائب على خدمة لغة البلاد وترقيتها واصلاحها وله الفضل الاول في ايصالها الى هذا الحد من الاتقان والكمال، فهو الذي قضى بنبذ الالفاظ الرثة واستبدالها بما هو اوفى بالمعنى واقرب للذوق وأليق بالعصر فنفع اللغة الفرنسية بقاموسه أيما نفع فما برحت احكامه محترمة معمولاً بها من الجميع ولطالما أسف الانكليز والالمان على عدم توفقهم لايجاد مثل هذا المجمع حتى سعدت لغاتهم بامثاله بفضل غيرة ملوكهم وحكوماتهم

وفضلاً عما يشتغل به من تنقيح اللغة وتهذيبها فالمجمع الفرنسي ينظر في المؤلفات الادبية والتاريخية والعلمية ويكافئ المجيدين بالجوائز وله الآن اكثر من ٢٣ جائزة تمنح كل سنة

ايطاليا

ازهرت المجامع في ايطاليا في القرن السادس عشر حتى بلغ عددها ١٧١ مجمعاً حسب احصاء أحدهم و٧٠٠ حسب احصاء آخر . وقد عنيت المجامع الاولى بدرس كتب الاقدمين ومقابلة نسخها الخطية وتفسيرها ثم شرع اعضاؤها ينظمون ويكتبون وقد كان سوادهم من النبلاء ولم يقبلوا عامة الناس فيها كأنهم احتكروا الادب . وأشهر تلك المجامع بلا ريب مجمع « كروسكا » المؤسس سنة ١٥٨٢ وكان غرضه الرئيسي تطهير اللغة وقد اصدر قاموساً طبع سنة ١٦١٢ لاول مرة وهو حجة الايطاليين في لغتهم . وفي القرن الثاني عشر اندمج فيه مجمعان اقدم منه وهما « مجمع ابانيشي » (أي المنصفين) و«المجمع الفلورنتيني» . ولايزال هذا المجمع حياً الى اليوم عالي الكلمة مع ان اعضاءه قليلون

ويجدر أن نذكر بين المجامع الايطالية الاخرى مجمع نابولي المؤسس سنة ١٤٤٠ ومجمع فلورنسا المؤسس سنة ١٥٤٠ ومجمع الهزالين وغيرها كثير

وفي سنة ١٦٩٠ تأسس في روما مجمع الاركادي لاحياء الشعر ودرسه وقد كان بين اعضائه الامراء والكرادلة . وبعد عشر سنوات من تأسيسه اصبح عدد أعضائه ٦٠٠ عضو

وفي سنة ١٧١٩ انشئ مجمع سافوا الملكي الذي جعله الملك شارل البير مجمعاً ملكياً سنة ١٨٤٨ وقد اصدر عدة كتب نفيسة في تاريخ سافوا وآدابها وآثارها

انكلترا

لم يكن في انكلترا مجمعٌ خاص بالمباحث الادبية واللغوية . وان يكن الانكليز قد شرعوا غير مرة في تأسيس مجمع بهذه الصفة . على انه في سنة ١٩٠١ تأسست في انكلترا اكاديمية سميت الاكاديمية البريطانية وفيها فرع لدرس علوم اللغة وفروعها

البلجيك

ما برحت البلجيك مشهورة بجمعياتها الادبية . وتفتخر مدينة دياست الصغيرة انه كان فيها مجمع شعراء منذ سنة ١٣٠٢ بل هناك جمعية أخرى ترجع الى سنة ١١٠٧. ولا ريب انه كان في البلجيك مجامع ادبية كثيرة في عهد اسرة برغنديا أي في القرن الخامس عشر

المانيا

اشهر المجامع الادبية الالمانية « الجمعية المثمرة » التي تأسست في ويمار سنة ١٦١٧ وقد كان بين اعضائها الاصليين خمسة أمراء وقصد الجمعية تطهير اللغة . وقد نشأت مجامع كثيرة في المانيا على نسق المجامع الايطالية ولكن لم يكن لها اثر يذكر في اللغة والادب

اسوج

في سنة ١٧٨٦ تأسس المجمع الاسوجي لتطهير اللغة الاسوجية ولا يزال حياً

اسبانيا

اجتمع المجمع الملكي الاسباني في مدريد للمرة الاولى في سنة ١٧١٣ في قصر مؤسسه دوق اسكالونا . وقد كان أعضاؤه في البدء ٨ ثم أضيف اليهم ١٤ وفي سنة ١٧١٤ منحهم الملك حمايته . ولا يجوز ان يزيد عددهم على ٢٤ عضواً . وغرض المجمع تهذيب اللغة الاسبانية وتحسينها

* * *

هذا هو تاريخ المجامع اللغوية والادبية في اوربا اخذناه عن دوائر المعارف وغيرها من كتب الادب والتاريخ عسى أن يكون لنا فيه درس نافع . ويتبين من تاريخ هذه المجامع كما يتبين من تاريخ سائر المجامع الاخرى التي قامت في بلاد الغرب أنه كان لملوك اوربا وامبراطرتها رجالا ونساء الفضل الاكبر في انشائها ورعايتها وهو يشهد أيضاً بجهاد العلماء والعظماء في احيائها وعمل الحكومات على بقائها والانفاق عليها . فان حكومات العالم المتمدين في اوربا وامريكا هي التي تأخذ بيد المجامع العلمية وتعترف بها رسمياً ثم تعتبرها من جملة دواوينها الحكومية ودوائرها الرسمية فتنفق عليها وتخصص لها سنوياً في ميزانياتها الاعتمادات والمبالغ الضخمة لمرتبات اعضائها ونفقاتها . ولا غرو فجل هذه المجامع قد نشأ تحت حماية ملوكهم ان لم يكن أسس بامرهم وارادتهم ، بل ان تاريخ هذه المجامع يدل على أنه اذا لم تمدها الحكومة بيد المساعدة ، وهذا نادر ، اعانتها الامة بالمنح والاعانات والاوقاف ، وهذا كثير جداً

وسنأتي في المقالة التالية على تاريخ انشاء المجمع اللغوي المصري وما يرجو منه العالم العربي من أوجه الاصلاح التي نحن في أشد الحاجة اليها

ع . ع .

جورج كادودال

ألد أعداء نابوليون

في صبيحة يوم ٢٧ فبراير سنة ١٨٠٤ ألفى أهالي باريس منشورات معلقة على جدران منازلهم تنذرهم بوجود رجل شرير في مدينتهم اسمه جورج كادودال . ولم يكن هذا الاسم غريباً لدى الاهالي فقد كان صاحبه معروفاً في ذلك الزمن ببأسه وبطشه واشتهر بصفة كونه رئيساً على عصابة لصوص ناوأت الحكومة وارادت الايقاع ببونابرت وهو اذ ذاك القنصل الاول (premier consul) أي صاحب السلطة العليا في شؤون فرنسا

وقد سُردت في المنشور أوصاف كادودال كما يأتي : « طوله ٥ أقدام و٤ بوصات . عريض الكتفين . كبير الرأس . قصير الرقبة الخ . . » وحضت الحكومة الاهالي على اعلامها بما يقفون عليه من شأنه وهددت بالقتل كل من يجرأ على ايوائه أو يعمل لتخليصه بطريقة من الطرق

أما جورج كادودال فقد كان من أخلص المتحزبين لاسرة البوربون وهي الاسرة المالكة قبل الثورة الفرنسية . ولذا ألف عصابة للايقاع بالجمهورية واعادة الملك الى تلك الاسرة . وقد نقم كادودال على الذين استأثروا بالسلطة ولا سيما بونابرت حاكم فرنسا الحقيقي اذ ذاك فقام يريد اسقاطه . وما برح يسعى لذلك ورجال الشرطة عاجزون عن القبض عليه الى ان علموا بوجوده في باريس نفسها فانذروا الاهالي بواسطة المنشورات المتقدم ذكرها

وقد جرَّب بونابرت قبل استفحال الامر بينه وبين كادودال أن يستميل اليه ذلك العدو الجسور لاعجابه باقدامه وجرأته . فدعاه ذات يوم الى جلسة خصوصية وجعل يؤمله بأرقى الوظائف ويعده باعلى الرتب على ان يكف عن معاداته . فلم يكن من جورج الا ان ازداد حقداً عليه ونفوراً منه فافترق الرجلان وكلٌ يضمر للآخر شراً

وأخذ كادودال من ذلك الحين يدبر مكيدته بقصد القبض على بونابرت والاتيان به الى مكان على الساحل ينقل منه الى انكلترا على سفينة معدة لذلك . ولم يزد أتباع كادودال المتآمرون معه على العشرين واكثرهم من أهل مقاطعة بريطانيا الفرنسية وهم مشهورون باخلاصهم لملوك فرنسا السالفين . وقد كان الباريسيون يستقصون أخبار تلك العصابة ويتتبعونها يوماً يوم الى ان بلغهم خبر وجودها في وسط

مدينتهم فزادهم ذلك شوقاً الى معرفة ما يكون من أمرها

بقي الحال كذلك بضعة أسابيع والحكومة متيقنة من وجود المتآمرين في وسط باريس ولكنها لم تستطع ان تقف لهم على أثر . على انها شددت في مراقبة طرق المدينة ومنافذها وفحص القادمين اليها والخارجين منها . وبلغ من تشديدها في المراقبة انها أصدرت الاوامر لرجالها بتوقيف كل جنازة تتعدى أسوار المدينة وتفتيش التابوت خوفاً من ان يكون أحد المتآمرين مختبئاً فيه

أما كادودال فقد سكن اولاً منزلاً في احد أطراف المدينة ثم انتقل بعد مدة قصيرة الى منزل آخر في شارع كاديم برنان فمكث فيه بضعة أيام ثم استأجر غرفة له ولاثنين من رفاقه يدعيان جوايو وربان في منزل لبائعة فواكه تدعى مدام لموان كانت تسكن في شارع جبل سانت جنفياف . وكان ذلك في يوم ١٧ فبراير وقد تمَّ الانتقال بحذر عظيم فلم يدر البوليس بشيء منهُ بل ان مدام لموان نفسها ظلت جاهلة أمر النازلين عندها وكثيراً ما تكلمت عن كادودال أمامهم وطعنت فيه طعناً جارحاً وهو يتحمل ذلك خوف الفضيحة

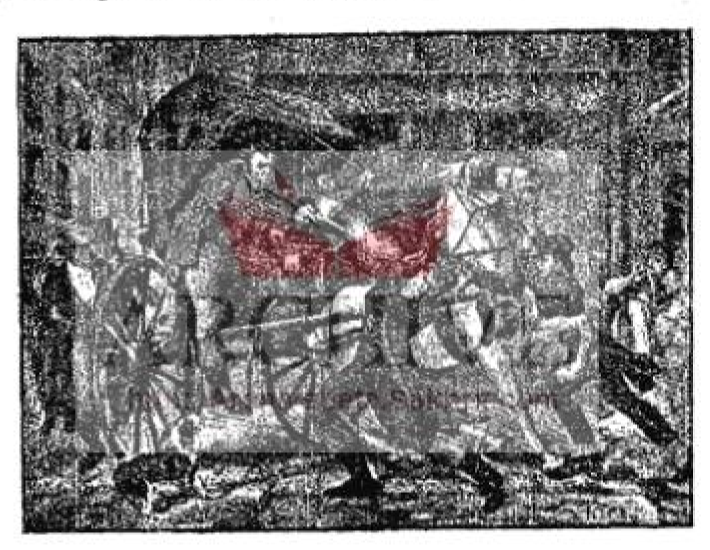
وكان قد ساد الاعتقاد بين الاهلين بان كادودال استطاع الخروج من المدينة بالرغم من المراقبة لان البحث عنه طال من دون جدوى الى ان كان يوم ٨ مارس . ففي ذلك اليوم بصر ضابط من ضباط الشرطة المدعو بيتي باحد المتآمرين واسمه لوريدان وكان يعرفه من قبل — رآه يتحدث مع سيدة في شارع سانت انتوان فلما فارقها تتبعه بيتي واذا به يقترب من رجل ترجح لديه من ملامحه انه جوايو (وكانت أوصافه مذكورة في المنشور) . وقد كان الامر كذلك في الواقع فان ذلك الرجل كان جوايو نفسه الساكن مع كادودال في بيت بائعة الفواكه وكان قد خرج من مخبأه باحثاً عن مأوى يلجأ اليه مع سيده يكون أضمن لسلامته من ذلك البيت . فهداه لوريدان الى منزل العطار كارون في شارع فور سانت جرمان . وكثيراً ما خبأ كارون هذا في منزله المتآمرين على رجال الثورة وقد كان في منزله مخابئ ومسالك سرية تعين على ذلك . فاتفق الرجلان على أن يبرح كادودال منزل مدام لموان في مساء اليوم التالي على عربة من العربات الخفيفة ذات الدولابين cabriolet ويتوجه بها الى منزل كارون

أما بيتي فقد لاحظ من حركاتهما أهمية ما جرى بينهما من الحديث . على انه ما زال يتتبع جوايو حتى فقد أثره في ساحة موبير فرجح ان كادودال قاطن في ذلك الحي فبث جواسيسه في تلك الانحاء

وفي اليوم التالي بلغ بيتي بواسطة جواسيسه ان لوريدان قد استأجر العربة نمرة ٥٣

ليستخدمها طول ذلك اليوم فاسرع الى المحافظة وأقبل مع زميله دستافيني وعدد غفير من رجال البوليس السري الى ساحة موبير . وقد حسب انه لا بد للعربة من المرور بذلك المكان اذا صح ظنه بوجود جورج في تلك النواحي . فيلبثون في انتظارها ويقبضون على من فيها . وقد صدرت الاوامر الى رجال الشرطة بتوقيف العربة اذا كان فيها اثنان أو اكثر وبتتبعها فقط اذا كان فيها راكب واحد

مضى النهار كله واقبل الليل ولم يحدث امر ذو شأن . الى ان كانت الساعة السابعة مساء فابصر رجال الشرطة عربة مقبلة على الساحة ولم يجدوا فيها الا راكباً واحداً عرفوا من ملامحه انه لوريدان . فصعدت العربة شارع جبل سانت جنفياف وسارت بلصق جدران المنازل ورجال الشرطة يتتبعونها عن بعد بينما بتي ودستافيني وكانيول



القبض على جورج كادودال

لاحقون بها عن قرب يراقبونها بكل تيقظ . وكانوا يتوقعون ان تقف امام منزل من منازل ذلك الشارع حيث يأتي اليها كادودال ويركبها فلا يبقى الا القبض عليه . لكن لم يحدث شيء من ذلك اذ اتجهت العربة يميناً ودخلت في شارع ضيق ثم وقفت امام منزل هناك . ولما كانت فوانيسها قوية النور استطاع ضباط الشرطة الثلاثة مراقبة لوريدان من دون أن يشعر بذلك فابصروه وقد ترجل ودخل البيت ثم خرج منه ثم عاد فدخل ثانية ومكث في داخله نحو ١٥ دقيقة ثم خرج وعاد بالعربة الى شارع جبل سانت جنفياف ووالى السير فيه الى ساحة سنت اتيان دي مون . كل ذلك وكانيول يتتبع العربة قريباً منها وبيتي ودستافيني يتبعانها على مسافة ابعد قليلاً الى أن وصلت العربة الى زاوية شارع سيت ثوا فخرج اذ ذاك من الظلمة اربعة رجال فصعد

احدهم الى العربة وأمسك اللجام وسار مسرعاً

أما ضباط الشرطة فانهم تيقنوا أن الذي صعد الى العربة هو جورج كادودال نفسه فاندفع كانيول يريد ملاحقته الا أن الرجال الثلاثة الذين كانوا في الظلمة انبروا له ليحولوا بينه وبين العربة . لكن كانيول دفعهم وواصل جريه يتعقب العربة الى أن قرب منها وهي تحاول أن تتوارى في ممر الجاكوبان . أما ضابطا الشرطة بتي ودستافيني فكانا يتعقبان العربة باسرع ما أستطاعا وهما يصيحان « امسكوه . امسكوه »

أما جورج كادودال فانه حالما صعد الى العربة علم بالخطر المحدق به فصاح بلوريدان ان أسرع . فقال هذا والى أين . قال لا ادري لكن اسرع . ثم أخذ يراقب كانيول وكان هذا قد اقترب من العربة فتعلق بمؤخرها وكادودال عالم بذلك ولكنه لم يستطع أن يمنعه عنه . فجعل يراقب بتي ودستافيني وكانا قد جمعا بصياحهما رجال الشرطة المبثوثين في تلك النواحي . فلما تيقن كادودال بان رجال الشرطة قابضون عليه لا محالة ان هو بقي في العربة رأى أن يغادرها املاً بالفرار فوثب منها الا ان كانيول الذي كان معلقاً في مؤخرها لم يلبث ان وثب على الخيل فاوقفها . وكان بتي ورجل آخر من الشرطة اسمه بوفيه قد ادركا العربة اذ ذاك

فدنا بوفيه من كادودال يريد القبض عليه لكن هذا رماه برصاصة صرعته في الحال . ثم أطلق رصاصة أخرى على كانيول ولكنها لم تصرعه بل ان كانيول تمكن من ضربه بهراوته على رأسه ضربة أفقدته رشده . ولولا ذلك لتمكن من الفرار . ولم تمض بضع دقائق حتى أدرك المسكان رجال الشرطة فاحدقوا بكادودال وساقوه الى المحافظة حيث كلف دوبوا تفتيشه والقاء بعض الاسئلة عليه . ولم يبد على كادودال اثناء ذلك ادنى علامة للجزع أو الخوف فانه كان يجيب على الاسئلة بغاية السكون بل مع الازدراء والتهكم . ومن أمثلة ذلك ان دوبوا جعل يوبخه لقتله بوفيه وهو رب عائلة . فاجابه كادودال بسكون : الاجدر بكم مرة أخرى ألا تنفذوا الا العازبين للقبض عليَّ

ثم سأله دوبوا عن محل اقامته قبل القبض عليه فاجاب بتهكم : كنت نازلا في عربة . وهكذا كانت سائر اجوبته . فلم يستطع دوبوا ان يقف منه على أمر هام أو أن يفوز باستعلام ذي شأن . فارسله الى السجن المعروف بسجن توردي تمبل حيث وجد رفاقاً له كان قد ألقي القبض عليهم

وقد حافظ المسجونون على السكون ورباطة الجأش وكانوا يجتمعون في النهار في ساحة السجن وينشدون الاناشيد الدينية غير مكترثين لما سيحل بهم

وكان قد تقرر أن تبتدىء محاكمة المتهمين يوم الاثنين ٢٧ مايو فنقلوهم في ذلك

اليوم الى المحكمة . وكانت قاعة المحاكمة مع كبرها غاصة بالناس

فشرع القضاة يلقون الاسئلة على المتهمين الواحد بعد الآخر وهؤلاء لا يجيبون الا بعد ان يتفرسوا في وجه زعيمهم كأنهم يستمدون منه الجواب . وكان همّ كادودال الوحيد ان يخفف عن أتباعه وينقذهم بقدر استطاعته موجهاً اليه كل التهم . ولما طلب اليه ان يدافع عن نفسه قال بكل رباطة جأش : اذا كان لحضرات القضاة ان يضمنوا لي موتة أجمل من هذه دافعت عن نفسي والا فالسكوت اولى

وكان بين القضاة قاض اسمه توريو وهو من الذين وافقوا على قتل الملك لويس . وحدث انه سأل أحد المتهمين عن أيقونة عليها صورة الملك وجدت معه عند القاء القبض عليه ثم افتقدت قال : ماذا فعلت بتلك الصورة ؟ . فصاح به كادودال بازدراء : وأنت ماذا فعلت بالاصل ؟ (مشيراً الى مقتل الملك)

وكان الهدوء بادياً على المتهمين جميعاً ولم ينكر أحد منهم بان غرضهم كان اعادة عرش فرنسا الى من يستحقه من آل البوربون

ومن النوادر التي حدثت أثناء المحاكمة والتي تدل على عدم اكتراث المتهمين ان احدهم استغرق في النوم بينما كان المحامي عنه مسترسلا في المرافعة . وقد ضحك الحضور لهذا الحادث الا المحامي فانه غضب لما رآه من ازدراء موكله

وفي يوم الاحد ١٠ يونيو صدر الحكم بالقتل على ١٢ من المتهمين وفي مقدمتهم كادودال . فتلقوه جميعاً بكل سكينة

ثم نقلوا الى السجن انتظاراً لتنفيذ الحكم . فلما كانوا هناك قال جورج لرفاقه « لقد انتهينا الآن من واجبنا نحو ملك الارض وبقي علينا ان نقوم بواجبنا نحو ملك السماء » ثم شرع يصلي معهم . وكان دائماً يحضهم على تتميم واجباتهم الدينية

ومما يروى عن عناد كادودال انهم اتوا اليه ذات يوم (بعد اصدار الحكم عليه) برقعة فيها طلب العفو واكدوا له بان نابوليون مستعد للعفو عنه اذا هو وقّع تلك الرقعة . فنظر كادودال اليها واذا في اعلاها : « الى جلالة الامبراطور » (وكان نابوليون قد توج امبراطوراً) فرماها ورفض توقيعها قائلا لرفاقه : لنصلّ أيها الرفاق ، ان ذلك الشرير يريد أن يذلنا قبل أن يقتلنا »

وفي ٢٥ يونيو نفذ الحكم فيهم جميعاً بعد أن أتموا واجباتهم الدينيـة وكان جورج أول الصاعدين الى الغليوتين . فصعد اليها وهو يصيح : ليحي الملك !

جهد الولايات المتحدة

في السنة الاولى من دخولها الحرب

ليس من يجهل أهمية دخول الولايات المتحدة في الحرب الاوربية وما ينتظر من تأثيرها في سير القتال بحراً وبراً . فانها ما برحت منذ أعلنت الحرب على المانيا تفرغ قصارى جهدها في سبيل انجاد الحلفاء بالمال والرجال في أسرع ما تستطيع . وقد عثرنا في احدى المجلات الاميركية على أرقام واحصاءات تبين لنا ما صنعت تلك الدولة منذ دخلت الحرب في شهر ابريل من السنة الماضية . وهذه الارقام أبلغ من الوصف الطويل . وهي توضح لنا السبب الذي من أجله نرى الحلفاء واثقين بالفوز في النهاية مهما عانوا من المصاعب قبل بلوغه

فقد كان جيشها قبل الحرب ضئيلاً بالنسبة الى جيوش الدول الاوربية يكاد لا يزيد على ٢٠٠٠٠٠ جندي و٩٥٠٠ ضابط فاصبح عدده بعد مرور ١٢ شهراً أكثر من ١٥٠٠٠٠٠ جندي و١٢٣٠٠٠ ضابط . كذلك رجال بحريتها فبعد ان كان عددهم لا يزيد على ٨٣٠٠٠ بحري أصبح أربعة أضعاف ذلك العدد تقريباً أي نحو ٣٥٠٠٠٠ بحري

ولتدريب ذلك الجيش الجرار في مدة قصيرة أقامت الحكومة الاميركية معسكرات هائلة أنشئت خصيصاً لهذا الغرض . وهي أشبه شيء بمدن كبيرة مستوفية الشروط الصحية حاوية جميع أسباب الراحة على أحدث الانظمة وفيها المجاري ومواسير الماء والنور الكهربائي والمراسح والمستشفيات الخ . . .

وقد تمّ انشاء تلك المعسكرات في مدة قصيرة جداً . ففي ٧ مايو صدرت الاوامر بالبحث عن اماكن ملائمة لانشائها وفي ١٥ يونيو شرعوا في بنائها ولم يمض ٩٠ يوماً حتى تمّ بناؤها . وقد أنشيء ١٦ معسكراً للمجندين الجدد و١٦ معسكراً آخر للحرس الوطني الذي طلب للخدمة . وأنشيء ١٦ معسكراً صغيراً لتمرين الضباط . ثم ان وزارة البحرية عينت ٢٥٠ مكاناً لتمرين المتطوعين في الاسطول

وكان القسم الطبي في الجيش قبل الحرب مؤلفاً من ٨٠٠ ضابط و٥٠٠٠ موظف فاصبح اليوم ١٥٠٠٠ ضابط و١٠٠٠٠٠ موظف . وقد كان لهذه الزيادة أحسن تأثير في صحة الجنود . فلم يحدث في المعسكرات كلها وفاة واحدة

بالتيفوئيد أو الملاريا وهذان المرضان كانا في الحرب الاسبانية الاميركية أشد فتكاً بالجنود الاميركية من نار العدو

وقد اتفقت مصلحة المهمات مع ٣٠٠ معمل من معامل الانسجة الصوفية لصنع الملابس اللازمة للجنود وأوصت على ٢٠٠٠٠٠٠٠ حرام و٦٠٠٠٠٠٠ بالطو و٢٠٠٠٠٠٠٠ حذاء وقس على ذلك . وكان يأتي المعسكرات كل يوم من المؤونة والوقود ما يملأ ٢٥٠٠ عربة نقل . ولم يحدث أثناء ذلك شيء من حوادث التلاعب والاختلاس بين الحكومة والذين عاملوها . ولم يكن في مصلحة توريد الاسلحة النارية الا ٩٧ ضابطاً فاصبحوا ٥٠٠٠ ضابط تحتهم ٢٦٠٠٠ نفر . وقد جهزت تلك المصلحة في سنة مليون بندقية ونصف مليون سلمتها الى الجنود

وصار ما يصنع من البنادق في الاسبوع نحو ٤٥٠٠٠ وقد جهزت هذه المصلحة الجيش الاميركي بنحو ١٧٠٠٠ مدفع من مدافع المتراليوز. أما المدافع العادية فبعد ان كان المصنوع منها سنوياً ٢٠٠٠٠ مدفع اصبح ٢٢٥٠٠٠ مدفع . وقد استلمت المعسكرات وحدها الف مليون رصاصة وقنبلة . ثم انهم قد اتقنوا صنع مدفع متراليوز خفيف (من طرز بروننج) لا يزيد وزنه على وزن بندقية اعتيادية وهو يفوق كل المدافع التي من نوعه المستعملة في ميادين اوربا . وصنعوا أيضاً مدفعاً آخر من هذا النوع ولكنه أثقل قليلاً (يسمى كولت بروننج) يستطيع ان يطلق ٢٠٠٠٠ طلقة في ٤٨ دقيقة و١٦ ثانية من غير ان يطرأ عليه أدنى خلل

وقد تعهدت الحكومتان الانكليزية والفرنسية من تلقاء نفسهما بتقديم اللازم من المدافع الضخمة للجيش الاميركي اقتصاداً في محمول السفن القادمة من اميركا حتى يتيسر لها زيادة مشحونها من الطعام والذخيرة . على ان الحكومة الاميركية قد شرعت الآن في صنع المدافع الضخمة في بلادها

ولم يكن في اميركا مصانع معدة لصنع المدافع التي من طراز مدفع ٧٥ الفرنسي لان صنعه يستدعي دقة عظيمة جداً . فانه لا يصلح للاستعمال اذا كان في احد اجزائه زيادة أو نقص يوازي $\frac{٢}{١٠٠٠}$ من البوصة . ولكن الحكومة الاميركية حملت رجال صناعتها على الشروع في صنع تلك المدافع وعاونتهم على بناء معمل لذلك تبلغ مساحته ١٣ فداناً . وقد تم بناؤه وبدأ عمله

وبلغت الاعتمادات التي منحت لمصلحة الاسلحة النارية نحو الف مليون جنيه أي نحو ثلاثة أضعاف نفقات الحكومة الاميركية السنوية كلها في زمن الصلح

أما البحرية فقد أصبح عدد رجالها أربعة أضعاف عددهم قبل الحرب وزاد حجم

أسطولها ثلاثة أضعاف حجمه وقتئذ . ولم يكتف الاسطول بحراسة القسم الغربي من المحيط الاطلنتيكي بل ساعد الحلفاء على حراسة المياه الاوربية أيضاً ولم يخسر مع ذلك الا قطعتين صغيرتين . وقد أنشأت وزارة البحرية مصانع خصوصية لعمل لوازمها المختلفة ولوازم بحارتها باقرب وقت وأرخص ثمن

وقد زادت تجارة الولايات المتحدة الخارجية من ٤٠٠ مليون جنيه الى ١٨٠٠ مليون جنيه وارصفة موانئها غاصة بالبضائع المعدة للشحن . ومنذ أعلان الحرب وضعت أميركا يدها على ١١٢ سفينة من سفن الاعداء محمولها ٧٨٨٠٠٠ طن وعلى ٤٢٥ سفينة حديدية كانت ملكاً خاصاً للشركات والافراد ومحمولها ٣٠٠٠٠٠٠ طن . وقد أوصت بصنع ٧٢٠ سفينة حديدية محمولها أكثر من ٥٠٠٠٠٠٠ طن و٤٩٠ سفينة خشبية محمولها نحو ١٧٠٠٠٠٠

ولايسع من يمعن النظر في هذه الارقام الا ان يعجب بمجهود تلك البلاد النشيطة التي هبت هبة واحدة وبعزيمة ثابتة تريد القضاء على الاوتوقراطية الالمانية . ولسوف يدرك الالمان ان اكبر خطأ ارتكبوه كان حملهم الولايات المتحدة الاميركية على دخول هذه الحرب

من أبلغ ما قيل

من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين كان أحرى أن يخطىء في أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل

أن قريبك من قرب منك خيره وابن عمك من عمك نفعه وعشيرك من أحسن عشرتك . وأهدى الناس الى مودتك من أهدى بره اليك

كتب معاوية الى عمرو بن العاص وبلغه عنه أمر : وفقك الله لرشدك بلغني كلامك فاذا أوله بطر وآخره خور ومن أبطره الغنى أذله الفقر وهما ضدان مخادعان للمرء عن عقله وأولى الناس بمعرفة الدواء من يبين له الداء والسلام

(فاجابه) طاولتك النعم وطاولت بك ، علو إنصافك يؤمن سطوة جورك ، ذكرت أني نطقت بما تكره وأنا مخدوع وقد علمت أني ملت الى محبتك ولم أخدع ومثلك شكر مسعى معتذر وعفا زلة معترف

حل المشكلة الاجتماعية الكبرى

بمشاركة العمال لاصحاب المال

لم يعرف العصر الحديث مشكلة أعقد حلها كمشكلة العمال وعلاقتهم باصحاب المال. او بعبارة اخرى مشكلة توزيع الارباح الناجمة عن العمل بين مستحقيه

ويرى الاشتراكيون ان الحل الوحيد لهذه المشكلة أنما هو انتزاع الوسائل التي تحدث الثروة من أيدي أصحاب المال وجعلها ملكاً للعمال فيتقاسمون ربحها فيما بينهم بدلاً من ان يتقاضوا اجوراً معلومة قد لاتفي بحاجتهم في حين ان مخدميهم ينالون الجانب الاكبر من الربح كما يقضي بذلك النظام الحاضر

وقد انتشرت أخيراً فكرة متوسطة بين هذين الطرفين مؤداها أن يكون للعمال قدر معلوم من الارباح ومن رأس المال فيصبحون بذلك شركاء في المصنع الذي يصنعون فيه . ولعل الحرب الحاضرة تساعد على أنماء هذه الفكرة فقد اوجدت في نفوس المتحاربين من جميع الطبقات عاطفة أتحاد والفة من جراء اجتماعهم جميعاً تحت قيادة واحدة والتفافهم حول راية واحدة . فسرعان ما شعروا بانهم ليسوا الا اخوة مجتمعين لنصرة امتهم والدفاع عن كيانهم وشرفهم ونبذوا الاختلافات الاجتماعية التي كانت مستحكمة بينهم

ويتساءل البعض اليوم عما اذا كانت هذه العاطفة تظل قوية متينة أم تتلاشى بانتهاء الحرب فتعود الحال الى ما كانت عليه بمعنى أن روح العداء والتنافس يتجدد بين العمال وهم الطبقة الفقيرة العاملة واصحاب المال وهم الطبقة الغنية المستأثرة

لا بد لبقاء ذلك الشعور السامي الذي أوجدته الحرب من تساهل هذين الفريقين كل من جهته . وأهم خدمة يقوم بها صاحب المال في سبيل تحقيق هذه الامنية هو اشراك عماله في الارباح التي يجنيها من عرق جبينهم والسعي لاشراكهم في رأس المال ايضاً بنسبة معتدلة . فلو تم ذلك يكون صاحب المال قد قام نحو ابناء وطنه بخدمة جليلة لا تذكر امامها أعمال البرلمانات وقرارات الحكومات في هذا الصدد

وفي مقدمة ثمار هذا النظام الجديد تنشيط العمال حتى يقبلوا بكليتهم على العمل وانهاض هممهم ومضاعفة ثقتهم في نفوسهم وتزكية شعورهم بالمسئولية الملقاة على عاتقهم وبالواجبات المفروضة عليهم . ناهيك بما ينشأ عن اشتراكهم في العمل وارباحه من سعيهم المتواصل في انتاج أقصى ما يمكنهم انتاجه من الثروة

نظام اقتسام الارباح Profit Sharing

يقضي هذا النظام بتنازل صاحب المال عن جزء من أرباحه لعماله . ولابد من توزيع هـذا الجزء على جميع العمال أو على معظمهم على الاقل . وهو يختلف طبعاً بحسب الارباح الناتجة عن العمل زادت أو قلت . الا انه لا يجوز اشتراك العامل في الربح الا بعد اسقاط قدر منه بصفة فائدة لرأس المال . وما يتبقى بعد ذلك يقسم بين صاحب العمل والعمال بنسبة قيمة رأس المـال وقيمة أجور العمال المعطاة لهم في بحر السنة . وقد تربو هذه الاجور على مبلغ رأس المـال تبعاً لكثرة الايدي العاملة فتزيد حصة العمال على حصة صاحب المال في هذا التقسيم

هذه هي الطريقة المثلى المقتضى اتباعها في توزيع الارباح بالمعنى المقصود وليس ثمت طريقة أفضل منها لانصاف الفريقين

الاشتراك في ملكية رأس المال Labour Copartnership

وبعد منح العمال حصصاً من ارباح العمل يمكن اشراكهم بالتدريج في ملكية رأس المال . وخير وسيلة للوصول الى الغرض المطلوب هي ان لا يعطى العمال حصصهم من الربح نقداً بل اسهماً تحسب من أصل رأس المال وتعطى لهم عليها فائدة سنوية . وبهذه الطريقة يتحول المصنع من ملكية الفرد الى شركة مساهمة يشترك فيها مجموع العمال

وهذا مثل يبين ما جرى في أحد المصانع التي أشرك أربابها عمالهم في أرباحها وفي ملكيتها مدة ست وعشرين سنة متبعين القواعد التي ذكرناها

كان رأس مال هذا المعمل في أحدى السنوات ١٨٠٠٠٠ جنيـه وأجور عمـاله ١٤٠٠٠٠ جنيـه وقد ربح في تلك السنة نحو ٣٣٠٠٠ جنيه خصص منها فائدة ٥ في المئة لرأس المال أي ٩٠٠٠ جنيه وما تبقى وقدره ٢٤٠٠٠ جنيه قسم بين العمال ورأس المال بمعدل ٧ ١/٢ في المئة من قيمة كل من رأس المال والاجور. وبهذا يكون العامل قد استولى غير أجرته السنوية على مبلغ يوازي ٧ ١/٢ في المئـة من أجرته بصفة ربح من أصل أرباح المصنع

أما رأس المال فاقتصر ربحه على ٥ + ٧ ١/٢ = ١٢ ١/٢ في المئة

وقد أعطي العمال أسهماً في ملكية هذا المصنع بدلاً من حصتهم في الربح قيمة كل سهم منها جنيه واحد ولها فوائد سنوية . وللعمال ان يحتفظوا بهذه الاسهم الا اذا تركوا المصنع فيجب عليهم بيعها في بحر ستة أشهر من خروجهم ولا يحق لغير عمـال المصنع حيازتها . ولحاملها جميع الحقوق التي لأي مساهم في المصنع

وقد نتج عن اشراك العمال في ارباح ذلك المصنع وفي ملكيته ان اصبح ثلثا رأس المال في حيازتهم وهم يتقاضون ثلاثة ارباع الارباح فضلاً عن اجورهم

اقتسام الخسائر

لا يجب طرق مسألة اقتسام أرباح العمل الا بعد تسديد الاجور فلو حدث ان مني المصنع أو المعمل بخسارة في بعض السنين فلا يجب ان تلحق الخسارة تلك الاجور باي صورة من الصور وانما يحرم ارباب المال ارباحهم والعمال حصتهم من تلك الارباح

واذا استمر المصنع في مقاضاة حصص عماله أسهماً يخشى من ازدياد رأس المال زيادة عظيمة ولكن هذا الامر يمكن تلافيه باعطاء هذه الحصص نقداً بدلاً من ان تكون اسهماً أو تخصيص بعضها أو كلها للقيام باعمال ومشروعات تفيد العمال عموماً كبناء مساكن لهم أو مدارس لاولادهم أو ما اشبه ذلك

ولا شك ان النتائج الادبية التي تنجم عن النظام الذي ذكرناه عظيمة الشأن وجديرة باعتبار جميع أرباب الاموال كي لا يقتصروا على جني الارباح واحتكارها لانفسهم بل يسعوا في تمهيد السعادة لعمالهم ، فضلا عن انها تزيد في اهمية العمل الذي يقوم به العمال وتشرفه في أعينهم

بذا يستفيد العامل فائدتين أدبية ومادية . فتزداد رغبته في العمل ويتضاعف اقباله عليه ويتقاضى اجراً حسناً يساعده على التنعم في معيشته وترقية شؤون عائلته . وفي الوقت نفسه يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه لانه يجد أن من مصلحته الشخصية نجاح عمله ويشعر بضرورة الاقتصاد للمستقبل . كذلك تترقى فيه عاطفة الاستقلال والاعتماد على النفس والحرية الشخصية

على اننا مع ذلك نرى الكثيرين من أرباب الاموال ينفرون من مبدأ مقاسمة العمال لهم في ارباحهم ويترددون في وضع ثقتهم بعمالهم ومساعدتهم على تحسين احوالهم الاجتماعية والاقتصادية

ولكن قد آن للعالم ان يفتح عينيه ويقضي على هذه الشكوك والاوهام حتى تقوى حاسة الثقة والتضامن بين الفريقين . فيستفيد كل منهما فائدة لا تناقض فائدة الآخر . ولا شك في ان مبدأ اقتسام الارباح والشركة بين اصحاب المال والايدي العاملة يعد خطوة كبيرة في سبيل سعادة الجنس البشري

من اشهر ما قيل

في أثناء هذه الحرب



هر فون بتمن هولويج

المستشار الالماني من سنة ١٩٠٩ — ١٩١٧

لا نعرف الضرورة قانوناً (في الريخستاغ في ٤ أغسطس سنة ١٩١٤)

لقد احتلت جيوشنا لكسمبرغ ولعلها دخلت أيضاً الارض البلجيكية . ذلك خرق في القانون الدولي . . . على ان الاساءة — واني أكلمكم بصراحة — التي أتيناها بعملنا هذا سوف نعوض عنها حالما نبلغ أغراضنا الحربيـة (في الريخستاغ في ٤ اغسطس سنة ١٩١٤)

ألاجل كلمة واحدة — كلمة « حياد » التي طالما أغضي النظر عنها في وقت الحرب — لاجل خرقة من الورق تقوم انكلترا لشهر الحرب على أمة مجانسة لها ! (للسفير البريطاني في برلين في ٤ اغسطس سنة ١٩١٤)

هر فون ياجوف

وزير الخارجية الالمانية من سنة ١٩١٣ — ١٩١٦

من الواضح الجلي انه يتعذر علينا الاستفادة من ضم أرض بلجيكية ما لم نضم معها

في الوقت نفسه أرضاً هولندية (الى الحكومة الانكليزية في ٤ اغسطس سنة ١٩١٤)

حتى في حالة نشوب الحرب مع بلجيكا لن تتذرع المانيا بحجة من الحجج لضم أرض بلجيكية اليها (الى الحكومة الانكليزية في ٤ اغسطس سنة ١٩١٤)

هر مكسيمليان هردن

الصحافي الالماني الشهير

لقد أردنا هذه الحرب بل لم يكن لنا بد من ارادتها (نشرت في « زكنفت » اكتوبر سنة ١٩١٤)

ان الخطأ الاكبر كان اعتراف المانيا بانها انتهكت حرمة البلجيك . فلا الله ولا الشيطان يستطيع ان يخلصنا من هذا الاعتراف (« زكنفت » اكتوبر سنة ١٩١٤)

مبدأ واحد ، ومبدأ واحد فقط ، ينبغي اعتباره لانه يلخص ويحوي سائر المبادىء — وهو القوة (« زكنفت » اكتوبر سنة ١٩١٤)

ماجور جنرال ستنجر

قائد اللواء الخامس والثامن الالماني

يجب قتل جميع الاسرى . كذلك يجب قتل الجرحى سواء حملوا أسلحتهم أو لم يحملوها . ثم ان الاسرى ينبغي قتلهم حتى متى كانوا جماعات كبيرة منظمة . فلا يجب ان نترك خلفنا أثراً (الامر الصادر في ٢٦ اغسطس سنة ١٩١٤)

كونت لكسبرج

الموكل باعمال السفارة الالمانية بالارجنتين

أما بخصوص السفن الارجنتينية فاني أوصي اما باجبارها على الرجوع أو باغراقها من غير ان يبقى لها اثر (تلغراف ٩ يوليو سنة ١٩١٧)

جريدة كولنيش زيتنغ

لقد اضطرتنا الاحوال القاهرة غير مرة الى ان نحيد عن طريق الاستقامة (٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٤)

المستر لويد جورج

لا خلاص لنا الا بيذل أنفس ممتلكاتنا وأقوى قوتنا (من مقدمة كتاب له)

مسئلتنا الخطيرة هي تهيئة سبل النصر لا الاعتماد عليه كقضية مسلمة (٢٣ يونيو سنة ١٩١٥)

ان الروح التي تجعل أعداءنا يأكلون الخبز المصنوع من البطاطس لهي روح جديرة بان نحوط لها اكثر مما ان نهزأ بها .

(٢٨ فبراير سنة ١٩١٥)

يجب أن نكف عن قولنا « المرة القادمة » (في اغسطس سنة ١٩١٧)

عندما نبذل قوة شعبنا المتحد باكملها ننال النصر — ولكننا لن نناله الا بذاك الشرط (٧ سبتمبر سنة ١٩١٧)

الرئيس ولسن

ان الاساءات التي انبرينا لتقويمها ليست اساءات سهلة معتادة فانها تتصل باعمق جذور الحياة البشرية (٢ ابريل سنة ١٩١٧)

لا يمكن الاعتماد على قول حكومة اوتوقراطية . فالشعوب الحرة وحدها هي التي تظل متمسكة بغرضها وبشرفها الى النهاية (٢ اغسطس سنة ١٩١٧)

لا يمكننا ان نعد كلمة حكام المانيا الحاليين ضماناً لحالة مستديمة (٢٩ اغسطس سنة ١٩١٧)

ان ما نطلبه في هذه الحرب ليس بالامر العائد علينا وحدنا . فانما غرضنا ان نجعل العالم صالحاً لان نعيش فيه بامان بل لتأمن فيه كل أمة محبة للسلام — كأمتنا — تود ان تنال قسطها من الحياة وان تختار نظاماتها وتتأكد من انصاف الدول الاخرى وحسن معاملتها لها . . .

المستر اسكويث

لن نغمد سيفنا الذي لم نشهره عن طيش وخفة الا متى استعاضت البلجيك عن كل ما بذلته بل عن اكثر مما بذلت ، وامنت فرنسا كل اعتداء عليها ، ومتى وُضعت حقوق الشعوب الضعيفة في اوربا على أساس لا يمكن مسه ، وتلاشت سيطرة بروسيا العسكرية ملاشاة نهائية (٩ نوفمبر سنة ١٩١٤)

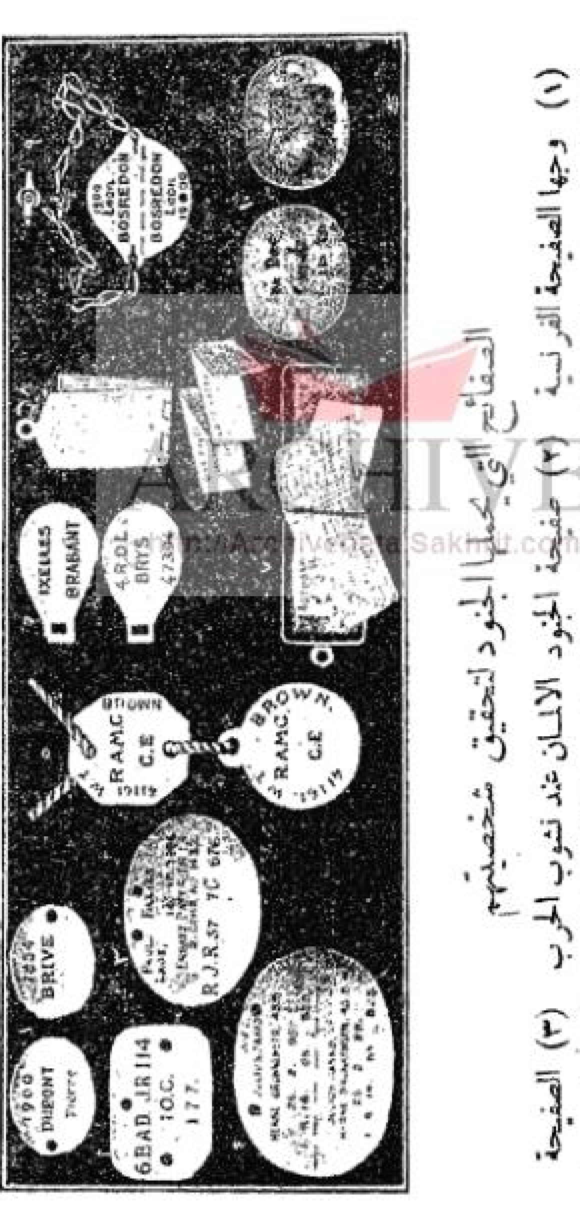
المسيو كليمنصو

ينبغي لمن يقاوم الالمان ان لا يعرف الكلل

صفائح الجنود

وكيف تحقق شخصية المصابين منهم

كان القتال في العصور السالفة مهنة يتعاطاها افراد مخصوصون يعرفون بعضهم بعضاً ولا سيما اذا كانوا قادمين من جهة واحدة . وكان المحاربون يملئون المدنة بين حين



الصفائح التي يحملها الجنود لتحقيق شخصيتهم

(١) وجها الصفيحة الفرنسية (٢) صفيحة الجنود الالمان عند نشوب الحرب (٣) الصفيحة الالمانية سنة ١٩١٥ (٤) الطرز الالماني الحاضر (٥) الصفيحة الانكليزية المزدوجة (٦) وجها الصفيحة البلجيكية (٧) الكتيّب الذي يحمله الجنود النمسويون (٨) الكتيب الذي يحمله الجنود الايتاليون (٩) احدث طرز فرنسي من صنع الدكتور بوسريدون (١٠) صفيحة البحارة الاميركيين

وآخر حتى يتاح لهم نقل الموتى والجرحى - فكل ذلك كان من شأنه ان يسهل مهمة التحقق من شخصية المصابين . ولا يخفى أنه يقف على اثبات الموت نتائج قانونية ذات شأن بخصوص ممتلكات الميت ووارثيه وغير ذلك

أما اليوم فقد اختلفت الحال اذ اتسع اولاً مجال القتال وتقاطر المقاتلون من جهات مختلفة حتى ان الواحد منهم لا يعرف زملاءه في كثير من الاحيان او لا يعرف بينهم الا القليلين . ثم ان تطورات المعارك الحديثة وفتك الاسلحة النارية في المحاربين وتشويهها لشكلهم وملامحهم - كل ذلك جعل من الضروري الاعتماد على طريقة ناجعة للتثبت من شخصية المصابين . وقد بلغت هذه الحرب من الفظاعة مبلغاً يصعب معه أحياناً على اعز اصدقاء المصاب تبينه والتحقق من شخصه لما قد ينتابه من التشويه الشنيع فضلاً عن انحلال الاجسام الهامدة وهي معلقة على الاسلاك الشائكة حيث تبقى عدة ايام لا يستطيع أحد الاقتراب منها

على ان الصفائح الشبيهة بالايقونات التي يستعملها الجنود ليست من مستحدثات هذه الحرب فقد استعملت في معظم الحروب الحديثة كالحرب الاهلية الاميركية وحرب سنة ١٨٧٠ وغيرها

ولما نشبت هذه الحرب كان للجنود المتحاربين جميعاً صفائح عليها اسماؤهم وارقام فرقهم وان اختلفت بعض الاختلاف في النوع والشكل . فالفرنسيون كانوا يحملون صفائح من الطرز المبين في الشكل نمرة ١ في الصورة . أما الالمان فقد كانت لهم صفائح فضة ثم استبدلوها بصفائح من الالومينيوم . على انهم ما لبثوا ان وجدوها غير ملائمة لسرعة عطبها فعادوا ثانية الى استعمال الصفائح الفضية

وكانت الصفائح في اول الامر تعلق غالباً باشرطة حول العنق ولكن معظم الجنود اليوم يفضلون ربطها حول اليد . ثم ان الجندي في بدء الحرب كان يحمل صفيحة واحدة ثم صار يحمل اثنتين ترسل احداها عند وقوعه الى ارباب السلطة لعمل الاجراءات اللازمة وتبقى الاخرى معلقة على جسمه

أما الجندي الانكليزي فكان يحمل في اول الامر صفيحة مستديرة من الالومينيوم عليها نمرته واسمه وفرقته ودينه . على ان الانكليز كانوا في بعض الاحيان يكتفون بقطعة من الورق المقوى لقلة الالومينيوم . ولكن ابتداء من نوفمبر سنة ١٩١٦ صنعت الحكومة الانكليزية طرزاً جديداً من هذه الصفائح . فكل جندي انكليزي يحمل الآن صفيحتين (انظر شكل د) واحدة خضراء مستديرة والاخرى مثمنة الاضلاع حمراء اللون والاولى معلقة بالثانية . فاذا سقط الجندي انتزعت منه الصفيحة الخضراء وتركت عليه الحمراء حتى

اذا ما احتاجوا الى التثبت من شخصيته مرة أخرى استطاعوا ذلك

وكان البلجيكيون يحملون صفائح من الطرز المبين في الصورة حتى في زمن الصلح . ولكنهم بعد سنة ١٩١٥ عمدوا الى الاقتداء بالفرنسيين واستعمال صفائح مماثلة لصفائحهم

أما الجنود الايتاليون فانهم دخلوا الحرب ولكل واحد منهم صفيحة معدنية مخيطة في قميصه . ولكنهم ما لبثوا ان عدلوا عن هذه الطريقة منذ نوفمبر سنة ١٩١٥ فترى على الجندي الايتالي اليوم شبه كتيّب صغير يربط حول العنق وهو يفتح ويقفل وفيه ورقة مطوية عليها المعلومات اللازمة ، بل أنها تحوي اكثر من صفائح سائر الجنود ففيها اسم الجندي كاملاً وصفه وبلده واسماء اهله ومقرهم وفرقته وتاريخ التطعيم والجروح الخ . . .

ولما دخل السرب الحرب كانوا يحملون صفائح مماثلة لصفائح الايتاليين في اول امرهم ولكنهم استبدلوها بصفائح من الطرز الفرنسي

أما الروس فلعلهم كانوا احوج من سواهم الى تلك الصفائح لكثرة الذين قتلوا منهم ولكن الحكومة السابقة لم تعن بهذا الامر (ما عدا الروس الذين قدموا الى فرنسا فانهم اقتدوا بالفرنسيين) فكان يقتل ألوف الروس من غير أن يحقق أمرهم

وقد ذكرنا سابقاً ان الالمان كانوا يستعملون صفائح فضية في اول الحرب على طرز الصفائح التي استعملوها سنة ١٨٧٠ ولم يكن فيها الا نمرة الاوردي والفرقة ونمرة الجندي ثم استبدلت بصفائح بيضوية الشكل (انظر الشكل ٣) وهي اكبر حجماً واوفى بالغرض المطلوب وفيها الاسم والبلد وتاريخ الميلاد والتجنيد وغيرذلك . واخيراً في نوفمبر سنة ١٩١٦ استعمل الالمان طرزاً جديداً كما ترى في الشكل ٤ . فالصفيحة الالمانية الحاضرة كما ترى بيضوية الشكل وهي مقسومة الى قسمين وعلى كل قسم ذات المعلومات المدونة على الآخر . ومن مميزاتها انه يسهل قضمها وفصل هذين القسمين بحيث يبقى الواحد معلقاً ويرسل الآخر الى الموكلين باجراء اللازم من هذا القبيل

أما النمسويون فلهم كتيّب شبيه بالذي يستعمله الايتاليون يحمل على العنق

وقد فحص اخيراً الدكتور بوسريدون الفرنسي جميع تلك الصفائح ودرسها درساً دقيقاً فتوصل الى صنع طرز جديد منها ليستعمله الجيش الفرنسي وهو كما ترى في الصورة (شكل نمرة ٩) يشبه الطرز الالماني من بعض الوجوه . فكل صفيحة مقسومة الى قسمين يمكن فصلهما بسهولة عند اللزوم وهي تحمل في اليد بسلسلة خاصة

وتمتاز صفائح البحارة الاميركيين بان عليها فضلاً عن الاسم والمعلومات الضرورية بصمة باهم البحري . وهي مصنوعة من معدن لا يؤثر فيه ماء البحر

العائلة والمنزل

الصحة وكيف نتوصل الى وقايتها [1]

يجوز لنا ان نشبه جسم الانسان بحصن يهاجمه الاعداء من كل ناحية وفي كل لحظة . فكما ان القلعة اذا توانى الحراس في حراستها سقطت في يد العدوّ المحدق بها وصعب فيما بعد استرجاعها ، هكذا صحة الانسان تحتاطها الادواء على الدوام وتحيق بها العلل ، فاذا تغلبت عليها صعب جداً اعادتها الى حالتها الاصلية

فمن هم حراس قلعة الجسم البشري ؟ . . وكم عددهم ؟ . . وما هو سلاحهم ؟ . . وما هي وظائفهم ؟ . . تلك مسائل نأتي على بسطها اقتضاباً فيما يلي . انما أرجو من سامعيّ الكرام تتبعي في بحثي هذا خطوة خطوة ، لان هذا البحث — ككل بحث علمي عملي — هو عبارة عن سلسلة حلقات متماسكة اذا فقد السامع حلقة منها تاه عن الغرض المطلوب

قلت ان الجسم البشري يشبه الحصن ، بل يجوز تشبيهه بمملكة منظمة حاكمها الاكبر الدماغ ، ومدير اشغالها العامة القلب وشرايينه ، ومدير الذخيرة فيها المعدة وباقي الجهاز الهضمي . فما دامت اعضاء الجسم الانساني سائرة على خطة منظمة في القيام بما عهد اليها من المهام ، كان الجسم أميناً من كل عدوّ مفاجيء . ولكن يوم يحلّ فيها الضعف او يعروها شيء من الوهن ، فهناك الخطر العظيم عليها اذ تصبح عرضة لهجمات العلل الوبيلة والادواء الفاتكة

على اني اسمع معترضاً يقول : « ان ولدي أتاه المرض فجأة ، فلم يكن يشعر بشيء أبداً ، بل كان في تمام الصحة والعافية »

فرويدك أيها المعترض . ألا فاعلم ان ذياك الولد — قبلما اشتد عليه الداء — قد كان منحرف الصحة منذ بضعة أيام ، على ان والدته لم تهتم لامره لانها كانت في أشغال البيت ، ولعلها تتذكر الآن ان ابنها كان يسعل من وقت الى آخر ، وانه فقد قابلية الطعام ، واحترّ جسمه ... بيد ان جارتها قالت لها « لا تجزعي ، سلميه الى الله ، ماذا يقدر ان يعمل الطبيب ؟ بالامس حصل لابني مثل ذلك ، وانتهى الامر على سلامة وخير » . وهكذا حوّلت افكارها عن اجراء اللازم منذ البدء . ولما اشتدت الوعكة

(١) من خطبة القيت في احدى الحفلات بيوسطن في الولايات المتحدة

عليه اصبح جسمه أقلّ قوة ونشاطاً لدفع الامراض المنتشرة جراثيمها في الهواء المحيط بنا ، والملتصقة بمواد غذائنا من لبن وخبز وخضار وفاكهة . ولما دخلت هاتيك الجراثيم الى بدنه النحيف الغضّ عن طريق التنفس أو الهضم ، وجدت حامية الجسم منهوكة القوى ، خائرة العزم ، فانشبت براثنها فيه

ورب معترض آخر يقول : « الا بربك اعفنا من هذا التفلسف ، فانما المرض أمر ربانيّ ، ومن له عمر لا تقتله شدة . . . وهلا ذكرت أيها الناصح المتفلسف قوله تعالى : أنا الذي أميت وأحيي ، واسعد وأشقي »

فعلى رسلك ايها المعترض . انا مثلك أؤمن باله واحد خالق قد سوّى فابدع ، وأقر بانه لا يتم شيء في الكون الواسع الا بأذنه ومشيئته ، تقدست اسماؤه الحسنى . بيد انه — جلّ شأنه — قد وضع نواميس وحدوداً لهذا الكون وسنّ لمخلوقاته شرائع وأنظمة وأمرهم باطاعتها والعمل بها وتوعّد المخالف باشد العقاب ، وحسبنا دليلاً على ذلك الحاقه القصاص الرهيب بابينا آدم عليه السلام وبكل ذريته من بعده

***

فعلينا اذن — أيها السادة والسيدات — التمسك بالاوامر الصحية التي سنها لنا الله والتي يرسمها كل يوم علماؤنا الاعلام . فهم — فيما يتعلق بشؤون الصحة — بمنزلة الرسل والمبشرين الذين لهم القسط الاوفر في أشر الكتب المنزلة وهداية البشر

واني اعتقد أن الوالدين الذين يتكلون اتكالاً أعمى على العناية الحافظة — بدون أن يتمسكوا بالوصايا الصحية — مصابون بداء الكسل . وكأني بهم يريدون التنصل من كل مشقة أو تعب ، بدعوى اتكالهم على الله — والله عز شأنه لن يرتضي بمثل هذا التكلان بل قد قال للانسان الاول : بعرق جبينك تأكل خبزك . والمثل الدارج يقول عن لسان الباري تعالى : يا عبدي قم حتى أقوم معك . والمثل الفرنسي يقول : ساعد نفسك تساعدك السماء !

وبهذه المناسبة أتذكر حادثة محزنة تريكم جلياً ضرر الاتكال بدون سعي : منذ بضع وعشر سنوات — اذ كنت في حمص — عالجت طفلا تحققت اصابته بالخناق (أي الدفتريا) . وكنت أحذّر والديه وجدته ألا يدعوا بصاقه ومواد قيائه أن تلوّث الاحرمة وغيرها من أثاث البيت ، لانها تخزن في طياتها جراثيم العلة وقد تعود فتنقلها بعد أشهر لا بل سنين الى أشخاص آخرين لانها شديدة السراية والعدوى . ولكنني كنت كالكاتب على صفحات الماء . أخيراً ساعدت العناية وأبل الطفل ، لكن أخاه

الثاني الاصغر منه سناً أصيب بالداء فبادرت حالا الى مداواته ، وكنت عند كل عيادة أحذر ذويه بوجوب التحفظ من نشر جراثيم العلة . لكنني ما كنت لاسمع الا هذا القول : الله المسلم يا شيخ . أو ما شاكله . أخيراً برئ الولد الثاني . وبعد شهر من الزمان أخذ الوالدان ابنيهما الى دير مار جرجس ليحلقا لهما شعرهما اذ كانا قد نذرا ذلك . ولنكد الطالع احتاجا في تلك السفرة الى استعمال الاحرمة الصوفية التي كانا يستعملانها لهما أثناء مرضهما . فحدث بعد عودتهما من الزيارة الى البيت ان أصيب الولد الاكبر بالحصبة التي ما عتمت ان اختلطت بالخناق ثانية . ولكن في هذه المرة امتدّ الداء الى حنجرته وقتك به ، وفي اليوم الثاني أصيب أخوه بنفس العلتين وقضى نحبه ، ثم بعد يومين أصيبت أختهما الصغرى ولحقت بهما . . . كل ذلك جرى في أسبوع واحد ! . . . فتأملوا

٭٭٭

سامعيّ الكرام – سبق فقلت ان جراثيم الادواء منتشرة في الهواء المحيط بنا – أي الهواء الذي نتنشقه ، والذي يدخل الى رئاتنا . فهي تلامس بيوتنا ، وثيابنا ، ومواد طعامنا ، والمياه التي نشربها ، وقطع النقود التي نتعامل بها الى آخر ما هنالك

ولقد أثبت العلم ان أغلب العلل – ان لم تكن كلها – ذات جراثيم سارية غاية في الصغر ، لا ترى الا بالنظارات المكبرة التي تعظم الشيء من ٥٠٠ مرة الى الف مرة فاكثر . أما العلل التي لم يقفوا بعد على جراثيمها فالعلماء مجمعون على انهم سيجدون تلك الجراثيم يوماً ما . وبناء على ما تقدم نرى جلياً ان العلم بتقدمه وارتقائه قد قتل فكرة الاصابة بالعين التي كانت في ما مضى سائدة بين الناس حتى انها حملت على النطق بالقول المأثور : العين حق والعدوى باطلة . فيجوز لنا اليوم قلب الآية فنقول : ان العدوى حق والعين باطلة

فاذا اعتقدنا صحة ما تقدم – وتلك هي الحقيقة التي لا يماري فيها – ترتب علينا ان نجتهد في جعل حامية جسمنا على أتم الاستعداد لدفع كل مفاجيء معتد

ويحسن بنا ان نعرف أولاً ما هي أو بالحري من هي الحامية في الجسم البشري

لا يخفى ان دم الانسان مركب من مصل وكريات بنسبة ٦٠ في المائة من الاول وأربعين من الثاني . ووظيفة الدم هي حمل الاوكسيجين والغذاء الى الانسجة ، ونقل موادّ الدثور والانحلال من الاعضاء والانسجة الى الآلات المفرزة كالجلد والكليتين والرئتين . ومن وظائفه الهامة أيضاً حفظ البدن على حرارة متساوية أي جعل الحرارة فيه على قدر واحد

أما الكريات الموجودة في الدم فعديدة . وأهمها نوعان : الكريات الحمراء والكريات البيضاء . اما الكريات الحمراء ، وعددها يربو على خمسة ملايين في المليمتر المكعب من الدم ، فوظيفتها ان تنقل الى الانسجة أوكسيجين الهواء الذي نتنفسه . وبعد ان تدور بواسطة الشرايين والاوعية الشعرية وتلحق أقصى وأدق أقسام الجسم موزعة عليها ما تحمل من الاوكسيجين الضروري للحياة ، ترجع بدورتها الدموية الى خلايا الرئتين العديدة حيث تمتص الاوكسيجين ثانية من الهواء الجديد الذي نستنشقه بالتنفس بعد ما ندفع الهواء الاول الذي أصبح فقيراً الى الاوكسيجين (أي غدا ساماً لقلة الاوكسيجين فيه وتشبعه بالحامض الكربوني الذي حملته اليه الاوردة من الجسم)

أما الكريات البيضاء فهي اكبر من الحمراء ويبلغ حجمها $\frac{1}{٢٥٠٠}$ جزء من القيراط ، وهي ذات نوى وحركات اميبوية (Ameboid) وتتولد في الجسم البشري من النسيج اللمفاوي والطحال ومخ العظام ويبلغ عددها من خمسة الى عشرة آلاف في المليمتر المكعب من الدم . فتكون اذن نسبة عددها الى عدد الكريات الحمراء كنسبة واحد الى خمسمائة أو الف . ولهذه الكريات البيضاء خاصة الفتك بالاجسام الغريبة والموادّ الصابغة وأنواع الراجيبات الحية والميتة ، مع كل ما تفرزه من موادها السامة

وأول من أشار الى فعلها هذا هو متشنكوف الروسي خلفة العلامة باستور الشهير (Pasteur) . وقد ذهب متشنيكوف أولاً الى أن حماية البدن من فتك الجراثيم الوبيلة تنحصر في الكريات البيضاء وحدها . بيدّ انه عاد فبدل رأيه فيما بعد عند ما أثبت العلماء خاصة مصل الدم لقتل الباكتيريا ، ثم أثبتوا بعد ذلك وجود مواد في الدم تدعى الكسين (Alexins) وغيرها تدعى أوبسونين (Opsonins)

فكل ما ذكر يساعد معاً على ملاشاة ما تفرزه الجراثيم الوبيلة عند دخولها الى الجسم وجعلها في حالة من الضعف تمكن الكريات البيضاء من ابتلاعها وملاشاتها

والخلاصة أنه ما دام الجسم في حالة جيدة من الصحة كانت هاته الدوافع في حالة جيدة ايضاً ولكن يوم يعرو البدن وهن تضعف بضعفه . فاذا دخلت الجسم جراثيم الادواء المنتشرة في كل محل وفي كل لحظة — كما قلنا — نفثت مفرزاتها السامة حيث تستقر وكوّنت ما يدعى بعرف الاطباء قاطنة أي (Colony) . وبواسطة مفرزاتها السامة تنسج حولها سداً منيعاً من النسيج المتصلب لتدرأ عنها اذى دوافع الجسم عند ما تستيقظ من سباتها

والمغزى من كل ما تقدم هو أنه يتحتم على كل منا عند ما يعروه رشح خفيف في

صدره ، أو وعكة ما في جسمه أن يعمد الى المكث في فراشه ، وأن يتذرَّع بكل الوسائل لتقصير مدة الوعكة . وهكذا يتيح لجسمه أن يأخذ حظه من الراحة وان يستعيد قوته . فتعود الدوافع في بدنه الى نشاطها الاول ومناعتها الفطرية . واذ ذاك يأمن اشتداد الداء وتبعد عنه العلل والارزاء . ولقد جاء في الامثال : ان درهم وقاية خير من قنطار علاج

بوسطن الدكتور كامل سليمان الخوري

ملحق هذه السنة

كتاب « خُلُق المرأة »

قد وقع اختيارنا بعد البحث الطويل على هذا الكتاب النفيس فجعلناه ملحقاً للسنة الحاضرة وسيصدر مع الجزء القادم (العاشر) أن شاء الله — وهو كما يعلم مشتركونا الكرام لا يرسل الا الى الذين سددوا قيمة اشتراكهم

ويجدر بنا منذ الآن الاشارة الى مباحث هذا الكتاب وبيان غرض واضعه من وضعه وغاية معربه من نقله فنقول : اسم المؤلف هنري ماريون وقد كان استاذاً في كلية الآداب في جامعة باريس وهو من أشهر الكتاب الحديثين في موضوع المرأة . وقد جمع في هذا الكتاب زبدة محاضراته التي القاها في جامعة باريس ، فدرس خلق المرأة وطبائعها وغايتها وطرق تربيتها ومعاملتها الخ . . . وبعبارة أخرى انه وفى هذا المبحث من جميع وجوهه تاريخياً وفسيولوجياً ونفسانياً واجتماعياً وتهذيبياً

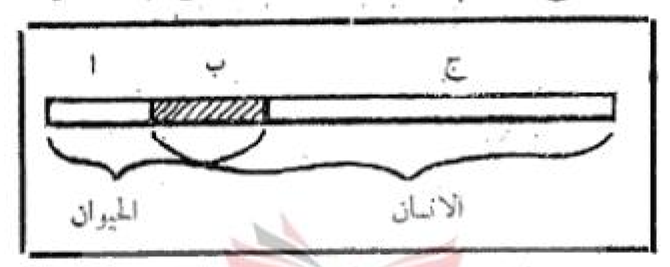
وقد أعجبنا أثناء مطالعة الكتاب باعتدال الكاتب وانصافه وصدق نظره وسلامة ذوقه وهي الصفات التي تجلى في كل صفحة مما كتب . ومن مميزاته أيضاً انه درس هذا الموضوع درساً علمياً جدياً من غير ان يكون مملاً بل ان الحال بعكس ذلك اذ لا يكاد القارىء يطالع صفحات قليلة من الكتاب حتى يود الاتيان على آخره . ولا نعرف بين المؤلفات التي خاضت هذه المباحث — وكثيرة ما هي — مؤلفاً مثله جمع فاوعى من الفوائد الثمينة والآراء السديدة

وقد كان الدافع لنا الى تعريبه افتقارنا الشديد الى كتاب مستوف في هذا الموضوع واعتقادنا الصميم بانه اذا قدر للشرق أن يستفيق من رقاده فلن يكون ذلك الا بمعونة المرأة ومساعدتها

عجائب المخلوقات

هل تفكر الحيوانات ؟

ان هذا السؤال من المسائل التي طالما شغلت اذهان المفكرين واحتدم بشأنها الجدال بين العلماء والباحثين . ولعلَّ معظم اختلافهم يرجع الى انهم لم يتفقوا على تحديد الفكر والذكاء والارادة وغيرها من قوى النفس . وكثيراً ما يتجادل الناس من غير أن يحددوا موضوع جدالهم وهو الشرط الاول لكل مباحثة مفيدة



المقابلة بين مواهب الانسان ومواهب الحيوان

ا المواهب التي تنفرد بها الحيوانات ب المواهب المشتركة بين الانسان والحيوانات

ج المواهب التي ينفرد بها الانسان

على أن معظم الناس يعتقدون من غير بحث أن الفرق بين عقل الانسان وعقل الحيوان ليس فرقاً نسبيًّا أي ليس فرقاً في درجة النمو فقط (على نحو الفرق بين عقل الحدث وعقل الرجل) وانما هو فرق نوعي أي ان الاول من نوع غير نوع الثاني

ولكن معظم العلماء الحديثين ولا سيما بعد رسوخ مذهب النشوء والارتقاء في القرن الماضي يرون انه يمكن رسم شجرة تمثل نشؤ العقل وتدرجه في النمو من أحط صوره الى ارقاها كما ترسم شجرة الحيوانات وتسلسلها بالنظر الى تركيبها الجسدي من ابسط الانواع الى مرتبة البشر . فالفرق بين عقل الانسان وعقل الحيوان انما هو في نظرهم فرق نسبي فقط . فهما يتفقان في المواهب الاساسية وان تكن في الاول أرقى وأتم منها في الثاني . بل ان الفرق بين الانسان وأقرب الحيوانات اليه أقل من الفرق بين هذه الاخيرة وسواها

وكما ان لبعض الحيوانات مميزات جسدية لا وجود لها في الانسان كذلك لبعضها مميزات عقلية ليست فيه . ولعلَّ الرسم المنشور هنا هو خير ما يعيننا على المقابلة بين مواهب الفريقين العقلية :

فالقسم ا يمثل المواهب التي انفردت بها الحيوانات كحاسة الاتجاه وتنبؤ بعض الحيوانات بالزلازل وتقلبات الجو الخ . . .

والقسم ب يمثل المواهب المشتركة بين الفريقين وهي كثيرة

والقسم ج يمثل المواهب التي انفرد بها العقل البشري والتي تجعله تاج الخليقة وسيدها

ولا يخفى أن القسم المشار اليه بحرف ب ليس واحداً في جميع الحيوانات . فان بعض الانواع الراقية تشارك الانسان في كثير من الصفات التي كان يظن أنها خاصة به

امطار غريبة

فيها أسماك وضفادع ودود الخ . . .

قد لا يصدق القارئ عنوان هذا الفصل لغرابته ولكن حوادث الامطار المشار اليها ثابتة لا مجال للشك في صحتها . بل ليس الغريب حصولها وانما الغريب ندورتها ولا سيما في الجهات التي تكثر فيها العواصف والزوابع . فكما اننا نرى الهواء كل يوم يحمل قطع الورق ونحوها من الاشياء الخفيفة كذلك الارياح الشديدة تنقل في بعض الاحيان اجساماً ثقيلة الوزن . ومن أمثلة ذلك أنه في يوم ٢٢ ابريل سنة ١٨٨٣ حُملت آلة حديدية وزنها ٦٧٥ ليبرة من مصنع في بورجار في ولاية مسيسبي باميركا الى مسافة ٩٠٠ قدم . وحدثت زوبعة في مونت كرمل بولاية الينوز باميركا حملت جانباً من سقف مصنوع بالصفيح الى مسافة ١٥ ميلا وحملت برج الكنيسة الى مسافة ١٧ ميلا . فلا مانع اذاً بعد هذه الامثلة من تساقط أجسام خفيفة كالاسماك والضفادع والدود وغيرها ، ما زال كل ما يحمله الهواء لا بد ان يسقط قريباً أو بعيداً

وقد نشر أحدهم في « المجلة الجوية الشهرية الاميركية » مقالة ذكر فيها أمثلة من تلك الامطار الغريبة . وقد أشار فيها الى انه يداخل تلك الحوادث غالباً قدر من الخرافة فان خيال الجمهور لا يلبث أن يضخمها

ومن أغرب تلك الحوادث الامطار الحمراء التي يسميها العامة الامطار الدموية . واحمرارها ناشئ اما عن بعض النباتات والحيوانات الصغيرة المحمرة اللون التي تنمو في المستنقعات واما عن غبار أحمر يهبط مع المطر أحياناً واما عن مادة حمراء تفرزها بعض الحشرات في أحوال مخصوصة

ومن تلك الحوادث ايضاً ما يسمونه بالمطر الكبريتي وما تلك المادة الكبريتية الا « البولن » وهو ذلك الغبار الذي يرى على الازهار عادة (وهو لقاحها كما لا يخفى) ولما

كان « البولن » سريع الالتهاب ولا سيما « بولن » شجر الصنوبر فالعامة تظنه كبريتاً . وقد يتساقط بكثرة أحياناً حتى أنهم في حادثة حدثت سنة ١٨٤١ كانوا يجمعونه بكميات لا يستهان بها

ومنها « أمطار اللحم » وما هذا اللحم في الحقيقة الا مادة زلالية تنمو على سطح الماء حيث تكثر البكتيريا فيحملها الهواء وعند سقوطها يتكون حولها غلاف شبيه بالجلد. وربما كانت بعض « أمطار اللحم » مؤلفة من بعض الاسماك الكبيرة أو الضفادع أو غيرها وهي كما لا يخفى جيلاتينية الشكل

أما أمطار الاسماك والضفادع ونحوها فقد ورد ذكر غير حادثة منها وهي كلها مثبتة . فمن ذلك أن مودي العالم الطبيعي الفرنسي شهد سنة ١٨٢٢ مطراً فيه ضفادع وكان ذلك في مكان يبعد عدة كيلومترات عن اقرب نهر او مستنقع . وقد حدثت امطار السمك غير مرة في الولايات المتحدة منها ما حدث في ولاية فلوريدا سنة ١٨٩٣ وفي ولاية كارولينا الجنوبية سنة ١٩٠١ وفي احدى تلك الحوادث سقطت سلحفاة كبيرة مع ما سقط . وفي حوادث أخرى يتساقط الدود أيضاً مع المطر . وتعليل ذلك ان الارض متى تشبعت ماء تضطر الديدان الى الخروج من مخبآتها فاذا أتت زوبعة حملتها. وقس على ذلك حوادث أخرى غريبة من هذا النوع

خطبة اعرابي

خطب اعرابي قال : أما بعد فان الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من لا تخفى عليه اسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم اليوم عمل بلا حساب وغداً حساب بلا عمل ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم فقدموا بعضاً يكون لكم قرضاً ولا تتركوا كلا فيكون عليكم كلا

تنبيه هام من الادارة

نرجو من جميع مراسلينا في الخارج ان يعنوا بارسال صور ثانية لمراسلاتهم Duplicata ولا سيما ما حوى منها حوالات مالية

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بأحرف أو بكلمة عند النشر

أعظم أم في العالم

﴿ لورنس . ماس . الولايات المتحدة ﴾ نمر خليل سميا

قرأت في احدى المجلات « ان أعظم شرف ومجد عالمي حصل عليه انسان هو الشرف الذي ناله فيدورا سليف الفلاح الروسي الذي ولدت له امرأته ستة عشر توأماً ثم ثلاثة أولاد كل مرة على مدة سبع سنوات وأخيراً ولدت أربع مرات كل مرة أربعة أولاد فكان مجموع ما ولدته ٦٩ ولداً . وبذلك أصبحت أعظم أم في العالم » . وذكرت تلك المجلة أيضاً ان امرأة في زمبل كونتي من ولاية أوهايو قد ولدت في سنة ١٨٦١ ثمانية أولاد دفعة واحدة

فما رأيكم في ذلك وهل نصدق الحادثتين ؟

﴿ الهلال ﴾ اذا صحت الرواية التي ذكرتموها فلا ريب ان المرأة التي تلد ٦٩ ولداً تستحق لقب أعظم أم في العالم . الا اننا نشك كثيراً في صحتها . فبناء على ما ذكرتم تكون هذه المرأة قد ولدت ٢٧ مرة متتابعة وهو أمر غير مألوف في الطب . وتكون أول ولادة لها في نحو الثامنة عشرة (اذ أن سن البلوغ تتأخر في البلاد الباردة) وآخر ولادة بعد الخمسين . ولكونها ولادة فالغالب فيسيولوجيًا انها مرضع أيضاً . وقلما يحصل الحمل في حالة الارضاع

أما من جهة عدد الاولاد في بطن واحد فالثابت لنا من ذلك لا يتجاوز الثلاثة . وقد قرأنا عن اكثر ولكن لم نرَ له اثباتاً

السرطان

﴿ منوف ﴾ بسيوني نجم شهاب الدين

ما هي أعراض السرطان وعلاماته وآخر طرق علاجه وكيف اكتشف هذا المرض

ومن الذي اكتشفه وهل هو معد وهل ينتقل بالوراثة ؟

﴿ الهلال ﴾ تختلف أعراض السرطان باختلاف نوعه وبحسب الاعضاء المصابة به . فاذا كان داخلياً تعذر تشخيصه الا بعد مضي زمن وهو على العموم غير قابل للشفاء أما اذا كان خارجياً فيمكن اجراء عملية جراحية في بعض الحوادث وذلك قبل تلوث الدم به او اصابة الغدد اللمفاوية . ولم يثبت الى الان انه شفي طبياً مع كثرة ما زعم من ذلك . وهو غير معد . وللوراثة تأثير فيه

الربو

﴿ سواكن . السودان ﴾ ابراهيم محمد حمو

لي صديق مريض بالربو اعتراه هذا الداء منذ سنوات وهو يشتد عليه في الشتاء ولا يشعر به في الصيف . وقد عالجه كثير من الاطباء فلم يفلحوا . وصناعة هذا الصديق الكتابة وهو سليم البنية ليس به أدنى علة سوى هذا الربو فهل من علاج له ؟

﴿ الهلال ﴾ الربو في الغالب غير قابل للشفاء . وكثيراً ما يتأتى عن مرض في الانف . فاذا عولج هذا وشفي تحسنت حالة الصدر ويندر ان يكون الشفاء تاماً . ويفيد في هذا المرض مركبات اليدور والبلادونه وغيرها . ولا بد من استشارة الطبيب

المنامات المزعجة

﴿ لورينا . سان باولو . البرازيل ﴾ الياس يوسف دوبا

هل تؤثر المنامات المزعجة في صحة الانسان واخلاقه اذا توالت عليه فتحوله من العافية الى الهزولة ومن الوداعة الى الشراسة ؟

﴿ الهلال ﴾ قد يكون ذلك . الا ان الامر في الغالب بالعكس . فالمريض في أعصابه يكون كثير الاستعداد للارق والمنامات المزعجة وذلك يؤثر في اخلاقه وفي صحته

النمش

﴿ سيوستي . ايوا . الولايات المتحدة ﴾ جرجس حداد

لماذا يكثر النمش في أوجه اليهود وهل هو خاص بهم وما علاجه ؟

﴿ الهلال ﴾ النمش يكثر في أصحاب البشرة البيضاء وهو غير خاص باليهود ويزيد بالتعرض للشمس . وليس له علاج شاف وللوراثة تأثير فيه

سوريا ولغاتها

﴿ لورنس . ماس . الولايات المتحدة ﴾ ميخائيل كعبوش البسيط

لماذا سميت بلادنا سوريا باسمها هذا وما هو معناه واصله وهل كان لسكان تلك البلاد لغة أو لغات أصلية ؟ وهل كانوا حقيقة كلما حكمتهم دولة تميت لغتهم وتحيي لغتها ؟ وهل ماتت لغات فيها حينما حكمتهم الدولة العربية وأحيت لغتها التي نتكلم بها اليوم ؟

﴿ الهلال ﴾ اختلف المؤرخون في أصل كلمة سوريا فمنهم من يتبع رأي هيرودوتس في أنها مشتقة من اشوري ، ومنهم من يتبع رأي مؤرخي اليونان في انها مأخوذة من اسم (صور) عاصمة الشام في العهد القديم بابدال الصاد بالسين لعدم وجودها في اليونانية

أما سكان سوريا القدماء فكانت لهم لغات اصلية حتى قبل نزوح الساميين اليها واقدم اللغات التي كانت شائعة فيها هي الفينيقية والعبرانية والارامية أو الكلدانية والسريانية والسامرية ثم لغات الفاتحين التي انتشرت فيها زمناً طويلاً قبل الاسلام وكان اهل البلاد يتكلمون بها كاليونانية واللاتينية وغيرها . فكانت كلما نزحت اليها امة وتملكتها ونشرت سلطانها على اهل البلاد الاصليين انتشرت بينهم لغتها وكذلك اذا قويت احدى الامم فيها وتغلبت على جيرانها عملت على نشر لغتها بينهم وأماتت لغاتهم الاخرى بقدر ما تحمله تلك الامة من دين ومدنيّة وسلطان . وهكذا كان حال اللغة العربية فانها لما انتشرت مع الاسلام في سوريا على ايدي العرب ورثت فيها بسرعة عجيبة جميع لغات سوريا كاليونانية واللاتينية الرسميتين واللغة السامرية وغيرها من اللهجات الارامية وذلك بفضل الاسلام . ولا غرو فللاديان سرٌ عجيب في ذلك فاذا انتشر دين طبع كل شيء بطابعه

فقد النطق

﴿ اورارا كوا . البرازيل ﴾ اسبر عبد المسيح

عرفت ايتاليًا عمره ٢١ سنة كان بتمام الصحة وبينما هو قائم من نومه في ذات يوم فقد القدرة على النطق فتراه يعي كل شيء يكتب ويسمع ويفهم ولكن لا يستطيع الكلام فما هو هذا المرض الذي يلجم اللسان وهل هو قابل للشفاء ؟

﴿ الهلال ﴾ هو نوع من الفالج . أصيب به مركز النطق في الدماغ ولا علاقة للفم في ذلك . قد تحسن حالة المريض به اذا لم يمض عليه اكثر من بضعة أشهر

الاسرة البوربونية

امس واليوم

تساءل الكثيرون ـ أثر فضح الرسالة التي ارسلها الامبراطور كارل النمسوي الى الاميرسيكست البوربوني بشأن الصلح ومسئلة الالزاس واللورين ـ عن امر الاسرة البوربونية العظيمة التي كان لها من الشأن ما كان . فرأينا ان نذكر كلمة موجزة عن تاريخها من اقدم الازمنة الى هـذا اليوم مع بيان الفروع التي نشأت منها وأهم اعضائها وبينهم فريق المطالبين بعرش فرنسا

تاريخ الاسرة البوربونية في فرنسا

يرجع اسم الاسرة البوربونية التي نشأ منها ذلك العدد الغفير من الرؤوس المتوجة في أوربا الى مدينة بوربون لارشامبو Bourbon l'Archambault في اواسط فرنسا . ففي القرن العاشر كانت هذه المدينة مركز امارة من اكبر امارات فرنسا اسمها امارة البوربونية Le Bourbonnais

وقد قام من هذه الاسرة اكثر من ٦٠٠ شخص كان لهم قسط وافر في تكوين التاريخ الحديث . وبلغ البوربون اوج عظمتهم في القرن السابع عشر اذ كانوا جالسين على اربعة من عروش اوربا . واول نبيل معروف من هذه الاسرة كان ايمار (أو ادهيمار) الذي منح اقطاعته في اواخر القرن التاسع . وفي سنة ١٢٧٢ تزوج روبير دي كارمون وهو الابن السادس للويس التاسع ملك فرنسا (الذي يسمى أيضاً القديس لويس) بالوارثة الوحيدة للاسرة البوربونية واسمها بياتريس فاصبح رئيس تلك الاسرة . وبزواجه هذا بدأ تقدم آل البوربون في مدارج العظمة العالمية . ففي ٢٧ ديسمبر سنة ١٣٢٧ رفع ملك فرنسا اقطاعة البوربون الى مصاف الدوقيات وسمى لويس (ابن روبير دي كليرمون وبياتريس) دوقاً . واليك سلالته المباشرة : لويس الاول ، لويس الثاني ، جان الاول ، شارل الاول ، جان الثاني (المتوفى سنة ١٤٨٨)

ولما لم يكن لجان الثاني نسل انتقلت الامارة الى أخيه بيار الذي كان مزوجاً بانّا ابنة لويس الحادي عشر ملك فرنسا . وفي سنة ١٥٠٣ توفي بيار عن ابنة وحيدة اسمها سوزان تزوجت في سنة ١٥٠٥ شارل دي مونبنسيير (وهو وارث فرع مونبنسيير المشتق من الاسرة البوربونية) وقد سمي بعد زواجه دوق بوربون (توفي في حصار رومة سنة ١٥٢٧) ولما لم يرزق نسلاً انتقلت الامارة من بعده الى فرع لامارش

(المشتق من أسرة البوربون أيضاً) . وفي سنة ١٥٤٨ تزوج انتوان رئيس هذا الفرع بجان ابنة ملك نافار واصبح ملكاً على نافار سنة ١٥٥٤ . وقد رزق ولداً سمي هنري وهو الذي توج ملكاً على فرنسا باسم هنري الرابع سنة ١٥٨٩ . وهو رأس سلسلة ملوك البوربون الذين جلسوا على عرش فرنسا كما انه مرجع فروع البوربون في اسبانيا ونابولي وبارما مما سيأتي ذكره

وقد جلس بعد هنري الرابع على العرش الفرنسي ابنه لويس الثالث عشر . وكان له ولدان احدهما خلفه على العرش وهو لويس الرابع عشر (العظيم) والاخر فيليب دوق اورليان وهو رأس فرع امراء اورليان (الذين زاد شأنهم اثر انقراض السلالة الملكية المباشرة) وقد توفي ابن لويس الرابع عشر الوحيد (اي ولي عهده) قبل وفاة ابيه وكان له ثلاثة اولاد : احدهم توفي بلا نسل ، اما الآخران فقد توفي احدهما سنة ١٧١٢ عن ولد واحد وهو الذي اصبح لويس الخامس عشر (فهو اذن ابن حفيد لويس الرابع عشر) . واما الآخر فقد أصبح ملكا على اسبانيا باسم فيليب الخامس سنة ١٧٠٠ وهو رأس فرع البوربون في اسبانيا

وخلف لويس الخامس عشر حفيده لويس السادس عشر الذي مات على المقصلة في اثناء الثورة الفرنسية (سنة ١٧٩٣)

ولما أعيد الملك الى الاسرة البوربونية اثر سقوط نابوليون (سنة ١٨١٥) ارتقى العرش لويس الثامن عشر شقيق لويس السادس عشر[١]

وجاء بعده شقيقه شارل العاشر الذي اسقط عن العرش سنة ١٨٣٠ . وكان وارثه الشرعي حفيده الكونت دي شامبور ولكنه أبعد عن العرش مع جده[٢] وعين لويس فيليب ملكاً (وهو من سلالة فيليب دوق أورليان شقيق لويس الرابع كما ذكرنا) وظل على العرش الى ثورة سنة ١٨٤٨ التي اسقطته . وهو آخر ملوك فرنسا من الاسرة البوربونية وقد توفي سنة ١٨٥٠

ولكن الحزب الملكي عد الكونت دي شامبور ملكا بعده باسم هنري الخامس ـ الى حين وفاته سنة ١٨٨٣ . ثم عد حفيد لويس فيليب واسمه لويس فيليب ايضاً ملكا وسمي فيليب السابع . ولما توفي هذا سنة ١٨٩٤ انتقل حقه الى ابنه الذي يسمى عند اشياعه فيليب الثامن ولا يزال حيا

---

(١) أما لويس السابع عشر فهو اسم لابن لويس السادس عشر. ولكنه لم يجلس على العرش والارجح انه مات في اثناء الثورة

(٢) على ان اتباعه عدوه ملكا على فرنسا وسموه هنري الخامس

الفرع الاسباني

ذكرنا ان فيليب حفيد لويس الرابع عشر عين ملكاً على اسبانيا سنة ١٧٠٠ . وقد خلفه سنة ١٧٤٦ ابنه فردينان السادس الذي توفي بلانسل في سنة ١٧٤٦ فارتقى العرش من بعده أخوه شارل الثالث . وجاء بعد شارل الثالث ابنه البكر شارل الرابع (سنة ١٧٨٨) . أما ابنه الثاني المسمى فردينان فقد عينه والده ملكاً على نابولي (ومنه نشأ الفرع النابوليتاني للاسرة البوربونية)

على ان نابوليون عزل شارل الرابع عن ملكه . ولكن ابنه فردينان السابع لم يلبث ان ارتقى العرش اثر سقوط نابوليون . وقد خلفته ابنته ايزابلا ثم تنزلت عن الملك لابنها الفونس الثاني عشر (سنة ١٨٧٠) وهو والد الفونس الثالث عشر الملك الحالي

الفرع النابوليتاني

كان شارل الثالث ملك اسبانيا اول بوربوني حاز لقب ملك نابولي (فضلاً عن عرش اسبانيا) . ثم عين ابنه الثاني المسمى فردينان في ذلك المنصب الذي عزله منه نابوليون . ثم اعيد اليه وسمي «ملك الصقليتين» . وفي سنة ١٨٢٥ خلفه ابنه فرنسيس وخلف هذا سنة ١٨٣٠ ابنه فردينان الثاني الذي توفي سنة ١٨٥٩ . ولم يكد فرنسيس الثاني خليفة فردينان الثاني يجلس على العرش حتى حرم منه اثر تكوين الوحدة الايتالية

فرع لوكا وبارما

في سنة ١٧٤٨ منح اصغر انجال فيليب الخامس ملك اسبانيا دوقية بارما في ايتاليا وكان اسمه فيليب ايضاً . وقد خلفه عليها ابنه فحفيده . ثم انتزعها منهم الفرنسيون . ثم استبدلت في مؤتمر فينا بدوقية لوكا . ثم أعيدت اليهم الى ان تمت الوحدة الايتالية سنة ١٨٦٠ . وكان روبير آخر دوق من البوربون جلس على عرش بارما

ومن هذه السلالة الامبراطورة زيتا قرينة الامبراطور كارل النمسوي وشقيقها الامير سيكست الضابط الآن في المدفعية البلجيكية . واليه ارسل الامبراطور صهره ذلك الكتاب الذي احدث ضجة عظيمة في عالم السياسة . ولهذا الامير شقيق اسمه الامير كزافيير وهو ضابط ايضاً في المدفعية البلجيكية . اذ لم يتح لهما ولا لغيرهما من أسرة البوربون دخول الجيش الفرنسي لان قانون فرنسا يمنع اعضاء الاسر التي حكمتها فيما مضى من نيل رتبة تحت العلم المثلث الالوان

غـــداً (١)

أيها السادة

في هذا الزمن العصيب الذي لم يسلم أحد من أذاه، في هذه الايام الرهيبة التي تشهد الشعوب وهي تتطاحن طحان الجبابرة وترى الاشلاء مكدسة فوق الاشلاء، في حين يتعالى البكاء والعويل والنواح ويختلط قصف الرصاص ودوي المدافع بأنات المصابين واستغاثة المستغيثين ـ على ظهر الارض، وفي بطن الارض، وفي السماء، وعلى وجه البحر، وفي جوف البحر ـ ليس لنا الا عزاء واحد. وذلك العزاء انما هو الغد. واذا قلنا الغد فكأننا نقول الامل. لان الغد والامل متلازمان ابداً، وبالامل وحده يحيا الانسان

* * *

ان جل ما اطمح اليه في خطابي هذا هو ان اصرف اذهانكم عن مشاهد الشقاء التي تكتنفنا من كل جانب ـ حتى اذا خرجتم من هذا المكان تذكرتم انه لا يزال لدى البشرية مجال للامل، وان العواطف الشريفة السامية لم تتلاش من صدور الناس فتستطيعون اذ ذاك ان تتبينوا بسامة الغد من خلال عبوس اليوم وشدته

فلنخلع عنا رداء الحاضر ولنطلق نفوسنا من قيود الزمن فندعها تهيم في متسع الغد بل متسع الامل الذي لا نهاية له، لعلنا نعثر في تجوالنا هذا على ما ينعش افئدتنا المكلومة

* * *

ورب معترض يقول: هل من الحكمة الاهتمام بالغد واستطلاع مكنوناته؟ فلننظر اولاً في هذا السؤال الذي اختلفت الردود عليه من قديم الزمن

قال القديس اغسطينوس: «ان الله منع الانسان عن معرفة المستقبل لانه اذا علم بما يحمله الغد من مسرة اهمل امره واذا علم بما يحمله من مكروه يئس وتذمر»

وقال الشاعر العربي:

واعلم علم اليوم والامس قبلهُ ولكنني عن علم ما في غد عمي

وقال الشاعر لونجفلو: «لا تثق بالمستقبل مهما يكن باسماً ودع الماضي يدفن

(١) من خطبة لمحرر هذه المجلة ألقاها في حفلة جمعية القديس جاورجيوس الخيرية في ١٦ يونيو الماضي

موتاه . اعمل في حاضرك الراهن بقلب قوي وبرعاية الله »

وقال فكتور هوغو مخاطباً نابليون الذي ظن انه قد ملك ناصيـة المستقبل : « كلا ليس من يملك المستقبل أيها الجبار وانما المستقبل لله . فكأن الساعة كلما تقرع مرة تنذرنا بتوديع ما في هذه الدنيا : ان كل نعم الارض من مجد وتوفيق حربي وتيجان ساطعة وانتصارات باهرة وامان محققة لا تستقر على رؤوسنا الا كما يستقر الطير على سقوف بيوتنا »

* * *

على اني مع ذلك، ورغم هذه الفصاحة والبلاغة، أرى في مقدمة النعم التي قد منحها الانسان انه يستطيع النظر الى الغد وترقب المستقبل . ولذا فمن الحكمة في رأيي « أن يعمل الانسان لدنياه كأنه يعيش ابداً »

وان نردد قول القائل : « ما اصغر نفوسنا واذلها عند ما تنهمك في مهام الحاضر . فانما تعظم النفوس وتسمو بالنظر الى المستقبل »

ولله در من قال : « ليس في العالم الا لذة واحدة : اللذة المنتظرة »

* * *

قد آن لنا الآن ــ بعد هذه المقدمة ــ ان نتناسى الحاضر الذي نحن فيه كي نهيم في فضاء الغد . فما الذي يتراءى لنا في تلك الساحة ؟ ماذا يحل بالعالم يا ترى ؟ هل تتغير معيشة الانسان وسائر احواله ؟ وقبل كل شيء هل يطرأ تغيير على شكل الانسان من الوجهة الجسدية ؟

طالعت أخيراً نبوة غريبة في هذا الباب ولا بأس من اصغائكم اليها : لا يخفى ان الاعضاء تنمو بالاستعمال وتضمر بالاهمال ، وبما ان استعمال الانسان لجسمه في تناقص مستمر بسبب سيطرته على قوى الطبيعة واستخدامه الالات المختلفة فسيأتي يوم تقل فيه أهمية العضلات فتضعف حالة كون الدماغ ينمو ويكبر . ثم ان تقدم الطب والكيمياء يعللنا باتقان المأكولات الصناعية الجاهزة حتى تصير خلاصات مغذية يستغنى بها عن اجهاد الاسنان والمعدة والامعاء في هضمها فلا يبقى من هذه الاعضاء في المستقبل الا بقايا أثرية . أما الرأس فيكبر ويضخم ويعلو مكانة

فيمكنكم أن تتصوروا شكل الانسان في المستقبل بحسب هـذا الرأي : رأس كبير هائل وأعضاء ضئيلة صغيرة

* * *

على أني لم أورد هذه النبوة الغريبة الا من قبيل الفكاهة فان معظم العلماء لا يتوقعون تغييراً يذكر في شكل الانسان الجسدي

وانما سيكون التغيير من جهة معيشته وتمدنه وحياته الاجتماعية . فماذا يكون من ذلك يا ترى ؟

اذا بحثنا في مميزات عصرنا هذا وقارناه بما سلف من العصور وجدناه يمتاز عليها في امرين جوهريين وهما الاساسان اللذان قام عليهما التمدن الحديث

فالاساس الاول الديمقراطية ، والاساس الثاني العلم

***

اخشى ان تثقل على مسامعكم كلمة ديمقراطية ، مع ان المراد بها ليس الا روح الحرية والمساواة والاخاء التي عمت جميع الشعوب في هذا العصر — أو هي كما قال أحدهم « الاعتقاد بان مسراتنا تتضاعف بالمشاركة »

فهذه الروح قد تسربت الى مظاهر الحياة الاجتماعية جميعاً : الى العائلة والى المدرسة والى الكنيسة والى المصنع والى المحفل بل نراها في كل مكان . فكأن الحواجز التي كانت قائمة بين طبقات البشر وشعوبهم آخذة في الزوال . بل أن بعض الفوارق التي تميز الرجل من المرأة آخذة في الزوال ايضاً لانها فوارق وضعها الرجل لمنفعته . أما الفوارق التي اقامتها الطبيعة بين الجنسين فباقية الى ما شاء الله . وقد رأينا ما أتته المرأة في هذه الحرب من المعجزات حتى لقد قال احدهم : « ان ما خسرته البشرية من الحذق والمهارة بفقد رجالها قد استعاضت عنه بما نالته المرأة من التقدم والبراعة »

***

أما الاساس الآخر الذي تقوم عليه مدنيتنا فهو العلم . ومن ذا الذي يجهل تلك الانقلابات العظيمة التي أدخلها العلم في حياتنا ؟ بل يكفي أن ترجعوا بتصوركم بضع عشرات من السنين حتى تتجلى لكم الاختراعات العجيبة والاكتشافات المدهشة التي تمت في تلك الاثناء . ولئن ساعد العلم اليوم على قتل النفوس وسفك الدماء فلسوف يساعد بعد الحرب على اصلاح شؤون الانسان وتنظيم معيشته وتخفيف مصائبه وآلامه

ولكي ندرك ما سيحدثه العلم من الانقلابات في حياة الانسان لنتخيل انفسنا عائشين بعد جيل أو جيلين . لنفرض اننا الآن في سنة ٢٠٠٠ للميلاد ولنتصور ما يعمله ابن ذلك العصر في يومه

***

في صبيحة يوم من ايام تلك السنة — ولا يبرح من ذهنكم اننا في سنة ٢٠٠٠ —

نزل أحد اهل القاهرة من منزله في الطابق الخامس والعشرين من احدى الابنية الكبيرة القائمة على ضفة النيل. وكان نزوله بواسطة الغرفة المتحركة المسماة Ascenseur. فلما خرج من الباب سار في الطريق ولم يكن فيها ارصفة لان الارصفة أصبحت عادمة الفائدة، اذ لكل شارع طابقان : طابق تسير فيه المارة وطابق تجري فيه الاتوموبيلات (ولا اثر اذ ذاك طبعاً للعربات التي تجرها الخيل). وبعد ان مشى قليلاً نزل في سلم تحت الارض الى محطة القطار الكهربائي فاقله الى مكتبه. وقد كان صاحبنا مساهماً في معمل أسمدة صناعية يدار بقوة حرارة الشمس ـ وهي القوة التي لم يعرف البشر كيف يستفيدون منها أزمنة طويلة

وبعد أن جلس على مكتبه جاء البريد. وقد كانت طوابع المراسلات كلها متماثلة مع أنها من دول مختلفة. وما ذلك الا لان الدول اتفقت فيما بينها على توحيد مصالح البريد وسائر طرق الاتصال وجعلها كلها تحت اشراف سلطة مشتركة. ففض الكتاب الاول واذا به من صديق له في باريس يخبره بعزمه على السياحة أسبوعاً في جهات القطب الشمالي. وكان الكتاب مؤرخاً بتاريخ اليوم السابق فقط لان البريد ينقل بالطيارات ذات السرعة العظيمة. ثم فض الكتاب الثاني وكان من صديق آخر في نيويورك يخبره بشفائه من عملية عملت له في كليته المريضة فاستبدلت بكلية الحيوان صحيح الجسم. وقد أصبحت عمليات استبدال الاعضاء والانسجة من أسهل العمليات نظراً لتقدم الجراحة تقدماً عجيباً. أما الرسالة الثالثة فكانت تختلف عن سائر الرسائل اذ كانت بشكل اسطوانة وليس عليها كلمة وانما كانت من نوع المراسلات الفونوغرافية التي تحمل صوت مرسلها وتدون كل ما يمليه عليها. ولذا فان صاحبنا وضعها في الحال على آلة فونوغرافية بجنبه فسمع صوت خطيبته ـ وهي في الاسكندرية ـ تحدثه وتبثه شوقها

وهكذا ظل صاحبنا يقرأ الرسالة بعد الرسالة حتى أتى على آخرها ثم املى الردود على اسطوانة فونوغرافية وأرسلها الى كاتبه فوضعها هذا على الفونوغراف فاملت عليه الردود بينما كان هو ينقلها على الآلة الطابعة (التيبريتر)

ثم رأى صاحبنا أنه قد حان ميعاد تلقي الاخبار. فبدلاً من طلب جريدة الصباح ليطالعها أمسك بسماعة التلفون فاجابته «شركة الاخبار التلفونية» التي كان مشتركاً فيها وأخبرته بكل ما يهمه معرفته. وهذه الطريقة أفضل من قراءة الجرائد التي فيها ما يهم وما لا يهم وهذا ما يجعل في الاطلاع عليها ضياعاً للوقت وتعباً للعقل والنظر

وفي الظهر عاد صاحبنا الى منزله فتناول طعام الغداء وهو طعام مركب على طريقة علمية جمعت بين الغذاء واللذة. ثم استراح قليلاً. ولما كان الناس لا يشتغلون الا في الصباح

ويكرسون بعد الظهر للتنزه والتروض فان صاحبنا لم يجد لديه افضل من قضاء عصر ذلك النهار عند خطيبته في الاسكندرية

فصعد الى سطح المنزل وركب طيارته . ثم أرسل من الطيارة تلفوناً لاسلكياً الى خطيبته ينبئها بقدومه . وبعد ساعة كان يحلق فوق منازل الاسكندرية فهبط بطيارته على سطح المنزل المقصود . ثم سلم الطيارة الى الحارس . ونزل الى بيت خطيبته وكانت تنتظره مع بعض الاصدقاء . فبعد ان تحدثوا قليلا أديرت آلة السينماتوغراف في الصالة وشهد الحضور تمثيل أحدث رواية ظهرت في عالم الادب . لان الناس وقتئذ يفضلون مشاهدة الروايات على مطالعتها . وفي المساء غادر صاحبنا الاسكندرية على طيارته فانار فانوسه الكهربائي وتوجه الى القاهرة مستهدياً بالمنائر التي أقامتها الحكومة لارشاد الطيارين

ثم ان صاحبنا تزوج بعد زمن قصير فذهب مع خطيبته لقضاء شهر العسل في بلاد اليابان حيث اشتهر مصيف جميل على الشاطئ الباسيفيكي . فركبا منطاداً كبيراً مع نفر من السائحين وبعد يومين بلغا المكان المقصود . وكانا يكلمان اليابانيين بلغة يفهمها الجميع وهي اللغة العمومية التي تقرر استعمالها بين اهل اللغات المختلفة . فكان كل انسان يتعلم لغته الوطنية وتلك اللغة العمومية حتى يتيسر له استعمالها أينما ذهب . ولم يجد العروسان صعوبة في التعامل بالنقود لان النقود كانت متماثلة في جميع الجهات . وهي مضروبة باسم السلطة الدولية العليا التي خول لها أن تقرر كل ما تراه في مصلحة الانسانية جمعاء وأن تبت فيما يقع بين الدول من الاختلافات منعاً لويلات الحروب التي بلغت أفظع فظاعتها في آخر حرب عرفها البشر وهي الحرب التي نشبت سنة ١٩١٤

* * *

هذه نظرة وجيزة في معيشة الناس في سنة ٢٠٠٠ ولا ريب عندي أن جانباً كبيراً من هذه التكهنات سيتحقق قريباً

ويخيل اليّ أيها السادة أن الشرق سيفيق من رقاده الطويل وانه سيعود اليه شيء من رونقه القديم فنتذكر قول فكتور هوغو : « ان التمدن كالنهار طلع فجره في الشرق »

ولكننا اذا أردنا أن نسير مع سائر العالم لا بد لنا من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر الحاضر والتخلق باخلاق هذا الزمان . ولا يستدعي ذلك هجر كل ما عندنا من العادات والتقاليد وانما الخطر علينا نحن الشرقيين من التطرف في احدى جهتين :

من جهة خطر الجمود والصلابة والتشبث بكل قديم

ومن جهة أخرى خطر التقليد الاعمى والتهجم على كل جديد

* * *

من الخطب التي سمعتها وتركت في نفسي اثراً لا يمحى خطبةٌ للمستر روزفلت القاها في الجامعة المصرية عند مروره بهذه الديار منذ بضع سنوات وقد رسخ في ذهني قوله : لا تظنوا أيها الشرقيين أن كل ما في الغرب حسن صالح جميل ولا تتهجموا على كل ما يأتيكم من وراء البحار . بل اعلموا اذا شئتم أن تصلحوا حالكم أنه يتحتم عليكم أن تعرفوا كيف تختارون من تمدن الغرب ما يصلح لكم ويلائم امزجتكم وأن تعرفوا كيف تنبذون كلَّ نظام فاسد وعادة مضرة واصطلاح مستهجن

* * *

لا أود ان اختم خطابي هذا قبل أن اطير بخيالي الى تلك الديار التي رأى كثيرون منا النور تحت سمائها ، تلك البلاد التي كفرت في هذه الحرب عن ذنوب الاجيال السالفة كلها

بلادي التي أهلي بها وأحبتي وقلبي وروحي والمنى والخواطر
تذكرني امجادها وهادها عهوداً تقضت وهي خضر نواضر

الى سوريا الشقية ، التي قال فيها شاعر القطرين :

تلك الديار أتذكرون جمالها بين السهول الخضر والاطواد
... لبنانها بجلاله وبقاعها وضياعها والبحر طيّ فؤادي
... حسب المفاخر أنها كانت حمى للانبياء وجنة الميعاد

والتي قال فيها شاعر النيل :

نسيم لبنان كم جادتك عاطرة من الرياض وكم حياك منسكب
في الشرق والغرب انفاس مسعرة تهفو اليك واكباد بها لهب
لولا طلاب العلا لم يبتغوا بدلاً من طيب رياك لكن العلا تعب

ماذا يحل باهلها التاعسين ؟ أولئك الذين قال عنهم أمير الشعراء :

وبنوك ألطف من نسيمك ظلهم وأشم من هضباتك الاحلام

والذين قال عنهم المصري في ديار هجرتهم :

يمضي اليها والعزيمة عدة شبعاً بادراك العلا لا يقنع
وكرائم الاحجار أين وضعتها ليست تحول ولو يحول الموضع

أما فيما يخصني فاني متفائل من هذا القبيل فلا بد أن تنصف كما تنصف سائر الشعوب الضعيفة . ولسوف يكون الغد باسماً باذن الله — وان غداً لناظره قريب . ولله در الشاعر اللبناني القائل :

عن قريب سترى هذا الندا مستجاباً غير متروك سدى
واذا الساري رأى الفجر بدا صاح يا قوم ابشروا الصبح دنا

الصحافة المصرية اليومية

وتأثير الحرب فيها

نظرة اجمالية

أثرت الحرب في عالم المطبوعات تأثيراً عظيماً اهتم له الافراد والجماعات والحكومات. فعقدت المؤتمرات واتخذت الاحتياطات لمنع توقف الصحف وانواع المطبوعات الدورية والمحافظة على مصالح المشتغلين بالطباعة والنشر والاتجار بالكتب

وقد نالت الصحف والمجلات المصرية نصيبها من هذه الازمة . فقد نشبت الحرب وفي العاصمة عشر صحف يومية عربية وفي الاسكندرية ثلاث وكان يصدر مثل هذا القدر تقريباً من الصحف الافرنكية بين يونانية وانكليزية وفرنسوية . ولم يكن بعضها ليكتفي بالطبعة اليومية العادية بل كان ينشر الملحقات المتضمنة آخر الانباء التلغرافية من عمومية وخصوصية

وبعد ان كانت الصحف العربية لا تعرف التفنن في العنوانات ولفت نظر القارئين بالحروف الكبيرة عمدت كلها الى تضخيم العنوانات باستعمال الحروف الخشبية

واتسعت مادة الكتابة امام المحررين . فلم تكن تخلو صحيفة من مقالة في شرح احوال الحرب والسياسة واسهاب في بيان المواقع الحربية من الوجهتين الجغرافية والتاريخية ووصف الاعلام من قواد وملوك ورجال سياسة وصنوف البوارج والطرادات والمسافات التي ترد اسماؤها في التلغرافات . ناهيك بالاخبار المتفرقة والفصول المترجمة عن الجرائد الاجنبية

ولكن الرواج لم يشمل الصحف كلها . كما أن بعضها

تعطل « كالجريدة » و « المؤيد »

وكانت الصحف العربية اليومية يصدر بعضها في اول ايام الحرب في ثماني صفحات والبعض في ست صفحات مختلفة الاحجام . ولم يكن يصدر في اربع صفحات الا جريدة « مصر » بالعاصمة و « البصير » بالاسكندرية

وعادت جريدة « الاخبار » الى الظهور في مفتتح سنة ١٩١٥ بعد ان لبثت معطلة ثلاث سنوات . وكان قراؤها ينتظرونها بنافذ الصبر . فاقبلوا عليها اقبالاً عظيماً . ولكنهم لم يلبثوا ان ابتعدوا عنها لانصرافها عن البحث في الحرب والسياسة ونشر

التلغرافات على اختلاف مصادرها . ثم احست بموقفها فاقامت لها مراسلاً لها في باريس يوافيها بتلغرافات خاصة . الا انها لم تقوَ على مزاحمة الزميلات

وهكذا فعلت جريدة « وادي النيل » فقد عينت مراسلاً لها في لندن . ولكن صاحبها لاحظ ان « المقطوعية » لم تزد حتى تغطي مصاريف التلغرافات الخصوصية فاغضى عنها

وسألت جريدة «الوطن» قراءها أيفضلون التوسع في المسائل الداخلية أم يفضلون نشر « تلغرافات خصوصية » ? فاتفق رأيهم على الامر الاول . فلم يبرم صاحب الوطن اتفاقاً مع « مراسل خاص »

مشكلة الورق

وأخذت اسعار ورق الصحف اليومية تتضاعف بسرعة متناهية . ولكن الاقبال والمزاحمة منعا أصحاب الجرائد عن تصغير احجام صحفهم . ثم رأوا حوالي منتصف سنة ١٩١٧ انهم مرغمون على انقاص عدد الصفحات . فاتفقت جرائد « الاهرام » و « وادي النيل » و « الافكار » بعقد أبرم بينها على أن تصدر كل منها ثلاثة ايام في الاسبوع في صفحتين وثلاثة في اربع صفحات . وتداخلت الحكومة في الموضوع فقررت ان يكون السعر الادنى ١٠ مليمات للصحف المؤلفة من اربع صفحات فاكثر وخمسة مليمات للجرائد ذات الصفحتين . وعبثاً حاولت الجرائد العربية بيع النسخة بعشرة مليمات . ولم تتمكن احداها من الاستمرار على هذا السعر اكثر من اسبوع فارجع الى خمسة مليمات . ولا يباع من الجرائد بعشرة مليمات الآن الا المقطم والبصير

وقد دعا التضاؤل في الحجم الى ظهور الجرائد بحروف صغيرة دقيقة وزوال دولة العنوانات الضخمة والمقالات المسهبة في المسائل الداخلية والخارجية ورسائل الاقاليم وغيرها من ضروب الحشو والتطويل الصحافي الممل

وفيما يلي وصف اجمالي لصحفنا في الوقت الحاضر (ختام السنة الرابعة للحرب) وما تنشره عن الحرب

جرائد العاصمة

﴿ الاهرام ﴾ في صفحتين كبيرتين ذات سبعة اعمدة مطبوعة بادق حرف (بنط ١٦) . تملأ الصحيفة الاولى بتلغرافات الاهرام الخصوصية وتلغرافات روتر وهافاس والمساجيرو اجزيانو الايطالية . ولا تعمد الاهرام الى نشر مقالات او ترجمة شيء من بريد اوربا أو المتفرقات الا اذا لم يرد من التلغرافات ما يملأ الصفحة الاولى

﴿ المقطم ﴾ في اربع صفحات ذات ستة اعمدة . وفيه كل يوم رسالة المكاتب الحربي وخلاصة تتراوح بين ثلاثة اعمدة واربعة عن الاحوال الحربية والسياسية فضلا عن التلغرافات الخصوصية (مطبوعة على عامودين) والتلغرافات العمومية (روتر وهافاس) . ويُصدر المقطم كل يوم تقريباً ما بين الساعة الاولى والخامسة بعد الظهر ملحقاً متضمناً آخر التلغرافات الخاصة والعامة التي ترد اليه صباحاً

ويظهر المقطم والاهرام صباح كل يوم وفيهما آخر التلغرافات التي ترد ليلا

﴿ مصر ﴾ في صفحتين عاديتين . تنشر في أغلب الايام مقالات افتتاحية تلخص فيها ما يقال في الحرب والسياسة وتنشر في العمودين الخامس والسادس تلغرافات الصباح

﴿ الوطن ﴾ تصدر في اربع صفحات صغيرة يساوي مجموعها صفحتي جريدة مصر . وتنشر في الصفحة الرابعة تلغرافات المساء السابق وفي الصفحة الثانية تلغرافات الصباح تليها تلغرافات الظهر تحت عنوان «آخر ساعة» . وتنشر الى جانبها مقالة عنوانها «ميادين القتال وما يقال» . ولكن ظهور هذه المقالة متوقف على وفرة التلغرافات أو قلتها

وجريدتا مصر والوطن هما الجريدتان الوحيدتان اللتان تصدران في منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر

﴿ المحروسة ﴾ كانت أسبق الصحف الى الشعور بازمة الورق فصارت تظهر في اربع صفحات صغيرة جداً . وكانت الى بضعة أشهر خلت لا تعنى بالحرب . ولكنها تنشر الان من يوم الى آخر مقالة عن ميادين القتال في الصفحة الاولى . وتنشر في الصفحة الثانية أهم تلغرافات الصباح . وتظهر عادة في الساعة الرابعة بعد الظهر

﴿ الافكار ﴾ في صفحتين ذات ستة اعمدة مطبوعة باحرف عادية . تنشر كل يوم في الصفحة الاولى مقالة وجيزة عن الحرب والسياسة وتترجم في أغلب الاحيان المقالات التي ينشرها المسيو « جورج فيسيه » في الجورنال دي كير . وقل ان تخلو الصفحة الاولى من شذرات معربة عن جرائد البريد الاوربي . وتنشر في الصفحة الثانيـة (على عامودين) التلغرافات العمومية التي ترد على شركة روتر قبل الساعة الرابعة وتعنونها بعنوان « التلغرافات العمومية والخصوصية » وتضع لكل تلغراف عنواناً بسيطاً في سطر واحد

﴿ الاخبار ﴾ في صفحتين ذات ستة اعمدة (في حجم الافكار) مطبوع بعضها باحرف عادية والآخر باحرف دقيقة . لاتعمد الى الكلام عن الحرب والسياسة الا في المسائل والتقلبات الخطيرة وما له علاقة بفرنسا والكرسي البابوي . وتنشر في الصفحة

الثانية اهم تلغرافات روتر وهافاس التي ترد حتى الساعة الثانية بعد الظهر .
وتظهر « الاخبار » و « الافكار » في مساء كل يوم بتاريخ اليوم التالي

جرائد الاسكندرية

﴿البصير﴾ حافظت على مركزها بالرغم من جميع التقلبات . وهي تصدر الآن كما كانت قبل الحرب في اربع صفحات ذات ستة اعمدة . وتنشر تلغرافات روتر العمومية والخصوصية وتلغرافات هافاس . وتعرب عن البريد اهم المقالات السياسية وملاحظات المكاتبين الحربيين واخصهم الجنرال ماليز . وتظهر في الساعة الاولى بعد الظهر

﴿ الاهالي ﴾ في صفحتين ذات ستة اعمدة مطبوعة باحرف عادية . تنشر كل يوم مقالة عن الحالة الحربية والسياسية . وتقتطف شذرات من البريد . وتنشر تلغرافات روتر فقط . وتظهر مساء كل يوم

﴿ وادي النيل ﴾ في صفحتين ذات سبعة اعمدة بحروف أصغر من العادية (بنط ٢٠) تصدر كل يوم بمقالة عن الحرب معظمها شرح جغرافي وتاريخي للبلاد التي تذكرها التلغرافات . يلي ذلك مقالات او مقتطفات من البريد اذا كانت التلغرافات لا تكمل الصفحة الاولى . وتضيف الى تلغرافات روتر المهم من تلغرافات المساجيرو والغازيت وتظهر في المساء بتاريخ اليوم التالي

الجرائد الافرنكية

﴿الاجبش غازيت ﴾ بقيت على حجمها الاصلي وهو ثماني صفحات في ستة اعمدة . تصدر في أغلب الايام بافتتاحية تدل على خبرة فنية . وتأتي الى الغازيت تلغرافات خاصة من لندن تنشرها مندمجة مع بقية التلغرافات بحسب المواضيع . وقد رفعت ثمن النسخة من ١٠ مليمات الى ٢٠ مليماً

﴿البورص اجيبسيان والاجيبشن مايل ﴾ هما جريدتا شركة النشر الشرقية . تظهر الاولى بعد الظهر والثانية في المساء بتاريخ اليوم التالي . وفي كل منهما مقالة المكاتب الحربي (التي تنشر في المقطم بالعربية) وجميع التلغرافات العمومية والخصوصية . فتجد فيهما تلغرافات روتر وهافاس والشركة اليونانية والمساجيرو والمقطم والاهرام بحرف دقيق . وفي بعض الايام لا يكون في العدد الا المقالة والتلغرافات . وكانت البورص تصدر في ثماني صفحات وثمن النسخة خمسة مليمات فصارت اربعاً ثمنها ١٠ مليمات .وحافظت الاجيبشن مايل على صفحاتها الاربع ولكنها رفعت الثمن من ٥ مليمات الى ١٥ مليماً

« البروجريه اجيبسيان » في اربع صفحات صغيرة قاصرة على التلغرافات وشرح وجيز لها

« الجورنال دي كير » تصدر يوماً في اربع صفحات صغيرة ويوماً في ثماني صفحات وثمن النسخة ١٠ مليمات . وتعنى بنشر تلغرافات هافاس كلها وآخر تلغرافات روتر العامة والخاصة . والى جانبها مقالة يومية بتوقيع المسيو جوزج فيسيه . وكانت الجورنال دي كير قد شاركت « الاخبار » في التلغرافات الخصوصية ولكنهما عدلا عنها معاً

وأصغر الصحف المحلية الافرنكية والعربية صحيفتا « كايرون » و « كليو » اليونانيتان وتظهر كل منهما في اربع صفحات صغيرة جداً لا تتجاوز مساحة احدها صفحتين من صفحات الهلال

بين القارئ وصاحب الجريدة

ويخيل الى الكثيرين من القراء ان ارباب الصحف تجار يقتدون بغيرهم ممن ينتهزون الفرص الحاضرة للكسب والاثراء . والحقيقة ان صاحب الجريدة لم تصادفه في حياته مثل هذه الاوقات فقد ارتفع ثمن الرزمة المؤلفة من ٥٠٠ فرخ من ١٥ قرشاً الى ٢٥٠ قرشاً . وارغم على رفض اعلانات كثيرة لانه لم يبق لها متسع بعد هذا التضاؤل

ولا يخفى ان موقف الصحف الحاضر قد عطل كثيراً من الايدي العاملة بين محررين ومترجمين وصفافي حروف وطابعين

وليس في قدرة أحد التنبوء بمستقبل الصحف بعد الحرب فان مصيرها متعلق بالنتائج المختلفة لهذه الازمة الاجتماعية

توفيق حبيب

في المدح

زاد معروفك عندي عظماً   انه عندك مستور حقير

تتناساه كأن لم تأته   وهو عند الناس مشهور كبير

كتب احدهم الى امير : اني فيما اتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الزاهر والقمر الباهر الذي لايخفى على كل ناظر وايقنت اني حيث انتهي بي القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت من الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك

هل يجوز قتل العليل

حين يُقطع الرجاء من شفائه ؟

مريض على فراش الالم يئن من شدة الوجع، وجهه مصفر وعيناه غائرتان ، حوله اهله ومحبوه يسكنون خاطره ويخففون من آلامه ، في حين يعلمون حق العلم ان الامل مقطوع من شفائه - هذا مشهد يتكرر في كل يوم ويا له من مشهد مريع يدمي القلب ويفتت الكبد ! ولطالما تساءل الناس في مثل هذه الاحوال : هل يجوز قتل المريض وإراحته ؟ بل أليس ذلك ما يتطلبه العدل والحنان ؟

ان هذا السؤال خطير الشأن يقف الانسان أمامه حائراً تتجاذبه العوامل المختلفة : فقد يحكم عقله بان الموت أفضل من تلك الحياة المرة ولكن عواطفه لا تطيق هذه الفكرة ولا تلبث ان تثور عليه . وقد اختلف نظر الناس الى هذه المسئلة من قديم الزمن . ولا يخفى أن قتل الشيوخ والمرضى كان من العادات المألوفة عند بعض الشعوب القديمة . بل لا يزال ممارساً في بعض الشعوب الهمجية الى هذا اليوم . ومن هذا القبيل ايضاً ما اشتهر به أهل سبرطة من قتل الاولاد الضعفاء أصحاب البنيات النحيفة

ويروى أنه كان في مدينة مرسيليا في القرون السالفة مكان يحفظ فيه شراب سام يؤذن بتعاطيه لكل من يثبت أمام مجلس الشيوخ انه يريد الموت الهنيء بدلاً من التألم والتوجع قبل مفارقة هذا العالم . وقد ذكر سترابو الجغرافي الشهير انه كان في جزيرة كوس اليونانية شراب كهذا الشراب يتناوله الاهلون في مثل تلك الاحوال . وقد يكون في هذه الاقاصيص وما جرى مجراها شيء من الخرافة ولكنها تدل مع ذلك على ان هذه المشكلة شغلت البشر في جميع الازمنة . ومن المحقق اليوم ان قبائل « ارض النار » (في اميركا الجنوبية) وبعض قبائل الاسكيمو وغيرها تقتل المسنين من اعضائها حين يصبحون عجزة هرمين . ولكن الارجح ان اسباب ذلك اقتصادية اكثر مما هي احساسية

ولقد دافع عن مبدإ « الموت بلا ألم » نفر ليس بقليل من الكتاب . ولكن معظمهم من المغرقين في الخيالات والاوهام . فقليل عدد الاطباء والعلماء الذين يرون ذلك الرأي . ولكي ندرس هذا المبدأ بما يستحقه من الدقة يجدر بنا أن نميز بين فريقين من المدافعين عنه :

(١) فريق يبيح الموت لكل من كانت الحياة عبئاً ثقيلاً عليه . فكأن هذا

الفريق يشجع الناس على الانتحار ، اذ لا يعقل أن المثقل بالمتاعب والهموم يطلب الى غيره ان يريحه من الحياة في حين يستطيع ذلك بنفسه

(٢) وفريق آخر يرى أن آلام المنازعة قبل الموت فظيعة جداً . فالواجب ابطالها كلما قطع أمل الشفاء . بل لقد ذهب نفر ـ وبينهم بعض الكتاب الحديثين ـ الى القول بان المروءة تقضي بهذا العمل وانه في احوال معينة ينبغي ان يكون اجبارياً

ومن أشهر القائلين بذلك الفيلسوف باكون الشهير . ويحكى عن ميرابو خطيب الثورة الفرنسية انه لما دنا أجله طلب الى صديقين له ان يواصلا مناولته الافيون حتى يموت . ومن هذا الفريق أيضاً موريس مترلنك الكاتب البلجيكي الشهير (ولا يزال حياً) مؤلف كتاب « الموت » فقد جاء في كتابه المذكور انه سوف يأتي يوم فيه يرى الطبيب ان واجبه لا يقضي عليه باطالة تشنجات النزاع الفظيعة واضطرابات الاحتضار المزعجة . وقد تمنى دنو الزمن السعيد « الذي فيه يعدُّ هذا الضلال توحشاً » والذي « فيه يرجع العلم عن غيه ولا يتردد في تقصير بلايانا »

هذا من قبيل القول . ولكن القول لم يلبث أن التمس له منفذاً الى حيز العمل . ففي العشر السنوات الاخيرة عرضت اقتراحات مختلفة لسن قوانين تضمن الموت الهني‌ء لمن يشاء ذلك . منها اقتراح قدم لمجلس النواب السكسوني في سنة ١٩٠٣ ثم رفض واقتراحات قدمت لمجالس بعض الولايات المتحدة كولاية اوهايو وولاية ايوا سنة ١٩٠٦ واقتراح قدم سنة ١٩١٢ للمجلس النيابي في واشنطن

وبين الحوادث الفردية التي كان لها شأن في هذا الموضوع حادثة امرأة اسمها ساره هريس طلبت من قضاة نيويورك ان يأذنوا لاحدى صديقاتها بتعاطي الكلوروفورم طلباً للموت فاذنوا لها بذلك . وبينها ايضاً حادثة رجل قتل امرأته ليريحها من آلامها الشديدة . وآخر تلك الحوادث حادثة كان لها ضجة في البلاد الاميركية وذلك ان طبيباً من اطباء شيكاغو حمل امرأته على تسميم ولد لهما لان الرجاء من شفائه بات مقطوعاً

وقد انكر اطباء شيكاغو عمل زميلهم . ولا غرابة في ذلك فان الاطباء ما برحوا يقاومون هذا الرأي من قديم الزمن ـ ما عدا شواذ نادرة . فمن الاطباء السابقين نذكر امبرواز باره الجراح الشهير (من أهل القرن السادس عشر) فقد احتج على ما كان شائعاً بين الجنود من قتل المصابين منهم بجروح بليغة . ومنهم أيضاً ديجنت رئيس اطباء جيوش بونابرت في ايتاليا وفي مصر فقد رفض الاذعان لبونابرت حين طلب اليه ان يناول الافيون (بمقادير قاتلة) للجنود الذين اصيبوا بالوباء . وقد قام في عصرنا الحاضر غير طبيب لمقاومة هذه الفكرة

اما الحجج التي يتذرعون بها فكثيرة تستند الى الدين والفلسفة والعلم . على اننا نقتصر في هذا المقام على بيان حججهم العلمية :

يقول هؤلاء الاطباء انه ينبغي لنا اولا ان نعرّف ماهية النزاع الذي يستولي على الانسان قبل مفارقة هذه الدنيا . فاذا قصدنا به الفترة التي تتقدم الموت مباشرة — وهي الفترة التي لا يحس فيها المنازع احساس وجوده — فلا حاجة اذ ذاك الى اتيان أي عمل من هذا القبيل اذ لا ألم حين يفقد الوجدان . أما اذا عنينا بالنزاع اكثر من ذلك أي اذا تناول المدة السابقة لتلك الفترة القصيرة فلا يجوز لنا توقع الوفاة حتما ولا يسعنا الجزم في امرها . واما اذا توسعنا في تطبيق مبدأ « الموت بلا ألم » على كل مرض عضال يرافقه الآلام الشديدة فان حجتنا حينئذ أوهن واوهى : لان العلم حتى هذا اليوم لم يتوصل الى المرتبة التي تمكنه من تشخيص بعض الامراض بصورة لا تقبل الخطأ . والحوادث المثبتة لذلك كثيرة . فلكم حكم الاطباء بقطع كل رجاء ثم جاءت الايام مكذبة لحكمهم . خذ السرطان مثلا : فقد عدت بعض ضروب الورم والالتهاب سرطاناً ثم اتضح في السنوات الاخيرة أنها ليست بسرطان

وعلى فرض أن تشخيص المرض كان قرين الصواب فمن ذا الذي يجزم بان العلم لن يستكشف طريقة جديدة لعلاجه — والمريض لا يزال في قيد الحياة ؟ ان الطب يتقدم بخطى واسعة في هذا العصر وكل يوم يحيينا باكتشافات جديدة من شأنها اقتلاع المرض من جذوره أو على الأقل تخفيف وطأته وتلطيف آلامه

وعلى فرض ان سلم الرأي العام بصحة مبدأ « الموت بلا ألم » وطلب أهل المريض أراحته من آلامه فانه يبقى اذ ذاك احجام الاطباء عن تولي امر هذه المهمة بانفسهم فانهم يفضلون ان يتولاها اقارب المريض وهم الذين يؤثر فيهم منظر آلامه واوجاعه اكثر من تأثيره في سواهم

وجملة القول اننا اذا اجزنا من الوجهة الفلسفية تعجيل الوفاة احياناً فلا يكون ذلك الا في احوال استثنائية . على ان الطب لا يستطيع اليوم تعيين تلك الاحوال لنقص احكامه . ولعل تقدمه يغنينا عن الالتجاء الى هذه الوسيلة باكتشاف العلاجات التي من شأنها استئصال الامراض من الجسم البشري

ذو الرقاعتين

صريع الدلا قتيل الغواشي

من طُرف التاريخ الاسلامي امر هـذا الشاعر وترجمة حياته ومجونه وظرفه والقابه الغريبة التي تضارع الالقاب المشهورة المشابهة لها ـ كابي دلامة وابي الرقعمق وابي نواس وغير ذلك . وقد رأينا ان نقدمه الى القراء بهذا التعريف الوجيز الذي لم يعن بجمعه فيما نعلم احد من خدمة الآداب وتاريخها . الا انه يعتور هذا التعريف عقبات نرجو ان نوفق الى تذليلها واولها :

﴿ تحقيق اسمه ﴾ يتعذر على الباحث الالمام بكل ما كتب عن هذا الشاعر لاختلاف المؤرخين واصحاب الطبقات في تسميته وذكرهم ترجمته باسماء مختلفة تضل الباحث دون ان يهتدي الى حقيقتها . وهذا عيب ناشيء عن عدم اعتناء المؤرخين والرواة بتحقيق الاسماء واهمال النساخ في نقلها وضبطها على توالي العصور . وكل ما وقع في ايدينا من امر هذا الشاعر كان بطريق المصادفة ، وقد كان له في كل كتاب ذكره اسم غير الذي في الآخر . فابن شاكر الكتبي ذكره في كتابه فوات الوفيات في حرف الميم اذ سماه (محمد بن عبد الواحد) في حين ان ابن خلكان اسماه (علي بن عبد الواحد) وعلى ذلك اورد ترجمته في حرف العين واشار الى انه اتبع في ذلك ما اتى به الرشيد ابو الحسن بن الزبير في كتابه الجنان الا انه قال « انني رأيت في نسخة ديوان شعره انه ابو الحسن محمد بن عبد الواحد القصار البصري » . أما الدميري فقد اتبع رواية ابن خلكان الاولى واسماه (علي بن عبد الواحد) وكذلك ذكره السيوطي في حسن المحاضرة وابو الفداء في تاريخه . الا ان ابا الفداء خالفهم في اسم ابيه وقال انه (علي بن عبد الرحمن) . فترى من ذلك ان ابن الزبير وابن خلكان والدميري والسيوطي وابا الفداء اتفقوا جميعاً على اسم (علي) و كاد ابن شاكر ينفرد بتسميته (محمداً) لولا رواية ابن خلكان الثانية . ونحن لا يسعنا الا اتباع الرأي الغالب المتواتر وهو الاول

﴿ القابه وكنيته ﴾ اما القابه فهي أبلغ عنوان لظرفه ومجونه وخفة روحه ولم يختلف أحد من المؤرخين في سردها بل كلهم ذكروا انه (صريع الدلا قتيل الغواشي المعروف بذي الرقاعتين) الا ان ابن شاكر خالفهم فقط في لقب (قتيل الغواشي) واورده (قتيل الغواني) ولعل هذا من تحريف النساخ . فاما صريع الدلا وقتيل

الغواشي فكان منه تشبهاً بصريع الغواني وهو لقب مسلم بن الوليد . وكذلك ذو الرقاعتين تشبهاً بذي الوزارتين وذي الرئاستين وقد لقب بهما كثير من اكابر الوزراء ممن جمعوا بين رئاسة القلم والسيف وتقلدوا وزارتيهما في التاريخ الاسلامي كذي الوزارتين ابن عمار الوزير الشاعر الاندلسي وذي الرئاستين الفضل بن سهل

﴿ ترجمة حياته وشعره ﴾ هو ابو الحسن علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي المعروف بصريع الدلا قتيل الغواشي الشاعر الماجن المشهور وليس فيما بين ايدينا من كتب التاريخ والادب ترجمة وافية لحياته نعلم منها مولده ونشأته وتاريخه فكل ما ذكر عنه انه بغدادي الاصل والنشأة اشتغل بالفقه وكان فقيهاً لكنه غلب عليه الشعر وغلب على شعره الهزل والمجون . قدم مصر سنة ٤١٢ هـ ومدح صاحبها الظاهر لاعزاز دين الفاطمي وكان بينه وبين المعري علاقة وصلة مودة وفيه قال ابو العلاء :

دعيت بصارع فتداركته ‎ ‎ ‎ ‎ مبالغة فرد الى فعيل

وذلك انه كان قد طلب منه شراباً ومايليق به فسيراليه قليل نفقة واعتذر بهذه الابيات[١]

اما شعره فقلنا انه كان يغلب عليه المجون وكان يسلك فيه مسلك ابي الرقعمق واشهر شعره قصيدته التي اشتهر بها وهي طويلة طنانة في المجون ذكر فيها من صنعة الغزل فنوناً . قال الدميري : « لو لم يكن له سواها لكفاه وقد عجز فحول الشعراء ان يزيدوا فيها بيتاً واحداً »[٢] وهذه القصيدة هي مقصورته التي عاوض بها مقصورة ابن دريد التي مدح بها الشاه ابن ميكال وولديه ومطلعها :

اما ترى رأسي حاكى لونه ‎ ‎ ‎ ‎ طرة صبح تحت اذيال الدجى

واشتعل المبيض في سوده ‎ ‎ ‎ ‎ مثل اشتعال النار في جزل الغضى

وعدد ابياتها ٢٢٩ بيتاً وفيها كثير من آداب العرب واخبارهم وحكمهم وامثالهم وهي مشهورة

﴿ مقصورة صريع الدلا ﴾ ونذكر الان ما امكننا جمعه من شتات هذه المقصورة المتفرقة في بطون الكتب واحسن ابياتهـا واشهرها البيت الاخير فيها الذي جرى مجرى الامثال . قال عنه ابن خلكان وابن الزبير « وقد ختمها ببيت لو لم يكن له في الجد سواه لبلغ درجة الفضل وأحرز معه قصب السبق » وهو :

من فاته العلم واخطاه الغنى ‎ ‎ ‎ ‎ فذاك والكلب على حد سوا

واولها : من لم يرد أن تنتقب نعاله ‎ ‎ ‎ ‎ يحملها في كفه اذا مشى

ومن أراد ان يصون رجله ‎ ‎ ‎ ‎ فلبسه خير له من الحفا

(١) ابن خلكان ص ٣٥٩ ج ١ ‎ ‎ ‎ ‎ (٢) حياة الحيوان ٢٢٦ ج ٢

من دخلت في عينيه مسلة ... فاسأله من ساعته عن العمى
من أكل الفحم تسود فمه ... وراح تحت خده مثل الدجى
من صفع الناس ولم يدعهم ... أن يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش يفجر رأسه ... وسال من مفرقه شبه الدما
من أكل الكرش ولم يغسله ... سال على شاربه ذاك الدوا
من طبخ الديك ولم يذبحه ... طار من القدر الى حيث يشا
من شرب المسهل من فعل الدوا ... أطال ترداداً الى بيت الخلا
من مازح السبع ولم يعرفه ... مازحه السبع مزاحاً بجفا
والدرج يلفى بالغشاء ملصقا ... والسرج لا يلصق الا بالغرا
والف حمل من متاع تستر ... أنفع للمسكين من لقط النوى
والذقن شعر في الوجوه نابت ... كذلك القصعة من خلف القفا
فاستمعوها فهي أولى لكم ... من زخرف القول وطول المرا

ثم يقول في آخرها مشيراً الى ابن دريد ومقصورته ويعقبه بالبيت الذي حسد عليه :

فتلك كالدر يضيء لونه ... وهذه في وزنها مثل الحذا
من فاته العلم وأخطاه الغنى ... فهو والكلب على حد سوا

أما شعره الجدي فانه يمدح فخر الملك من قصيدة :

كيف تلقى بؤساً دولة فخر ... الملك تم بالانعام
كل يوم لنا بنعماك عيد ... لا خلت منه سائر الايام
لم يزل يطلب المحامد والعليا ... ء بين السيوف والاقلام
فلقد نال بالعزائم مجداً ... لم ينل مثله بحد الحسام
أدرك المجد قاعداً وسواه ... عاجز أن يناله من قيام
قد كفتنا غيوث كفيه أن ... نبسط كفاً الى سؤال الغمام
ورصعنا اليه در الاماني ... ونظمنا اليه در الكلام(١)

﴿ وفاته ﴾ كانت وفاته كالقابه غريبة في بابها اذ انه توفى فجأة من شرقة لحقته عند الشريف البطائحي ! وكان ذلك في سابع رجب سنة ٤١٢ . قال ابن خلكان « وغالب ظني انه توفي بمصر لاني نقلت تاريخ وفاته من التاريخ الذي ذكرته في ترجمة التهامي ومبناه على الحوادث الكائنة بمصر يوماً فيوماً ويؤيد ذلك أن ابن الزبير قد ذكر أنه قدم مصر في السنة التي توفي فيها » (٢)

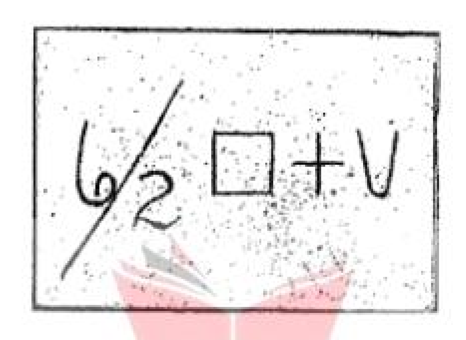
ع . ع .

(١) فوات الوفيات ٢٩٦ ج ٢ (٢) وذكر ذلك ابن كثير والسيوطي

رموز المجرمين

واصطلاحاتهم السرية

في صبيحة يوم من ايام سنة .... كان رجل في مقتبل العمر يسير متباطئاً في شارع من شوارع مصيف مونتي كارلو الشهير واذا بعلامات مرسومة على حائط فندق كبير لفتت نظره فوقف يتأملها وكانت مؤلفة من الرقم ٦ الافرنكي يليه خط مائل فرقم ٢ فمربع صغير فصليب فحرف V (أنظر الشكل ١)



شكل ١

فنادى صاحبنا في الحال أحد رجال الشرطة وسأله عن معنى تلك العلامات فهز الشرطي كتفيه كأنه يقول : « وما علي أن تعنيه تلك الخطوط والارقام ؟» ولكن الرجل ما لبث أن انبه على جهله قائلا : « كان أجدر بك ــ وانت مكلف حراسة هذه المدينة التي هي مقصد المجرمين ومحط رحال المحتالين ــ ان تدرك حقيقة تلك الاشارات . فانها لغة اصطلحت عليها طائفة من أهل الشر . وهاك معناها : فالمراد بالرقم ٦ والخط المائل والرقم ٢ انه يجب تكرار ٦ مرتين أي ٦٦ والمقصود هنا أنه قد حدث في الغرفة ٦٦ من الفندق حادث ذو شأن . أما المربع فيشير الى اوراق مالية وأما الصليب فدليل على ما اعترض سرقة تلك الاوراق من الصعوبة . وما حرف V الا توقيع اللص الذي قام بهذا العمل »

فدهش الشرطي لدى سرد هذه القصة . ولكن ملامح الرجل الجدية أثرت في نفسه فبادر الى الاستعانة ببعض زملائه وذهبوا جميعاً الى الغرفة ٦٦ وكان في تلك الغرفة سائحان امريكيان فعجبا لدخول رجال الشرطة عليهما ولكنهما حالما علما الباعث على ذلك أخذا يفتشان حقائبهما فثبت لديهم فقد أوراق مالية كانت مودعة في حقيبة محكمة الاقفال . . .

وقد استفحص اذ ذاك الشرطي وزملاؤه عن حقيقة الرجل الذي استطاع حل تلك الرموز الغريبة فعلموا انه استاذ اختصاصي في درس أحوال الجرائم والمجرمين وانه غادر جامعته ليقضي بعض الايام في مصيف مونتي كارلو

***

يرجع استخدام الرموز الاصطلاحية بين المجرمين الى القرون الوسطى. فقد تدرجوا في هذا العلم شيئاً فشيئاً حتى أصبح للفاتهم قواميس سرية تحوي كل ما يلزمهم للتفاهم والتعاون. ومن امثلة ذلك رسالة سرية وجدت في احدى الكنائس القديمة (ويرجح انها مكتوبة في القرن الخامس عشر). وهي مؤلفة من سطرين (انظر شكل ٢) في السطر الاول سهم تليه اربعة خطوط عمودية ثم هلال. ومعنى

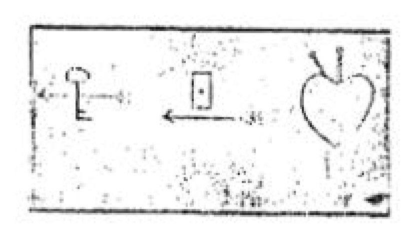


الشكل ٢

ذلك انه حين يدخل القمر في ربعه الثاني قد تقرر ان يسرق المنزل الرابع في اتجاه السهم ابتداء من الكنيسة. والمراد من الرسالة اعلام الداخلين في الاخوية المجرمين بان يتقدم منهم من يشاء القيام بهذا العمل فيضع العلامة الدالة على اسمه تحت ذلك السطر. وهكذا نجد في السطر الثاني رسوماً مختلفة يرمز كل رسم منها عن احد افراد تلك الجمعية

***

ان تلك الرموز القديمة باقية الى هذا العصر مع بعض التحوير والتبديل وهي



شكل ٣

معلومة لدى رجال البوليس الذين اهتموا بدرسها. واذا سألت واحداً منهم عن معنى الرموز المرسومة في الشكل ٣ أجابك ان المفتاح الذي يخترقه سهم يدل على أحد لصوص

الليل وان المربع الذي في وسطه نقطة وتحته سهم اشارة الى بعض المجرمين وان شكل القلب وفي اعلاه ثلاثة مسامير رمز عن احد المتشردين وقس على ذلك

وقد كان في فرنسا طائفة من المجرمين دعيت طائفة « الذئاب البيضاء » اقتصرت اعمالها على سرقة الكنائس . ففي ذات يوم عثر البوليس في احدى القرى على رسم ببغاء وبجانبه رسم كنيسة وتحت ذلك ثلاثة احجار على خط افقي . فنقل الرسم بالفوتوغراف وارسل الى احد الخبيرين بتلك الاصطلاحات فترجمها هكذا : الببغاء امضاء لاحد اللصوص المشهورين والكنيسة تشير الى ان المطلوب سرقة كنيسة القرية والثلاثة الاحجار تنبئ باليوم المختار لهذا العمل وهو يوم عيد القديس اسطفانوس (٢٦ ديسمبر) لان الاحجار رمز عن رجم ذلك القديس . وقد تمكن البوليس بواسطة هذه العلامات من القبض على بعض اعضاء تلك الجمعية الشريرة



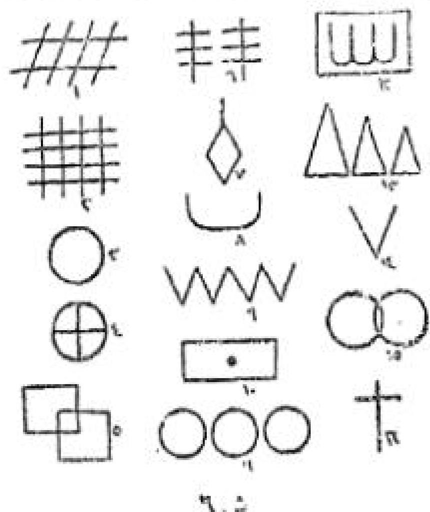
ش ٤ شكل ٥

والعلامة التي في الشكل الخامس هي ايضاً مثال من رموز اللصوص وتدل على ان المكان المرسوم عليه هذا الرسم تسهل سرقته

❊ ❊ ❊

وللمتشردين والمتسولين في امريكا اصطلاحات تكاد تؤلف بمجموعها قاموساً . فالمتشردون يعاونون بعضهم بعضاً في الاستدلال على المنازل الكريمة التي يمكنهم الالتجاء اليها وذلك برسم سهم على الحائط يشير الى جهة المنزل المطلوب تليه خطوط عمودية بقدر المنازل التي تتقدمه

وقد نشرنا في السنة الحادية والعشرين من الهلال جدولا ببعض الاصطلاحات المتداولة بين متسولي اميركا ولا بأس من ذكره هنا



ش ٦

اصطلاحات متسولي اميركا

١ حدثت جريمة هنا
٢ احترس من السجن
٣ لا فائدة من هذا المكان
٤ هنا يعطون طعاماً
٥ يسهل تخويف المكان
٦ هنا يقيم بوابس

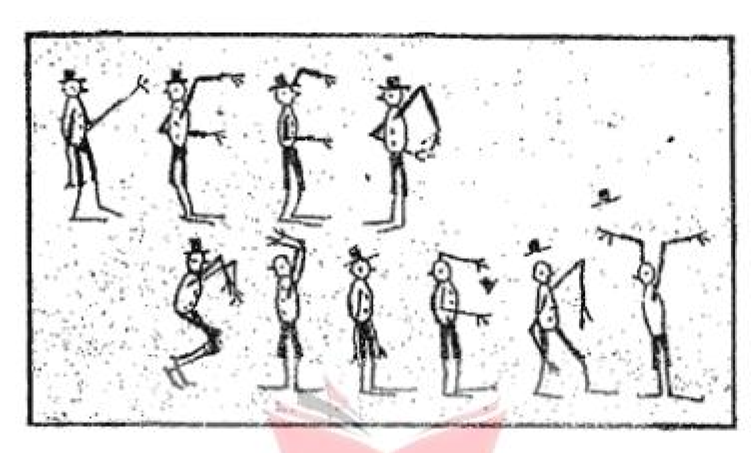
٧ دافع عن نفسك
٨ يمكن النوم هنا
٩ كلب
١٠ هنا رجل جديد
١١ هنا قد يعطون مالا
١٢ القوم اشداء وعندهم كلب

١٣ امرأة وحدها مع الخادمة
١٤ يحسنون الى الفقراء
١٥ اعد الطلب وكرر السؤال
١٦ كن منكسراً

ومن أتم المجموعات ما اصطلح عليه النوَر (الغجر). ولكن لهم رموزاً غير خطية في بعض الاحيان . ومن امثلة ذلك انه اذا القي غصن جاف في طريق عربة من عرباتهم (ولا يخفى ان النوَر في اوربا يطوفون المدن والقرى في عربات كبيرة) دل على ان أحد أعضاء العصابة مريض . واذا القي غصن محروق على قليل من القش أشار الى حدوث الوفاة . والغصن الاخضر الرطيب ينبيء بمولود جديد . وقس على ذلك اصطلاحات كثيرة يطول بنا ايرادها . واذا أرادوا دعوة رفاقهم للاجتماع بهم القوا قطعاً من الجلد في الطريق . ولكي يعرفوا مكان الاجتماع تثقب قطعة الجلد ثقوباً مربعة للدلالة على عدد المدن التي تتقدم ذلك المكان وثقوباً مستديرة للدلالة على عدد القرى

ولعل ما اشتهرت به طائفة النوَر من استكشاف الخبآت ومعرفة الطالع مبني على تلك الرموز التي يخلفونها في طريقهم فيعلم القادمون منهم الى احدى الجهات معلومات كثيرة عنها قبل الوصول اليها . وقد لوحظ مراراً ان عربات النور تتابع في اتجاه واحد وبينها مسافات طويلة من غير ان يستفهم أصحاب العربات اللاحقة عن الطريق الذي سلكته العربات السابقة . فهم انما يعرفون ذلك بواسطة تلك العلامات التي يرجع تاريخها الى بضع مئات من السنين

وقد أورد السر ارثر كونان دويل الروائي الانكليزي الشهير في احدى رواياته البوليسية صورة رجال راقصين يمكن استخراج رسالة منها بملاحظة اتجاه أيدي أولئك الرجال وأرجلهم (بقطع النظر عن بقية الجسم) . وكل رجل يقوم مقام حرف . فالرجل الاول يقوم مقام حرف K والثاني E وقس على ذلك بقية الرسالة . ونترك للقارىء استخراج الاحرف الاخرى



شكل ٧

وقد ظن كونان دويل انه اول مبتكر لتلك الطريقة والحقيقة انها متداولة بين طائفة من المجرمين . وفي ذلك مثال من توارد الخواطر

ولولا ضيق المقام لاتينا على أمثلة كثيرة من اللغات المتداولة بين الطبقات الاجتماعية السفلى ولكننا نجتزىء عن ذكرها بما أوردناه فيما تقدم



حكم

قال بعض الحكماء :

استغناؤك عن الشيء خير من استغنائك به

قال بعض الحكماء ناصحاً صاحب السلطان بالاستشارة :

اذا أشكلت عليك الامور وتغير لك الجمهور فارجع الى رأي العقلاء وافزع الى استشارة العلماء ولا تأنف من الاسترشاد ولا تستنكف من الاستمداد فلأن تسأل وتسلم خير لك من ان تستبد وتندم

قال آخر في هذا المعنى : من كمال عقلك استظهارك على عقلك

الاشتراكية

ما تطلبه وما لا تطلبه

بعد ان اطلعت على ما جاء في الهلال الماضي تحت عنوان « حل المشكلة الاجتماعية الكبرى بمشاركة العمال لاصحاب المال » رأيت انه اذا لم يذيل بايضاح قضية الاشتراكية كما تنقحت وتصفت أخيراً بقي الذين لا يعلمون شيئاً عن حقيقة الاشتراكية - وهم كثيرون على ما أظن - متورطين في اعتقادهم السيء بها ولا سيما لان المقالة التي أشرت اليها مستهلة بهذا النص :

« ويرى الاشتراكيون أن الحل الوحيد لمشكلة العمال انما هو انتزاع الوسائل التي تحدث الثروة من أيدي أصحاب المال وجعلها ملكاً للعمال فيتقاسمون ربحها فيما بينهم بدلاً من أن يتقاضوا أجوراً معلومة »

فهذا القول قد يبرر جحود الذين لم يطلعوا على العقيدة الاشتراكية بل يرجح اعتقادهم ان بغية الاشتراكيين اغتصاب اموال الاغنياء واقتسامها فيما بينهم وهو اعتقاد باطل . ولعله نشأ في اذهان هؤلاء مما يوهمه لفظ « الاشتراكية » العربي نفسه من معنى الاشتراك أو المشاركة . وهو خلاف ما يوهمه لفظ Socialism الاجنبي . فاذا كان الامر كذلك فاسمها العربي قد جنى عليها . وربما أمكن تلافي هذا الوهم بالعدول عن لفظ الاشتراكية الى لفظ الاجتماعية . مع أن لفظ الاشتراكية أليق اللهم ان انتفت من فحواه فكرة الاغتصاب

فلذلك لا بد من بيان موجز لحقيقة العقيدة الاشتراكية التي هي قضية الاشتراكيين الآن في اوربا واميركا والا بقيت الاشتراكية مظلومة فيما يرميها به من الخطل جاهلو حقيقتها

وفيما يلي بيان موجز مستخرج مما اطلعت عليه من المؤلفات في موضوع الاشتراكية لكبار زعمائها أخص منهم بالذكر رمزاي مكدونلد العضو في البارلمان الانكليزي . وفيليب صنودن العضو في البارلمان الانكليزي أيضاً . وهنري جورج الكاتب الاقتصادي الاميركي المشهور . ناهيك عن نص برنامج الحزب الاشتراكي الاميركي . مع أن هذا الحزب لا يزال طفلاً بجانب الاحزاب الاشتراكية الاوربية . فكيف ببرامج الاحزاب الاشتراكية في اوربا

ما تنكره الاشتراكية

وقبل أن نأتي على حقيقة العقيدة الاشتراكية نأتي على أهم المذاهب التي تتبرأ منها الاشتراكية ـ وان تكن هذه المذاهب قد ظهرت في تاريخ تطورها . ولئن عمل ببعضها في بعض الاحوال فلأنه كان الغرض من ذلك اخماد هياج العمال وتلافي شكاويهم بقدر الامكان

الاول — مذهب استيلاء العمال على الشركات التي يعملون فيها بانية الاساليب والوسائل المشروعة وتقاسمهم ارباحها . وهو ما يسمونه بمذهب السنديكالزم . فان هذا المذهب لا يحل مشكلة التنازع الشديد بين المال والعمل . وجل ما يفضي اليه هو أن الاعمال الكبيرة تتحول من أيدي فئة الى أيدي فئة أخرى أي من أيدي فئة المتمولين الى أيدي فئة العمال . ولكن تبقى هناك فئة أخرى وهي فئة الفلاحين واصحاب الاعمال الصغيرة واصحاب العقارات وغيرهم من متوسطي الحال لا تتمتع بشيء من نفع هذا الاصلاح . بل بالعكس تبقى فئة اصحاب الاعمال الصغيرة تحت خطر شديد من منازعة ذوي الاعمال الكبيرة لها . زد على ذلك أن هذه الطريقة لا تقطع شأفة تسيُّد المال على العمل لاحتمال أن جانباً من العمال يمكنهم أن يثروا ويعودوا الى القبض على ناصية العمل والاستبداد في سائر العمال الآخرين

الثاني — مذهب اشراك اصحاب الاعمال (من شركات محدودة أو غيرها) للعمال بنصيب من الارباح علاوة على اجورهم

فان هذا المذهب أيضاً لا يحل المشكلة ولا ينزع زمام السيادة من أيدي المتمولين ولا يخفف من غلواء استبدادهم بالعمال . وان لجئ اليه في بعض الاحيان فلكي يكسر حدة العمال ويسكن ثوراتهم ويحول دون اعتصاباتهم . فهو كالمورفين للمريض المتألم يسكّن الألم ولكنه لا يشفي المرض

الثالث — مذهب تقليل ساعات العمل وزيادة الاجور . فهو كسابقه لا يحسم النزاع بين العمال والعمل بل هو مورفين آخر . ورضاء الاشتراكيين بهذين المذهبين موقتاً كرضى المريض بالعلاج المسكن لانه ريثما يتسنى للطبيب اجراء العلاج الشافي . فلذلك لا يُعد هذا الاسلوب أو سابقه عقيدة اشتراكية . ورضى الاشتراكيين به احياناً ليس حجة عليهم بأنهم يعدونه عقيدتهم الاساسية

الرابع — اغتصاب الثروات من أيدي ذويها (سواء كانت مالاً أو عقاراً أو مرفقاً او تجارة الخ) وتوزيع هذه الثروات على جمهور الامة بالتساوي . فان هذا المذهب لم يوجد الا في أذهان فريقين من الناس . الاول فريق الفوضويين وهؤلاء نفر

من الناس ليس شأنهم في جسم المجتمع الانساني الا كشأن جراثيم الامراض القتالة في جسم الحي . وفريق المتحاملين على الاشتراكيين من جاهلي امرها الذين يصمون آذانهم عن الصواب الذي فيها ولا يريدون أن يفهموها الا مذهباً فوضوياً كهذا . ولا مشاحة في أن هذه الوسيلة لا تحل المشكلة أيضاً لانه مادام الافراد متفاوتين في مقدرتهم وحرصهم واطماعهم وحيلهم وما دام النظام الاقتصادي الحالي نافذاً فلا تلبث الثروة أن تجمع في أيدي فئة صغيرة كما كانت ولا يلبث العمال أن يعودوا الى الصياح . فهذا المذهب من أسخف المذاهب ومن أبعدها عن الصواب والحق . ولذلك ليس من الاشتراكية في شيء

ما هي الاشتراكية

وأما مذهب الاشتراكية فمنطقي معقول وهو مبني على سنة اجتماعية اقتصادية منصفة . يقضي مذهب الاشتراكية بقلب النظام الاقتصادي الحاضر ووضع نظام جديد . يقضي بالغاء ما أدعاه المال (نقداً كان أو عقاراً أو مرفقاً) من حق الانتاج . أي ان المال وان يكن ثروة ويمثل قوة لا يجوز ان يكون منتجاً ثروة أخرى . لان الوسيلة المشروعة الوحيدة لانتاج الثروة هي العمل فقط . « بعرق جبينك تأكل خبزك » . فلا يجوز أن يكسب قرشاً الا من عمل عملاً يساوي القرش . ولكن النظام الحالي يأذن لكل من احتاز مالاً أن يشتري أسهماً في شركة أو عقاراً يؤجره أو أن يسلف نقوداً فيجني ربحاً من ذلك بنسبة ماله من غير أن يعمل عملاً قط

ووجه الاجحاف في النظام الحالي الذي يشكو منه الاشتراكيون هو أنه يفضي الى تجمع الثروة (التي هي ثمرة تعب العمال وحدهم) في أيدي فئة من الناس وحرمان العمال من هذه الثمرة كما هو الواقع الآن في البلاد المتمدنة ولا سيما في امركا حيث استطاع افراد قلائل أن يجمعوا في حياتهم من الاموال مالا تتصوره مخيلة في حين أن الوفاً من العمال يتسولون ليس الرزق بل العمل الذي يتعيشون منه فلا يجدونه

أما النظام الذي يبتغيه الاشتراكيون لالغاء قوة الانتاج من جانب المال وحصر هذه القوة في العمل وحده فهو من الوجهة النظرية أمر بسيط جداً ولكنه من الوجهة العملية من أصعب الامور وأمامه عقبات عزيزة المرتقى

وهذا النظام يمكن اجماله بكلمتين وهما نقل الشركات وجميع المرافق التي يقوم بها مجموعة عمال وجميع العقارات من ايدي ذويها (مساهمين ومالكين) الى يد الحكومة بحيث تصبح هذه المرافق المنتجة للثروة ملك الامة برمتها من غير تخصيص فئة بها دون

فئة أخرى وابقاء جميع العاملين فيها من مديرين ورؤساء وكتبة وعمّال كلّ في وظيفته وعمله يتقاضى اجرته التي يستحقها تحت سيطرة الحكومة . ومعنى ذلك انه بدلاً من ان تكون هذه المرافق لفئة من الناس يبتزون ارباحها وحدهم تصبح الامة كلها كساهمة فيها وارباحها تعود للامة كلها . وحينئذٍ تستهلك هذه الارباح في طريقين : الاول زيادة أجور العمال وتقليل ساعات العمل والثاني ترخيص اسعار الاشياء للجمهور

فاذا تمّ ذلك لا يبقى للمال قوة الانتاج أو التثمير بتاتاً وانما يبقى المال ممثلاً ثروة فقط يمكن جامعه أو مدّخره في حين بالاقتصاد والتقتير ان يتمتع بانفاقه على ملذاته في حين آخر ، ولكنه لا يمكنه ان يجني منه ربحاً بحيث يتمتع بربحه أو بعض ربحه ويبقى له المال أو يتكاثر عنده

اما تنفيذ هذا النظام فهو عقدة الاشتراكيين التي استصعبوا حلها لانهم رأوا ان اغتصاب الثروة من ايدي المثرين أمرٌ غير محلل . وتكليف الحكومة ان تبتاع الشركات والمرافق كلها أمر ليس في وسعها . وانما اهتدوا الى وسيلة تدريجية تقتضي الصبر وهي ضرب الضرائب على الشركات والمرافق فقط وزيادة هذه الضرائب عاماً بعد عام . ولا يخفى انه كلما عظمت الضريبة على عقار أو مرفق قلّت ارباح ذلك المرفق أو العقار وبالتالي قلّ ثمنه. وهكذا تنزل اثمان المرافق والعقارات تدريجاً حتى تبلغ الصفر فيتركها ذووها للحكومة . وبهذه الطريقة لا يغرمها ذووها دفعة واحدة ولا يغرمونها وحدهم بل تتوزع غرامتها على من يحاولون المتاجرة بها (أو باسهمها) . وفي خلال ذلك تستطيع الحكومة ان تشتري بعض المرافق شراء مما تستصوب شراءه وتستطيعه . هذا مجمل ما ارتآه الباحثون في وسائل نقل المرافق والعقارات من ايدي ملاّكها الى ايدي الحكومة

اما بلوغ الاشتراكيين الى هذه الامنية فهو عقدة أخرى ليست أسهل من العقدة السابقة . وهم لا يجدون وسيلة له الاّ بانماء حزبهم بحيث يرجح على الاحزاب الاخرى ويستلم زمام الحكم . وثم يسنّ قانون هذا النظام وينفذه تدريجياً بالحكمة والتودة والصبر متجنباً ما استطاع حدوث الازمات الاقتصادية والثورات الاهلية بسبب هذا الانقلاب الهائل

ان انكلترا التي اشتهرت بالتطور البطيء الراسخ سائرة في هذا السبيل . وربما كانت أنجح من غيرها فيه . فالضريبة على الايراد هناك انما هي خطوة عظمى في سبيل الاشتراكية

اعتراضات اعداء الاشتراكية

ولاعداء الاشتراكية اعتراضات على هذا النظام اهمها :

اولاً — انه يقتل النبوغ اذ يقفل باب التنافس بين الافراد . وهو اعتراض المتمحك لان باب التنافس يبقى مفتوحاً لكل اهل وكفء ونابغة كما هو الآن بل يكون اوسع . لان الاعمال من طبعها متنوعة وهي في الاهمية درجات متفاوتة جداً من رئاسة ادارة وادارة وكتابة وعمل خفيف وعمل يدوي وعمل شاق الى غير ذلك . والاجور تختلف ايضاً بحسب درجات الاعمال . ولما كان الناس متفاوتين في اهليتهم وكفاءتهم كان بحكم الطبع لا يتبوأ منصباً الا من كان اهلاً له . وادارة الاعمال لا تفرق عن ادارة الحكومة . فكما ان الباب مفتوح لكل شخص اهل لان يكون وزيراً أو مديراً هكذا يكون مفتوحاً لكل شخص اهل ان يكون مديراً لمرفق أو كاتباً فيه الخ .

والحقيقة أن النظام الحالي يقتل النبوغ ويحرم الاهلية حقها لان سماحه بتسريب ثمرة أعمال العمال الى خزائن الافراد يقضي على كثيرين من الاكفاء ان يبقوا خاملين في حين ان كثيراً من المنحطين في قواهم العقلية والادبية مثرون لانهم تسلموا ثروة من غيرهم أو لانهم جمعوها بالتقتير أو الطمع أو الحيلة

الاعتراض الثاني — ان الغاء قوة تثمير المال تميت عاطفة جمع المال وبالتالي تميت موهبة الاختراع والابتكار اللازمين لتحصيل الثروة . وهذا الاعتراض ليس أقل سخافة من سابقه والرد عليه بسيط . وهو أن النظام الجديد يبطل تثمير المال ولكنه لا يبطل جمعه ولا ينفي مكافأة ذوي الابتكار والاختراع بمقادير كبيرة من المال لكي يتمتعوا بها (لا لكي يثمروها) . فالذي يخترع آلة أو يستنبط تدبيراً يكافأ بالمئات والالوف . ولا خطر من احرازه المال الوافر جزاء اختراعه واستنباطه ما دام النظام لم يعد يؤذن له (بطبيعة الحال) بتثمير المال بل يسمح له بالتمتع به فقط

الاعتراض الثالث — ان النظام الجديد لا يؤمن فيه تطرق الخلل والفساد الى جميع المرافق والاعمال والاشغال التي تديرها الحكومة . واعداء الاشتراكية يحتجون دائماً على هذا النظام بقولهم ان الاشغال التي لا فائدة كبرى للعاملين فيها أي التي لا تكون أرباحها آيلة لهم تفقد مزية النجاح والتقدم والنمو أي ان موظفي أي مصلحة وعمالها لا يبذلون جهدهم في انجاحها وتوفير ارباحها مادامت فائدتهم منها محدودة وهي ماهياتهم ورواتبهم المقررة

وهو اعتراض ليس اقوى من سابقيه . واليك الرد عليه : ان تطرّق الفساد

والخلل الى كل مصلحة أو ضبط كل مصلحة وترقيتها وانجاحها لا يتوقف على كون المصلحة ملك الامة أو ملك المتمولين الافراد بل يتوقف على تربية الشعب برمته . فالشعب الذي يصلح لان يحكم نفسه ويدير حكومته يصلح أيضاً لادارة اعماله بلا فرق . والموظف في مصلحة يضطر أن يقوم بعمله كالواجب. سواء كان في مصلحة مختصة بشركة متمولين أو هي ملك الامة . لانه في كلا الحالين لا يقدر ان يثبت في وظيفته ولا يستحق الترقية الا اذا قام بالواجب عليه حق القيام . ومدير المصلحة الاعلى نفسه لا يقدر ان يثبت في منصبه اذا ظهر انه لم يحسن ادارتها او اذا بدا للجمهور ان المصلحة مختلة تحت ادارته اسقطوه عاجلا ليحلوا محله من هو اكفأ منه . وما دام الاكفاء يزاحمون في ابواب المناصب فلا خوف من خلل المصالح وحبوطها . أجل لا يندر ان يظهر خلل في بعض المصالح حيناً بعد آخر . على ان حدوثه ممكنٌ فيها وهي في ادارة اصحابها المتمولين كما هو ممكن وهي في ادارة الحكومة على السواء

ثم ان وجود بعض المصالح كالبوسطة والتلغراف والسكة الحديدية وغيرها في ايدي بعض الحكومات يبرهن على ان الحكومة الصالحة للحكم صالحة لادارة الاعمال أيضاً

ولقائل يقول ان وضع ادارة جميع اعمال الامة في يد الحكومة عبء ثقيل لا تستطيع الحكومة حمله فلا بد ان يختل في يدها . والحقيقة ليست كذلك لان هذه المصالح تبقى سائرة في نظامها وبعمالها ومديريها كما كانت على عهد وجودها تحت سيطرة مالكيها المتمولين . وانما هي تنقل من تحت سلطة المتمولين الى تحت سلطة الحكومة من غير ان يتغير فيها شيء جوهري . وهب ان اشغال الحكومة زادت باضافة المصالح اليها فماذا يمنع ان يزداد رجالها ايضاً . ومهما كبرت اشغال الحكومة فليست هي اكبر من اشغال حكومات انكلترا واميركا وفرنسا والمانيا الآن في مدة هذه الحرب ولا سيا في المانيا التي وضعت حكومتها يدها على كل مرفق ومصلحة لتديره بنفسها . فما نراها ناءت بمهام هذه الادارات العظيمة . ان تنظيم المرافق وتقييدها بقوانين وتوزيع الاعمال على الاكفاء لها ــ كل هذه تكفل ثبات العمل ونجاحه من غير مداخلة السلطة العليا في كل شيء بل يكفي السلطة العليا أن تكون المسيطرة والمنفذة لذلك النظام والمراقبة له

هذا أهم مايعترض به اعداء الاشتراكية على نظامها المفروض . وهذا مجمل ماتعترف به الاشتراكية لمن يجهل حقيقتها . ومن رام مزيد بيان أو له اعتراضات أخرى عليها فليلجأ الى مطولات المؤلفات فيها فيجد رداً لكل اعتراض وبياناً لكل صواب

نقولا الحداد

اغرب المدائن

أو مدينة الغرائب

[الهلال] غادر القطر المصري صديقنا حنا افندي خباز متجهاً الى الشرق الاقصى ومنه الى اميركا . وقد بعث الينا بهذه المقالة من هنغ كنغ ووعد باتباعها بمقالات أخرى عن تلك الجهات الغريبة

في بحر الصين تجاه كولونغ في ولاية كنتون جزيرة تدعى هنغ كنغ . وهي صخرة صماء غير هندسية الشكل طولها ١١ ميلاً وعرضها يتراوح بين ميلين وخمسة اميال . ومساحتها كلها نحو ٢٧ ميلاً مربعاً . وكلمة هنغ كنغ صينية معناها « الميناء الامين » دعيت بذلك لانها بامتدادها قبالة الشاطئ كوّنت مرفأ من أفضل مرافئ العالم . احتلّ الانكليز هذه الجزيرة سنة ١٨٤٠ وفي سنة ١٨٦٠ أضافوا اليها القطعة المقابلة لها وفيها مدينة كولونغ . وفي سنة ١٨٩٨ أضافوا كذلك الجزائر المحيطة بها ونحو ٢٧٠ ميلاً مربعاً من أراضي الصين بين كولونغ وكنتون ومدوا فيها سكة حديدية . وقد شادوا على جزيرة هنغ كنغ مقابل كولونغ مدينة هي

« مدينة الغرائب »

(اولاً) لانها مجهولة الاسم على شهرتها . لا يذكر اسمها احد . اذا سألت الهندي أو الياباني الى اين ؟ قال الى هنغ كنغ . ومن أين ؟ من هنغ كنغ . مع ان هنغ كنغ اسم الجزيرة . أما اسم المدينة فهو ڤكتوريا . ولا يذكر هذا الاسم اللهم الا في التقارير الرسمية

وشيوع اسم الجزيرة دون اسم المدينة لانه ليس في الجزيرة بلد غيرها . فحين يقول القائل انه ذاهب الى هنغ كنغ أو آت من هنغ كنغ لا يقع التباس لان ڤيكتوريا كل ما في هنغ كنغ

(ثانياً) لانها في المنطقة الحارة ولكن لا حرّ فيها ولا شمس . هذا هو اليوم الرابع لي فيها ولم ار الشمس بعد . الغيوم متلبدة في جوها والمطر المتقطع ينزل رذاذاً . فهي بلد الربيع الدائم . لا زوابع فيها ولا جمود ، لا حرّ ولا برد . هي وحدها ذكرتني بربيع سورية . مكثت في مصر اربع سنوات لم تغب الشمس في اثنائها يوماً واحداً . كذلك في الطريق من مصر الى هنا كانت الشمس تطلع نهاراً والقمر

والنجوم ليلاً . ولكن حين دنت باخرتنا من الجزيرة احاق بنا الضباب والغيوم ولا يزال

(ثالثاً) لكثافة سكانها بالنسبة الى مساحتها . فان مساحة اليابسة سبعون مليون ميل مربع وسكانها ١٦٠٠ مليون نفس فيكون معدل سكان الميل الواحد في كل الارض نحو ٢٣ نفساً . على أن معدل السكان في بعض الجهات اقل من ذلك كسيبيريا والبرازيل وشمالي أفريقيا . وفي بعضها أكثر كانكلترا وهولاندا . وأكثر بلدان الدنيا سكاناً بالنسبة الى مساحتها البلجيك . مساحتها ١٣٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٧٠٠٠٠٠٠ فالمعدل نحو ٥٤٠ نفساً في الميل المربع . أما هنغ كنغ فساحتها ٢٧ ميلا وسكانها ٤٠٠٠٠٠ فيكون سكان الميل الواحد نحو ١٥٠٠٠

(رابعاً) لانه ليس فيها بهائم . لم أرَ في المدينة بهيمة الى الآن مع انني اجول في الشوارع أكثر الوقت . فيها كراسي خيزران لحمل الناس على الاكتاف . أما عربات البضائع فيربطونها بالحبال ويجرها الرجال . والحمالون يحملون الاشياء بتعليقها على طرفي عود الزان ويضعونه على الكتف كالميزان . واذا كان الحمل ثقيلا ربطوه بحبل وعلقوه في وسط عود الزان وحمل العود رجلان على الاكتاف . هكذا يحملون كل شيء ولا أثر للخيول والحمير هنا . فهي بلد الآدميين دون سواهم

(خامساً) في جزيرة سيلان وجدت الرجال كالنساء ولكن الامر بعكس ذلك هنا . فالنساء كالرجال . لما القت باخرتنا مراسيها تقاطرت القوارب نحوها . وما كان أشد دهشتي لما رأيت النساء يلبسن البنطلون كالرجال وقد حملن المقاذيف وشرعن يخترقن عرض البحر بقواربهن . نزلنا في القارب ١١ رجلا ومعنا نحو ستين طرداً . فقبضت سيدتنا على المقذاف بساعدين مجدولي العضل وضربت بالقارب في عرض البحر والعرق يتصبب من وجهها وولداها الى جانبيها يرمقانها بانظارهما . فقلت هكذا النساء والا فلا

خرجنا الى السوق فاذا بجماعات الحمالين وبينهم عدد كبير من النساء يحملن بالعود على الاكتاف . جلت في الاسواق واذا بكثيرات منهن على الكراسي بجانب الطريق بعضهن يخصفن النعال وبعضهن يخطن أو يبعن . وكلهن بملابس الرجال (بنطلون وقميص) وليس عليهنَّ شيء من الحلى ولا مظاهر الخلاعة والتهتك

(سادساً) نقود فكتوريا وطوابع بريدها لا نظير لها في الدنيا . وهي لا تقبل في غيرها ولا يقبل غيرها فيها . وأساس عملتها الدولار . وهو غير دولار سنغابور وغير دولار فيليبين وغير الين الياباني

دولار هنغ كنغ يعادل ١٤ قرشاً مصرياً بوجه التقريب . وكل دولار مئة سنت وكل سنت عشر قطع صغيرة . وأما الدولار السنغابوري فيعادل ١١ قرشاً وريال فيلبين كريال مصر تماماً . كل ٥ دولارات فيليبنية تعادل جنيهاً وكل ٩ دولارات سنغابورية تعادل جنيها و ١/٢ ٦ دولارات من عملة هنغ كنغ تعادل جنيهاً

(سادساً) أنها ضائعة العنصر . فهنغ كنغ صينية ولكن فكتوريا انكليزية . فماذا نعتبرها ؟

اذا قلت أنها انكليزية كذبني وجود ٤٠٠ الف صيني وصينية فيها يملأون شوارعها وبيوتها . وكذبتني اعلاناتهم المرسومة على الواح خشبية طويلة مدلاة من اول السوق الى آخره كانها دلاء الملائكة مكتوبة بلغة بني السماء . واذا قلت أنها صينية كذبني كل شيء فيها شوارعها وبناياتها ومدارسها وكنائسها وجرائدها وساحاتها ودوائرها والف اعتبار آخر فيها . وحقيقة الحال انها مدينة صينية انكليزية أو انكليزية صينية . وهي بهذه الصفة فريدة لا تشاركها بلد غيرها على الارض . فترى في المدينة أجسام الصينيين وخصائص الانكليز

(سابعاً) قال الحكماء ما بالطبع لا يتغير . وأخذ المعنى الشاعر العربي فنظم قائلاً :

حي لكم بغير تكلف والطبع في الانسان لا يتغيرُ

ولكن هذا المبدأ الفلسفي منقوض في فكتوريا . فانه لما احتلها الانكليز كانت بؤرة وباء وعش حميات لا نظير له في الدنيا . فقد دخل المستشفى من رجال الحامية وهم ١٥٠٠ في مدة ٦ أشهر ٧٨٠٠ مريض . فيكون كل منهم قد دخل المستشفى في تلك المدة خمس مرات . ومات من طابور عدد رجاله ٧٠٠ في مدة سنتين ٢٥٧ . فكتب الحاكم الى الملكة فيكتوريا يقول لها « ان فكتوريا أوبأ مدينة في الامبراطورية » . ومرض الحاكم فغادرها الى جوزان لاجل صحته . وهرب الوزير الى ماكاو لنفس السبب والاسقف الى فيليبين والجنرال الى اوربا ومرض رئيس الحقانية مرضاً خطراً وماتت ابنته واستقال جراح البلدية وامين الصندوق لاسباب صحية . وعلا الصياح في البرلمان بلزوم تركها وصرّح البلاغ الرسمي الصادر من حاكمها ان البقاء فيها لا يزيد انكلترا الا خسارة اذ قد هجرها كل التجار وقالوا انه يستحيل اتخاذها مقراً تجارياً

ولكن لما جُفِفت اراضيها ورُصفت شوارعها وجُهزت بالمياه النقية صارت تلك المدينة الموبئة أصح بلدان الدنيا وأحسنها أقليماً . وانتقل اليها التجار من ماكاو وكنتون حتى صارت اليوم أول مدينة تجارية في الشرق الانكليزي الاقصى

(ثامناً) أنها معلقة في الهواء . لم أر مدينة نظيرها . عرض الجزيرة ميلان وعلو

جبلها الفا قدم فيكون معدل الارتفاع $\frac{٥٠}{١٠٠}$ في المتر الواحد . على انه في بعض النقط $\frac{٩٠}{١٠٠}$. فترى بعض جهات الجبل قائمة كالحائط . فكيف توصل اليها الانكليز ؟ وكيف زجوا منازلهم الفخمة في جيوبها كالحراب ؟ . ترى البيوت معلقة في الجو وتحتها هوة لا يدرك الطرف اخرها . وفوقها الاشجار عمودية على الجبل . وفي بعض الهوات تقابل الاشجار بعضها بعضاً . هنالك نقر الانكليزي الغرانيت فعمل مرتقى يصعد عليه وشاد له صرحاً باذخاً جهزه بانابيب الماء واسلاك التلفون والانوار الكهربائية وآلات الموسيقى والجنائن والحمامات . والطرقات مملطة بالخرسانة والاسمنت من رأس الجبل الى اسفله . والصيني يحمل كرسي الخيزران عند رأس كل منحدر ينتظر الاوامر لينقل السيد او السيدة على كتفيه بابخس الاجور . فبينا الراكب جالس في الكرسي يقرأ الجريدة ويهبط به الحامل من علٍ من غير ان يشعر باضطراب

ولك في الليل من تلك البيوت العالية أجمل منظر . وقد ذكرتني رؤيتها بقول الشاعر العربي :

تضيء القسيَّ في الظلام كأنها مغارة مأوى راهب متبتل

(تاسعاً) ان ميزانية حكومتها من أعجب الميزانيات . دخلها يزيد على مليوني ليرة مع انها ميناء حر . تسمع هدير البواخر فيها ليل نهار . علاقاتها التجارية الرسمية مع المرافئ الآتية : مرافئ الصين واليابان ، سنغابور ، بينانغ ، رانكون ، كلكتا ، بمباي ، كولمبو ، خليج العجم ، السويس ، اوربا كلها . ثم سومطرا ، فيليبين ، بورنيو ، جاوا ، سايبس . وفيها شركتان احداهما اوزاكابوزان كيشا ولها مواصلات مع ريو جانيرو وبونس ايرس عن طريق سنغابور وجزائر موريشوس وخليج دلاكوس ورأس الرجاء . والثانية نوبو بوزان كيشا وتسير من هنغ كنغ الى فيليبين فيوكوهاما وهونولولو وسان فرنسيسكو ومكسيكو . وتجول على كل اساكل امريكا الجنوبية الى فالبارزو . وليس غير هاتين الشركتين تدوران حول الارض

(عاشراً) نظافتها . لم أسمع ولا تصورت ان مدينة فيها ٤٠٠ الف صيني لا تجد في شوارعها اقذاراً ولا زبالة ولا غباراً تكحل به العيون . طرقاتها مرصوفة بالنحيت الغرانيت وبالتربة الافرنجية . ومجاري المياه من رأس الجبل مملط قعرها بالاسمنت والخرسانة

أراضيها منحدرة . وكثير من شوارعها مؤلف من أدراج كادراج البيوت ذات الطبقات . وفي بعض المواضع رصفوها بالحصى والاسمنت على شكل السطح المائل

فصارت كظهر القبة لا يعلق عليها الغبار . والبلدية في هنغ كنغ كثيرة العناية بالمدينة ولذلك دعيت هنغ كنغ نعيم الاوربي في الشرق

(حادي عشر) ومن أغرب ما فيها زهورها . فهي مدينة الزهور . بيوتها كلها مطلة على الشوارع لان طرقاتها كشارع محمد علي في مصر ذات قناطر متواصلة . فتحت القناطر ممشى للسائرين . وفوقها قناطر اخرى . فلكل بيت قنطرة أو قناطره على طول المدينة ولكل قنطرة حاجز عن الشارع مؤلف من درابزين مصنوعة من التربة الافرنجية . فترى شقوق الزهور خطوطاً متصلة من اول المدينة الى آخرها على جانبي الطريق . اما البيوت في قمة الجبل فهي جنات تجري من تحتها الانهار وفراديس تغرد على ميلاء افنانها الاطيار

(ثاني عشر) ومن أغرب ما فيها الفرق في نفقاتها . واليك مثالاً من ذلك : اضطرتني الحاجة الى أخذ المهجوري حين وصولي في فندق هنغ كنغ . وقد شعرت بسوء العاقبة فاقتصرت على اختيار البسيط من المأكولات . والحمد لله لم تكن النفقة أكثر من ٣ ريالات . وفي اليوم التالي اهتديت الى مطعم ياباني اوربي كاحسن مطاعم مصر فطلبت أنواع الطعام نفسها . وكانت النفقة عشرها في الامس . ولو تجرأت ان اكل نفس الشيء في مطعم صيني لكانت النفقة دون ذلك بكثير . فالفرق هنا عظيم جداً بين الطبقات

واجرة كرسي الخيزران يحمله اثنان كل النهار ريال واحد (١٢ ساعة)

وأجرة النوم في اللوكاندة لا يقل عن ريالين أو ثلاثة . واجرة الفندق اليومي من الدرجة الاولى من ١٠ الى ١٥ ريالا

***

فمن اراد ان يرى الجنة على الارض فليقصد هنغ كنغ

ومن رام ان يسلو همومه وغمومه فليؤم هنغ كنغ

فان كان غنياً فعليه بفندق هنغ كنغ وفندق الملك ادوارد

واذا رام الاقتصاد فلينم في لوكندة طوكيو ويأكل في المطاعم المجاورة

واهالي هنغ كنغ ٤٠٠ الف فيهم ١٠ الاف اوربي والف ياباني وسبعة الاف متنصر صيني والباقون صينيون صرف

هنغ كنغ — حنا خباز

نيرون الطاغية

مثال من أطواره الغريبة

[الهلال] ليس من يجهل ما كان من امر نيرون الامبراطور الروماني المشهور بالعسف والجور . وفيما يلي قصة واقعية تبين لنا اخلاقه الغريبة . ومما يزيد قيمتها انها تصف حالة الديانة المسيحية في مهدها وكيف انتشرت بين الرومانيين بسرعة عجيبة

كان نيرون ذات يوم يخترق بعربته ساحة « الفوروم » وحوله جمع غفير من عبيده ورجال بلاطه فاستوقفه منظر رجل قبيح الشكل تكاد تتجسم فيه البشاعة . فقد كان قزماً محدوب الظهر مشوه الوجه والملامح . فاستهجن نيرون ذلك المنظر الذي لم يرَ قط مثله تحت سماء روما . فخطر له في الحال خاطر شيطاني . فاوقف عربته وأمر أحد عبيده أن يأتيه بالقزم . فلما دنا منه قال له :

— ما أسمك ؟

— مركوس ستمبا

— احضر اليَّ يا مركوس ستمبا في قصري غداً بعد الجلسة

فطأطأ مركوس رأسه بوقار ولم يبدُ عليه شيء من القلق لانه لم يخطر بباله شيء مما اضمره له الامبراطور

اما نيرون فحال وصوله الى القصر دعا اليه سكستوس بمبيوس وهو أحد الاشراف المقربين اليه فقال له :

— كيف حال ابنتك كلوديا الحسناء ؟

فلما سمع سكستوس اسم ابنته خفق قلبه وجسأ فحنى هامته ليخفي اضطرابه ثم قال :

— ان جمالها بهجة عيني ووداعتها انشراح قلبي

فاطرق الامبراطور قليلا وقال :

— ادعها اليَّ . لتكن في القصر غداً بعد الجلسة

قال ذلك وانبعثت من عينيه شرارة جهنمية

***

ولا تسل عن حالة سكستوس بمبيوس بعد هذا الحديث وما اعتراه من الخوف والاضطراب . فقضى ليلته مغموماً مكروباً وهو يفكر فيما يضمره الامبراطور لابنته .

وقد أقلقه اتفاق الميعادين اللذين ضربهما نيرون للقزم ولابنته . ومع ذلك لم يخطر له ان يعصى سيده

ولما كان اليوم التالي دخل سكستوس بمبيوس قصر الامبراطور مع ابنته كلوديا في الميعاد المضروب

وكانت كلوديا اجمل بنات روما . وقد امتازت بانها جمعت بين الاخلاق الراقية والسيرة الحسنة والجمال الرائع والذوق السليم ، لما كان من عناية والديها بها وحرصهم على آدابها وسلوكها

في ذلك اليوم دخلت كلوديا القصر الامبراطوري لاول مرة في حياتها . وكان قلبها يخفق قلقاً وحياء . اما نيرون فكان جالساً في القاعة الكبرى بين رجاله واعوانه وقد طرب لما بدا على الفتاة من الخجل والاضطراب . فلما دنت منه خاطبها بقوله :

— ان شهرتك ايتها الحسناء لم تخدعنا . فليس ضوء الفجر المنبثق باجمل من نظرات عينيك

ثم التفت الى والدها وقال :

— لقد آن وقت قران ابنتك . واني بصفة كوني أباً لجميع رعاياي أرى من الواجب عليّ ان اختار لها زوجاً

قال ذلك واشار الى بعض رجاله فُفتح باب كبير خرج منه مركوس ستمبا القزم الاحدب

فعلا الضجيج القاعة كلها ودهش الحضور لذلك المشهد الغريب ونيرون طرب جذل لما أحدثه من الدهشة ثم وقف خطيباً وقال :

— أجل . ان العدل اول واجبات الملوك . فعلى الملك أن يعنى بتوزيع الجمال بين رعاياه لينال كلٌّ قسطه منه . ولذا أرى ان اقبح الرجال يجب ان يقترنوا باجمل النساء حتى يخرج نسلهما معتدلا في الجمال !

اما القزم فقد اصغى لتلك الخطبة وهو صامت . ثم دنا من الامبراطور وقال بانفة ورباطة جأش :

— ان هذه النعمة يا مولاي فوق ما استحق ولكني ارفضها مع الشكر

فهب نيرون عند ذلك وانتهره قائلاً :

— ليس لاحد ان يراجع اوامري . فيجب عليك ان تقترن بها قبل مضي اسبوعين . والا فالويل لك ولها

قال ذلك وخرج من القاعة . وعلى أثر ذلك تفرق الحضور وهم لا يكادون يصدقون ما رأوا وما سمعوا

***

وكان مركوس ستمبا مسيحياً صميماً تشرب مبادئ تلك الديانة وما ينطوي تحت تعاليمها من حب العدل واحترام الحرية الشخصية . فلم يكن كلام نيرون الا ليزيده نفوراً وانفة . ولم يخطر له دقيقة ان ينفذ أمره فيحرم تلك الفتاة الجميلة حقها من السعادة والهناء . ولكنه لم يستطع ان يجاهر برأيه . فحالما وصل الى منزله بعث الى سكستوس بمبيوس بالكلمات الآتية :

« اني أتصور ما ألم بكلوديا من الحزن ... واني اود لو اعدم الوجود لافرج عنها كربها وأعيد اليها ابتسامتها ... ولكن ما العمل ؟ اذا هربت من هذه الديار وقع على رأسها غضب نيرون . وأما الانتحار فديني يحرمه عليَّ ... ولكن لتتصبر كلوديا الطيبة ولتتأكد أني سأعمل ما في وسعي لاخفف عنها ما حل بها »

فوقعت تلك الرسالة وقعاً حسناً لدى سكستوس بمبيوس وابنته وأفصحت لهما عما في صدر صاحبها من العواطف النبيلة والاحساسات الشريفة

***

على انه كان امام مركوس ستمبا آلام واحزان أخرى . ففي ليلة زفافه الرسمي تبعته كلوديا الى داره حسب العادة المألوفة . ولكن زواجهما كان اسمياً ظاهرياً فقط فلم يكن بينهما تشارك فعلي في المعيشة

على ان ذلك كان من شأنه زيادة آلام مركوس ستمبا . لانه لم يلبث ان شعر بميل حقيقي الى تلك التي اضطرت ان تكون شريكته في الحياة رغم ارادتها . ولكنه لم يجاهر بشيء من ذلك عملا بوعده الصريح وعلماً منه بان حبه لن يكون متبادلا مع ما هو عليه من القبح والشناعة . وقد عانى المشاق في اخفاء شعوره نحو زوجته والتظاهر بعدم الاكتراث لها . وكان يزيد آلامه في اول الامر ازدراؤها به واغلاظها الكلام له . فقد كانت تنفر منه وتتجنب مجالسته وهو مع ذلك يلتمس لها الاعذار ويحتمل معاملتها بالصبر والتجلد

ولكن كلوديا لم تلبث أن شعرت بتقصيرها فندمت على ما فرط منها ولا سيما بعد ما ظهر لها من شهامة زوجها وكرم اخلاقه واحترامه لحريتها . فلم تستطع الا الاعجاب بصفاته الراقية وعطفه على الفقراء والمساكين وما كان من معاملته الحسنة لعبيده واطلاقه سراحهم ونحو ذلك من الاعمال الدالة على سمو الخلق .

ولو علمت بما يجيش في صدره من العواطف وما يتكبده في اخفائها لتضاعف اعجابها به ...

***

ومنذ شعرت كلوديا بتقصيرها نحو زوجها بدأ عهد جديد في حياتهما . فلم تعد تهرب منه بل أخذت تستلذ مجالسته ومحادثته . ثم انه اتيح لها غير مرة ان تحضر الاجتماعات التي كان يعقدها المسيحيون في دار زوجها من حين الى آخر فكانت تصغي الى تعاليم تلك الديانة الجديدة فتعجب بمبادئها الراقية . ولكنها كانت تحاشى اظهار اعجابها والمجاهرة به .



بطرس يبارك العروسين

غير ان نفسها لم تلبث ان اصبحت ميداناً لنزاع روحي اليم . فكانت تجاذبها العوامل المتضادة فتشعر تارة بسمو التعاليم المسيحية ثم تعود تارة أخرى فتأنف ان تخلى عن ديانة آبائها وأجدادها . وقد ظلت زمناً طويلا على هذه الحالة الشاقة لا تدري لاي العوامل تذعن

***

وحدث أثناء ذلك في روما حوادث خطيرة الشأن .فنشبت الحرب الاهلية وسقط نيرون نخلفه على العرش الامبراطور جلبا

فلما رأى مركوس ستمبا ان الذي ارغم كلوديا على الاقتران به قد ذهب وان قد دالت

دولته عزم على تطليقها رغم حبه المبرح كي تستعيد حريتها ويتسنى لها الزواج بمن يستحقها

فبعث برسالة الى سكستوس بمبيوس يطلب منه مقابلة خصوصية تحضرها كلوديا . فاجابه الى ذلك ودعاه الى قصره . فلما جاء القصر دخل قاعة كبيرة كان عمه جالساً في احدى زواياها وبجانبه ابنته . فبادره سكستوس قائلا :

— هل الداعي الى هذه المقابلة مما يزيد حزني وكربي

فاجابه مركوس على الفور :

— لا يا سيدي بل انه داع للحبور والسرور . فقد جئت لارد الى ابنتك حريتها المسلوبة . اجل جئت لاعيدها اليك . . .

قال ذلك وغص في كلامه ثم قوي على نفسه وواصل الكلام فقال :

— اجل ان من الميسور تخليص كلوديا الآن وقد سقط نيرون الطاغية . ولذا عزمت على اطلاق سبيلها لتكون ولية أمرها فيمن تختاره زوجاً لها

— أتقصد ذلك حقيقة يا مركوس ستمبا ؟ انك لجدير بالاعجاب وان قلبك لشريف نبيل !

قال ذلك وابرقت عيناه من الفرح . فتألم مركوس ستمبا في سره من تلك الدلائل ولكنه قال :

— لا استحق هذا المدح يا مولاي فاني انما أقوم بالواجب عليّ وانجز ما وعدت به

— وأي وعد تعني ؟

— ألم اكتب لك أني سافعل ما في وسعي لتخفيف أحزان كلوديا

فلم يتمالك سكستوس من الاعجاب بتلك السماحة . وكانت كلوديا مطرقة أثناء الحديث لا تفوه ببنت شفة . على ان مركوس استرسل في كلامه فقال :

— لقد عزمت اليوم على الرحيل . فان للديانة التي ادين بها اتباع عديدون ولكنها مفتقرة الى من يطوف الارض مبشراً بتعاليمها . فاذا رحلت ظن الناس أني قتلت مع من قتل من النصارى وامكن كلوديا اذ ذاك أن تسترد حريتها

فطرب الاب لهذه الفكرة والتفت الى ابنته فقال :

— ألا ترين يا عزيزتي بان عليك واجب الشكر لهذا الشهم النبيل

أما كلوديا فكانت مسترسلة في عالم الخيال . . . فتنبهت فجأة . . . ثم قالت :

— عند ما يرخي الليل سدوله تخبر كلوديا زوجها بما عزمت عليه فليمهلها الى المساء

***

في ذلك المساء عندما خيم الظلام على روما خرجت كلوديا وحدها من بيت أبيها فاخذت تقطع الشوارع المظلمة شارعاً بعد آخر الى ان بلغت اطراف المدينة

فوقفت هنيهة تفكر. ثم استجمعت قواها كأنها عزمت على أمر خطير. ثم جاوزت حدود المدينة فاخذت تعدو في الحقول والبراري الى ان بلغت مكاناً فيه خرائب قديمة فوقفت وجعلت تحدق بنظرها في الظلام كأنها تبحث عن شيء فابصرت فتحة في الارض فنزلت فيها وسارت في نفق الى حيث كان يتردد النصارى ويجتمعون سراً. فلم تلبث ان سمعت أصواتاً رخيمة تغني . فخفق قلبها وأسرعت في السير فرأت جمعاً محتشداً على ضوء المشاعل والكل راكعون بخشوع وأمامهم شيخ يباركهم . فعرفت كلوديا من ملامحه أنه بطرس الرسول

ثم أحدقت بنظرها في الحضور باحثة عن مركوس . فلما تبينته اطمأنت . ثم سمعت بطرس يتكلم وقد اعتلى صخرة . فأعجبت بأقواله ولم يكن فيها شيء من الارهاب والتأنيب بل كانت مفعمة سلاماً ووداعة

ثم سمعت كلوديا أصواتاً صارخة :

— يا بطرس عمدنا . . . عمدنا »

فملأ بطرس كأساً بالماء المقدس وأخذ يصبه على رؤوس الراكعين أمامه

فتقدمت كلوديا من بين الجموع المحتشدة وألقت رداءها أمام بطرس ثم ركعت قائلة :

— لقد آمنت بكل شيء

فصب بطرس الماء على رأسها وعمدها . وعند ذلك أقبل مركوس وركع الى جانبها وهو لا يكاد يصدق ما رآه فنظرت اليه وقالت :

— ألم اقل لك اني سأخبرك بعد غروب الشمس بما عزمت عليه ؟ فها انا بين يديك . وليكن معلوماً عندك ان إلهي هو إلهك وأني لك زوجة من هذه الساعة . فلست أرى فيك الا نفسك النقية الطاهرة

فقبلها مركوس ونظر الى الرسول بنظرات فهم منها غرضه فاقبل نحوهما وبارك حبهما

وهكذا أحبت كلوديا الحسناء أقبح رجل في روما ولكنها انما أحبت فيه جمال نفسه وكرم أخلاقه

نظرة في النفس

يا عالم النفس أنجى منك ملتطم ... نائي الجوانب نائي الغور تيهور
لهفي على النفس لا كانت رغائبها ... اذا اطباها من الآمال محظور
لا بل أحق بلهفي كل قانعة ... من النفوس بشيء وهو ميسور
ان أدركته فذكراه تهيج لها ... حزناً عليه اذا أقصاه مقدور
ليس المحب الذي يبكي أحبته ... بعد المنون كباك وهو مهجور
وحاجة النفس للاحلام آلم من ... أحلامها وكلا الامرين محذور
وكيف يسعد مخلوق بلا أمل ... أم كيف يسعده البهتان والزور
بئس الحياة حياة خيرها حلم ... مغيب في دياجي العمر مستور
فان تكشف عنه حاضر طفرت ... به الليالي فأمسى وهو مقبور
هل يدرك الثار من دنياه موتور ... مقيد بقيود العجز مأسور
جنى عليه فؤاد بين أضلعه ... وصحبه والاعادي والمقادير
النفس والناس والدنيا تناوئه ... فكل ما يتمنى المرء تغرير
النفس ظالمة مظلومة أبداً ... وكل شاك وان أبكاك شرير
المرء كالنسر ان ألقى فريسته ... والمرء في مخلب الأيام عصفور
نحنو على الناس أم نقلي جرائرهم ... أم كل ذنب جناه الناس مغفور
أحنو عليهم وأقلي نفس جارمهم ... وكلهم جارم والكل معذور
ليت النفوس التي تشقى بموضعها ... من الجسوم حواها الليل والنور
الليل والنور مثل النفس في سعة ... والجسم لا كان هذا الجسم محصور
ما للاماكن والازمان تضمرني ... وكيف تحوي الحياة الساع والدور
يا مظهر الروح ما أديت مضمرها ... سر الحياة عن الاحياء مستور
الحسن أكبر من عيب يدنسه ... ومظهر الحسن بين الناس موضور
والحق أبلج ما شابته شائبة ... ومظهر الحق فيه الافك موفور
هل يبلغ الناس شعري ما أحس به ... والحسن معنى وهذا اللفظ تصوير
بحد معناي لفظ لا يحيط به ... ولا يؤديه تنميق وتحبير
ان لم يشاركك في الوجدان مستمع ... فما لقولك في الاذهان تأثير

اسكندرية — عبد اللطيف النشار

المجمع اللغوي المصري

تاريخ المجامع وفوائدها في العالم المتمدين — ٢

اتينا في مقالتنا الاولى المنشورة في العدد الماضي على تاريخ المجامع في اوربا ولا سيما المجامع اللغوية والادبية التي تشبه مجمعنا الحاضر . فتكلمنا على غاياتها ونظامها وتأثيرها في حياة الامة وتاريخ نهوضها وتقدمها . ونريد الآن ان نأتي بلمحة عن فوائد هذه المجامع وما اسدته للشعوب الراقية من الخدم الجليلة الحاقاً بما في المقالة الماضية ، ثم نتبعها ببيان حاجة اللغة والامة الى المجمع اللغوي وتاريخ فكرة هذا المجمع في مصر وما يفرض عليه من الخدمات

فوائد المجامع

ان كل ما بيناه من تاريخ المجامع واهتمام الامم بها يشهد بسمو اغراضها وجليل خدماتها للغات والعلوم والآداب والتاريخ ، واليك مجمل ما وقفنا عليه من فوائدها في العالم : (١) خدمة اللغة الوطنية بوضع قاموس لها ، ثم النظر فيما تحتاج اليه من الاصلاح في الانشاء والالفاظ (٢) انشاء المجلات الراقية لنشر اعمالها ثم نشر الكتب والابحاث الهامة والمذكرات المفيدة (٣) النظر في المؤلفات اللغوية والادبية والتاريخية ومكافأة المجيدين بالجوائز ، والاخذ بناصر الادباء وتشجيع المؤلفين مادياً وادبياً (٤) القاء الخطب والمحاضرات والدروس في الادب والفنون على الطلبة وغيرهم كما في بلجيكا وسواها (٥) القيام ببعثات علمية وسياحات لخدمة العلم والادب واللغات. الى غير ذلك من الفوائد العديدة التي لا تحصى والتي يقال لاجلها انه ما من لغة ازهرت وترقت في اوربا الا كان لمجمعها الفضل الاكبر في ذلك

فكرة المجمع اللغوي عندنا

طرأ على اللغة العربية في القرون المظلمة التي عقبت عصور التمدن العربي الزاهر من اسباب الضعف وعوامل التأخر بعد تغلب العجم على العرب واختلاط العرب بغيرهم من الشعوب ما كاد يذهب بها . ولا سيما بعد ان زاحمتها اللغة العامية ووضعت بها المؤلفات كتاريخ الجبرتي وكتب معاصريه . وبقيت آثار هذا العهد في اللغة حتى زمن

قريب بل حتى الآن . فان اللغة الركيكة التي كانت شائعة في دواوين الحكومة لم تندثر بعد تماماً ولا يزال كثير من صيارفة البلاد يكتب بها الى اليوم

على ان اللغة قد عادت فنهضت نهضتها الاخيرة في القرن الماضي في مصر وسوريا ، ويرجع الفضل في انتعاشها ونهوضها الى ساكن الجنان محمد علي باشا رأس العائلة السلطانية الذي أخذ بناصر العلم فشيد المدارس وشجع العلماء . واللغة مظهر من مظاهر الامة فكما تكون الامة تكون لغتها رقياً وانحطاطاً . فلولا قيام الدولة المصرية على عهد محمد علي وتقدمها الباهر على عهد اسماعيل الملك العظيم الشأن لما نهضت هذه اللغة من كبوتها ولما ارتقت بعد انحطاطها . وقد نشطت هذه النهضة بعدها في مصر ودب دبيب الحياة العلمية فيها حتى أتيح لنا الآن ان نرى هذه الحياة العلمية المباركة التي تكاد تنفرد بها مصر دون سائر البلدان العربية ولا سيما بعد النكبات التي نكبت بها . وقد كان للتمدن الاوربي الحديث في هذه النهضة أعظم تأثير اذ رافقها انقلاب وتغيير اقتضاها اقتباسنا عن الافرنج واقتداؤنا بهم . فكان نقلنا علوم الغرب وتقليدنا الغربيين في كثير من آدابهم الاجتماعية واحوالهم السياسية والادارية ان اكتسبنا معاني كثيرة عنهم ليس لها الفاظ عربية تؤديها . فكان لهذه النهضة الفضل في تحويل أنظار الكتاب والمؤلفين والعلماء ولا سيما المشتغلين منهم بالعلوم الحديثة الى وجوب استئناف الاجتهاد في اللغة وايجاد الفاظ تؤدي هذه المعاني حتى تعود اللغة الى سابق عهدها ، فحمل هذا الشعور اصحاب الهمم منهم في الخمسين السنة الماضية على السعي في توسيع نطاقها لتؤدي وظيفتها الاولى وهي التعبير عن الآراء ومبتكرات العقول والقرائح في جميع العلوم والصناعات والفنون . فاشتغل قوم من الكتاب في استعارة الفاظ جديدة أو استعمال الفاظ مهجورة لهذه المعاني ، كما اشتغل المترجمون في النهضة الاولى على عهد محمد علي في البحث عنها . ولكن هذه الحركة الادبية لم تصل الى حد مرض أذ مهما يكن مجهود الافراد عظيماً فانه لا يعادل قط مجهود الجماعات . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان كل كاتب نهج منهجاً في النقل والتعريب يخالف نهج الآخر فاختار البعض الفاظاً للمعنى الحديث رأى انها تؤدي الغرض المطلوب واختار البعض الاخر الفاظاً غيرها . فاختلفت مختاراتنا وتضاربت حتى صار للمعنى الواحد عدة الفاظ متباينة ، فادى ذلك الى فوضى الانشاء وتضليل القراء واصبحت اللغة في حاجة الى من ينظر في امرها ويتلافى الخطر الذي يهددها . وهذا العمل لا يستطيعه فرد كما قلنا ولو فرض انه استطاعه فلا يرجى ان يتبعه الكتاب فيما يذهب اليه . فلا بد من جمعية تتولى هذا العمل ، ولطالما تشوقت أنفس أهل العلم والادب الى انشاء مجمع لغوي يتصدره اعلام الامة واقطاب اللغة للتعاون على

خدمتها بالطرق التي يقتضيها هذا العصر فيتولى توسيع نطاقها وتقوية جانب الضعف فيها ويعيد اليها مجدها القديم ودولتها الاولى وشبابها النضر . وطالما تحدثوا بهذه الامنية في انديتهم وسمارهم حتى هم كثيرون من ادباء اللغة في ازمان مختلفة ممن شعروا بهذه الحاجة فالفوا الجمعيات لهذا الغرض. ولكنهم كثيراً ما بدأوا ثم لم يثبتوا كما ترى في هذا الموجز الآتي :

تاريخ المجامع والجمعيات العربية

(المجمع اللغوي العربي) من أقدم الجمعيات التي ألفت لهذا الغرض المجمع اللغوي العربي الذي أسسه جماعة من أهل الفضل وقادة الفكر . أنشئ منذ بضع وعشرين سنة وعُقدت عليه آمال الادباء . وكان جل غرضه وضع المصطلحات العلمية لما حدث من المسميات الجديدة في أثناء هذه المدنية . الا أنه للاسف لم ينعقد الا مرتين : المرة الاولى في ١٦ رجب سنة ١٣١٠ (١٨٩٢) بسراي الخرنفش تحت رئاسة السيد توفيق البكري . وكان من بين أعضائه الاستاذ الشيخ محمد عبده ومحمد بك المويلحي والمرحوم محمد عثمان بك جلال وغيرهم . فافتتح الرئيس الجلسة ببحث عن المتنبي وأخلاقه المستنبطة من شعره ثم تلاه بتلاوة عشر كلمات من الالفاظ الحديثة التي أوجدتها المدنية الغربية وأخذ على نفسه ان يأتي في كل جلسة بمثل هذا العدد . وانعقدت الجلسة الثانية بعد ذلك بخمسة عشر يوماً وكانت الاخيرة من حياة ذلك المجمع

(نادي دار العلوم) وهو من الجمعيات التي أسست لهذا الغرض . انشئ في القاهرة سنة ١٩٠٧ برئاسة حفني بك ناصف . وكانت اكثر ابحاثه في اللغة واهتم على الخصوص بما كان قد انشئ لاجله المجمع اللغوي العربي وهو المصطلحات اللغوية فوضع بضعة آلاف لفظة اصطلاحية جديدة نشرت بعضها مجلة النادي الا انها لم تشع بين الكتاب اذ لم يكن لها صفة رسمية . وقد توقف هذا النادي منذ سنوات

(المجمع العلمي الشرقي) وهو من هذا القبيل أيضاً . أنشيء في بيروت سنة ١٨٨٢ وكان من أعضائه الشيخ ابراهيم اليازجي والدكاتره أصحاب المقتطف ومؤسس الهلال والمعلم ابراهيم الحوراني وسليم البستاني وغيرهم وتولى رئاسته الدكتور فانديك الكبير والدكتور ورتبات . ومن أعضائه المراسلين المرحوم شفيق بك منصور ولكن لم يطل بقاء هذا المجمع وقد جمعت أعمال سنته الاولى في مجلد على حدة

وقام غير ذلك جمعيات عامة وخاصة غرضها اصلاح اللغة فاتجهت نحوها الانظار لكن سرعان ما ثابت وسط الجدال والمناقشة والاختلاف في التعريب والاشتقاق

والايجاد والعدم حتى عدمت . وكان بعض مجهود الافراد من فطاحل علماء اللغة والكتاب ممن عاصروها كالشنقيطي والشدياق واليازجي والبكري والشيخ محمد عبده والمويلحي وغيرهم أجل بكثير مما صرفت فيه وقتها . وهكذا كان سوء حظ العربية في أبنائها ، فكلما قامت طائفة للعمل والنهوض بها والرفع من شأنها لاتلبث انتنتهي حيث تبتدىء . ولا غرو . فكل هذه الجماعات والمجامع لم يكتب لها البقاء ولم تعم أعمالها لانه لم يكن لها صفة رسمية أو لهيأتها نفوذ في الامة . فكان لا بد بعد هذا من تأليف هيأة تكون ذات صبغة رسمية وهذا ما تحدث بشأنه الناس طويلاً ولا سيما أثر النهضة التي عضدتها الحكومة بمشروع احياء اللغة العربية وشدت أزرها وزارة المعارف في عهد وزيرها حشمت باشا فعلقت الامال بانشاء مجمع لغوي رسمي شبيه بالمجمع الفرنسي الا أن المسألة لم تتعد حد الكلام ، حتى أنشىء المجمع اللغوي الحديث وهو موضوع مقالنا

المجمع اللغوى

ولدت فكرة تكوين المجمع اللغوي الاخير وانشائه في حفلة بلوغ المقتطف سن الاربعين من حياته في السنة الماضية . فبعد ان أنتهى الخطباء من القاء خطبهم دارت مذاكرات عن اللغة العربية أفضت الى الكلام عن الحاجة الى انشاء مجمع لغوي واقترح احمد بك لطفي السيد مدير دار الكتب السلطانية أن يخصص مكاناً من دار الكتب لذلك فسر الجميع وزادهم سروراً ما رأوه من ارتياح دولة الوزير الاكبر رشدي باشا ومعالي وزير المعارف عدلي يكن باشا لهذا الاقتراح

وفي أوائل شهر يوليو سنة ١٩١٧ أعلن عقد المجمع ونشر برنامجه وهيأة اعضائه والاغراض التي يرمي اليها وهي تنحصر في انشاء معجم يجمع بين دفتيه مصطلح كل علم وفن . وقد بين المجمع غرضه هذا في الفصل الذي عقده لذلك فقال : انه « خدمة اللغة العربية بوضع معجم واف بحاجة الزمن يشمل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات فيزيد في اللغة للضرورة ويراعي في الزيادة دفع الحرج ويستبدل بالكلمة العامية أو الاعجمية التي لم تعرب من قبل غيرها من الالفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها فاذا لم يهتد المجمع الى كلمة عربية وضع كلمة عربية للدلالة عليها أو أقر الكلمة العامية أو عرَّب الكلمة الاعجمية ويكون وضع الكلمات بطريق المجاز أو الاشتقاق أو النحت ويفضل الاخذ من الكلمات المهجورة تقليلا لاشتراك المستعمل »

فهذا هو غرض المجمع وهذه طريقته في الخدمة التي يتوخى القيام باعبائها . وهو بلا شك غرض جليل وخدمة خطيرة يقدرها الذين اشتغلوا بالتأليف والتعريب

والكتابة حق قدرها . ويرى القارىء أن المجمع قد جعل طريقته في العمل شاملة لجميع الطرق التي تنازعت عليها الاحزاب في اللغة قديماً وحديثاً . فكأنه أراد أن يرضي الجميع ، كما ان طريقته في « وضع الكلمات بطريق المجاز أو الاشتقاق أو النحت أو غير ذلك مما لم يقع اجماع على منعه » هي طريقة الشدياق التي دعا اليها في جوائبه منذ أربعين سنة . ثم انه قد نسج في أكثر نظمه الاخرى المبينة في برنامجه على منوال المجمع العلمي الفرنسي كما يتبين مما كتبناه عنه في مقالنا السابق . وبالاجمال ان ما اتخذه المجمع من التدابير والنظم لاداء خدمته وما يرى من أسماء أعضائه قد يكون خير وسيلة لادراك الغرض المطلوب . غير ان لنا ملاحظات نريد أن نبسطها فيما يلي دفعنا الى ابدائها غيرتنا عليه ورغبتنا في دوامه وبقائه

اقتراحات على المجمع

نكتب هذه الكلمة في مثل الشهر الذي أسس فيه المجمع أي بعد مرور سنة كاملة على انشائه طالعنا في أثنائها جل ما كتب عنه ولاحظنا بكل شغف اعماله وما وجه اليه من الاقتراحات والانتقادات . ولكننا للاسف لم نر من اعماله سوى انه اجتمع حين انشائه ومرات بعد ذلك فأثار حوله الاقلام ثم لم يعد يسمع عنه شيء سوى تجديد تعيين رئيسه . ولقد علمنا انه في جلساته القليلة انقسم على نفسه واختلف اعضاؤه في العمل ففريق محافظ لا يرضى مجاوزة الحد الذي وصل اليه القاموس وروي عن العرب ، والآخر حر يرى التجاوز عن القياس والقاموس . وقد اطلعنا على مذكرات بهذا المعنى قدمت للمجمع من انصار الحزبين (كمذكرة الاستاذ السكندري ، ومذكرة الدكتور صروف) واننا نخشى أن يقع المجمع من جراء ذلك الاختلاف فيما وقع فيه اسلافه فيترك جوهر العمل ويأخذ في عرض المناقشات والردود التي لا طائل تحتها ولا عمل بعدها . ويجدر بنا الآن ان نبدي ما نراه لازماً لبقاء هذا المجمع وما يرجوه منه العالم العربي

لا نأخذ على المجمع طريقته في تعيين اعضائه وهي طريقة (الاختيار) لا (الانتخاب والاجماع) ولا كون قوامه الموظفين الا ما ندر . ولكننا نكتفي بتقديم الاقتراحات التالية وهي :

(اولاً) ان يزاد عدد اعضائه من ثمانية وعشرين عضواً الى الاربعين وله في ذلك اسوة بالمجمع الفرنسي . فيكون في كل لجنة من لجان العلوم والفنون سبعة أعضاء أو ثمانية على الاقل حتى يكون شاملا لسواد اهل العلم على اختلاف طبقاتهم بحيث يكون

فيه الباحث الطبيعي والاجتماعي والمؤرخ والشاعر والرياضي والنباتي والزراعي وعارفو الفنون الجميلة واللغات الشرقية وأمهات اللغات الافرنجيـة ولا سيما اليونانية واللاتينية وحتى يكون من الاخصائيين في « لجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة والزراعة وعلم النبات » مثل ما في لجنة اصطلاحات الدواوين ولجنة الفقه والقانون

(ثانياً) ان يكون له اعضاء مراسلون في داخل البلاد وفي أطراف العالم العربي يشتركون في هذا العمل لانه يتوفر في كل بلد من البلاد العربية ما لا يتوفر في سواها وان لا يهمل المجمع معونة الباحثين في الفنون والعلوم والاخصائيين فيها كما ذكر في برنامجه وان يكون بعض الذين ينتدبون للعمل بأجور ورواتب معينة

(ثالثاً) ان ينتظم ويداوم اعضاؤه على الحضور والعمل فيجتمع في أوقات معلومة وينشر خلاصة أعماله . فينظر فيما يعرضه عليه الاعضاء الدائمون أو المراسلون مما يرون الحاجة ماسة الى اصلاحه أو ادخاله أو تعريبه من الالفاظ والمعاني والاوضاع ثم يحيله على اللجان الخاصة به لدرسه وتقريره ثم يعرض عليه ثانية فما اقرّت على استعماله الاكثرية يعلن في الصحف ويدون في الكتب المدرسية وينشر في العالم العربي بواسطة الاعضاء المراسلين

(رابعاً) ان يعمل بجد في المعجم وان يثبت فيه ما يقرره وان يحتذي في عمله المعاجم الافرنجية الحديثة . فانا في اشد الحاجة الى معجم لغوي ادبي علمي مصور يكون على نمط معجم لاروس الفرنسي

هذا حتى يكون المجمع اللغوي حجة اللغة العربية على من يتوهم أنها لا تتسع لجميع العلوم العصرية ومصطلحاتها الحديثة ولا يسهل تعليمها بها كما يكون من آثاره العمل على تدريس هذه العلوم بها

وهكذا تتسع مع الزمن اعمال هذا المجمع وخدماته بحيث يكون له ما للاكاديميات (المجامع) الافرنجية من تقرير الجوائز المالية أو الفخرية لمن يبرز في العلم أو الادب والاخذ بناصر الادباء ونشر آثارهم أو غير ذلك . ولا يتسنى له كل هذا ما لم يكن لديه دخل كاف واعانات من الحكومة والاهلين

الخلاصة والاقتراح على الحكومة

نرى من كل ما تقدم ان الامة المصرية قد شعرت بالحاجة الى المجمع اللغوي منذ زمن بعيد فاقدم الكثيرون على القيام بهذه المهمة مراراً وتكراراً ولكنهم فشلوا لان الحكومة لم تؤيدهم كما تؤيد هذه الهيئات كل حكومة متمدنة راقية . ولقد أتينا في مقالتنا

الاولى على أمثلة من تنشيط حكومات أوربا هذه الهيئات العلمية بل قد أثبتنا من تاريخها ان هذه المجامع لم ترق وتنهض الا لان الحكومات والامبراطرة والملوك في الغرب وأسسوها أخذوا بيدها واعترفوا بها رسمياً واعتبروها من جملة دواوين الحكومة ودوائرها وخصصوا لها الاموال الضخمة للانفاق عليها فضلا عن قيام الشعب بواجبه من نحوها

واذا ذكرت المجامع العظيمة في العالم ذكرت بجانبها أسماء مؤسيسها من عظماء الامبراطرة والملوك والوزراء مثل لويس الرابع عشر وريشليو وتأسيسهما المجمع العلمي في فرنسا ، وجورج الرابع وانشائه جمعية الآداب الملكية الانجليزية ، وبطرس الاكبر وانشائه المجمع الملكي في روسيا سنة ١٧٢٤ ، والملك شارل ألبير وجعله مجمع سافوا مجمعاً ملكياً لايطاليا سنة ١٨٤٨ ، وفريدريك الرابع ملك السويد ووضعه مجمع العلوم الامبراطوري تحت رعايته ، والامبراطورة صوفيا شارلوت حامية الآداب والعلوم في عصرها وزوجها فريدريك الاول ومساعدتهما في انشاء المجمع العلمي . وهكذا القول في البابا بيوس التاسع والمجمع البابوي النيسي ، والامير ليوبولد دي ميديسي ومجمع سيمنتو بفلورنسا ، والدوق اسكالونا ومجمع اسبانيا وغير ذلك كثير

فاذا كان هذا هو شأن المجامع وحالها مع الحكومات في أوربا فكيف بها عندنا ونحن أمة اتكالية قبل كل شيء ؟ أو يظن أنها تحيا عندنا بغير مساعدة الحكومة ؟

نكتب هذا للفت نظر الحكومة ووزارة المعارف والامة الى تأييد المجمع بالرعاية والمال والتنشيط حتى لايقع مجمعنا الجديد فيما وقع فيه مجمعنا القديم . فان اهمال هذا المشروع العظيم مما يحول دون قيامه بمهمته الكبرى لان كل هيأة كهيأته لاتقوم بعمل مفيد الا اذا هي انصرفت بكليتها الى العمل ولا تستطيع ذلك اذا لم تمد بالاموال لتعطي رواتب وأجوراً لمن هم بحاجة الى ذلك من العاملين . فاذا لم يتوفر لها المال ولم يتعهدها كبار الدولة وعظماؤها بالعناية تضعف وتهن ـ ولا سيا في بلادنا .

واننا نرجو أن يكون مولانا السلطان فؤاد الاول لويس الرابع عشر في هذا العصر ودولة رئيس الوزراء ريشليو مصر فيأخذان بيد هذا المجمع كما أخذ لويس الرابع عشر ووزيره بيد مجمع فرنسا الاشهر . وليس هذا بكبير على حكومة مولانا السلطان فؤاد شبل اسماعيل وحفيد محمد علي . فقد اصبحت مصر ملجأ اللغة العربية الوحيد . لان مصر مركز العالم العربي وبدأت بالنهضة العربية ثم اقتدت بها البلاد الاخرى وهي اليوم ارقى البلدان العربية مدنية وصحافة وادباً فيتعين عليها ان يجد المجمع فيها ما يليق به من الاهتمام والمساعدة

ع . عبادة

شذرات وفوائد حربية

ملخصة عن كتاب « القتال » تأليف الجنرال برسان (١)

ماهية القتال

ليس القتال في الحقيقة الا نزاعاً بين قوى معنوية ـ وهو ما يبرح من ذهن الكثيرين . فاننا اذا طالعنا الجرائد في أثناء الحرب لا نكاد نرى فيها سوى وصف مسهب للخسائر المادية التي لحقت بالمتحاربين من قتلى وجرحى وأسرى ومهمات ونحو ذلك . ويندر أن يذكر فيها شيء صريح عن النتيجة التي أسفر عنها القتال وعن حالة الجنود المعنوية كاندفاعهم وصدق عزيمتهم وأملهم بالفوز ونحو ذلك . والحقيقة ان الخسائر المادية ضئيلة القيمة ما لم تنل من القوة المعنوية . فلا يكسر الجندي ما زال يريد القتال . قال الجنرال فون در غولتز : « ينبغي الاهتمام بقتل الشجاعة في نفوس الجنود قبل السعي في قتل اجسامهم . . . »

والغالب في المعارك الحديثة أن تكون خسائر المنصور اكثر من خسائر المكسور لما يتطلبه الهجوم من التضحية . وقد كان الامر بخلاف ذلك فيما مضى

الفرق بين الحروب القديمة والحروب الحديثة

في المعارك القديمة كان أول الهالكين الضعفاء قليلي الشجاعة والاقدام . أما اليوم فالامر بعكس ذلك اذ يسقط أولاً اكثر الجنود حماسة وبأساً . ولما كان النصر حليف الفريق المتفوق في البسالة وقوة العزيمة وشدة الاندفاع فليس من الغريب أن تربو خسارة المهاجم في حملة موفقة على خسارة المدافع المختبيء في تحصيناته

تناقص خسارة المقاتلين في الحروب الحديثة

كانت الحروب القديمة مجازر بشرية لا حرمة فيها للجريح . فكان المنتصر يقتل كل من يقع تحت سيفه من الاعداء سواء كان سليماً أو جريحاً . وظلت الحال كذلك الى حرب الثلاثين سنة ومن ذلك الوقت أخذ عدد الجرحى يزداد بالنسبة الى عدد القتلى مع استعمال الاسلحة النارية حتى أصبح معدل عدد الجرحى نحو أربعة أضعاف عدد القتلى . ثم ان الخسارة الاجمالية بالنسبة الى عدد المقاتلين ما برحت تنقص بالتدريج مع تقدم فن القتال ـ بخلاف ما يتوهمه الانسان لاول وهلة

(١) Le Combat par le Général Percin Paris 1914

واليك جدولاً يبين كيف نقصت خسائر المحاربين بالنسبة الى المجموع

	الخسارة في المائة
حرب السبع السنوات	٤٢
الحروب النابوليونية	٣٥
حرب القرم	١٥
حرب ايطاليا	١٠٠
حرب سنة ١٨٧٠ بين فرنسا والمانيا	١٤
حرب الصين	١٠
حرب الترانسفال	٩
حرب منشوريا بين اليابان وروسيا	٣٥
حرب بلغاريا وتركيا	١٢
حرب سربيا وتركيا	١٠
حرب اليونان وتركيا	٥

على ان هذا النقص في الخسارة العددية يتضح لك جلياً اذا تأملت في خسارة المحاربين في أثناء مدة معينة من الزمن — أي في ظرف ساعة من ساعات القتال مثلاً . واليك جدولاً يوضح ذلك

	الخسارة في ساعة	
حروب فريدريك الاكبر	٦	في المائة
الحروب النابوليونية	٣	«
حرب سنة ١٨٦٦ بين المانيا والنمسا	١	«
حرب سنة ١٨٧٠ بين المانيا وفرنسا	٢	«
حرب منشوريا بين روسيا واليابان	١/٣	«

ويرجع هذا النقص الى ان كل تقدم في معدات القتال وأساليب الهجوم كان يقابله تقدم أتم واوفى في معدات الدفاع وأساليبه

ثم ان عدد القتلى والجرحى بالسلاح الابيض ما برح يتناقص . فالخسارة التي تنجم عن هذا السلاح لا تكاد تذكر الآن بالنسبة الى ضروب الخسارة الاخرى . والاحصاءات الحديثة تثبت ان خسارة المشاة تفوق خسارة رجال المدفعية بنسبة ١٠ الى ١ فلا شك ان المشاة يتلقون أشد الضربات في الحرب الحديثة وبهم تقع اعظم الخسائر

خطة الدفاع وما تتطلبه من المهارة

ولا يفوتن القارئ ان خطة الدفاع ليست من الحركات الحربية السهلة التي يلجأ اليها الفريق الضعيف عند ضياع أمله بالفوز . بل الامر بخلاف ذلك لخطة الدفاع الطوعي تتطلب قواداً ماهرين حاذقين في اساليب القتال وجنوداً مدربين حائزين على الصفات العسكرية اللازمة لذلك

واليك ما قاله الجنرال برسان في هذا الشأن مخاطباً الفرنسيين (وقد ظهر كتابه قبل نشوب الحرب):

«لا يبرح من بال كل فرنسي ان وقوف احد الفريقين المتحاربين وملازمته خطة الدفاع بل تقهقره في بعض الاحيان واخلاءه الاراضي لا يعد خذلاناً من الوجهة العسكرية. والراجح عندي — في حالة نشوب حرب بين فرنسا وجارتها — انه سيكتسح جانب من الاراضي الفرنسية. فلا يستولي الوهم على احد منا حتى يعدَّ اكتساحها هذا رزيئة على الوطن»

عذوبة العزوبة

قصيدة ألقاها الاصولي خليل افندي داود حبيب في أثناء مباحثة موضوعها «أيهما أسعد حالاً العازب أم المتزوج» في حفلة جمعية القديس جاورجيوس في ١٦ يونيو الماضي

فريني قريضي وطفلي القلم ... وبنتي دواتي فكيف أهم
تحدث صحابي وقت الصباح ... طيوراً تغنت ووردا بسم
وماء يقهقه في سيره ... مسيراً الى الروض حلو النغم
وغصناً يميل حياء وقد ... تضجر من قبلات النسم
وعند الغروب أرى الشمس ترنو ... الي بعين كلون العنم
وتهرب غضبى لكي تختفي ... أمام هجوم الدجى والظلم
وخلي في الليل نجم السماء ... ونهر المجرة لي مغتنم
فأسبح فيه بعيداً عن الـ ... وجود وعن كل هم وغم
وأسري على ظهر تياره ... أشق عباب الظلام الخضم
وأرمق منه عيون الكواكـ ... ـب تلك العيون التي لم تنم
وأرقب منه حياة نفوس ... عظام الرجال وأهل الهمم
يرتب «ملتن» فردوسه ... و«دانتي» على الناريشوى الحمم
و«هيجو» ينوح على بائسيه ... و«فولتير» يجوب دياجي العدم
و«بيرن» على البحر يشكو ويبكي ... و«روسو» يقوّم سير الامم
وكل حكيم وكل فتى ... أذاع من الدهر سراً كتم

***

فهذا نهاري وهذا دجاي ... وهذي حياتي حياة العظم

حياة السعادة أن السعا ... دة بين الكتاب وبين القلم
وليس السعادة في ظل شعر ... وقد وجيد ونهد وفم
أيا سائراً في سبيل الزواج ... رويدك قف قبل نقل القدم
وحاذر فان وثاق الزواج ... محط الشقاء ومهد الألم
وليلة عرسك قبر صباك ... ويتلو البشاشة فيها السأم
وتصبح عبداً وقد كنت حراً ... وفي الرق تذبل زهر الشيم
وتملك قيدك ذات الخضاب ... فتمسي وحالك حال النقم
وتأمر فيك وتنهي عليك ... وويل اذا أمرها لم يتم
وان قالت اليوم كلا فكلا ... وتعني نعم عند قول نعم
والا أرتك صنوف البلايا ... وصبت عليك سيول النقم
وألوت تعير فيك وتلعن ... أصلا وضيعاً وفقراً دهم
وقامت تهلل في المشرقين ... برفعة خال وثروة عم
وطني عليك اذا ما ابتليت ... بزيارة حبتك الصمم
تعيد وتبدي وما دأبها ... سوى نقل مدح وابلاغ ذم
وهذي اشترت من عين اللآلي ... بآلاف جنيه وتلك بكم
وهذي عروس وتلك عجوز ... وهذا وضيع وذاك أشم
فتقضي حياتك في ذا الحول ... وبئس الحياة حياة الكلم
وتمضي الشرور فيأتيك طفل ... يجدد من جرحك ما التأم
يطيل العويل خلال الليالي ... فتحرم جفنك نوماً ألم
ويطرق بابك في كل حين ... دواء الطبيب وطيف السقم
وتسهد عين جثة طفل ... لا في البقاء ولا في العدم
وهذا يصيح وذاك ينوح ... وأنت مزيج دموعك دم
فان مات الفاك قيد الشجون ... وخلفك الدهر في بحر هم
وان عاش شب وشاب على ... هواه وأعرض عنك وشم
وقال اذا زدت في نصحه ... أيرضى الشباب حديث الهرم
وتمضي الى اللحد في غصة ... ويبقى ثراك · هطول الديم
ولكن روحك بين القبور ... اذا ما استجد الدجى وادلهم
تنادي نداء يشق القلوب ... وتنفث من صدرك ما انكتم
تنادي حذار حذار حذار ... وثاق الزواج وثاق الألم

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف أو بكلمة عند النشر

كلمة « سيكاره »

﴿ شيكاغو . اميركا ﴾ و . ه .

ما أصل كلمة « سيكاره » وما اشتقاقها ؟

﴿ الهلال ﴾ ان هذه الكلمة ترجع الى كلمة cicada التي تطلق على نوع من الزيزان . ولكنها مشتقة مباشرة من cigarra الاسبانية وهي الحديقة التي تغني فيها تلك الزيزان ويراد بها على الخصوص الحديقة التي يزرع فيها التبغ . ومنها اشتقت كلمتا cigar ومصغرها cigarette

القاب العظماء

﴿ دبركا . غينة الفرنسية ﴾ نعمان عبيد

لماذا لقب ريكاردوس بقلب الاسد والامير بشير بالمالطي وعبد الله باشا حاكم عكا بالجزار

﴿ الهلال ﴾ يقال في سبب تسمية ريكاردوس بقلب الاسد اقوال منها انه كان متجولا في بعض سهول سورية فلقيه اسد وهم بافتراسه وكان ريكاردوس معتزلا فاحتال على الاسد حتى ادخل يده في فيه واستخرج قلبه فاكله . وقيل مثل هذا الحادث وهو اسير في النمسا . والاقرب الى الصواب انه لقب به لما ظهر من شدة بأسه وشجاعته العجيبة وبسالته النادرة

أما الامير بشير فلقب بالمالطي لانه نفي مع اهله وذويه الى مالطا بعد حوادث انقاذ سوريا من الدولة المصرية

أما عبد الله باشا حاكم عكا فلقب بالجزار لكثرة ما سفكه من الدماء وما اجراه من المذابح . وقد لقب بامثال هذا اللقب كثيرون ممن اشتهروا بالقتل وسفك الدماء في التاريخ الاسلامي كالسفاح الخليفة العباسي وغيره

مقصورة ذي الرقاعتين

﴿ ك. ك. السودان ﴾ ق. ي.

رأيت في كتاب حياة الحيوان هذا البيت :

من فاته العلم واخطاه الغنى فذاك والكلب على حد سوى

وقد نسب صاحب حياة الحيوان هذا البيت لقصيدة الشاعر المشهور ابن عبد الواحد البغدادي ولم يذكر منها غيره مع انه أطنب فيها كل الاطناب مما جعلنا نطير شوقاً لذكرها . فهل لكم ان تتحفونا بهذه القصيده أو بابيات منها مع تعريفنا بهذا الشاعر اذ لم اقف على كلمة عنه أو عن قصيدته فيما بين يدي من كتب الادب بعد طول البحث والتنقيب

﴿ الهلال ﴾ في هذا الهلال مقالة عن هذا الموضوع

الدروز

﴿ فلسطين ﴾ علي ناصر الدين

لماذا سمي الدروز دروزاً ؟ وهل كان ذلك نسبة الى رجل أو الى شيء ومتى ابتدأ تاريخ معرفتهم بذلك الاسم وما هو تاريخهم ومذهبهم

﴿ الهلال ﴾ تنسب هذه الطائفة الى ابى محمد بن اسماعيل الدرزي صاحب دعوة الحاكم . قال صاحب شفاء العليل في اصل اسم هذا الرجل « درز واحد دروز الثياب فارسي معرب يقال لاولاد درزة وكذلك للخياطين والحاكة . والدروز موضع لخياطة في طائفة الدروزية تنسب الى ابي محمد الدرزى وهم يقولون بمذهب الاسماعيلية من الحلول والتناسخ والناس يقولون درزة فيحرفونه » وقال نحو ذلك صاحب لسان العرب وصاحب الملل والنحل

نشأ الدروز في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى وهو منشىء مذهبهم اذ كان يرسل الى الاقطار دعاة لينذروا بمذهب يدعيه وكان منهم هذا الرجل الاعجمي محمد بن اسماعيل

الدرزي أحد دعاة الطائفة الباطنية وهو المسمى في كتب الدروز « نشكين » وهو لفظ أعجمي يسمى به المماليك . قدم مصر هذا الرجل سنة ٤٠٧ ودخل في خدمة الحاكم وزين له الادعاء بالالوهية ووافقه على اثبات هذه الدعوة وكتب كتاباً في ذلك حصل من جرائه شغب عظيم في القاهرة وهجم الناس عليه ليقتلوه فارسله الحاكم سراً الى سوريا اشفاقاً عليه فنزل في وادي التيم ونادى هناك بالوهية مولاه وكان ذلك في أيام الامراء التنوخيين . ولما كان بنو تنوخ من الباطنية صادفت دعوته هوى من نفوسهم فانقادوا الى تعليمه ومن ذلك سميت طائفة الدروز . وكان عند الحاكم رجل أعجمي آخر اسمه حمزة بن علي فارسله الى الشام لينشر دعوته فجعل نفسه نائباً له والدروز يكرهونه ويلعنون الدرزي ويكرهون التسمية باسمه فيسمون أنفسهم موحدين أي القائلين بتوحيد الحاكم . وللدروز كتب ورسائل بعضها في مكاتب اوربا كالمكتبة الاهلية بباريس والفاتيكان واكسفورد . وعاداتهم وطقوسهم تتفق مع عادات المسلمين ولا سيما في الجنازات وغيرها ولكن بين الفريقين بوناً عظيماً في المعتقدات واخص ما يأبونه من الفرائض : الشهادتان والصلاة الخمسة والزكاة وصوم رمضان والحج الخ . وقد اسقطها عنهم فيما يزعمون الحاكم واستبدلها بفرائض أخرى منها الصدق والمحافظة على الاخوان وغير ذلك . وقد اشتهر الدروز بالحماسة والشجاعة واكرام الضيف والجوار

دفع التباس

حضرة محرر الهلال المحترم

توهم بعضهم أني مصاب باسهمكم وغيري مَن رميتم
فجئت باسطري هذي مزيحاً لثام الوهم عما قد عنيتم
واني شاكر في كل حال سواء ان نشرتم أو طويتم

أشرتم في هلال الشهر الماضي الى كتاب « حضارة العرب » تأليف اسعد افندي داغر احد محرري جريدة المقطم وذكرتم ما بدا لكم من المآخذ والملاحظات . ولما كنتُ سميَّ مؤلفه لان كلينا يمضي « اسعد داغر » توهم كثيرون من قراء الهلال اني انا المعنيّ والمرميّ كأن الاشتراك في الاسم أوجب علي تحمل جانب كبير من الغرم دون الانتفاع بشيء من الغنم ! ولذلك جئت استأذنكم في نشر ما يأتي جلاء للحقيقة ودفعاً للالتباس

أتيت هذا القطر السعيد منذ سبع عشرة سنة وعرفت فيه باسم « اسعد داغر » كما كنت معروفاً به قبلا في سورية . ومنذ نحو خمس سنوات قدم العاصمة اسعد افندي داغر مكاتب جريدة المقطم في الاستانة . وبداعي الالتباس في اسمينا استحكم الخلل والارتباك في وصول الكتب المرسلة الينا وأخذ كل منا يفتح كتب الآخر ويردها اليه بعد ما يتحقق أنها ليست له

ولما تكرر وقوع ذلك طلبت اليه غير مرة بنفسي وبواسطة بعض الاصدقاء ان يترك لي الانفراد بهذا الاسم لأني أسبق منه اليه واكبر منه سناً واقدم عهداً في الكتابة وان يدفع الالتباس بيني وبينه بزيادة اسم ابيه أو جده أو غيرهما . وفي كل مرة كان طلبي لا يلقى عنده سوى الاعراض والامتعاض

وظلت الحال جارية على هذا المنوال وانا صابر على تحمل العنت والازعاج من جراء فتح كل منا لكتب الاخر ونسبة كثيرين من القراء ما يكتبه في بعض الصحف والمجلات اليّ وتوهم البعض أني انا هو وانه هو انا حتى صدر كتابه في حضارة العرب وقرّظته الصحف والمجلات وحينئذٍ عمّ الالتباس وطم الاشكال ولم يعد في طاقتي الصبر على هذه الحال . لأني كنت قلما أرى أحداً من معارفي الا طارحني الكلام عن كتابي في حضارة العرب . وله هل هلال الشهر الماضي وفيه مقالتكم التي أشرت اليها في صدر الكلام خيل الى كثيرين من قرائها اني هدفها المقصود حتى قال احدهم لصديقه « اما صاحبنا اسعد افندي داغر (ومرادهُ انا) فاكلها اكلة طيبة من الهلال ! » فاجابه ذاك وله مني الف شكر : « ان الذي اكلها ليس صاحبنا بل هو اسعد داغر آخر ! »

وبناء عليه أعلنت في جريدة المقطم أني انقطعت عن امضاء « اسعد داغر » وأني سأمضي من الآن فصاعداً « اسعد خليل داغر »

ولعلمي ان انصافكم يأبى ان تتناولني مقالتكم ولا يرضيكم توهم قرائها أني معني بها أرجو التفضل بادراج هذه السطور ولكم الشكر الجزيل من كاتبها

القاهرة في ٨ يونيو سنة ١٩١٨ — اسعد خليل داغر

اعتذار الى السائلين

لقد منعنا ضيق المقام عن الاجابة على كثير من الاسئلة التي وردتنا . فنعتذر الى مرسليها وموعدنا السنة القادمة ان شاء الله

ثم اننا نلفت الانظار الى ان بعض الاسئلة (ولا سيما المرسلة من الخارج) تفقد احياناً في الطريق فلا يظهر عليها رد في الهلال